سوسيولجيا الظواهر الاتصالية و الإعلامية

في العلوم الاجتماعية بين التنظير و أزمة المنهج

لفهم تجليات و أثار وسائل الاتصال الجماهيري و الإعلام الجديد

تحت إشراف وتنسيق : الدكتور بداني فؤاد

مؤلف جماعي بالتعاون بين مخبر الموروث العلمي والثاقافي

لمنطقة تمنراست وفرقة مشروع بحث والتكوين الجامعي

PRFU : I05L02CU110120200001

جامعة تمنراست 2021

I05L02CU110120200001 : مشروع prfu رقم

مؤلف جماعي بتنسيق : د.بداني فؤاد

ملخص الكتاب

لقد تمحورت مقالات المؤلف الجماعي حول المداخل النظرية و المنهجية لفهم الظاهرة الاتصالية و ما أحدثته وسائل الاعلام خاصة الحديثة من تغييرات على مستوى القيم، السلوكات و العلاقات الاجتماعية، فمنها ما تناولت النقاشات النظرية و منها ما كانت دراسات ميدانية و تجريبية لتتوصل إلى نتائج و بيانات يمكن أن تشكل مؤشرات حقيقية على وجود ظواهر اتصالية و إعلامية ناتجة عن الاستخدامات المفرطة لوسائل الاتصال و الاعلام و خاصة ما اصطلح على تسميته بوسائل التواصل الاجتماعي و ما أفرزته من فضاءات افتراضية تشكّل الواقع و تغيير ملامح و هوية الحقيقة الاجتماعية .

بقلم الأستاذ: بداني فؤاد

PRFU : I05L02CU110120200001

ISBN 978-9931-789-06-2

لموسم 2021

اللجنة العلمية من جامعة تمنراست :

أ ـ د ـ بووشمةعبدالهادي

د ـ زندري عبد النبي

د ـ مزراق محمد

د. بداني فؤاد

د- بوحناش نادية

د- طارق بن بية

د- غالم محمد

د-بوتعنيفريد

د- بوعبزة أحمد

أ- د- تياقةصديق

د – نفيدسةفاطمة

د. بلحنيش أحمد

د- رقاني فاطمة

د- جلال نسيمة

د- سليماني جميلة

د- صالي محمد

د- أبوهريرة أبو الفتوح

د-بوبكرية رانية

طالب دكتوراه – بن لحبيب سيد احمد

طالب الدكتوراه- توهامي قدي

اللجنةالعلمية خارج جامعة تمنراست:

أ-د. عزّي عبد الرحمان –جامعة الشارقة

أ-د. عكروت فريدة جامعة مستغانم

أ-د. عمروش فريدة - جامعة الجزائر03

أ-د. بوعمامة العربي - جامعة مستغانم

أ-د- سيكوك قويدر– المركز الجامعي النعامة

د. عبو فوزية – جامعة سعيدة

أ-د. باشا عبد الوهاب (جامعة تبسة)

د- بن ديدة بغداد المركز الجامعي –البيض

د- مغتات العجال –جامعة سيدي بلعباس

د- حليمي مصطفي – جامعة شلف

د- حميدي حياة – جامعة شلف

د- بلعزكريمة – جامعة سعيدة

د - بَعلي محـمد –جامعة مستغانم

د- بن دنيا فطيمة جامعة الملك عبد العزيز جدة- المملكة العربية السعودية

ISBN 978-9931-789-06-2

فهرس المقالات

الاسم واللقب	عنوان المقال	الصفحة
د. فؤاد بداني – جامعة تامنغست	تقديم	1
د. عبد الرحمن عزي – جامعة الشارقة	علم الاجتماع الإعلامي: نظرية تاريخية	2
أ.عكروت فريدة– جامعة مستغانم	المقاربة النظرية للظاهرة الاتصالية	9
الباحثة بن يحي نعيمة – جامعة تيزي وزو	الهوية بين التأصيل الأول والرؤية العالمية لوحدة الكائن البشري لإحقاق قيم المواطنة والمشاركة	17
أ.عريق لطيفة – جامعة الوادي	المدرسة النقدية عند هابرماس: قراءة في نظرية الفعل التواصلي	29
ط.د عبد الرؤوف وشان – جامعة الجزائر 3 ط.د (ة) عائشة قرة – جامعة سطيف	الصراع القيمي في ظل الإعلام الجديد بين التأصيل والتبديل	45
أ.نسيمة طايلب – جامعة الشلف	الحتميات الإعلامية: قراءة في نظريات التأثير	58
أ.أمنية عمري، أ. طاهر نقض المعهد العالي للتنشيط الشبابي والثقافي بئر	دور وسائل الإعلام الجديدة في تجسيد عملية التغير الاجتماعي والثقافي والقيمي	70
أ.شيخ علي – جامعة ابن خلدون تيارت أ.مزي خديجة – المركز الجامعي البيض	الاثنوغرافيا ودراسة الظاهرة الاتصالية	81
ط.د خيرة العبدي – جامعة وهران 1	الأبعاد الثقافية للظاهرة الاتصالية في ظل البيئة الرقمية: دراسة في تداعيات الإعلام الجديد على الثقاف وتجليات التغير الثقافي في المجتمعات العربية	95
ط.د جعطوط بوبكر – جامعة بشار	هوية الطالب الجامعي بين الواقع والافتراض: دراسة ميدانية لعينة من طلبة جامعة بشار أنموذجا	111
أ.سلامي اسعيداني – جامعة المسيلة	واقع الهوية والقيم في الإعلام الجديد بين إشكالية التغيير وأخلاقيات الثبات مقاربة نقدية	124
أ –جاب الله حكيمة، جامعة الجزائر 3 أ– بن عمروش فريدة–جامعة الجزائر 3	الصحافة الالكترونية في الجزائر: بين الأطر القانونية وتحديات البيئة الاعلامية الجديدة	133
أ – ربيحة نبار –جامعة الوادي(الجزائر)	تنشئة الطفل في ظل تحديات وسائل الاعلام.	152
أ –حميدي حياة –جامعة شلف طالب دكتوراه – عمتوت كمال – جامعة	أساليب الأسرة في تربية الطفل المراهق على استعمال التكنولوجيا الرقمية	162

أ– فوزية عبو–جامعة سعيدة (الجزائر) أ–بوحلوان عبد الغني–	صفحات تعليم اللغات الأجنبية عبر المواقع الافتراضية ودورها في رفع مستوى العلمي للمستخدمين دراسة وصفية ميدانية	175
أ–بَعلي محـمد –جامعة مستغانم أ – بن دنيا فطيمة جـامعة الملك عبد العزيز	مسألة الضبط الاجتماعي للأسرة من خلال استخدامات شبكات الاتصال الرقمي	184
طالبة دكتوراه نعيمة موهوبي-جامعة ورقلة (الجزائر)	مظاهر التغير الاجتماعي في المجتمع الجزائري.	194
طالب دكتوراه –بدر الدين زمور–جامعة البليدة 2 طالب دكتوراه–حمزة غندور-	دور إستراتيجية العلاقات العامة في التصدي للازمات الحديثة– أزمة وباء كورونا نموذجا –	201
أ– كمال مسعودي،جامعة– بسكرة أ– مزيان بيزان المركز الجامعي تامنغست	تقنية سبر الآراء لصناعة الرأي العام: تحديات جديدة في العمل الصحفي الاحترافي	215
أستاذة– فاطيمة غزيل – جامعة الشلف	واقع الجريمة المعلوماتية في التشريع الجزائري	224
د. سامية شينار – جامعة باتنة 1 د. بوتعني فريد – جامعة تامنغست	العنف الافتراضي ودوره في المرور إلى العنف الواقعي	232
أ – سالمي رشيدجامعة تمنغاست	الاستراتيجية السياحية في الجزائر من منظور المخطط التوجيهي للسياحة SNAT 2030	240
طالبة الدكتوراه فدولخديجة –جامعة تمنراست	تكنولوجياالإعلاموالاتصالوتأثيرهاعلىالأسرةفيظلجائحةكوفيد19.	256
الطالبة حداد يسمينة المركز الجامعي أمين العقال الحاج موسأق أخموك – تامنغست	مساهمة المدرسة في نشر الثقافة الصحية في الوسط المدرسي	268
أ.قرماط عبد القادر، جامعة تامنغست أ. أيولم موسى، جامعة الشلف	حالة اللغة العربية في الشبكة العنكبوتية: تاملات في خطابات الفايسبوك	279

التقديم :

بعد باسم الله الرحمان الرحيم و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين و خاتم النبيئين و سيد العالمين –أما بعد :

إنّه لأمر بالغ الأهمية أن نتطرق إلى موضوع جدّ معقّد في مجال المناهج و التنظير في ميدان العلوم الاجتماعية و خاصة سوسيولوجيا الظاهرة الاتصالية و ما أحدثته الثورة التكنولوجية في مجالات الاتصال و الإعلام من تغييرات على مستوى المصطلحات و المدلولات و تداخل مختلف المقاربات البحثية لفهم ما أحدثته هذه الوسائل على الفرد و المجتمع و على القيم و سلّم المعايير الاجتماعية ، في هذا المؤلف محاولة لتأسيس تقاربات نظرية و منهجية تقرّب تصورات الباحثين في الميدان حول موضوع المنهج و النظرية في فهم الظواهر الاتصالية و الإعلامية ، و ما السبيل لبناء سوسيولوجيا الاتصال القائمة على عدّة محاور متشعبة التخصصات من علم الاجتماع و علم النفس و الاقتصاد و السياسة و الإدارة و علوم اللغة و الفلسفة.

حقيقة نعيش في عصر تميّز بسيطرة الوسيلة على المحتوى و التقنية على القيمة ، فظهرت الحاجة إلى ملتقى فكري يمهّد للدراسات الميدانية الحقيقية لواقع الممارسات الاتصالية في ظل تكنولوجيات الاتصال ، و رقمنة معظم الأنشطة الإنسانية ، و خاصة في المجتمعات التقليدية و التي تتواجد في الدول المتخلفة بدرجة كبيرة من الوضوح في الممارسات و بدرجة متعاظمة من الغموض في التفسير و التأويل ، لنعيش كمجتمع مجهول المعالم من حيث ضوابط و محددات الفعل الاتصالي و تدهور العلاقات الاجتماعية الحقيقية في ظل الاستخدامات غير المبررة للوسيلة التي باتت تصنع حقائق و وضعيات لا تتلائم مع واقعنا العربي و الإسلامي .

فالتهديد الأكبر كان و سيكون على الهوية و الانتماء و التماسك الاجتماعي من قبل محتويات و مضامين مختلف وسائل الاتصال و الإعلام خاصة التقنيات الجديدة و التي سميّت بالإعلام الجديد و الفضاء التواصلي الافتراضي.

الدكتور : فؤاد بداني

علم الاجتماع الإعلامي: نظرية تاريخية

د. عبد الرحمن عزي
باحث جزائري

يمكن تأريخ علم الاجتماع الإعلامي بالعودة إلى فترة العشرينات من القرن العشرين بأمريكا مع اكتشاف الإذاعة وبروز الدور السينمائية وتحول الصحف والمجلات إلى صبغة الجماهيرية. ويعد روبيرت بارك[1] المنتمي إلى جامعة شيكاغو والذي قلما يأتي ذكره في هذا المجال أول من دشن هذا التخصص بكتابه "التاريخ الطبيعى للصحيفة" حيث اعتبر أن الصحيفة ظاهرة مدنية انبثقت من حاجة الانسان المعاصر إلى التواصل في بيئة المدينة المصنعة التي تمزقت فيها أواصر التواصل الاجتماعي المباشر القائم على حماية الجماعة والتضامن الاجتماعي الآلي التلقائي. وقد توقف هذا التقليد جزئيا وأصبح روبيرت بارك جزءا من مدرسة التفاعلية الرمزية ومؤسسها جورج ميد[2]والتي انشغلت بالمعاني التي تنشأ في التفاعل الاجتماعي ولم تجعل وسائل الإعلام موضوع دراسة خاصة في المراحل الأولى من نشأتها. و قد انتقل هذا الانشغال شرقا إلى جامعة كولومبيا بنيويورك وبدأ علم الاجتماع الإعلامي يتخد دورا تأسيسيا مع وصول بول لازرسفيلد[3] وإلهو كاتز[4]وغيرهم إلى ساحة هذا البحث بعد الحرب العالمية الثانية. ودشن هؤلاء الباحثون ما يعرف بدراسات الجماعات الصغيرة والمتوسطة واكتشفوا أثر قادة الرأي المحليين والموسوعيين وقنوات التواصل المباشرة بين أوساط تلك الجماعات في التعامل مع وسائل الإعلام واتخدوا من مسألة الحملات الانتخابية وسيلة في كشف دور الاتصال الشخصي بالمقارنة مع دور وسائل الإعلام في تلك الفترة. ولأهمية تلك الدراسات، فقد أوردت الملخص التالي عن تلك الدراسات:

دراسة لازرسفيلد، برلسون، كوديت عن تأثير العلاقات الإنسانية في الحملات الانتخابية بأمريكا. 1940[5]:

أدرك لازرسفيلد وبرلسون أهمية العلاقات الإنسانية في الوساطة بين وسائل الاتصال والجمهور. وقد سعى هؤلاء إلى دراسة "كيف" و "لماذا" ينتخب الناس كما يفعلون. واستخدموا في ذلك تقنية الدراسة "الطولانية،"أي دراسة نفس الجمهور خلال فترة زمنية ممتدة. هذه التقنية تسمح بمتابعة تطور الآراء والمواقف وتغيرها في الفترة الزمنية المدروسة (قبيل وأثناء الحملة الانتخابية). وتم مقابلة 660 شخص بمنطقة "إريك باهايو" مرة كل شهر من ماي إلى نوفمبر (أي قبيل وأثناء الحملة). وأدخل هؤلاء الباحثون في الحسبان تأثير الحملة السياسية والجزء الخاص بوسائل الاتصال في نمو وتوجه الناخبين في الفترة المدروسة.

وقد أظهرت الدراسة ما لم يكن متوقعاً إذ لم يوجد هناك تأثير مباشر للحملة الانتخابية في تغيير أصوات الناخبين. هذا لا يعني أن الحملة لم يكن لها أي تأثير أو أنها لم تغير في بعض الحالات القليلة أصوات الناخبين، وإنما أن تأثير الحملة تمثل أساساً في تعزيز المواقف المسبقة للناخبين وتفعيل الاستعدادات الكامنة لدى الآخرين. وتبينأن أنماط التعرض إلى وسائل الاتصال كانت انتقائية. فالأفراد يختارون تلك الرسائل التي تعكس قناعاتهم الأصلية وينفرون من الأخرى. فالجمهوريون يتوجهون إلى رسائل حملة الجمهوريين والديمقراطيون يفعلون ذلك أيضاً. ويُفهَم هذا التأثير التعزيزي في إطار التجانس السياسي للجماعة المنتخبة. فالأفراد انتخبوا "بوصفهم جماعات"، أي بناء على انتمائهم إلى نفس العائلة أو النادي أو الكنيسة، الخ.ويُطرح نفس التحليل إذا اعتبرنا أن الأشخاص الذين يعيشون في ظروف اقتصادية واجتماعية متشابهة يشتركون في الاحتياجات والاهتمامات ويؤولون تجربتهم بنفس الشكل السياسي.

وقد أبرزت الدراسة الأهمية السياسية التي يكتنفها الاتصال الشخصي وجهاً لوجه في إطار هذه الجماعات. فالاتصال الشخصي يسبق في أولويته الإذاعة والصحف والوسائل الأخرى. ومن هنا تطورت نظرية التدفق الإعلامي على مرحلتين. وأظهرت الدراسة أيضاً مكانة قادة الرأي في عملية الاتصال. ويمثل قادة الرأي الأفراد الذين، وفي احتكاكهم اليومي مع الآخرين، يؤثرون على أتباعهم في تكوين الآراء واتخاذ القرارات. ولا يمثل هؤلاء القادة الذين يحتلون مناصب ذات مكانة اجتماعية. وإنما يوجد هؤلاء القادةفي مختلف المهن: تجار، موظفون، عمال مؤهلون، متقاعدون، الخ. أي الأشخاص الذين يعود الناس إليهم الفضل في تكوين الآراء حول مختلف القضايا.

وكشفت الدراسة خصائص قادة الرأي فيما يلي:

أولاً: أن قادة الرأي ينتشرون في مختلف الشرائح الاجتماعية، الشيء الذي يبين أن التأثير الشخصي في المجتمع لا يتدفق أفقياً من القمة إلى القاعدة فحسب، وإنما يتحرك عمودياً ضمن الفئات الاجتماعية.

ثانياً: أن قادة الرأي يتسمون بالفطنة وكثرة الاهتمام والنشاط سياسياً.

ثالثاً: أن قادة الرأي يحتكون بوسائل الاتصال الجماهيرية أكثر من غيرهم.

رابعاً: أن قادة الرأي يستخدمون ما يحصلون عليه من وسائل الاتصال الجماهيرية في تقديم المعلومات والأفكار لمن يقع تحت تأثيرهم من الأفراد.

وتعني هذه الخصائص أن أحد وظائف قادة الرأي الوساطة بين وسائل الاتصال والأفراد الآخرين في المجتمع. وهو ما يفند الاعتقاد السائد أن الأشخاص يحصلون على معلوماتهم وأفكارهم مباشرة من الصحف والإذاعة والوسائل الأخرى. ومن هنا أتت النظرية القائلة أن المعلومات تتدفق من وسائل الاتصال إلى قادة الرأي ومن هؤلاء إلى الجمهور العام، أي الاتصال عبر مرحلتين.

دراسة "مرتن" عن التأثير الشخصي و السلوك الاتصالي في بلدة صغيرة[6]بأمريكا، 1948:[7]

سعت هذه الدراسة إلى معرفة نوع الأفراد المؤثرين في البلدة الصغيرة و الطريقة التي يصبح بها هؤلاء مؤثرين وأنماط السلوك الاتصالي لدى هؤلاءً بالمقارنة مع الأفراد الآخرين.وقد أوضحت الدراسة أنه لا يوجد هناك نمط واحد محدد من قادة الرأي، إنما يمكن تمييز نوعين من قادة الرأي في البلدة الصغيرة: 1) **قادة الرأي المحليون**:ويتألف هؤلاء من أهل البلدة، أي ولدوا بها، ويسعى هؤلاء إلى معرفة أكبر عدد ممكن من سكان البلدة، كما يساهمون أكثر في الأعمال التطوعية رغبة في كسب علاقات وأصدقاء جدد. ويهتم هؤلاء أساساً بشؤون البلدة وقضاياها المحلية. 2) **قادة الرأي الموسوعيون**:ويتكون هؤلاء من الذين استقروا بالبلدة مدة من الزمن وانتقلوا إليها من المناطق الأخرى بفعل التطور الاقتصادي والحركة الاجتماعية. يتحفظ هؤلاء في علاقاتهم مع الآخرين ويكتفون بتطوير علاقات محدودة مع الذين يشتركون معهم في المستوى الاجتماعي. ويهتم هؤلاء بالقضايا الوطنية والدولية وعادة ما ينتمون إلى نوادي ذات مهارة أو اهتمام خاص مثل الجماعات المهنية والجماعات الضاغطة. وقد وجدت الدراسة أن هؤلاء القادة، وإن كانوا يتعرضون أكثر من غيرهم إلى وسائل الاتصال، إلا أنهم يختلفون في سلوكهم الاتصالي بالمقارنة مع بعضهم البعض. فقادة الرأي المحليون يقرأون الصحف المحلية ويستمعون للأخبار في حد ذاتها (أي دون التعاليق أو التحاليل) من الإذاعة، أما قادة الرأي الموسوعيون فيقرأون المجلات السياسية الوطنية ويستمعون إلى التحاليل السياسية في الإذاعة، الخ.وبينت الدراسة أن تأثير القائد المحلي أوسع إذ أنه يؤثر في

عدة مجالات من الحياة، أي يعاد إليه في الكثير من القضايا، أي أنه متعدد التأثيرات أما تأثير الموسوعي فأقل ولكن أدق فهو يؤثر في مجال خبرته الخاصة، وطنية أو دولية.

دراسة كاتز ولازرسفيلد عن التأثير الشخصي و التدفق الاتصالي في المدينة الكبيرة بأمريكا 1955:[8]

اهتمت هذه الدراسة بتحديد التأثيرات الشخصية بالمقارنة مع تأثيرات وسائل الاتصال في مجالات التسويق ، الأزياء، المسائل العمومية والسينما، إظهار الخصائص التي تميز قادة الرأي عن الآخرين في المجالات المذكورة، استقصاء تدفق التأثير (ما إذا كان من الأعلى إلى الأسفل مثلاً)، وتبيان الكيفيات التي يرتبط بها الاتصال الشخصي بوسائل الاتصال الجماهيرية.وأظهرت الدراسة أن التأثير الشخصي أكبر من تأثير وسائل الاتصال في تشكيل الآراء واتخاذ القرارات. وترُد الدراسة أسباب ذلك إلى ما يلي:

1. أن الاتصال الشخصي عادة ما يكون تلقائياً فجائياً وغير مقصود ومن ثم يصعب تجنبه بينما نجد أن الأفراد عادة ما يكونون انتقائيين في علاقتهم مع وسائل الاتصال وبالتالي يتجنبون تلك المحتويات التي تتعارض مع قناعاتهم أو لا تهمهم.
2. أن الاتصال الشخصي يضفي المرونة على عملية الاتصال. فإن حدث وأن وجد المرسِل مقاومة ما من متلقيه، فإنه يستطيع أن يعيد تكييف رسالته وفق ما يتطلبه الوضع.
3. أن الاتصال وجهاً لوجه ينجر عنه الرضا والمكافأة المعنوية الناتجة عن تقبل الرسالة من المتلقي، كما قد ينجر عن ذلك عدم الرضا أو العقاب إذا لم تحدث هناك الاستجابة المتوقعة من الفرد المستهدف.
4. أن الأفراد عادة ما يثقون في أحكام الذين يعرفونهم ويحترمونهم، وهو ما لا نجده في الاتصال غير الشخصي الذي يميز وسائل الاتصال الجماهيرية.
5. أنه وفي الاتصال الشخصي فإن المرسِل يستطيع أن يصل إلى هدفه دون أن يقنع المتلقي برأيه مثل الدفع بالشخص إلى الانتخاب دون أن يكون هذا الأخير مهتماً بذلك.

وإذا كانت وسائل الاتصال تعتمد في عملية التأثير على المحتوى (ما إذا كان جذاباً مثلاً) فإن الاتصال الشخصي يؤثر بالمحتوى وبالمراقبة الشخصية، أي بالحضور الشخصي. فالأفراد يستطيعون تحفيز وإقناع وحث بعضهم البعض في مختلف القضايا المعيشية في الواقع.

وأظهرت الدراسة أن كل مجال من الحياة (المجالات المذكورة أعلاه) له قادته وأن هؤلاء القادة يستخدمون وسائل الاتصال أكثر من غيرهم كما أنهم ينتقون من مضامين وسائل ما يتناسب ومجال تأثيرهم.وأكدت الدراسة من جهة أن محتويات وسائل الاتصال تصل إلى الجمهور بطريقة غير مباشرة من خلال الجهد "الوساطي" الذي يقوم به قادة الرأي. وأظهرت الدراسة من جهة أخرى أن هناك أكثر من مرحلتين في عملية التدفق الاتصالي. فقادة الرأي عادة ما يرجعون إلى المستوى الثاني من الأفراد المؤثرين للحصول على المعلومات والأفكار، وهؤلاء، أي المؤثرين من المستوى الثاني يعودون إلى وسائل الاتصال تارة ويستنجدون بالمستوى الثالث من الأفراد المؤثرين وهكذا. ويبدو التدفق الاتصالي في هذه الحالة أشبه بسلسلة من الحلقات البشرية المترابطة، وبالتالي فإن العملية الاتصالية أكثر تعقيداً مما توحي إليه نظرية التدفق الإعلامي على مرحلتين.

دراسة لارسن وهيل عن سرعة التدفق الإعلامي بمنطقة "سياتل" بأمريكا 1953: [9]

حاولت هذه الدراسة معرفة كيفية انتقال الخبر من لحظة حدوثه إلى المتلقي (واختارت لذلك متابعة انتشار خبر وفاة السيناتور روبرت تافت يوم الجمعة من جويلية 1953، بمدينة نيويورك) علماً أن الدراسة أجريت بمنطقة سياتل بغرب أمريكا.توفي السيناتور على

الساعة 7.30 صباحا (زمن سياتل)، ووصل الخبر إلى منطقة سياتل عبر وكالة الأنباء على الساعة 7.45 (أي بعد خمسة عشر دقيقة). بثت المحطات الإذاعية الستة بالمنطقة الخبر على الساعة 8.00 و بثه التلفزيون الخبر في أول نشرة إخبارية على الساعة 10.45 و ظهر الخبر في الصحف المسائية ابتداء من الساعة 2.30 مساء. وفي اليوم الموالي (أي السبت) قابل الباحثان حوالي 150 شخصاً يمثلون الفئة المثقفة و الفئة العاملة بالإضافة إلى بعض الفئات الأخرى بالمنطقة، و كان التركيز عن الكيفية التي تم بها الحصول على الخبر لأول مرة.أظهرت الدراسة أن انتشار الخبر في المجموعة البشرية المذكورة اتخذ المسار التالي بالترتيب: الإذاعة فالاتصال الشخصي فالتلفزيون فالصحف. وعامة، فإن المرأة سمعت الخبر قبل الرجل. وبينت الدراسة أن الفئة المثقفة تحصلت على الخبر عن طريق الاتصال الشخصي أولاً ثم يأتي التلفزيون والصحف في مرتبة ثانية وثالثة على التوالي، أما بالنسبة للفئة العاملة فإن الإذاعة تأتي في المقدمة يليها التلفزيون ثم العلاقات الشخصية ثم الصحف.

وأكدت الدراسة أهمية الجماعات الأولية في التدفق الاتصالي وأن الناس لا يكتفون عادة بما يسمعونه أو يقرؤونه في وسائل الاتصال بل يتحدثون عما ترده هذه الوسائل مع الأفراد الآخرين من العائلة والأصدقاء والجيران وزملاء المهنة، وهو ما يعزز نظرية التدفق الاتصالي على مرحلتين.

دراسة دفلور ولارسن عن عملية انتشار المطبوعاتالملقاة على ثماني بلدات بمنطقة سياتل بأمريكا 1951:[10]

عمدت هذه الدراسة المعروفة بمشروع "بول رفير" إلى توزيع مطبوعاتعن طريق الطائرات المروحية على ثماني بلدات بمنطقة سياتل قصد معرفة أهمية وفعالية هذا النوع من الاتصال وعلاقته بالجماعة السكانية عامة. وقد تضمنت المنشورة استبيان صغير يرده من تحصل على المنشورة إلى اللجنة المكلفة بإجراء الدراسة، كما تمت مقابلة عينة من أفراد المجموعات السكانية المدروسة بعد إلقاء المطبوعاتالمذكورة. وأظهرت الدراسة أن معظم سكان البلدات المعنية علموا بالمنشورة عن طريق الاحتكاك الشخصي، الشيء الذي جعل الباحثان يؤكدان على أهمية الانتشار الاجتماعيفي عملية الاتصال. وبينت الدراسة أن الأطفال أكثر علماً بالمنشورة من الكبار (سواء عن طريق التقاطها في الميدان أو السماع بها) وأن العائلات الكبيرة العدد أكثر علماً بهذه الأخيرة من العائلات الصغيرة العدد والتي في الكثير من الأحيان لم تكن على علم بالمنشورة أصلاً.

وخَلُصت الدراسة إلى القول بأن تأثير الاتصال يتوقف بصفة محددة على مدى ارتباط هذه الوسائل بشبكة من العلاقات الشخصية الاجتماعية وخصائص هذه الأخيرة.

ننتقل الآن بعد أن تناولنا الدراسات الكلاسيكية التي خصت جمهور وسائل الاتصال إلى بعض نتائج الدراسات الحديثة إذ تعددت هذه الدراسات الامبريقية وتنوعت بالتالي نتائجها وإن كان هذا التراكم لم يؤسِس بعد نظرية متكاملة نسبياً عن جمهور وسائل الاتصال الجماهيرية الجديدة.

نتائج دراسة الجمهور الحديثة:

أوردت دراسات الجهور الحديثة نتائج عدة حول طبيعة الجمهور و تدخل الأبعاد الاجتماعية في التعامل مع وسائل الإعلام ومن ذلك:

● أن الجمهور يتعرض بصفة عالية لوسائل الاتصال الجماهيرية والجديدة وخاصة وسائل التواصل الاجتماعي إذ أن معدل الحجم الزمني الذي يقضيه الفرد في التعامل مع هذه الوسائل في تزايد مستمر (مع بعض التباين الطفيف من فترة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر).

● أن الجمهور واسع غير متجانس إلى حد كبير، فهو يتضمن فئات وشرائح ومجموعات بشرية تختلف في أنماط معيشتها واهتماماتها ومستوياتها الثقافية والاجتماعية وطموحاتها، الشيء الذي يُحدث عدة صعوبات في توصيل الرسالة من جهة ويدفع وسائل الاتصال التقليدية والجديدة إلى التوجه نحو القاسم المشترك الذي يجمع هذا الجمهور المتعدد وإن كان ذلك على حساب نوعية الرسالة.

● أن الجمهور، ورغم عدم تجانسه، فهو متداخل في علاقته مع الوسيلة، فجمهور الإذاعة قد يكون هو أيضاً جمهور التلفزيون وهو أيضاً جمهور الصحف، وهو أيضا جمهور وسائل التواصل الاجتماعي وهكذا. ورغم أن الجمهور قد يفضل وسيلة عن أخرى وميدان عن آخر، إلا أنه يبقى على ارتباط بوسائل الاتصال الجماهيرية والفردية الأخرى.

● أن الجمهور انتقائي في عملية تعرضه لمحتويات وسائل الاتصال فالجمهور إذ يختار ما يُعزِّز مواقفه وآراءه وتجاربه وينفر من المضامين التي لا تتجاوب مع ذلك. وتعود الاهتمامات والاستعدادات التي تتحكم في هذا التعرض الانتقائي إلى بنية الجماعة التي ينتمي إليها أفراد هذا الجمهور. وقد أوضح لازرسفيلد، في هذا الإطار: "أن الناس عامة لا يبحثون في تعاملهم مع وسائل الاتصال عن تجارب جديدة. بل عما يُكرر ويطور تجاربهم التي يستطيعون من خلالها إسقاط أنفسهم فيها. وترتبط تجربتهم بدورهم الاجتماعي وسياقهم أكثر من ارتباطها بخصائصهم الفردية. فلا غرابة أن تكون الخصائص الأساسية من مثل السن و الجنس و العامل الثقافي و البعد الاجتماعي مسيطرة في العلاقات مع وسائل الاتصال"[11]

● أن الجمهور يتوقع إلى حد كبير نوع المحتويات التي تميز هذه الوسيلة أو تلك، فهو يعرف نوع المضمون الذي يمكن أن يجده في وسيلة ما، ومن ثم يتوجه إليه أو ينفر منه.

● أن المتغيرات الاجتماعية تتدخل في تفاعل الجمهور مع وسائل الاتصال على النحو التالي:

● أن الفئة المثقفة (أو الأكثر ثقافة) أكثر ارتباطاً ومداومة على قراءة الصحف والكتب الورقية والإلكترونية من الفئات الأخرى وتخصص بالمقارنة جزءاً أقل من الزمن لمشاهدة الوسائل المسموعة والمرئية التقليدية والجديدة.

● أن الشباب يفضلون وسائل التواصل الاجتماعي ومشاهدة الأفلام بالمقارنة وأن جمهور القاعات السينمائية يسوده عنصر الشباب.

● أن الرجال بفضلون أفلام المغامرات بينما تفضل النساء الدراما.

● أن الطبقة المتوسطة تميل أكثر من غيرها إلى مشاهدة الأخبار والحصص "الثقيلة" الخاصة بأحداث الساعة (السياسية، والتثقيفية والتربوية).

● أن الجمهور في المجتمع المعاصر أصبح متخصصا أكثر مما جعل العديد من وسائل الإعلام الجماهيرية تتحول من صفة الجماهيرية (broadcasting) إلى صفة الوسائل المتخصصة التي تستهدف جمهورا محددا و مختصا بالمقارنة (narrowcasting).

وقد تواصلت مع شارل رايت[12] أثناء القيام بأبحاثي في المجال عن مؤلفه الكلاسيكي "وسائل الإعلام: منظور اجتماعي" وما إذا قام بتحديثه فأخبرني بأنه لم يفعل.

و يمكن تعريف علم الاجتماع الإعلامي بأنه "علم يدرس العلاقة القائمة بين وسائل الاتصال الجماهيرية والمجتمع. وإذا كانت الوسائل، في حد ذاتها، أدوات شبه محايدة ومنتج التطور التكنولوجي، فإن العلاقة المذكورة تتباين وفق هذا المجتمع أو ذاك على الرغم من وجود بعض المبادئ البنيوية التي تتدخل في هذه العلاقة أياً كانت. ويعتبر هذه العلم حديث النشأة نسبياً (فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية بأمريكا أساساً) مقارنة بعلم الاجتماع (أواخر القرن 19). وعلم الإعلام و الاتصال (مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى)،[13]ولم يحتل هذا العلم موقعا تخصصيا مستقلا إذ نجده فرعاً في علم الاجتماع تارة أو مساق في علوم الإعلام والاتصال تارة أخرى،[14] كما أن مجالاته تمتد إلى فضاءات أكاديمية أخرى كعلم النفس والاقتصاد واللسانيات بحكم تمازج الظاهرة الإعلامية والعوامل المحيطة كالفعل الاجتماعي و الاقتصادي والنفسي واللغوي، الخ.

ويمكنالاقتراب من موضوع علم الاجتماع الإعلامي إذا اتجهنا إلى تعريف وسائل الاتصال الجماهيرية.ترمز وسائل الاتصال الجماهيرية (MassCommunications) أو الإعلام (Media) في الأدبيات العامة إلى الصحافة المطبوعة و التلفزيون والإذاعة و الوسائط المتعددة و الشبكات المعلوماتية (الإنترنت) والمسرح والسينما، الخ.

لكن هذا التعريف لا يحمل بوضوح البعد الاجتماعي ولا الأبعاد الأخرى في الإعلام باستثناء الوسيلة، وهذا ما يدفعنا في البداية إلى تبني التعريف التالي الذي يعتبر وسائل الاتصال الجماهيرية بنية اجتماعية تتألف من سبع مركبات أساسية (تعود أربعة من هذه إلى ما أتى به لاسويل.[15] و ترتبط الخامسة بالنزعة الماكلوهانية.[16] وتتعلق اثنتان بمساهماتنا الخاصة في هذا المجال، أي المرسل، والرسالة، والجمهور، والتكنولوجيا، والتأثير والسياق الاجتماعي والمحيط الحضاري.

إن طرح مؤلف حديث عن علم الاجتماع الإعلامي بعنوان "**الظاهرة الاتصالية و الإعلامية في العلوم الإجتماعية بين التنظير و أزمةالمنهج في فهم تجليات و أثار وسائل الاتصال الجماهيري و الإعلام**"من طرف د. بداني فؤاد ومجموعة من الباحثين ذو أهمية بالغة من الناحية المعرفية وفي فترة سيطرة الوسيلة على الرسالة والفعل الاجتماعي. و تدل محاوره الثمانية على عمق تناول الموضوع من ناحية المحتوي وابستمولوجية تناوله محليا وعالميا. ولا شك أن المؤلف الجديد سيكون لبنة قوية وإسهام متميز في فهم تلك العلاقة التدافعية الشائكة المتجددة بين الإعلام والمجتمع. الشكر والعرفان لمن دعاني لكتابة هذا التقديم والتقدير والاحترام لكل من ساهم في تحويل هذا المشروع المعرفي إلى واقع ملموس.

د. عبد الرحمن عزي

الشارقة 20-3-2021

الهوامش:

[1]"Robert Park"
[2] "George Mead"
[3] "Paul Lazarsfeld"
[4] "Elu Katz"
[5]P. Lazarsfeld, B. Berelson and H. Gaudet, ***The People's Choice***, Columbia University Press, New York; 1948.
[6]بلدة في شرق أمريكا، سكانها 11.000نسمة

[7]R. Merton, « Patterns Inflence » in P. Lazarsfeld and T. Stanton, Communications Research 1948-1949. Harper and Brothers, New York, 1949, pp.180-219.

[8]E. Katz and P. Lazarsfeld, Personal Influence : the Part Played by the People in the Flow of Mass Communications, the Free Press Glencoe, IU, 1955.

[9]O. Larsen and R. Hill, « Mass Media and Interpersonal Communication in the Diffusion of a News Event American Sociological Review , 19 (August 1945), pp, 426-443.
[10]M. De Fleur and O. Larsen, The Flow of Information, Harper and Brothers, New York, 1958.

[11]Charles Wright, **Mass Communication: A Sociological Perspective**, Random House, New York 1975 (first edition 1959), p 74.
[12]"Charles Wright"

[13]عن نشأة علوم الإعلام والاتصال تاريخياً، أنظر: د. عبد الرحمن عزي، "مسألية البحث عن منهجية بحث: إعادة النظر في نمط لاسويل" **المجلة الجزائرية للاتصال**، العدد 2، 1988.

[14]يمكن أن نحدث بعض التمييز بين التخصصين في كون علم الاجتماع يهتم أكثر بما يحدث عندما تصل الرسالة إلى الجمهور، أو بتعبير آخر، ماذا يفعل الجمهور بوسائل الاتصال الجماهيرية، وتركز علوم الإعلام والاتصال على الكيفية التي يتم نقل الرسالة إلى الجمهور، ولو أن الجانبين من العملية يتداخلان إلى حد كبير.

[15]أحد المؤسسين الأربع للدراسات الإعلامية بأمريكا.

[16]اعتبر ماكلوهان الوسيلة رسالة في قولته "الوسيلة هي الرسالة".

المقاربة النظرية للظاهرة الاتصالية

(أ) عكروت فريدة

جامعة عبد الحميد ابن باديس (الجزائر)

البريد الإلكترونيAkroutf16@yahoo.fr

رقم الهاتف 07.73.31.25.16

ملخص البحث

إننا لا يمكن أنلا نتصل، بل لا يستمر المجتمع إلا بالاتصال وفي الاتصال،تحاول هذه الدراسة العودة إلى النقاش الذي لم ينته بعد حول علمية علوم الإعلام والاتصال، وهو النقاش الذي مازال محل تجاذب في السياق الذي نشأت فيه.

إنالتغيرالعامالـذييميزالفعل الاتصـالي فيالوقتالراهنأصـبحتحديا يـدفعبجميع عناصـر العمليـة الاتصـاليةإلى القطيعـة معالوضـع الكلاسيكي فيطرق الأداء الاتصاليالتيغالباماالاتستجيب لمستلزمات هذاالعصروعليه أصبحمن الضروريإن لمنقللزاماعلىالمجتمع تحديد موقع المؤسسةالاتصاليةالكفيلة بتحقيق أهداف الظاهرة الاجتماعية لتحقيق اتصال حقيقي ومعبر للتعايش بين افراد المجتمع وبين المجتمعات ككل في إطار الصيرورة التاريخية الراهنة .يضم هذا المقال نظرة اهم المدارس الاتصالية في كيفية تحديد الظاهرة الاتصالية وعلاقتها بالظاهرة الاجتماعية الغربية منها والعربية،حيث تطرق لمختلف التقاطعات التي جمعت مختلف المدارس ومجال تنظيرها للبحث في العملية الاتصالية باختلاف مشاربها الفكرية وانتماءاتها التاريخية والحضارية.

الكلمات المفتاح:المنظور الغربي للفكر الاتصالي، التقاطعات الفكرية والمنهجية الغربية العربية، النظريات الحديثة في فكر الاتصال المعاصر.

Summary:

This study attempts to return to the unfinished debate about the science of media and communication science, which is still attracted in the context in which it originated.

The general change that characterizes the communication act at the moment has become a challenge that leads all elements of the communication process to break with the classical situation in the methods of communication performance, which often do not respond to the requirements of this era and therefore it has become necessary if not to say that the community must know the location of the communication institution to achieve the objectives of the social phenomenon to achieve coexistence between the individual and the societies as a whole within the framework of the current historical process.

This article includes a look at the most important communication schools in how to determine the communication phenomenon and its relationship to the Western and Arab social phenomenon, where it addressed the various intersections that brought together the various schools and the field of their theory to research the communication process in different intellectual backgrounds and historicalتحديد ت and cultural developments.

Keywords: The Western perspective of communicative thought, arab Western intellectual intersections and methodology, modern theories in contemporary communication thinking.

النص :

يسعى هذا المقال لمعرفة مجالات الفكر للتنظير الاتصالي في الغرب وفي الدراسات العربية الإسلامية.تحاول هذه الدراسة العودة إلى النقاش الذي لم ينته بعد حول علمية علوم الإعلام والاتصال، وهو النقاش الذي مازال محل تجاذب في السياق الذي نشأت فيه هذه العلوم على حد رأي **بوجمعة رضوان***، ذلك أن أبحاث الاتصال على خلاف العلوم الأخرى تقترن بعدد كبير في تقاطع مع العلوم الاجتماعية الأخرى إلى حد بعيد والعلوم الإنسانية إلى حد ما[1].

إشكالية علوم الإعلام والاتصال:

يعود ظهور الدراسات الخاصة بالاتصال إلى عقود خلت، إلا أنها لم تشهد المنحى الذهبي.، فقد تولت المدارس الكلاسيكية والحديثة منها دراسات الاتصال من مختلف الجوانب الحياتية المعيشة، وكذا بالنسبة للأدوار الاجتماعية والأنظمة السياسية، وقد ارتكزت كل منها على مجموعة من المبادئ النظرية أو التجريبية لتبين بنية الاتصال وكيفية دراسته.

فقد ركزت الدراسات الوظيفية والنقدية في دراسة الاتصال على النمط الاجتماعي الذي يمكن أن نصفه لا من حيث أصوله التاريخية ولكن من حيث عواقبه ووظائفه في المجتمع، فلا يمكن أن تُدرس ظاهرة اجتماعية إلا من حيث ما تحدثه من عواقب في المجتمع، بينما يرى مفكرون آخرون أن المجتمع نتاج تنافس وصراع بين مختلف الفئات الاجتماعية، والنمط الملاحظ هو خلاصة ذلك، وعليه فطبيعة المجتمع هي نظام من الفسيفساءات من الجماعات المتصارعة، لا يكون الاستقرار إلا حالة ظرفية، ولا يمكن للمجتمع أن يكون نظاما من الأجزاء المرتبطة ببعضها البعض للحفاظ على النظام الاجتماعي، وهو ما يولد سلوكيات اتصالية لابد من دراستها كما هي معيشة؛ فالمجتمع يتجه حينا نحو النظام والاستقرار والانسجام وحينا نحو الصراع والتضاد وهو ما يجعل الاتصال يتغير بتغير الوجهات، وهناك من يسميه تطورا، ومن يسميه االتغيّر.

إن الاتصال كعملية احتياج وحاجة يجعل المجتمع يستجيب للاستمرارية مثله مثل تواجد بعض الكلمات واختفاء أخرى، ولو أن اللغة والكلمات (الاتصال اللفظي) ما هي إلا جزء، لا يتجزأ من العملية الاتصالية ككل، إلا أن هذا التراكم المعرفي بالنسبة للإرث النظري المهتم بعالم الاتصال ودراسته تميز بضعف شديد إن لم نقل في بعض الأحيان انعدام في المنطقة العربية وبخاصة في المناطق المغاربية. كما هو الحال في كل مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية، هذا الأمر الذي يعد أساسيا ولا يصل إلى مستوى المدونة، التي لا يمكن من دونها فهم متغيرات وبنيات الظاهرة الاتصالية، والإعلامية في المجتمع.

إلا أن هذه النقطة تشهد بعض المحاولات الشخصية، ولكنها غير كافية مقارنة لما تصل إليه الدراسات وحجمها الكمي والكيفي في دول الغرب. فعلى حد تعبير **DanielBougnoux**أن علوم الإعلام والاتصال: " توجد متضمنة هنا أو هناك في الثقافة وفي الجسم الاجتماعي "[2].

تحدث الظاهرة الاجتماعية في المجتمع، ولذا فإنه يصعب فهمها خارج السياق الاجتماعي ككل؛ حيث يتمظهر الاجتماعي من خلال التبادلات التي تحدث بالاتصال والعلاقة بين الاثنين علاقة وطيدة لا يفهم أحدهما باستبعاد الآخر، حيث يؤكد ذلك العالم الاجتماعي النفسي (GgeorgeHerbertMead) بقوله: " المبدأ الأساسي في أي مجتمع إنساني اجتماعي هو الاتصال، والذي يقتضي المشاركة مع الآخر وذلك يتطلب أن يظهر الآخر في الأنا وأن يتمثل الأنا في الآخر، وأن نصبح واعين بالأنا بفضل الآخر[3].

المدرسة البنيوية :

تُعرف '' البنيوية (Structuralisme) '' كنظرية في الإنسانيات أو الدراسات الثقافية ويمكن وصفها بشكل أكثر دقةً كمقاربة في فروع المعرفة بصورة عامة ، تستكشف العلاقات بين العناصر الجوهرية أو الرئيسية في اللغة والأدب والحقول الأخرى التي تنسحب عليها '' البنى'' و'' الشبكات البنيوية '' العقلية واللغوية والاجتماعية والثقافية العالية .

وكانت قد ظهرت أكاديمياً لأول مرة في القرن التاسع عشر ثم عاودت الظهور في النصف الثاني من القرن العشرين حيث بدأت مجدداً كحقل اهتمام أكاديمي في حدود العام 1958 وبلغت ذروتها في ستينيات القرن الماضي وسبعينياته، وتطورت لتصبح المقاربة الأكثر شيوعاً في الحقول الأكاديمية المعنية بتحليل اللغة والثقافة والمجتمع. إن أعمال **FerdinanddeSaussure** التي تهتم بعلم اللغة تُعتبر بشكل عام، نقطة البداية لبنيوية القرن العشرين.

أكد **ClaudeLévi-Strauss** على أن هناك علاقة وطيدة بين علم الاجتماع والثقافة والاتصال بقوله : " يمكننا في عمق الأشياء أن نعرف الثقافة على أنها الاتصال المنظم (Réglée)، وعلم الاجتماع على أنه النظرية العامة للاتصال[4].على أساس أن الاتصال هو تفسير للحياة الاجتماعية اليومية، في النظرية البنيوية، فالوضعيات الاجتماعية المختلفة عبارة عن ظواهر لغوية واتصالية بالمعنى الواسع، حيث يوضح ذلك **ClaudeLévi-Strauss** بقوله: " إن الاتصال بين الأفراد والجماعات ليست نتاجا للحياة الاجتماعية، بل هو الحياة الاجتماعية ذاتها لذلك فإن دراسة القرابة، الاقتصاد، وعلم اللغة تعالج نفس المشاكل أو من الناحية الشكلية والإجرائية على الأقل، رغم أن ذلك يتم على مستويات مختلفة، فالزواج مثلا عبارة عن اتصال مثقل بالوقائع والحقائق من الطبيعة والأهمية التي تحملها المواضيع التي يوصلها، فاللغة عبارة عن اتصال سريع برموز محضة مختلفة عن المواضيع والتي كانت في الاتصال عبارة عن قيم[5].

تعتبر البنيوية بأنها مقاربة في فروع المعرفة بصورة عامة تستكشف العلاقات بين العناصر الجوهرية أو الرئيسية في اللغة والأدب والحقول الأخرى التي تنسحب عليها البنى والشبكات البنيوية والعقلية واللغوية والاجتماعية والثقافية العالية، حيث يقدم المعنى من خلال هذه الشبكات عن طريق شخص معين أو نظام معين أو ثقافة معينة.

يرى **N/Luhman**أن الأنظمة الاجتماعية لا تعمل إلا بالاتصال(6). فالمجتمع لا ينتج إلا اتصالا ولا يعاد إنتاجه (7)إلا أنه بإمكان العلوم الاجتماعية اليوم وصف الحياة المعاصرة كأحد أنظمتها المحركة عكس الأنظمة الحيّة، تنتج معنى يتوقف على خط عملي للشكل الوحيد للاتصال. تحمل هذه الأنظمة طريقة عمل مستقلة، حتى وإن كان في الحسبان أن يكون للاتصال علاقة أو رابط حقيقي مع النظام الحي، أو النظام النفسي بمعنى دون أن يرتبط بأي شكل من أشكال الحياة أو الوعي(8).ذ

التفاعلية الرمزية:

تعد التفاعلات الرمزية كمدرسة اتصالية تقدم تقاليد التحليل السوسيولوجي قصير المدى، يعود تأسيسها لعالم النفس الاجتماعي الأمريكي **G.H.Mead**في مقال تحت عنوان "علم النفس الاجتماعي"، يبحث في التفاعل الرمزي، وفي مقال سنة 1962 م بعنوان " المجتمع والتفاعل الرمزي"، يؤكد **Blumer** بأن: التفاعل الرمزي خاصية مميزة وفريدة للتفاعل الذي يقع بين الناس، وما يجعل هذا التفاعل فريدا هو أن الناس يفسرون ويؤولون أفعال بعضهم، حيث يوضح **Blumer** أن المرتكزات المعرفية الأساسية لهذه المدرسة تتمثل في أن البشر يتصرفون حيال الأشياء على أساس ما تعنيه بالنسبة لهم، أي من خلال المعاني المتصلة بها،

فهي مدرسة تقومعلى أساس أثنتا عشر افتراضا أهمها: أسبقية المعنى على الخطاب السردي، هذه المعاني هي نتاج التفاعل الاجتماعي في المجتمع الإنساني، وهي تُحَور وتُعَدل ويتم تداولها عبر تأويل يستخدمه كل فرد في تعامله مع الرموز التي يواجهها.

ويؤكد **DeweyJohn** في هذا الإطار أن: " المجتمع لا ينشأ بالاتصال فحسب، بل ويعيش فيه وبه، لأن الاتصال يمكّن الناس من أن يُوجدوا أشياء مشتركة ليعيشوا سويا [9]حيث تعتمد هذه المدرسة في تحليلاتها للفعل الاجتماعي على المعاني (Meaning)والتي تكون في أغلبها ذاتية، بحيث يصعب التوصل إليها. إلا أن حنكة الباحث التي تحدّث عنها فيبر– تمكنه من الوصول إلىالمعاني الذاتية الخاصة بالمستوى الأول من الحقيقة، فقد اعتبر **MeadH.G.** مؤسس هذا الاتجاه أن الاتصال هو الذي يحدد السلوك الإنساني فيقول: " يتحقق وعي الذات من خلال التبادل والتفاعل مع الآخر، ذلك أن قدرة الإنسان على التحكم في عملية التبادل هذه راجع لقدرته على فهم دور الآخر، أين يلعب السلوك الرمزي دورا أساسيا معبرا عن الوساطة، حيث يتحقق في هذه الحالة تطابق الأفراد وتفاهمهم داخل التفاعل الاجتماعي من خلال الحوار(dialogue)، إذن يستطيع الأفراد تكييف وضبط سلوكياتهم في إطار منظم واستراتيجي[10]. كما كان الفضل لأطروحة **E-Goffman** مؤسس الاتجاه الدرامي الذي كان من أهم التفرعات لهذه المدرسة، والتي قدمها في العقد الثاني من القرن الماضي (سنة1953) أحدث تغييرا كبيرا في توجه الدراسات نحو معرفة الآخر حيث قال: " إنني لا أهتم ببنية الحياة الاجتماعية ولكنني أهتم ببنية التجربة الفردية في الحياة الاجتماعية، وفي نفس المعنى يرى أن دراسة النظام الاجتماعي ليس دراسة جماعة ما، ولكن دراسة السلوكيات التي تنتج في جماعة ما [11]، كما اهتم هذا المفكر بإدارة الصورة التي يعطيها الأشخاص عن أنفسهم في أداء أفعالهم وأدوارهم، وكذلك في الوسائل التي يستعملونها لعميلة الاتصال الجسمي تُدخل في الاعتبار دور المظاهر الاجتماعية في تكوين أو تشكيل صورة الأنا والآخرين.

إضافة إلى ما قاله **Charles.Cooley** أيضا أن الفرد لا يمكنه أن يكون فاعلا إلا إذا قام بعملية المعاينة والنقل والجذب، بحيث يصف هذه الوضعية بقوله: " عندما يُوضع الفرد في حضور أشخاص، فإن هؤلاء الأفراد يبحثون عن معلومات تخصه أو يقومون بتبليغه بالمعلومات التي تكون بحوزتهم، فهؤلاء يقلقون من نظامه الاجتماعي والاقتصادي، ويقلقون من الفكرة التي يصنعها عن نفسه من كفاءته، من نزاهته وقضايا أخرى كثيرة، وهذه المعلومات لا يبحث عنها لذاتها، ولكن لأسباب عملية؛ فهذه المعلومات تساهم في تحديد الوضعية من خلال تمكين الآخرين من توقع ما ينتظره منه وشريكه منهم، وبالتالي يمكن أن ينتظرهم[12]. وتقريبا هذا التحديد الناقل للمعلومات، والذي من خلاله يتم تحديد الوضعيات التي تفرض هذا الشكل أو ذاك في العملية الاتصالية، والذي نبحث في دراسته من خلال هذا العمل المتواضع.

يرى **Duncan** أن: أفراد المجتمع يؤسسون في إطار التفاعل الاجتماعي حقائق معينة بواسطة الرموز ويتعارفون بناء على ذلك، فأرضية السلوك الاجتماعي ترتكز على الفعل الرمزي المتمثل في الاتصال، والطريقة التي يتصل بها الأفراد تحدد الكيفية التي يرتبط بها هؤلاء ببعضهم البعض في الحياة الاجتماعية, وقد أكد**Duncan** على أهم جانب في الاتصال الاجتماعي الذي لم يطرح في الدراسات التقليدية والمعاصرة على حد سواء وهو ظاهر الخطابية، فالفعل الاجتماعي يتموقع ضمن الفن والذي يكون بدوره المحرك الأساسي في الفعل الاجتماعي والأفراد يعيشون هذا الفن بدافع الفن أساسا، ففي نظره الفن والنظام الاجتماعي واحد، وهو يمثل محتوى النظام الاجتماعي وأساسه، حيث ينظر إلى الفن على أنه الجهد الاجتماعي؛ وهو الذي يجعل اللغة تحمل شحنة دافعة إلى الفعل، فأي نظام اجتماعي يقوم أساسا على هذه المؤسسة الفنية معبرا عنها بالخطابة.

والخطابة في هذه الحالة هي اللغة العملية، إن النظام واللانظام اجتماعي يتوقف على نظام الرموز أي الاتصال، والأفراد الفاعلون رمزيون والحياة الاجتماعية رمزية أيضا، إن العالم الرمزي يصبح معقدا مركبا يتعالى على الفعل الآني في حد ذاته، فالرموز تؤدي إلى صيرورة التوليد والتوليد بدوره يؤدي إلى التأمثل أي بناء إطار من المثل والقيم، ويعتبر**Blumer**أن توجه التفاعلات الرمزية في دراسة اللغة يتركز على ثلاثة مبادئ:

1–أن الأفراد في سلوكهم تجاه الأشياء يرتبطون بالمعنى الذي تحمله هذه الأشياء إليهم.

2–أن معنى هذه الأشياء يتأتى أو ينبثق عن التفاعل مع الاجتماعي مع الآخرين.

3–أن هذه المعاني يتم تناولها وكذا تعديلها في سياق صورة تأويلية يوظفها الفرد مع الأشياء التي يلاقيها.

المدرسة الظاهراتية:

ركزت هذه النظرية من جهتها على المعنى، والخبرة المعيشة، فقد تمثلت الحركة التاريخية لهذه المدرسة بالتقليد الفلسفي الذي تصاعد في العقد الأخير من القرن 19م، ارتبط ظهورها بالمفكر الألماني**E-Husserl** و**Heidegger** و**Lonchi**، حيث كان لـ **Husserl** الفضل الكبير في تطوير المنهج الظاهراتي، كما حاول **Schutz** من جهته مزج أفكار الفلسفة الظاهراتية (الفرد) مع علم الاجتماع عبر نقد فلسفي لأعمال **Schutz** و**Max Weber**.

ارتكزت الظاهراتية أساسا حول بناءات الخبرة والوعي لظهور الأشياء في خبرتنا والطرق التي تُختَبر بها هذه الأشياء، فهي ترى أن دراسة الحياة المعيشة كما هي –as it is – من خلال المعاني التي تكتسبها الأشياء في خبرتنا، فالموضوعات والأحداث والأدوات وجريان الوقت والذات والآخرون جميعها تظهر في عالمنا المعيش، والأشكال المختلفة للخبرة تتراوح بين التصور والفكرة والذاكرة والتخيل والعاطفة والرغبة وإدراك الذات، وصولا إلى النشاط الاجتماعي بما في ذلك النشاط اللغوي، وهو ما تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء عليه.

يرى .**HussrelE** أن العالم يحمل المفارقة التالية: " فعالم الحياة إذن هو العالم المعروف أكثر، وما دام أنه معروف أكثر، فإنه ليس معروف بشكل كامل[13]. فعالم حياة اليوم معقدة لدرجة أن الأفراد يعيشون فيه حياة روتينية لا يطرحون تساؤلات عن تواجد الأشياء للوصول أو الاقتراب من الحياة اليومية، ولذا ترى الظاهراتية أن القصدية الموجودة في إيصال شيء مفهوم، أو حتى الاتفاق حول معنى مشترك تجعل من عالم الاتصال هو منفذ الإجابة عن تداول الحياة اليومية يقول**Husserl**: " إن الاتصال لا يمكنه أن يكون إلا إذا كانت هناك إرادة من المتحدث في قول شيء للآخر، وفي ذات الوقت يجب على المستمع أن يفهم قصد وهدف المتحدث كذلك، وبان يفهم الآخر على أساس أنه لا يقوم بإرسال مجرد أصوات بل على أنه يتحدث إليه[14]. في حين يتميز الشعور عنده بأنه يتجه نحو أو يمتد نحو فكل وعي هو وعي بشيء ما، وهو ما يعرف في الظاهراتية بالقصدية وعليه فالشعور ذات وموضوع .كما تفرق الظاهراتية بين اللغة والوعي حيث ترى أن اللغة تدخل مفاهيم في بنيتها، والتي تعطيها حقيقة من نوع أخر، وعلى هذا الأساس فهي محدودة وليس بإمكانها إعطاء الحقيقة التي هي جزء منها فاللغة توفر إمكانية التخلي (ما يسمى بفن التخلي) أما الوعي فيمثل الأداة الأساسية التي يتحرك بها الإنسان في العالم الخارجي، والذي لا يعيشه إلا في محتواه، هدا المحتوى يتأسس في العالم الخارجي وينتقل إلى الوعي .

مدرسة باولو ألتو Paulo Alto :

هي تيار فكري ظهر في مرحلة الخمسينيات من القرن الماضي، حيث عمل المفكرون على نظرية الاتصال من خلاله، وقد كانت تسميتها راجعة إلى المكان الذي ظهرت فيه، في منطقة كاليفورنيا بالولايات المتحدة، وقد ضمت مجموعة من المفكرين والأسماء اللامعة في علم الاتصال من أمثال: Grégory Bateson، Norbert Wiemer، John Von Neumen Lud wiz Von Bert Alauffy، Bertrand RusselMilton Erikson، والذين قدموا مجموعة من الأعمال المختلفة حول اللغة langage والاتصال communication.

تدور النظرية المحورية لهاته المدرسة حول نظام كبير للاتصال، حيث يضم مجال اهتمامها العلاقات، الاتصالات والتفاعلات التي نلاحظها في الحياة اليومية والتي تحمل دلالات خاصة. ولذا فإن هذا التيار يعتقد أن الفرد يمكن أن يطور حالة مرضية عقلية على مر الزمن، من خلال التعرض لخلل في النظام الاتصالي العائلي. حيث يعتبر المرض العقلي في هذه الحالة في اللاشعور، بحيث يكون الفرد في وضعية إشكالية تبحث عن التكيف أو الهروب وهو أساس مبدأ إعادة التأطير. ففي كل وضعية اتصالية وبخاصة كلامية، تتطلب عملية الفهم أن تكون الكلمات متفقة مع الإشارات وإيماءات الوجه للمتكلم.

وعليه يرى هذا الاتجاه أنه للدخول مع طرف في عملية الاتصال لابد أن يتكلم المرسل والمستقبل نفس اللغة، ويتقاسمان نفس السلوكيات في مقابلة نفس الوضعيات.

مدونة الرمز: (code) :

والتي تعتبر قانونا أو نظاما مشتركا لازما لفهم الرسالة، وحسب هذه المدرسة أو التيار هناك نوعيتان من الأنظمة:

4–1/ رمز التناظرية un code analogique:

يحمل العاطفة، الصور، الأرقام، الإشارات والرموز، حيث تكون هذه التعليمات البرمجية غير موجهة، وهي تقع ضمن رمزية المعنى (الكلمة على سبيل المثال) مثل الإيماءات المعبرة عن الرفض، أو لغة الحلم.

5–2 / مدونة حوار un code dialogique:يتميز بالموضوعية والمنطقية والتحليلة ، ففي ميدان العلوم يعتبر المسبب وهو يستجيب للقوانين النحوية والدلالات يمثل اختيار المعنى الخاص للكلمة، ويتم تعلمه عبر الزمن.

وينتج عن ذلك لغتان:

5–1/ اللغة التناظرية langage analogique:

6– و تضم دالا ومدلولا، يحتويان على تشابه واضح، مثل أن يضع شخص ما إصبعه على معصمه، إشارة لطلب الوقت بمعنى البحث عن الساعة.

7–2/ اللغة الرقمية langage digital:

وهي تدل على العلاقة الصافية (pure) بين الدال والمدلول، وكذا الكلمة ومعناها الرقمي، وهي الحالة التي تشرح لماذا هناك الكثير من اللغات أكثر من 5000، حيث نقول باختلاف اللغات كلب un chien, a dog للإشارة إلى نفس الحيوان، وكذلك فإن وجود لغات مختلفة يعود إلى اختلاف السياقات الاجتماعية، وكل رسالة لابد أن تتكيف مع الوضعية الاتصالية التي تنتمي إليها، فكل كلمة تنتمي إلى سياقها عند اتخاذ الكلمة، وهو جزء من communication la métaوهي مفهوم تستعمله هذه المدرسة ،

فمثلا عندما نريد الحديث إلى شخص على انفراد فإننا بإشارة واحدة يمكن توضيح ذلك، كأن نشرع بالدخول إلى المكتب وهي طريقة توحي بأن ما سوف نقول مهم، ويحتاج إلى السرية التامة .

إنّ أي علاقة مستمرة بين الأشخاص (سواء كانت بين المدير والمستخدم بين الزوجين بين الوالد والطفل...) تنطوي على وجود قواعد عملية لإبرامها، مثل ما هو الحال بين الناس الذين لا يتعارفون، وتسمى عادة هذه القواعد بالطقوس الاجتماعية [15].

نظرية الحتمية القيمية:

لقدمست الملامح المميزة لعلم الاتصال قضايا كثيرة وكبيرة ومتشعبة، وقد كانت العوامل الدافعة والمميزة للتأصيل في هذا العلم من النقاط الأساسية لهذه المدرسة، والتي جاءت على يد عزي عبد الرحمن، وقد كان من المهتمين بالمضامين الإعلامية والاتصالية في المنطقة العربية.، وكذا اهتم بالقيمة ومكانتها وفعاليتها في هذه المضامين، وقد رُوج لهذه النظرية من طرف الكثير من المفكرين في هذا المجال ممن كان لهم الحظ مع هذا المفكر، من أمثال نصير بوعلي، سعيد بومعيزة، محمود قلندر، أحمد عبدلي، جمال بوعكاز، محمد هاشم الكريم، وغيرهم وكذا انتشر صيتها على يد العديد ممن تتلمذوا على يده*.

تنطلق هذه النظرية من فكرة نشوء علم الاتصال أصلا، والذي لم تشرق شمسه إلا في ربيع القرن الماضي، بالموازاة مع تطور العلوم السلوكية بعد الحرب العالمية الأولى، وقد استمدت هذه النظرية جذورها الفكرية من الإرث الإسلامي الذي في الأصل لا يمثل أرضية لعلم الاتصال، كما هو الحال بالنسبة للعلوم الطبيعية الأخرى.

تطرح هذه النظرية فكرا قيميا، تجعل من خلاله قيم المجتمع أساس الفهم والتفسير والتنبؤ حول الظاهرة الاتصالية. و من بين ما يمكن أن تسميه هذه الدراسة مقاربة تفسير السلوك الاتصالي على أساس التمثل الاجتماعي يمكن أن يكون في هذا الاتجاه.

تمثل هذه النظرية مقاربة تأصلية لفكر وعلم، تقوم على مشارب فكرية قديمة وحديثة، لكنها تتبنى في ذات الوقت تحليلا خاصا و متميزا، فهي تأخذ من الفكر الغربي أدواته المنهجية ولهذا الوضع تفسيراته الإمبريقية، كما تأخذ من الفكر الإسلامي التراث العلمي والحضاري الذي تأسست عليه الحضارة الإسلامية، فيما سبق يقول صاحب النظرية في ذلك: والواقع أن عودتي المؤقتة إلى الجزائر والمحيط الثقافي الذي كان يكوّن أزمتها الفكرية والهويتية (من الهوية) جعلني أستقل تدريجيا عن البنية النظرية الاجتماعية الغربية، ولكن أدواتها ظلت حاضرة في مقاربتي لهذا المحيط المستجد رغما عني، ولقد مكنتني تلك الأدوات من أن أنظر إلى الذات والثقافة من جديد[16].

تنبثق هذه النظرية من أسس معرفية (ابستمولوجية) معينة، تحمل في طياتها الاعتبارات التاريخية والجو المرحلية l'esprit detemps، وكذا السياق الاجتماعي والتنشئة القيمية وغيرها، إلا أن هذه العناصر لا يتم ارتباطها بشكل مباشر دائما، ذلك أنها يمكن أن تكون ضمنية أو مخفية، تستند منهجيا إلى النص القيمي والاجتماعي، تستمد أدواتها المنهجية من الإرث الغربي، ولكن بطريقة واعية، من أجل الابتعاد عن الموضوع للاقتراب منه، وهي طريقة إبداعية، محاولة التعامل مع أدوات كنتاج ثقافة وحضارة تختلف عن حضارة وقيم صاحب النظرية[(17)].

حيث يقول عزي عبد الرحمن في الحديث عن المتغير والثابت في النظرة إلى الدراسات الاتصالية: "... أما المتغير فنظرتنا إلى تلك الحقائق التي يتم بناؤها اجتماعيا (البناء الاجتماعي للحقيقة) أو إعلاميا (البناء الإعلامي للحقيقة)، وتتغير وفق الظروف والأحوال"[(18)].

تقوم منهجية هذه النظرية على البحث في تجديد أو إحياء القيم الثابتة الإيمانية (كما يسميها صاحب النظرية) في الممارسة الاجتماعية والإعلامية.

تندرج منهجية هذه النظرية إذن في مستويين:

المستوى الأول:ويخص استخدام الأدوات المنهجية التي أنتجها الفكر الغربي والتي تساعد الباحث في الولوج إلى الظاهرة محل الدراسة، دون أن يكون هذا الاستخدام آليا، بل يكون انتقائيا؛ والمقصود بذلك أن هذه الأدوات تكيف حسب متطلبات المرجعية، القيمية والثقافية التي ينتمي إليها الباحث.

المستوى الثاني: ويتعلق بإعطاء أدوات جديدة باستطاعتها استيعاب الظاهرة محل الدراسة في سياقها القيمي والاجتماعي والتاريخي، وتقريب ما يمكن أن تستفيد منه هذه الدراسة في محاولة للتعرف على الزمن، ومكان الظاهرة محل الدراسة، والتي هي أساس تحريك عملية الاتصال في فضاء خاص كالجامعة، من خلال تحديد البينة القيمية للغة بحثا عن المعاني والدلالات التي تحكم السلوك في وضعية اجتماعية (أكاديمية) ما.

الهوامش:

[1]– رضوان بوجمعة، أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل: محاولة تحليل انثروبولوجي، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال، قسم علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2006-2007، ص75.

[2]-Daniel bougnoux, introduction aux sciences de la communication, édition la découvert, paris- France, 1998, p 07.

[3]-George Herbert Mead, L'esprit, le soi et la société, parisP U F 1963, p 215

[4]-Claude Lévi-Strauss, race et histoire, folio essais, France, 2005, p101.

[5]-Ibid, P 102.

[6]-Nikolas Luhman, la théorie de la théorie, Stéphane Bornhauser, Hermès N° 22, 1998, p41.

[7]-Ibid, 42.

[8]-KarlVAN METER, La sociologie texte, essentiel, Larousse, septembre 1992, p285.

[9]-Dewey John,Démocratie et éducation, Armand colin, paris 1995, p18.

[10]-Ibid,, La sociologie texte, essentiel, Larousse, p285.

[11]- Goffman Erving, communication conductional and community, university of Chicago, department of sociologie, PhD, desrevetion,1953, p83 .

[12]- Goffman Erving, la mise en scène de la vie quotidienne, la pré sensation de soi, tome 1, édition de minuit, paris-France, 1973, p 11.

[13]- Husserl.P Edmond, la crise des science européennes et la phénoménologie , traduction , parIbid, p83.

[14]-Guy-Félix Duportail :phénoménologie, de la communication, Ellipses. Paris-France, 1993, P67.

[15]-Edmond Marc, Dominique Picard, L'école de Palau Alto - Un nouveau regard sur les relations humaines, édition retz, paris, 2000, p19-53.

*–وقد تم الإعتراف بها ضمن نظريات الاتصال الحديثة في 2014/03/11 من طرف البروفيسور كليفورد كريستز، المتخصص في أخلاقيات الإعلام العالمية، في إطار محاضرة ألقاها بكلية الاتصال بجامعة الشارقة بعنوان: الاتجاهات الحديثة في أخلاقيات الإعلام العالمية، لمزيد من المعلومات إطلع على: المؤتمر الدولي الثالث حول الإعلام القيمي بين التنظير والطرح الإمبريقي.

16–بوعلي نصير، قراءات في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ، فكر إعلامي، منشورات مكتبة إقرأ، قسنطين، الجزائر، ص18.

17– رقية بوسنان، محمد هاشم الكريم، حوارات أكاديمية حول نظرية الحتمية القيمية في الإعلام، الحوار الأول مع عزي عبد الرحمن، الحوار الثاني مع نصير بوعلي، الورسم للنشر والتوزيع، 2010، ص 9.

18– المرجع السابق، ص 15.

الهوية بين التأصيل الأول والرؤية العالمية لوحدة الكائن البشري لإحقاق قيم المواطنة والمشاركة.

Title of the article, the identity between the first rooting and the universal vision of the unity of the human being to achieve the values of citizenship and participation

الباحثة، بن يحي نعيمة

جامعة مولود معمري تيزي وزو (الجزائر).

البريد الإلكتروني nomidiabenyahia@gmail.com

رقم الهاتف 0697415110

ملخص البحث

إن موضوع الهوية أصبح على الإنسان أن يعيده ويتخذ منه موضوعا لإظهار القيمة التاريخية والثقافية والسياسية لوحدة الإنسان، ضمن النظام الاجتماعي والأنساق المهيمنة على أفكار وذهنيات الأفراد، لذلك لا تجزم الذات بأن تلغي تاريخها لأنها ستصبح مستلبة دائما أمام حقيقتها الأولى، وهذا ما يواجهه العالم من اختلافات وتناقضات بين البديل الثقافي والاقتصادي ومحاولة اختزال القيم إلى عالمية وإنسانية ما جعل فلسفات الما بعديات تظهر بشكل تسارع ذاتي تبحث عن ماهية الانسان ضمن إتيقا الوجود.

الكلمات المفتاحية: الهوية، الثقافي، الاختزال، القيم، المابعديات...

Abstract:

The subject of identity has become a subject that human beings must restore and take on a theme to show the historical, cultural and political value of human unity, within the social system and the dominant patterns of individual ideas and mentalities.

Key words: Identity, Cultural, Shorthand, Values, Dimensions...

إعداد وثيقة المقال:

مقدمة:

إن من تمظهرات الإنسانية على مسرح التطور الحضاري والتقدم الاجتماعي سؤال الهوية، والذي تعبر نجاعته في البحث عن تجذر الإنسان وتأصيله حول قضايا البحث عن مصيره، أمام الصراعات التي تحدث في العالم حولها، إنها الطبيعة الأولى للعقل البشري وسؤال الأنا في الفلسفة، فليس من شأن الفلسفة أن تدافع عن انتماء جاهز ولا يهمها أي انقسام، بل محاولة تقريب كل هذه الرؤى نحو التمزق الوجداني والتمركز حول الذات وإنتاج فلسفة الفعل، لتربي مأزق التصدع الأيديولوجي وتلغي ما يسعى إليه العالم من صراع. إن حدود العقل متاحة لفهم التعقيد ومقاربته وتأطيره، فبتوصيف المسكيني كل هوية "كوجيتو مجروح" وذلك أن الهوية أمام هذه التقنية وتبعات الحداثة والخطابات الأيديولوجية جعلتها جهازا حاضرا للاستعمال العمومي من قبل السياسيين، من أجل فرض قيمها وإنشاء مشاريعها لهذا تعتبر الهوية اليوم معطىً غير جاهز نحتاج إلى التعامل معها بحذر، لأنها أزمة حقيقية سيعاني منها الإنسان كثيرا، أحيانا باسم الدين وأحيانا أخرى باسم اللغة أو الثقافة أو الانتماء (أو العرق) ...

إن الحياة الأبدية للنفس هي مثل التطور الداخلي لهذه الماهية، بالانطلاق من مبدئها فالكينونة الإنسانية ذاكرة عملاقة وجب الخروج منها كوحدة ولحمة لا كهشاشة مغيبة في انفعالات وتصدعات العالم، التي لا تنتج إلا التشقق والتميز والاختلاف، لذلك كان لابد من البحث عن عمق التأزم من أجل إيجاد آليات ناجعة تكبح جروح أزمة الهوية، وذلك بطرح الاشكال الرئيسي ومجموعة من الأسئلة الفرعية التالية: ماهي الأزمة التي تعيشها الهوية اليوم؟

– هل هناك منهج يمكن أن يتبناها ويكشف عنها غطاء الجرح أمام ما تعانيه البشرية اليوم؟

وبأي معنى يمكن استشراف ذلك؟

-ويمكن الإجابة عنه عبر ثلاث مستويات:

أولا: سؤال الهوية

طالما سجل موضوع الهوية ركيزة أساسية في عمليات البحث الفلسفي، سواءً كان البحث كلاسيكيا أو محدثا فقد عرفت الهوية على أنها مشكلة قد اختلف توصيفها لدى الفلاسفة، فإذا ما تتبعنا هذا المفهوم فإننا نجد أن السؤال عن الهوية هو سؤال قلق يزاحم الإنسان منذ القديم سوآء على مستوى الأفراد أو الجماعات والذي يتطلب تأصيله البحث عن الذات المنفردة والنحن الجماعية.

إن هذه المساءلة تأصيلية متجذرة في التاريخ البشري، أي ذاك الذي يعيش في أفقين: " أفق الذات " و" أفق المغايرة ". ذلك يعني أنه لا توجد هوية جاهزة مخبر عنها، فالبحث عن الهوية هو هوية وانتماء وصورة للإنسان، هذه الفكرة الخالصة التي كونتها الدراسات الأنثروبولوجيا عن الإنسان وهي التي أثارت حفيظة الفلاسفة الوجوديين والمثالين حول البحث عن أسراره وخصوصياته وتوجهه للعالم والذي يشير إلى إمكانية البحث عن العلاقة بين الأنا والآخر، من أجل تأسيس رؤية تكاملية لأن الثورة الراهنة تتضمن استقرار الوضع الإنساني وفرض علاقة طيبة مع الآخر المخالف من خلال خلق توازن بينه وبين الآخر واختيار مواطنة حرة على شكل الانتماء إلى وحدة الكائن البشري.

1-نحو تأصيل المفهوم:

لغة: ورد في المعجم الوسيط عن معنى الهوية ما يلي: بضم الهاء " هي حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره[1]، ويقابل الهيئة ويتداخل مفهومها مع مفهوم الماهية "فالهوية لغويا أن يكون الشيء هو وليس غيره، وهو قائم على التطابق أو الاتساق في المنطق، والماهية أن يكون الشيء ما هو بزيادة حرف الصلة "ما" على الضمير المنفصل "هو" والمعنى واحد، قد يجعل البعض الماهية أكثر عمقا من الهوية، وفي اللغات الأجنبية لكل لفظ منفصل ماهية Essence، من اللاتينية Esse، وهو فعل الكينونة ولفظ هوية Identité من الضمير Id أي هو. "[2]

اصطلاحا:

لقد رأى محمود أمين أن الهوية مفهوم في طور التشكل" إن الهوية ليست أحادية البنية أي لا تتشكل من عنصر واحد، سواءً كان الدين أو اللغة او العرق أو الثقافة أو الوجدان أو الأخلاق أو الخبرة الذاتية أو العلمية وحدها، إنما هي محصلة تفاعل هذه العناصر كلها"[3]وعرفها أيضا محفوظ محمد "الهوية هي وعي الإنسان وإحساسه بانتمائه إلى مجتمع أو أمة أو جماعة في إطار الانتماء الإنساني العام، لذلك فإن الهوية ليست فعلا نهائيا، بل إنها حضور حي، متجدد مفتوح التعدد والاختلاف ومتفاعل مع الزمان والمكان، إذا كانت وظيفة الهوية الأساس هي صياغة الكيان المجتمعي بما ينسجم والمنطق العقدي، والتاريخي لأي جماعة من أجل تحقيق استقرار نفسي واجتماعي كشرط لتحسين ظروف المعيشة المعنوية والمادية"[4].

وفي هذا الصدد تركيز شديد على قضية الانتماء الإنساني ضمن إطار الثقافة والتاريخ والمعتقد والدين في إحقاق الكثرة في صلب التعدد الإنساني، هذا ما نادى به عالم الاجتماع الفرنسي إدغار موران "تنطوي الهوية البشرية الأولى على النوع ويتجاوز معنى النوع، هذا النوع الوراثي ويتضمنه في الوقت نفسه فهو يخص المصدر المولد للجنس البشري والمحدد له، بغض النظر عن التخصصات والإنغلاقات والتقسيمات إن الموروث نفسه مشترك بين جميع البشر"[5].

2-جدل الهوية وثقافة الاختلاف

حين يتعلق الأمر بالإنسان فإنه لابد أن تتشكل لديه مقومات الهوية والتي تجتمع عليها الأمة وأقطارها المختلفة من وحدة العقيدة ووحدة التاريخ ووحدة اللغة والموقع الجغرافي ووحدة الإنسان في حد ذاته.

"فكما أن للإنسان هوية، كذلك للمجتمع والأمم هوية، فهناك مجتمع إسلامي ومجتمع علماني، وهناك النصراني وأيضا الشيوعي والرأسمالي، ولكل منها مميزاتها وقيمها ومبادئها فإذا توافقت هوية الفرد مع هوية مجتمعه كان الأمن والراحة والإحساس بالانتماء، وإذا تصادمت الهويات كانت الأزمة والاغتراب"[6]، ليس لنا سوى أن نرى فكرة الهوية هي مركزية لا يمكن للإنسان أن يتجنبها،

إن هذا المعطى التاريخي يجعل بينها وبين ثقافة الاختلاف علاقة جدلية، لأن الإنسانية تحيا ضمن الانتماء الثقافي والجماعي المتعدد، وهنا استيلاب ثقافة الاختلاف للهوية كقدر لا مفر منه من أجل تشكل الانتماء، إذ يعرف الاختلاف الثقافي على أنه "اختلاف ثقافة عن أخرى بوصفه تلك الظاهرة المحسوسة وتشهد بها سمات عديدة في الثقافة نفسها أبرزها اللغة والمعتقدات والتاريخ والتقاليد والمنتجات المعرفية والذوقية من علوم وآداب وفنون وكذلك أنماط السلوك وطرق التعبير إلى غير ذلك"[7]، وعليه كانت الثقافات متعددة ومتباينة لذلك كان الاختلاف أساس وجود الثقافة وتشكل الهوية الإنسانية، حيث تعتبر قضية الاختلاف الجدل الذي يمكن أن يصطنع تصور الهويات وتبعده عن صفتها الأولى في العالم، حيث أن التأصيل الأول للإنسان هو وحدة الإنسان كما يدعو لذلك إدغار موران في قوله ": لا نعني بمعرفة الإنسان فصله عن الكون بل تحديد موقفه فيه "[8]، إن أصل هذه المغامرة الهوياتية غامضة، فالفكر الحديث في ضياع مستمر أمام تصدع الهويات والاختلاف الثقافي بين العالم الغربي والعالم العربي، وعالم الشمال وعالم الجنوب "فالعالم الحديث هو عالم المظاهر الخداعة Simulacres ، لا يبقى الإنسان فيه مع الله كما لا تبقى هوية الذات الفاعلة مع هوية الجمهور، وليست كل الهويات سوى مصطنعة، نتجت بوصفها أثرا بصريا عن لعبة أعمق هي لعبة الاختلاف والتكرار."[9] ، إن منطق الاختلاف قد يبدو أكثر حرج ستعانيه البشرية للبحث عن الهوية، لأن الانتماء لا يتكرر وهو فريد والاختلاف يتناقض وهذه الفطرة، فالنضال من أجل الحرية الإنسانية يقتضي العودة إلى الخصوصية دون تكميم التعدد والاختلاف، حتى لا تتحول الهوية إلى أيديولوجية عقيمة، علينا أن نحترم هذه الهويات وبدلا من هذا نعيد تعريفها وبناءها في ضوء الهوية الإنسانية العالمية، وأن تكون منسجمة معها عندئذ لا أن يكون الاثنان متصارعين بل متكاملين.

وعليه لم تكن الهوية لتكون مشكلا في ظل الاختلافات الثقافية ولكن يمكن أن تتشارك هذه القيم في تشكيل نزعة عالمية تراهن على المشاركات الجماعية لوحدة الكائن البشري وكينونته.

"إن القصد الانطولوجي هو أن الكينونة ليست جنسا، ومن ثم إنها هي "هي" في كل مكان، ليس ثمة صورتان للكينونة أحدهما صادق والآخر كاذب، صوت الكينونة واحد لكل الكائنات التي تخاطبها الكينونة هي التي تختلف، كل كائن مختلف لأنه يأخذ صوت الكينونة "[10].

ثانيا: من الاختزال الى الرؤية الكونية

1-نقد ثقافة الاختزال:

تعرف الثقافة على أنها "كل مكتسب مشترك بين الأفراد والجماعة، وتشمل أيضا أشكال التغيرات المختلفة والفعاليات المتنوعة التي تنبثق عن النظام المعرفي "[11]. وعليه "فالثقافة لا تنحصر في أقنوم معرفي واحد بل متعدد التمظهرات وتعرف أيضا على أنها "ذات تأصيل جماعي بحيث لا يمكن تصورها كانبثاق مباشر من الطبيعة، أو من الغريزة الفطرية في الكائن البشري"[12]، إذا كان التعدد في الثقافة وارد ولا يتعارض مع الخصوصيات الثقافية والهويات والانتماءات، يمكن اعتبار ذلك مسألة طبيعية تفرضها الظروف الاجتماعية بغية الاستقرار وتباين الآليات والأعراف وهي ضد الاختزال، فثمة علاقة بين مفهوم الثقافة ومفهوم ثقافة الاختزال، فالثانية هي إشكالية تأتينا على أنها معطى طبيعي لا يقبل الجدل ينتمي إليها الفرد وهي الأصل .

تتشكل الهوية هيئتها بالاستناد إلى الماضي، ويشكل ذلك الماضي بحد ذاته تاريخ الجماعة أو المجتمع، وينسحب ذلك على الهيئة الاجتماعية على حد تعبير شونو "كما ينسحب على الأفراد الذي يكونونه، إذ يؤكد المجتمع هويته عبر التكامل الزمني، وبالتالي فإن وعي الذات يشتمل على وعي الماضي "[13].

إن هذا المقصد الأنطولوجي يعبر عن أن بداية اختزال الإنسان ضمن تاريخ أو ثقافة أو نمط أو طقس معين يكون في صورة صناعة كينونته الأولى، وذلك يتحدد بإقصاء الآخر، إلا أن الميزة الأساسية نحو بناء الحضارة تبدأ بالاعتراف بتعدد الثقافات الإنسانية والرؤية المتعددة، بحيث على الإنسان حسب عالم الاجتماع إدغار موران أن يعترف بأن الهمجية الأولى للبشرية لا تعتبر أمرا لما قبل الإنسان أو إقصاءً لهويته وإنما تأصيله الأول المعقد، فهي التي تنتج تأصيله وهويته وانتمائه.

إن الكشف عن قيم الانتماء هو إعادة بناء التفكير الذاتي وإلغاء كل أنواع الاختزال، الذي صنعه التغير وفلسفات الحداثة على الشعوب بتحميله التميز والاختلاف وجعل العالم قرية صغيرة بمبادئ العولمة، كان الجهل الأول للتجمعات البشرية هو الاختزال، إننا لا يمكن أن نمارس المعارف العلمية إمبريقيا إلا من خلال رفض الانتماءات الأحادية الماحية للإنسان، وذلك بالبحث عن منهج جديد يدرس الهويات التشاركية ضمن رؤية كوسموبوليتية.

وذلك لا ينفي أن الهوية ترتكز في جوهرها على التغيرات التاريخية والأيديولوجية والاجتماعية والثقافية، غير أنها لا تستند في عمقها على أساس عرقي أو شوفيني، وإنما تمنح من خلال هذه الاختلافات الثقافية للإنسانية، وهي بالاستناد إلى ذلك دائمة الحركة، غير ثابتة ومتحولة في ارتباطها بصيرورة التاريخ، وللهوية طبيعة زئبقية، فهي ليست تصورا ساكنا يُحدد ضمن أطر زمانية ومكانية وثقافية بل هي مفهوم ديناميكي يخضع للتغير، فقد كانت من أولويات الثقافة ألا تختزل ذلك وتحافظ على أصل الهوية الإنسانية، "إن الهوية الإنسانية أهمية عميقة وتاريخ طويل حافل بالتناقضات والصراعات، والنزاعات ذات الطابع المتحرك باستمرار والمتجدد والمتطور على الدوام، بالرغم من الأسس والمكونات الأصلية التي تعتبر من بين الثوابت الإنسانية، المحافظة على هذه الهوية أو الذاتية الإنسانية"[14].

وذلك يثبت أن نقد الاختزال ضروري من أجل الهوية في حد ذاتها لأنها لا يمكن أن تلغي هوية الإنسان الأولى، فالاختلاف الثقافي يوجد وبشكل طبيعي في فكر الكائنات العاقلة.

2-من الخصوصي إلى الكوني:

يتأسس مفهوم الكونية في إطار الدعوة إلى التشارك الإنساني العالمي والانتماء للإنسان الواحد، من توحيد الاختلافات الإنسانية، وذلك من أجل القضاء على الاختلاف وحق الاختلاف، وهذا ما يسمى بخلق نوع من العالمية الإنسانية وتحقيق وحدة الكائن البشري " L'unité de l'être maléfique"، ورفض ما تتبناه العولمة التي تسيطر على الثقافة واقصاء الخصوصيات الحضارية، والتي تعلن سيطرة نظام حضاري واحد، فهل يمكن أن نتحدث عن الكونية في ظل اختلافات الثقافات؟ وهل نستطيع أن نحافظ على الهوية في ضل كونية العولمة الاقتصادية؟

يمكن أولا أن نبين التصور المعرفي لكل من مفهومي الخصوصية والكونية :

تعرف الخصوصية على أنها التفرد والتميز وهي جملة الصفات والخصائص المادية والمعنوية التي تخص مجموعة بشرية لتكون اختلافها وتميزها، وهذا ما يجعل السؤال عن الخصوصية يحيل إلى الهوية من جهة الانتماء يقول إدغار موران: "ليس هناك تنافر بين الإحساس بالانتماء الأرضي، وبين اندماج في الهويات المحلية أو الثقافية الأكثر تجذرا"[15]، وهكذا فإن الخصوصية تشعرنا بالانتماء إلى كل ما يميز الإنسان ككائن إلى مستوى أوسع من الانفتاح على الغيرية في مختلف أشكالها الحضارية والثقافية، وبالتالي الهوية تحمل في ذاتها ما يعرف بالخصوصية وتحمل عدة تسميات "إذ عرفها الجرجاني بأنها: الأمر المتعقل من حيث امتيازه مع الأغيار، وعند ابن رشد تقال: بالترادف على المعنى الذي يطلق عليه اسم الموجود، وعند الفارابي: هوية الشيء عينيته وتشخصنه وخصوصيته ووجوده المتفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك، وفي الغرب كان غرودباك أول من استخدم " Soi" و" id "،كمصطلح في التحليل النفسي ليدل به على أمر غير شخصي في الطبيعة الإنسانية"[16].

إن جدلية الوحدة والتنوع سجال فكري بين الخصوصية والكونية في تفسير الإنساني على حد سواء، إذ يجب النظر إلى الهوية كخصوصية كونها تنتج الوحدة والانتماء، والكونية التي تتجانس والنوع واختلاف الثقافات التي تحتوي الرؤية إلى العالم. فالكونية لا يمكن ضبط مفهومها على شاكلة واحدة بل لا تكون إلا بين معنيين يمكن توضيحهما، كونية تراهن على المصالح الاقتصادية أي على المجتمعات الاستهلاكية (العولمة)، وكونية تراهن على القيم الإنسانية المشتركة على تنوع الثقافات والحفاظ على الخصوصيات المحلية.

2-1 الكونية الاقتصادية: "هي السوق العالمية التي تزاحم العمل السياسي أو هي تحل محله، بمعنى أن مذهب سيادة السوق العالمية هو مذهب الليبرالية الجديدة، فهي أحادية السبب، اقتصادية، تختزل الأبعاد المتعددة للعولمة في بعد واحد، هو البعد الاقتصادي الذي لايزال تصوره في شكل خطي ولا تتعرض للحديث عن كل الأبعاد الأخرى في شكل خطي"[17].

هذا ما جعل المهدي المنجرة ينظر إليها على أنها: "توجه ليبرالي يفرض نمط معين من القيم من لدن دول الشمال على دول الجنوب، بتزكية العالم المتطور، من خلال لبرلة سياسة القوة وخصوصية العلاقات بين الدول والشعوب"[18].

إن العولمة تسيطر على الانتماء الحضاري والثقافي للإنسان من خلال ما يعرف بفرض الهيمنة التي تؤسس للمركزية الغربية التي بدورها تتبنى الأحادية القائمة على الأيديولوجيا الفردية، أين يتحول هذا الكوني إلى هيمنة على الهوية الإنسانية، لذلك يدعو بوديار إلى خطورة الخلط بين الكوني الإنساني والكوني العالمي المرتبط بالهيمنة الاقتصادية والتكنولوجية، وتكريس سياسة الانفتاح على الأسواق ورؤوس الأموال عكس الكونية الإنسانية التي تمتلك شيئا من العمق وشيئا من المصداقية بتوصيف موران.

2-2 الكونية الإنسانية: تفرض الكونية الإنسانية قدرا كبيرا من الحضارة والثقافة والتأصيل والاعتراف والتواصل مما يؤسس لنزعة إنسانية كونية، يتعايش فيها الأفراد بين الخصوصيات المحلية والتصورات العالمية لقيم المواطنة والتشارك والمعايشة ضمن تصور كوسموبوليتي يقضي على الاختلاف والفردانية المقيتة، من خلال الرؤية كونها تحاول "إيجاد نظرة إلى العالم، فيها جذور كل الأفكار والمعتقدات التي هي أسس الحضارة عامة، إلا بالحصول على نظرة للعالم تقف مع الحضارة، حيث أنها مضمون أفكار المجتمع والأفراد الذين يؤلفون أفكارهم عن الطبيعة وعن موضوع العالم الذي يعيشون فيه وعن مكانة الإنسانية والأفراد ومصيرها "[19]، "فالهوية الإنسانية هي الأكثر عمومية وأساسية لتعريف الذات وتحديدها"[20].

كان لابد لكل التصورات أن تزيل الاقصائية من قاموسها لأن الهوية لا تمثل أي نوع من الفردانية بقدر ما تتجذر في إرادة الكونية، يقول موران: "لقد تمكنت إذن من عدم الفصل بين الوحدة والتعدد التي تميز الإنسانية، بمعنى أنه يمكن أن نكون متوحدين في إطار التعددية، وناضلت ضد محاولة تبني فكرة الإنسانية المجردة أو شبه الإنسانية المخصصة "[21]، وبالتالي "سيكون من الضروري الإشارة إلى مركب الأزمة الكونية الذي يصادف القرن العشرين والذي يتبنى أن جميع البشر يواجهون نفس مشاكل الحياة والموت، يعيشون مجتمعا مشترك المصير"[22]. وهذا المشروع يمكن تحقيق نجاعته إذا تحقق التكامل بين الخصوصية والكونية التي تأسس لوحدة العقل البشري، ومنه تجاوز الرؤية الاختزالية التي تكرسها الثقافة العالمية الغربية والأوربية والتي تتبنى الفردانية المتميزة عن باقي الحضارات التي تقصيها بمفهوم البربرية. لقد أضحى من الضروري تجاوز هذه الأخلاقيات المنغلقة التي تصبح بمثابة أخلاقيات مضادة لأنها لا تنفتح على الآخر، "يبدو لي الفيلسوف موران أننا نعيش حياة السرنمةSomnambulisme فالإنسانية تتجاوز نفسها بنفسها "[23].

لذا أفادت العولمة الجديدة إلى ميلاد ثقافة الهوية الحصرية والجامدة والتي تخشى كل من يسائلها.

ثالثا: الهوية والتابع أو هويات ما بعد الكولونيالية

إن الأمر الجلل هو تضخيم مفهوم الهوية، فالكل يستند إليها في كل زمان ومكان سواءً في الغرب أو الشرق، في الشمال أو في الجنوب، فمن خلال ميلاد الصلات والتحالفات بين الشعوب والتي تكتسب الشعور بالانتماء والولاء، ومنه ينقسم العالم إلى فئات حضارية لينتظم الموضوع إلى صراع ورؤية في العالم، هذا ما جعل الكثير من الباحثين ينتهون إلى الاهتمام بهذه الرؤية الحضارية، فكان التأثير موجه للبحث عن ما بعد هذه الهويات وتحويل العلاقة بين الإنسان والوجود إلى الكون، وبالتالي تتمكن الهوية من إعادة استشكال التناقض بين القديم والحديث الذي لم يحل بعد، ما أدى إلى إثارة ظهور رؤية نقدية جديدة يمكن أن تستوعب هذا الحدث وتستبصر هذه التشوهات التي تعانيها الهوية بين الشرق والغرب، وذلك بما يواجه العولمة من هوية ثقافية وانتماء إنساني، والكشف عن دور الهوية في انشاء الدولة وبناء قيمها وعلاقتها بالسلطة وتحقيق قيم المواطنة.

إنه من المهم العودة دائما إلى إشكالية الرؤية إلى العالم، ولا تمكن إلا بإعادة تصور جديد للهوية "فالهوية موقف إنجازي وليست موقفا إجرائيا، لكن الفرد لا يصنعها بفعله بشكل معزول، إنه لا يمكن لأحد أن يتبين شخصيته بمعزل عن أشكال التميز الخاصة بالهوية التي يقول بها الآخرون بخصوصيته"[24].

لقد تجاوز العالم المعاصر اليوم تلك الرؤية التي تجعل من مسألة الهوية صراعات أيديولوجية وقضايا اقتصادية وسياسية، لأنها أصبحت تتجذر أكثر في الواقع الإنساني ككل ومنه نتساءل عن إمكانية الكوني أو السياسي في تحقيق الهوية أم أنه يهمشها لما بعد سياسي؟

وكيف يتعامل المثقف مع الهوية؟ هل يختزلها أم يؤصلها؟ وهل هذا التأصيل يكون بالرجوع والنكوص أم بإعادة الإحياء والبعث؟ وهل يحق للمثقف أن يطرح سؤال الهوية؟ ويمكن معالجة ذلك عبر مستويين:

1 – الهوية والمثقف:

استطاعت هويات ما بعد الكولونيالية أن تغرب التاريخ والقيم وأن تؤتي تهمتها على الهوية والخطاب والمثقف والعادات، فأصبحت التجارب تقوم على كيف يتعامل المثقف مع الهوية، في ظل هذا التعقد الكولونيالي أين تكون الحياة البشرية في هكذا نظام غير متواشج ومشتت ولهذا لابد من استبصار الرؤية إلى المثقف الراهن من أجل بناء الثقافة والهوية، برغم أنه يتعامل مع كم هائل من القضايا والموضوعات بشكل دائم ضمن إطار حضاري تنويري فمن هو المثقف؟ وما دوره في العالم الآخر هل هو تابع أم فاعل؟ وكيف تطرح الهوية؟

إن مجمل المشاريع النقدية الكبرى والإنجازات الفكرية التي تحدث منعطفا إبستميا في تاريخ الثقافة الإنسانية، غالبا ما تبدو غير جديرة بالعناية والاهتمام كما كان الشأن ببعض الدراسات الكيفية والنظرية لتعاطي المثقف مع هويته، وبالتالي يمكن الاعتراف ببعض خطاباتهم لفك التعقيد لهويات ما بعد الكولونيالية، يرى سارتر "إن المثقف هو الإنسان الذي يدرك ويعي التعارض القائم فيه وفي المجتمع، ليبين البحث عن الحقيقة العلمية وبين الأيديولوجية السائدة"[25].

إن هذا من أبرز ما جعل المثقفين الذين تعاملوا مع الهوية يقعون في تناقض وتعقيد كبير وهي قضية مدى التزامهم بالقضايا الجماهرية على اعتبار أن الهوية تستلب المثقفين إلى تحمل المسؤولية في تجسيد أفكارهم لتقاوم هذه المواجهات الكولونيالية، ويعرف غرامشي المثقف على أن هناك بينه وبين الثقافة رابط عملي في قوله "كل إنسان مثقف وإن لم تكن الثقافة مهنة له"[26]. "فالمثقف له علاقة بالثقافة حتى وإن أراد تجاوزها ليست مسألة تتعلق بالعرق، هي مكتسبة وغير متوارثة وغير متوازنة في حياتنا"[27] ، وعليه نجد أن هناك علاقة تعالقية قيمية بين الثقافي والهوياتي، والحقيقة أن هناك من يرى أنه يتوجب الفصل بين الثقافة والمثقف، بيد أن هذا الأخير حسب إدوارد سعيد " كل شخص يرهن وجوده كله بالإحساس النقدي وهو إحساس يشي بعدم تقبل الصيغ السهلة أو الأفكار الجاهزة، أو البراهين الناعمة الملائمة تماما وبالتالي فإن رسالته هي الحفاظ على حالة التنبه الدائم والسهر للحفاظ على القيم المطلقة كالعدالة والحقيقة "[28]. وقد اعتمد إدوارد سعيد على هذه الدراسات الكولونيالية التي عانى منها كمثقف مغترب في أرض غير أرضه، ليؤكد على استحضار السياق الثقافي والحضاري والذي في ظلاله تشكلت المفاهيم الأساسية لتيار ما بعد الكولونيالية، لقد تعامل مع الهوية كمثقف مغترب بمنطق التقابل والانفصال بين الشرق والغرب، تصور يحاول تجاوز ما نتج عبر التاريخ من هذا التقابل كمظاهر العداء والعنف والصراع، خصوصا ما نظر له في كتاب الاستشراق، والذي يقيم فيه نقدا صريحا لما بعد الكولونيالي يقول: "ما أسميه الاستشراق لا أقف ضده لأنه دراسة أثرية عتيقة للغات والمجتمعات والشعوب الشرقية ، بل لأنه كنظام في الفكر يقارب واقعا إنسانيا مغاير الخواص وديناميكيا ومركبا من منطق ماهوي وبصورة غير نقدية"[29].

فمثل هذا التصور الثابت للهوية هو الذي أفرز وأنتج قراءة تفتح لنا مجال الادراك المعرفي الذي ستضيفه الهويات الاستعمارية على الثقافة الأصلية للشعوب، من خلاله حمولة الاستشراق بقدر ماهية نموذج للبحث في الثقافات بقدر ماهي صورة غير نقدية تستغل القومية بزعمات قومية وعدوانية، "فبفضل هذا المفهوم توصل سعيد إلى أن الشرق تمكينه وفق الرؤية الغربية واعتباره مناقضا للغرب، لأنه إذا كان هذا الأخير يحيل على كل القيم الحضارية المجندة من التقدم ورقي وعقلانية فإن الشرق يحرم من يمثل نفسه"[30]، هكذا يتبين أن إدوارد سعيد كمثقف لم يختزل الهوية في سمة العرق والقومية، بل اتسم خطابه كنوع من التأويل والنقد الأنطولوجي الذي يتوجب على المثقفين اعتماده في رصد التعدد الثقافي وتقيم نماذج منطقية للتحاور والتفاعل مع تعدد الهويات.

"يعد المفكر الفلسطيني إدوارد سعيد واحد من أبرز الشخصيات الثقافية التي اعتنى بها المشهد الفكري الإنساني طيلة العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين، حيث لم تقف أهميته عند حدود تعدد الخطاب الكولونيالي الغربي، كما يضاف إلى ذلك أنه مثقف ملتزم رافض للتدجين والمثالية والنزاع إلى الاستقلالية الفكرية"[31]، إن الحقيقة الفلسفية تكشف عن ذاتها في طريق تعاقب مذاهبها عبر التاريخ

ورؤية مثقفيها، مهما تعددت مشاربها وتنوعت أشكال هذا التعاقب بين المثقف والهوية في بناء التأصيل الأول للإنسان، لذلك ما تركته الحضارة الغربية في اعتبارها أنها النموذج الأول الذي سيحقق الهوية الكونية، مسألة أيديولوجية نوعا ما كما يرى الإيراني المغترب داريوش شايغان أن الثقافة الغربية هي التي تسيطر والهوية ماهي إلا تمثل لمفاهيم مختلفة وفقط، "لم تعد المسألة مسألة حوار بين الحضارات، بل هي تدمير حضارات محلية مختزلة إلى حدود الفولكلور، على يد الحضارة التي غدت حاليا شاملة وكونية"[32]. إن إعلان شايغان على هذا التصدع في الهوية هو دلالة على تحدي معاصر مستشكل، إنها عملية جديدة ستغير الرؤية الأولى للعالم "تنزع الطابع الروحي عن العالم وفك السحر عن الطبيعة واختزال الإنسان إلى حدود غرائزه"[33] ، إنه الاستعمار الكولونيالي للهوية وحسب تصور شايغان لا يتمثل فقط في الشعوب الاستعمارية وهوياتها كما تصور بذلك أدوار سعيد، إنما كذلك التمكن من العلم والتقنية والتكنولوجيا، فهي التي ستمثل هويات ما بعدية جديدة (ما بعد استعمارية)، ستكون الخطر الأول الذي سيغير علاقة الإنسان الأول مع الطبيعة والعالم، وبالتالي إلغاء قيمه واعتبارها مجرد تمثلات ميتافيزيقية وهو ما اكتمل عند الغرب، وجعلنا شيزوفنيين قابعين بين تاريخ غربي وشرقي، إنه المثقف الذي ينتقد ولكنه يقر بفضل الآخر المعولم "سأتلو عليكم مداخلة نقدية إزاء هذا الغرب الذي أحب والذي أدين له بجانب كبير من تكويني الفكري والذي علمني كيف أفكر ، سأكون نقديا إزاء هذا الشرق الذي تضيق رقعته الجغرافية شيئا فشيئا، والذي إليه أنتمي، وأحس بحضوره كأرض منسية في أعماق نفسي، ربما أنني لا أنتمي إلى هذا ولا إلى ذاك، وربما أكون مشابها لإخواني مشردي الغرب الذين يجوبون العالم بحثا والله أعلم عن دواء لداء لا يشفى"[34]، فالانتماء لابد وأن يكون إلى عالم أحادي متشبث بالإنسان الذي لا يختزل الحقيقة الموجودة في نسق التعصب والأدلجة بل التأصيل للثقافة الإنسانية، وهذا سيشكل دائما استيلاب الهوية للمثقفين المغتربين، وهو من سيلغي هذا التذاوت الكولونيالي على الذات، ولكن قد يشكل وهما مزدوجا حسب شايغان وبالتالي يمكن أن نقول إن تعاملهم مع الهوية هو تعامل ابستيمي أكثر منه توصيف لواقع.

وعليه كان هذا الجدل بين الثقافي والهوياتي قد أدى إلى إعادة البحث عن القيم بقليل من الاغتراب الذي يلازم المثقف، خصوصا بعد الانقلاب الثقافي الذي جاء نتيجة التأثير المعولم للعالم والحروب المناهضة للثورة الكولونيالية "فقد كانت النزعة الاقتصادية économism، لدى الشيوعية الماركسية واحدة من السمات المركزية بجمودها، بإسقاطها للثقافة من كل حساب ـ باعتبارها مجرد بنية فوقية، وبإغفال الخصوصيات الوطنية الإقليمية"[35]. لذا نجد أن رؤية المثقفين للهويات المتصدعة هي تصورهم على أنها هويات متعالية على الماضي والحاضر والمستقبل، والرسالة المشتقة منها هي أن تصوغ إنسانية الإنسان فقط "فالخطابات اليوم هزيلة تشكو من الإعياء ولهذا أمست كل التراكيب ممكنة، فحينما نلقي نظرة على تاريخ العقائد التي سادت الغرب، نلقى ظاهرتين مترافقتين عند كل نقطة وانفصال، ظهور رؤية جديدة وتراجع رؤية قديمة، لو تقصينا هذه الظاهرة زمنا طويلا لاكتشفنا عدم زوال أي شيء في خضم هذه التحولات، الخطابات تغير أماكنها وتنكفئ إلى ملاذها بانتظار دورها للظهور ثانية"[36].

وهكذا يتضح إذن أن قضية التقبل والفهم لدى المثقفين من أدق القضايا النقدية والتأويلية التي تتجاوز مجال الفصل بين الشرق والغرب، لتطال كينونة الإنسان ووجوده ليغدو هذا النقد فعلا قرائيا للعالم عبر هذه التحولات التقنية التي تزاحم الوجود، وفعلا رمزيا يخترق كل ذات إنسانية أحلاها حينا وأقصاها أحيانا أخرى، ليكون المثقف تابعا وفاعلا أمام زخم التصورات والثقافات والتي بدورها يمكن أن تشكل نوعا من التعصب أمام هذه النمطية المعاصرة اليوم كما يخلص لذلك مايكلز في قوله: "إن المفهوم الحديث للثقافة ليس انتقادا للعنصرية ،إنه شكل من أشكال العنصرية على أقل تصدير في أواسط المثقفين "[37]. الهوية في النهاية لها نصيب من المثقف وتدرك من خلال المشاركة الثقافية كما يعلق على ذلك الفيلسوف زيغمونت باومان قائلا: **"إن المفاهيم المتعلقة ببناء الهوية وتلك الخاصة بالثقافة ولدتا معا ولا يمكن لهما غير ذلك"**. وبالتالي الحل الوحيد للمثقف في ضل هذه السياسات الثقافية ونظرية الكولونيالية، أن يعيش وفق هذا التشارك الجمعي للهوية حتى لا يحدث الانفصال الشوزوفيني واغتراب الذات وتضخم الهوة بين الغرب والشرق، كما يدعو إليه بعض المنظرين الذين تنبئوا بزوال الحضارات، وهنا تحضر مهمة المثقف في الحياة حسب ما نادى به المفكر إدوارد سعيد، أن يقدم سرديات بديلة ومنظومات للتاريخ مغايرة لتلك التي يقدمها مقاتلون نيابة عن الذاكرة الرسمية، وذلك بترسيخ

الإنسانية العالمية لكسب رهان معرفة الذات داخل منظومة الإنسان، والمثقف في النهاية ليس هوية أو ذات أو أنا منغلقة معزولة عن الناس، بل هو ذات منفتحة على العالم والآخر وهو المختلف أيضا والانغلاق لا يعني انغلاقا إلا إذا كان انغلاقا فكريا، يقتصر على دوغم مقيت لا يعترف إلا بهوية حصرية ولا يرى الآخر سوى أنه المخالف، إن الانفتاح على القيم العالمية الإنسانية هي مطلب راهني لإحقاق الهوية والمواطنة .

2-الكوسمولوجي السياسي ومدى إمكانية احقاق قيم المواطنة:

شكلت الكولونيالية عنفا سياسيا على الهويات المستعمرة والتاريخ والجغرافيا واختزالا للخصوصيات الثقافية، فهي تعمل ضمن أهدافها الاستراتيجية على فصل الشعوب المستعمرة عن تاريخها بعملية محو للذاكرة، لتناضل الهوية الثقافية لاستعادة التاريخ وذلك بربط الناس بوعيهم الذاتي للانتماء وإعادة بعث القيم العالمية لإحقاق قيم المواطنة، وعليه نطرح الاشكال التالي: هل الكوسمولوجي السياسي يحقق الهوية أم يهمشها؟

لقد سخرت نظرية ما بعد الاستعمار (الكولونيالية) كل آلياتها الفكرية والمنهجية والمعرفية لتقويض المركزية الغربية في إطار صراع عسكري وحضاري وقيمي وثقافي وعلمي، من أجل فهم وتفكيك المقولات المركزية

التي تبنتها الحضارة الغربية بمسمى إنشاء الدولة الأحادية والتي تستهدف الشرق واستضعافها واستشراف خيرات الشعوب من خلال مسمى التفوق والتمدن والتحضر، في مقابل خطاب البدائية والخضوع للمركزية الأولى، ليصف لنا ذلك الفيلسوف الهندي هومي ك بابا "أننا نعيش الآن في لحظة تاريخية تنم عن تفاوض متواصل بين أفكار وايديولوجيات ليبرالية معينة ونقد راديكالي لهذه الأفكار وهذه الأيديولوجيات يبزغ ما يسمى بالفكر المادي"[38]، "فبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وجدت أوروبا نفسها في حالة من التقهقر والضعف نتيجة انهيار البنى التحتية والتدمير الذي لحق بالمدن الاستراتيجية، نتيجة المعارك الطاحنة ـ كما أن أثار الحرب العالمية تركت أوروبا في حالة من الصراعات والتوجه نحو "عولمة العالم" والتعددية القطبية، فتعززت طموحات أوروبا في الاتحاد لإعلاء الهدم الدولي كما أن عقدة النزعة القومية الأوروبية لاتزال قائمة"[39]، فكانت الهوية سبب ادخال أوروبا في صراع وحروب نتيجة التعصب وما تتبناه "التعددية الثقافية Lsprit multi culturaliste التي تكمن تحديدا في التمفصل الديموقراطي واحترام القيم العالمية "[40].

ولا شك أن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان 1948 هو الذي أدخل البشرية مرحلة تطور المجتمع المدني العالمي، والتي تتميز بالانتقال من عالمية معايير العدالة إلى كسموبوليتيتها لتربط المعايير الكوسموبوليتية بالأفراد، الذين ينظر إليهم كأشخاص أخلاقيين وقانونين في مجتمع مدني عالمي، ويتكون مصطلح الكوسموبوليتية Cosmopolitisme، من كوسموس أي الكون وليس المواطن، وتوجد توترات واضحة بين هذين المصطلحين. مونتين كتب بأن أحدهم سأل سقراط عن وطنه فأجاب: "ليس أثينا ولكن العالم، فسقراط الذي كانت معرفته أكبر وأعظم من كل الآخرين نظر إلى الكون كوطنه"[41].

وهكذا تكون الفكرة الأولى للكوني من نصيب سقراط الحكيم لتمتد إلى هيجل وكانط ماركس فريدريك انجلز هابرماس وغيرهم، والتي يمكن لكل منهم أن يعبر عنها وفق رؤيته الخاصة لإنشاء نظام في الدولة وانشاء مواطن ضد الكايوس (اللانظام)، إن هذه السياسة البعدية هي التي تنادي بها الدول العظمى من أجل تجاوز الهوية الأمريكية بمصطلح الريادة العالمية الكوسموليتية على مستوى السلطة والنظام العام الأحادي. "فالكلمة اليونانية كوزموس Kosmos التي تعني عالم، وبولس polis التي تعني مدينة، ومن ثمة فإن الكوزموبوليتي هو "مواطن عالمي". والآن من الواضح أن فكرة المواطنة هذه تضمينات محددة في مجال السياسة ضمن السياق الخاص بالعولمة. وقد تمثل أحد التأكيدات الهامة هنا – في خطاب تعود أصوله إلى الفكرة الأساسية الدولية التي طرحها ايمانويل كانط Kant، في التفكير مليا في جدوى النماذج الديموقراطية والمؤسسات السياسية "[42]. "وإن من سمات الدولة الكوسموبوليتية توحيد إرادة الأفراد حول عقد منفتح على كونية شاملة تتحقق فيها الديموقراطية التي تخلق وطن عالمي، "فالمواطنة الكوسموبوليتية هي التي تعني كيف ينمي الناس اتجاها إزاء المواطنين الآخرين والمجتمعات الثقافية الأخرى عبر الكوكب"[43]، وعليه "يمكن القول إن المواطنة سارت تارة في اتجاه المواطنة على مستوى دولة المدينة أو على مستوى الدولة الوطنية أو مستوى الإمبراطورية أو مستوى القومية، وتارة أخرى على

مستوى العالم كله أي الدولة العالمية أي المواطنة العالمية"[44]، وهنا نطرح إشكالية مهمة جدا: فهل نحن بحاجة إلى سياسة شاملة لنعيش كمواطنين عالمين أو كمواطنين دولة؟ وهل هذا النظام العالمي يحافظ على أصالة الشعوب الأخرى أم أن هذا النظام مجرد صفقة بين مجموعة من دول متحالفة لمصالح محددة؟

إن ذلك يتطلب من النزعة الكونية حل المشاكل العالمية وأن تكون في ظل التشارك الثقافي الجماعي، عكس ما تنادي به النزعات الكولونيالية والليبرالية التي سيكون تدخلها استعماري مبتكر في فرض نوع من الحرية الفردية التي ترفض الذوبان في الذات الجماعية "إن المشترك هو المقياس الحصري للكائن السياسي وأن أنطولوجيا المشترك هي وحدها الكفيلة بتحريرنا من مفهوم السيادة الوهمية، وهي أنطولوجيا مفتوحة دوما في كل لحظة وبشكل إبداعي على المستقبل المفرط"[45]، أين يتجه "هذا التعايش إلى الانصهار fusion أو إلى الاندماج intégration حيث يزول ويذوب في بعضها الآخر أو تحافظ الجماعات على التفرقة العنصرية، فتجعل عاداتها وقوانينها ونظمها حواجز تفصل بعضها عن بعض"[46] ، وهذا ما نتج عن كسموبوليتية الفرنسي إدغار موران في رؤيته "أنه يمكن أن نعقد أن إمكانية التحول هي الإمكانية الوحيدة لإنقاذ البشرية، لأن من الواجب تأسيس الوحدة الإنسانية التي تحترم التنوع القائم"[47].

لأن المشكل إذن هو خلل في الدفاع عن الحريات الأساسية ضد النزعات الجمعية أو الاشتراكية التي سيكون تدخلها نوع من التدخل في التعددية الفردية.

"إن نظرية العدالة العالمية لا تتطلب أن تختفي الدول أو تنظم كل دولة داخليا وفقا لمبادئ الديموقراطية الليبرالية، وإنما تتطلب أن تتعايش على أسس القانون الدولي وأن تتمتع بقدر من العدالة الداخلية"[48].

وهذا ما يمكن أن تحتويه العدالة الكوسموبولتية العالمية من أجل المواطن العالمي، ويتساءل موران: "ما هو المشكل الذي طرحه التحول على المستوى التاريخي؟ إن المشكل هو أننا أمام تجمعات بشرية مختلفة للغاية، فكل مجتمع يملك هوية، لكن تيار العولمة جرفها، وهو يحولها إلى الأفضل وفي غالب الأحيان إلى الأسوأ، هذه التجمعات هي نفسها في طور التحول فأوروبا في العصور الوسطى مثلا تحولت إلى أوروبا حديثة، نتيجة مسلسل متعدد الأشكال ونتيجة صراعات لم تتوقف"[49]، لهذا كان دور السياسي الكوسموبوليتي في إحقاق المواطنة العالمية يتطلب التصدي للنظام العالمي الكوني الذي يرفض بدوره القومية والضد، بل لابد من مواطن كوسموبوليتي يتميز بصفة الإنسانية العالمية من أجل مواجهة المشاكل المشتركة التي تزاحم العالم وإحقاق السلام الدائم الذي دعي له الألماني كانط حين يرى أن الفاعلين الأساسين على المستوى الدولي ليسوا دولا وزعامات سياسية فقط ولكن أيضا مواطنين من تكتلات مختلفة، فإنه يمنح المفهوم الكوسموبوليتي معنى جديدا. وعلى هذا يجد كانط أن الهدف في دراساته الفلسفية الخاصة تقوم على رسم معالم السياسية الكوسموبوليتية وأن هناك مؤشرات تعطي لنا أمال "بأن الطبيعة تفتح آفاق مستقبلية ممتعة تكشف لنا كيف ستبلغ البشرية مرحلة تنامى فيها تماما جميع الأصول والمبادئ التي توضع من قبل الطبيعة، ويتحقق فيها مصير الإنسان وتقديره على الأرض"[50]، "فليس فحسب أن العالم تغير ولكن لأن هذا الفكر ليس أحاديا وإنما متعدد الوجود، فنحن بالأحرى في حاجة إلى فعل يعيد تأسيس الأنوار، يحتفظ بالموروث ولكن بعد إخضاعه للفحص النقدي عبر مجابهته الصريحة مع نتائجه المطلوبة أو المرغوب فيها"[51]. إن هذا الإمكان يرفض القوالب المحدودة في إطار جزئي وإنما في أمل لإحقاق مواطنة مشتركة عالمية قائمة على أسس الدولة الكليانية التي تحترم قيم المشاركة الجماعية.

بيد أن المشكل العويص هو: كلما كثر الانتماء قل الوثوق في القيم الكونية أو القابلة للكونية، وكلما حصرنا هويتنا في نماذج عيش خاصة كلما كبرت صعوبة إيجاد معايير مدنية مشتركة على مستوى الإنسانية. "إن المشكل الذي لم يكن ليراه كانط صار اليوم معطى أخلاقي متاحا، هو ما أشار إليه هابرماس الأخير من أن ممثلي ملكوت الرب أو الوحدة الأخلاقية المشتركة هم عديدون ويجب أن نفكر في هذا المشكل منذ الآن في صيغة الجمع وليس المفرد كما تعود الفيلسوف الكلاسيكي"[52]. ومنه يتوجب على الكوسموبوليتي السياسي أن يلقي بالتعالي من داخل مكاسب الإنسانية وفق تقنية كونية قابلة للجدد، وعليه بالمشاركة الأخلاقية لتحقيق مواطنة كوسموبوليتية تكون المفتاح الثقافي للحكومات العالمية وهو الشأن في تطوير البنى الشخصية المختلفة بتوصيف جيل دولوز غير أن ذلك لم يشكل هوية حديثة على شاكلة المواطنة العالمية الأولى التي تحدث عنها سقراط.

"إن الهوية الحديثة قد بقيت تعاني من تعارض داخلي فيها بين طابعها الكوني أو الكوسموبوليتي، أي هوية البشر بما هو مواطن عالمي، وبين طابعها المحلي الذي يشكل قوام الدولة ـ الأمة. إن نقطة الصعوبة في برنامج الحداثة هو أنها بنت فكرة الفرد على هوية سياسية مزدوجة فهو إنسان ومواطن في نفس الوقت"[53].

ومنه يتأتى لنا أن التعاطي مع الكوسموبوليتي السياسي لإحقاق قيم المواطنة العالمية والتشارك الاجتماعي هو ضرب من المثالية، وتحقق للازدواجية بين ما هو ثقافي جمالي لا يقبل التجانس وبين ما هو أخلاقي عالمي إنساني، أي بين الخصوصي والكوني، مواطن عالمي يعبر عن إحساسه بتفوق أخلاقي يقول لست ألمانيا أو أمريكيا بل كوسموبوليتي، ومواطن عالمي تكميلي لا يرفض كينونة الدولة بل يكملها في ضل التعددية الثقافية واحترام القومية.

خاتمة:

وعليه يتبين لنا في الأخير النتائج التالية: أن وعي البشرية بالتحولات الجديدة التي تمس العالم هو وعي لكل أشكال الهوية وما بعد الاستعمارية (الكولونيالية)، التي تتحكم بمصيره وتسعى إلى إنتاج مقاربات ثقافية وسياسية وتاريخية تبدو في حدودها أحيانا متناقضة وأحيانا أخرى تحقق ازدواجية للدفاع عن الإنسانية، ومحاولة التصدي لبؤر التوتر بين عالم الشرق وعالم الغرب، لقد سعت اللبرالية دائما إلى تكريس نزعتها الأحادية المعلومة وفرض نظام السوق الواحد وبعث ديموقراطية مشكوك فيها، ما أفضاها إلى قهر الإنسان وجعله يعيش الهويات المابعدية فجعلت العالم عليل ومتخبط وسطحي، بين هيمنة على الطبيعة وفرض التقنية على كل قيمة روحية لينزع السحر عن العالم، فكان لابد للمثقف كجمهور واع أن يتجه نحو البحث عن حلول لإنقاذ البشرية ويعالج مشاكل جوهرية وشاملة مرتبطة بصير الإنسانية، فكان الحس العالمي قد استولى على آرائهم واستشرافهم للمشاركات الأخلاقية والقيمية، بدءا بالبحث عن التأصيل الأول للإنسان باعتباره الأساس المنبثق لكل تمثل أو أيديولوجيا أو وحدة نوعية فيه، ما يشكل في البداية قانون الانتماء بالعودة إلى البيئة الثقافية التي ستنميها، هذا وقد كان لبعض النظريات المابعدية التي سعت إلى رفض هذا التمثل الأول للإنسان، فتعاملت معها على أنها بربرية همجية أولى ستهلك الذات المتفردة للبشر فقضت على كل ما هو جميل بدائي للإنسان، وشكلت نوعا من الخراب في هويات العالم، فكان لابد من ظهور الضد النقدي الذي يسعى إلى رفض هذه التقييمات التي يمكن أن نسميها استعمارية مضللة لقيم الاختلاف، إلا أن المأزق قد تغلغل داخل الدول الرأسمالية التي تعكس التطور العالمي عبر أخطبوط العولمة، الذي سيبقى يهدد الهويات الوطنية للشعوب بالاندثار وشيوع الهوية العالمية، لقد باتت هذه الأخيرة تخرب وتهدم كل ما هو عتيق وأصيل بحجة التقليدي الذي تجاوزه الزمن، وعليه كان لابد من استبداله بالجديد النيوليبرالي حتى تتبنى فكرة جديدة للمواطنة، كان الدور الأول للمثقف أن يطرح هذه المشاكل الإنسانية والسياسية والعالمية بشكل معقد لفهم ما وراء هذه الخطابات الكولونيالية الجديدة الموجهة نحو الإنسان، إلا أن الرؤية العالمية لوحدة الكائن البشري والتي كانت الحل الجزئي نقول وليس الكلي، من أجل إحقاق قيم التشارك والتعدد الثقافي، بأن البشر بكل بساطة يملكون حقوق ومواطنون عالميون قبل كل شيء ينتمون إلى الكون، وبهذا المعنى يجوز لجميع الناس أن يتذكروا الانتماء الأول لهم ويمكن أن يشاركوه مع الآخرين أو العالم، من أجل بناء وحدة الإنسان بمنهج مركب لا يقصى ولا يختزل بل يستشرف مفاهيم الاعتراف والضيافة والسلام الدائم العالمي، كثقافة كوسموبوليتية ليس لها حدود سوى بناء القيم العالمية في ظل احترام الهويات الخصوصية، ومعايشة دائمة مع الكوني لأنه قضاء لا مفر منه وشر لابد منه.

قائمة المراجع:

[1]–المعجم الوسيط، الإدارة العامة للمجمعات وإحياء التراث، القاهرة مصر، ط4، 2004، ص 988.

[2]–حسن حنفي، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2012، ص10.

[3]–محمود أمين العالم، الهويَّة مفهوم في طور التّشكيل، مؤتمر "العولمة والهويَّة الثقافيَّة"، سلسلة أبحاث المؤتمرات، العدد:7، لمجلس الأعلى للثقافة، الهيئة العامَّة لشؤون المطابع الأميريَّة، القاهرة، ص376.

[4]–محفوظ محمود، الإسلام والغرب وحوار المستقبل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1988، ص 150.

[5]–إدغار موران، المنهج –معرفة المعرفة –، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ج3، 2013، ص 74.

[6]–بيكو باريك، سياسة جديدة للهوية، ترجمة حسن محمد فتحي، مراجعة محمود عبد الخالق، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2009، ص 9.

[7]–سعد البازغي، الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، (د.ت)، ص13.

[8]–إدغار موران، المنهج، مرجع سابق، ص 35.

[9]_**فتحي المسكيني، الكوجيتو المجروح (أسئلة الهوية في الفلسفة المعاصرة)، منشورات الاختلاف، الرباط، ط1، 2013، ص 121.**

[10]–فتحي المسكيني، المرجع نفسه، ص 133.

[11]–اليكس ميكشلي، الهوية، ترجمة على وطفة، دار النشر الفرنسية، ط1، (د. ت)، ص 29.

[12]–هارميس وهولبرون، سوسيولوجيا الثقافة والهوية، ترجمة حاتم حميد محسن، دار كيوان، دمشق، ط1، 2001، ص 25.

[13]–اليكس ميكشلي، الهوية، مرجع سابق، ص 67.

[14]–عبد الله تطاوي، الحوار الثقافي، مشروع التواصل والانتماء، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، (د.ت)، ص25.

[15]–إدغار موران–طارق رمضان، خطورة الأفكار (تساؤلات حول كبرى القضايا المعاصرة)، ترجمة محمد صلاح شياظمي، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2016، ص 138.

[16]–رياض زكي قاسم، الهوية وقضاياها في الوعي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 2013، ص 23.

[17]–اولريش بك، ماهي العولمة، ترجمة أبو العيد دودو، منشورات الجمل، بيروت، ط1، 2012، ص32.

[18]–المهدي المنجرة، عولمة العولمة، منشورات الزمن، الدار البيضاء، ط2، 2011، ص ص 5-6.

[19]–فتحي حسن ملكاوي، رؤية العالم عند الإسلاميين، مجلة إسلامية المعرفة، العدد 45، 2006، ص 19.

[20]–بيكو باريك، سياسة جديدة للهوية، مرجع سابق، ص53.

[21]–إدغار موران–طارق رمضان، خطورة الأفكار، مرجع سابق، ص137.

[22]–فيصل الأحمر، أفق الدراسات الثقافية، منشورات ضفاف، لبنان، 2019، ص155.

[23]–إدغار موران–طارق رمضان، مرجع سابق، 97.

[24]–**فتحي** المسكيني، الكوجيتو المجروح، مرجع سابق، ص180.

[25]–جون بول سارتر، الدفاع عن المثقفين، ترجمة جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت، 1973، ص 33.

[26]–Gramsci Antonio ،Selection From the prison notebook, New York, International Srehislbup 1983, p25.

[27]–آدم كوبر، الثقافة التفسير الأنثروبولوجي، ترجمة تراجي فتحي، مراجعة ليلى الموسوي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ،2008، ص 256.

[28]–إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، محمد عناني، دار رؤيا للنشر، القاهرة 2006، ص ص 10-11.

[29]–إدوارد سعيد، تعقيبات على الاستشراق، ترجمة صبحي الحديدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1. 1996، ص 99.

[30]–إدوارد سعيد، من تفكيك المركزية الغربية إلى إخفاء الهمجية والاختلاف، ترجمة محمد الجرطي، منشورات المتوسط، إيطاليا. (د.ت)، ص 04.

[31]–المرجع نفسه، ص 03.

[32]–داريوش شايغان، أوهام الهوية، ترجمة محمد علي مقلد، دار الساقي، بيروت، ط1 ،1993، ص 09.

[33]–المرجع نفسه، ص 10.

[34]–نفسه، ص 35.

[35]–مايكل كينغ، الثقافة في عصر العوالم الثلاث، ترجمة أسامة الغزولي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2013، ص23.

[36]–داريوش شايغان، هوية بأربعين وجه، ترجمة حيدر نجف، تقديم عبد الجبار الرفاعي، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، 2016، ص 37.

[37]–آدم كوبر، الثقافة التفسير الأنثروبولوجي، مرجع سابق، ص 206.

[38]–هومي ك بابا، موقع الثقافة، ترجمة ثائر ديب، المشروع القومي للترجمة، ط1، 2004، ص 23.

[39]–إسماعيل معراف، التشكلات الاقتصادية والإقليمية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014، ص ص 16-15.

[40]–ميشال فيفيوركا، التعددية الثقافية (مفهوم يجب إعادة بناءه) ترجمة عماد أيوب، مراجعة جمال عمار، مجلة الاستغراب، (المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية) بيروت، العدد 10، شتاء 2008، ص 102.

[41]–سيلا حبيب، مواطنة كونية. هل يمكن الجمع بين الكوسموبوليتية والديموقراطية، ترجمة رشيد بوطيب، (محاضرة القتها الكاتبة في مؤتمر حزب الخضر الألماني في إطار فعالية الذكرى الستون للدستور الألماني "دعم أسس الحرية " نشر في مجلة: Blätter für deutsche und internationale Politik, 6/2009، ص09.

[42]–جون توم لينوس، العولمة والثقافة (تجربتنا الاجتماعية عبر الزمان والمكان)، ترجمة د ايهاب عبد الرحيم محمد، (د.ت)، ص 185.

[43]–الجبوري، مفهوم المواطنة لدى طلبة الجامعة، دراسة ميدانية لطلبة جامعة بابل، العلوم الإنسانية مج 18، العدد 1، ص 04.

[44]–أحمد عثمان، تطور مفهوم المواطنة في الفكر السياسي الغربي، مجلة التسامح، العدد 20، سلطنة عمان، 2008، ص ص 122–123.

[45]–عبود علي، الماركسية الغربية وما بعدها، (مجموعة من المؤلفين)، تقديم: أم الزين بن شيخة المسكيني، منشورات ضفاف، (د.ت)، ص15.

[46]–أحمد زكي بدوي، معجم العلوم الاجتماعية، مكتبة ابنان، بيروت، لبنان، 1970، ص 68.

[47]–إدغار موران–طارق رمضان، خطورة الأفكار، مرجع سابق، ص 90.

[48]–تيري ناردين، النظرية السياسية الدولية عن كتاب مجموعة من المؤلفين: نظرية العلاقات الدولية، المركز القومي للترجمة، القاهرة. 2014، ص 422.

[49]–إدغار موران–طارق رمضان، خطورة الأفكار، مرجع سابق،89.

[50]–السيد علي المحمودي، فلسفة كانط السياسية (الفكر السياسي في حقلي الفلسفة النظرية وفلسفة الاخلاق)، دار الهادي. (د. ت)، ص ص 11–15.

[51]–ايمانويل كانط، سؤال الأنوار، ترجمة محمد الهلالي، مجلة الأزمنة الحديثة، أفريل 2008، ص107.

[52]–فتحي المسكيني، مرجع سابق، ص86.

[53]–المرجع نفسه، ص 181.

المدرسة النقدية عند هابرماس: قراءة في نظرية الفعل التواصلي

د/ عريق لطيفة[1]

[1] جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي (الجزائر)،

latifa.arigue@gmail.com

0669557787

ملخص البحث

يعد (هابرماس) من رواد الجيل الثاني للمدرسة النقدية الذي لا يزال في قمة عطائه العلمي ليومنا هذا، فهو لطالما سعى لخلق توجه جديد من خلال أعماله داخل هذه المدرسة، لذا جاءت هذه الدراسة التي هي بعنوان المدرسة النقدية عند (هابرماس) لتسليط الضوء عن أهم أعماله وهي نظرية الفعل التواصلي التي جعل من التواصل واللغة أساسها.

محاولا من خلال نظريته ضبط القوانين التي تتحكم في التواصل، والتي أهمها بناء وعي مستقل وواع، لا تسيره مؤسسات أو أيديولوجيات معينة (النظام السياسي-الأحزاب)، معيدا للعقل اعتباره، بعدمانادت أغلب التيارات الفلسفية التخلي عنه، وقد استند لتأسيس نظريته على مرجعيات سوسيولوجية وفلسفية ولغوية متعددة.

الكلمات المفتاحية: نظرية- نقدية- فعل- تواصل.

Abstract

Habermas is one of the pioneers of the second generation of the critical school, which remains at the forefront of scientific giving today. He has always sought to create a new direction through her work inside this school. This study, named Habermas Critical School, to highlights her most important work, which is communicative action theory that make communication and language as a basis.

Through his theory, trying to adjust the laws that control communication, their Important is building an independent awareness and consciousness Certain institutions or ideologies (the political system - parties) are not functioning, restoring the mind, After most of the philosophical currents called for his abandonment, he relied on establishing his theory on various sociological, philosophical and linguistic references.

Keywords: theory; critical; action; communication;

مقدمة

شكل عصر الأنوار مرحلة مهمة للمجتمع الأوروبي الذي رأى فيه أنه تخلص من العصور الوسطى التي استمرت قرون طويلة وكانت لها مخلفات على الفكر الأوروبي، هذه المرحلة التي تميزت بالمناداة بالحرية والمساواة والتخلص من السيطرة والعبودية، وكذا تحرر العقل من القيود والأساطير، مشكلة ما عرف بمشروع الحداثة.

بالرغم من هذه الوعود إلا أن المجتمع الرأسمالي وجد نفسه يتخبط ويعاني العديد من المشاكل والأزمات أدخلت الأفراد في حالة من الاغتراب والتشيؤ، ونتج عن عقل الأنوار عقل آخر وهو العقل الأداتي وجد الأفراد أنفسهم تحت سيطرة بشكل آخر خاصة مع ظهور التقنية. فأثبت مشروع الحداثة فشله، وتبين انهيار العقل بحسب العديد من التيارات والمذاهب والفلسفات التي نادت برفض مشروع الحداثة، وطالبت بنقد عقل التنوير.

إلا أن رائد المدرسة النقدية (هابرماس) بالرغم من نقده للعقل الأداتي، إلا أنه لم يرفض مشروع الحداثة، واعتبره مشروع لا بد أن يترك ليكتمل، كما حاول إعادة مجد العقل عن طريق إدخال البعد التواصلي في العقلانية، فالعقلانية التواصلية كانت بحسب (هابرماس) سبيل لخلق نظرية نقدية للمجتمع.

ومنه من خلال هذه الورقة سنحاول تناول إحدى أعمال (هابرماس) وهي نظرية الفعل التواصلي التي تعتبر أحد المراحل الثلاث للوصول إلى العقلانية التواصلية.

أولا–المدرسة النقدية:

اكتسبت المدرسة النقدية هذه الصفة لتركيز أصحابها، أولا، على نقد أوجه من المعرفة ومناهجها، وخاصة ما يرتبط بالوضعية، ومن ضمنها الحتمية الاقتصادية، وثانيا: لما وجه أصحابها في معظمهم من نقد للمجتمعات الحديثة التي اتصفت بالهيمنة على الفرد اجتماعيا وثقافيا، وبما تطور فيها من سلطات مركزية مهيمنة[1]، كما حاولت هذه النظرية تفسير سبب عدم حدوث الثورة الاشتراكية التي تنبأ بها ماركس في منتصف القرن التاسع عشر كما كان متوقعا[2]، إضافة إلى أنها كانت تهدف إلى تطوير مقاربة مع الماركسية التي تدين كثيرا (لهيغل)، وتؤكد بقوة على السياسة والثقافة أكثر مما هو عليه الحال في الماركسية التقليدية[3]، وتعتبر إسهامات أعضائها النظرية والمنهجية محاولات لإعادة بناء النظرية الاجتماعية والمعرفة والتصورات الثقافية بالتركيز على مقاربة المفهوم للموضوع، والنظرية بالواقع، وخاصة بما يرتبط بالمجتمعات الحديثة[4].

وقد عرفت أيضا بمدرسة فرانكفورت، حيث نشأت عام 1923م كمعهد جامعي للأبحاث في جامعة فرانكفورت بقيادة (جرونبرغ) لكن التوجه المعرفي والمنهجي الحقيقيين تبلورا بشكل واضح منذ عام 1930م، وبعد أن تولى (ماكس هوركهايمر) القيادة عام 1924م، وقد ضمت مجموعة من الباحثين من تخصصات مختلفة من أبرزهم (أدورنو) و(ماركيوزا) و(فروم) ثم أخيرا (هابرماس)[5].

ومرت النظرية النقدية بعدة مراحل حسب ما جاء في كتابات (هولموت دوبيل) عام 1978م، وهي:

1–المرحلة الأولى (1930–1937): وهي المرحلة التي شهدت ازدهار النظرية النقدية، وكان يطلق على مشروعها النظرية الاقتصادية للمجتمع أو المادية، حيث كان الاعتماد لا يزال مرتبطا بالماركسية ونقد الاقتصاد السياسي، مع تركيز على نظرية

الثورة الماركسية، وقد شهدت هذه المرحلة محاولة تطوير علم نفس اجتماعي ماركسي، كما ظهر هذا في كتابات (أريك فروم)، ولم يكن مصطلح النظرية النقدية قد استخدم إلا بعد عام 1937م[6].

وفي خطاب الافتتاح للمعهد أكد (فليكس ويل) انتماءه للنظرية الماركسية، داعيا في ذلك إلى ضرورة تجديدها وهذا ما يؤكد أن المدرسة في هذه المرحلة كانت على علاقة متميزة بالماركسية وبالأحزاب الشيوعية والاشتراكية.

إلا أنه مع 1931م بدأت المدرسة في تغيير توجهها، وهذا عند تولي (ماركس هوركهايمر) إدارة المعهد وبهذا بدأت تتبلور أعمالها بشكل منسق وفعال، حيث ركز على علم الاجتماع والفلسفة بدلا من التاريخ والاقتصاد السياسي كما طور أبحاثا بغية تجديد الماركسية، من أجل دراسة الواقع، وحل المشكلات الإنسانية، ولهذا كان اهتمام المعهد في هذه المرحلة منصبا على علم النفس، وعلم النفس الاجتماعي، من أجل فهم الوعي الطبقي.

إلا أن هذه الأعمال تعرضت للانقطاع بعد مجيئ النازية إلى الحكم سنة 1933م، وهجرة معظم فلاسفة المعهد إلى جنيف ونيويورك، وهذا ما جعل المعهد يتعرض لمشاكل حادة في التوجيه والتسيير والمالية، ولكن المدرسة في هذه المرحلة بالضبط رغم الاضطرابات والصعوبات التي واجهتها إلا أنها عرفت توجها جديدا عرف باسم النظرية النقدية، هذه الأخيرة التي اتخذت من نقد المجتمع الحديث وتوجهاته البربرية موضوعا لها، وأيضا نقد الماركسية باعتبارها نظرية غير مطابقة، وغير كافية للعمليات الاجتماعية[7].

2-المرحلة الثانية 1937-1940م: وقد شهدت محاولات التوفيق بين الفلسفة والنظرية الاجتماعية، وخاصة في تناول مواضيع كالفاشية والنازية والوضع اليهودي، مع ابتعاد نسبي عن المسألة العمالية، عدا محاولة تفسير كمون الدور التاريخي للطبقة العمالية، واستبدال هذا بالاهتمام بالمثقفين النقديين، وضرورة ارتباط النظري بالواقع.

3-المرحلة الثالثة 1940-1945م[8]: تميزت هذه المرحلة بقيام أكبر ثلاث مفكرين بمدرسة فرانكفورت هم: (هربرت ماركوزه) و(تيودور أدورنو) و(ماكس هوركهايمر) خلال فترة حرب هتلر للولايات المتحدة الأمريكية فقد راقبوا نشأة وسقوط الدولة النازية، ومن ثم عملية سيطرة وتعزيز النظام الرأسمالي فيما بعد الحرب في الحياة مع تزايد التحرر من الوهم، كما راقبوا عن قرب تحرير طبقة العمال المتوقع أنهم فاقدي الأمل، وبشكل أساسي بسبب اعتقادهم وإيمانهم غير المحدود بقوى البناء الفوقي والتي رأوا دورها وهي تنتشر بشكل واضح تسيطر على الحياة المتقدمة تحت ظل الرأسمالية، وبالنسبة للعديد من المفكرين فإن الوسائل الفكرية والعقلية التي تم استخدامها لشرح انتصار الرأسمالية من خلال هذه القوى ظل مرتبط بشكل قوي بعملية فهم الحياة المعاصرة[9].

كما تم في هذه المرحلة طرح موضوع العقل وعودته إلى الأسطورة، وهذا ما تناوله (هوركهايمر) و(أدورنو) في كتابهما جدل التنوير، هذا الأخير الذي تم نشره عام 1947م، والذي يعتبر بمثابة البيان الفلسفي للمدرسة ولموقفها من التنوير، ولذلك أصبحت النظرية النقدية حسب عبارة (هوركهايمر) تشكل أداة للمعركة من أجل المستقبل معتبرة أن المستقبل الذي ترغب في بنائه قائم في الحاضر المعاش، وهذا ما اتضح في أعمال جماعية وفردية مثل كتاب أفول العقل (لهركهايمر)، وكتاب جدل السلب (لأدورنو)، وكتاب الانسان ذو البعد الواحد (لماركيوز) من أجل تقديم قراءة نقدية للتنوير مبرزين جوانبه الإيجابية والسلبية، ولهذا أصبحت الأطروحة الأساسية هي أن العقل سقط في الأسطورة هذه الأخيرة التي أصبحت جزءا لا يتجزأ منه، ومحركا له (إن الأسطورة تنجز التنوير، وإن التنوير في كل خطوة يغرق أكثر في الأسطورة)[10].

ثانيا–إسهامات هابرماس في المدرسة النقدية وأهم اهتماماته الفكرية:

يقول (هابرماس) في تعريف للنظرية النقدية إنها محاولة للقضاء على المعاناة التي يتسبب فيها البشر والقائمة في صلب الأبنية الاجتماعية اللازمة لتكاثر الحياة البشرية[11].

إن اسهامات (هابرماس) في المدرسة النقدية تمثلت في أنه يخلص للنقد الفلسفي ورسالته، فلم يكن مجرد امتداد للجيل الأول من أصحاب النظرية النقدية، وإنما كان ومازال ناقدا للنقد أيضا، بذلك أعطى التنوير دلالة إيجابية فعالة، وخلصه من صفاته السلبية المدمرة التي دمغها به أستاذاه (أدورنو) و(هوركهايمر) وأستحق أن يوصف بأنه المعبر عن التنوير العقلي في القرن العشرين والحريص على تكوين رأي عام واع حر ومستنير.

فمدرسة فرانكفورت قد تمخضت عبر كل تياراتها عن ظهور فيلسوف جديد يعتبر بحق الوريث والممثل الحالي للمدرسة وهو (هابرماس) الذي مازال في قمة عطائه الفلسفي، فقد اتبع (هابرماس) الخط الفلسفي النقدي نفسه الذي تأسس على يد فلاسفة مدرسة فرانكفورت، ويقول (أبو النور حمدي أبو النور حسن) مع (رود بجر بوبنر): أن (هابرماس) قام بتطوير للنظرية النقدية تجاوز مجرد الموقف النقدي الدفاعي إزاء كل ما كان موضع ارتياب في مجموعة القواعد المستندة لمدرسة فرانكفورت بوصفها نظرية تقليدية.

فكان بأعماله المختلفة المهندس الرئيسي للنظرية النقدية الجديدة، وهذا نابع من خلال أعماله التي حاول فيها جاهدا أن يطور المفهوم الفلسفي للنظرية النقدية ومدرسة فرانكفورت، وتأثر (هابرماس) كثيرا بالعديد من المذاهب والاتجاهات الفلسفية منها الكانطية والهيجلية والماركسية والتيارات الفلسفية الألمانية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر[12].

حيث كان (كانط) و(ماركس) و(هيجل) يؤمنون إيمانا راسخا وأن اختلفت أساليبهم بأن الحرية والعقل يستطيعان الانتصار بل وسوف ينتصران في العالم، وكان (هابرماس) يشاركهم أيضا جانبا من هذا الايمان ويستخدم بعض مناهجهم وحججهم، وهكذا كان يشارك (كانط) موقفه من عمومية/ عالمية الأخلاق، واستخدامه لأسلوب التعالي ووضع الأسس وشروط الإمكان في إقامة الحجة ووضع الخطوط العريضة على أساس التقسيم الثلاثي في العادة (مثل القول بوجود عالم نظري، وآخر عملي وثالث جمالي، أو القول باختلاف العلم عن الأخلاق وعن الفن)، وكان يحذو حذو (هيجل) في الرغبة في تجسيد الحرية والعقل في مؤسسات خاصة، وفي السعي للتوفيق بين الأضداد الظاهرية داخل ضرب من الكيان الشامل المجسد (الميتانظري) (وهو ما كان يسميه النظام وعالم الحياة).

وتبنى نظرة (ماركس) الذي يقول على عكس (هيجل): بأن السعي للتحرر البشري كان بالضرورة مشروعا ناقصا لأن الأحوال المادية التي يقوم على أساسها تخضع للتغيير، مثل التصورات الخاصة بالحرية والعقل (داخل إطار قواعد التعالي في الممارسة الفكرية)، إضافة إلى مشاركته (ماركس) فهمه لحدود الفلسفة باعتبارها وسيلة التحرر البشري، إذ أن الأشكال الأخرى للمعرفة داخل العلوم الإنسانية تتمتع بأهمية مساوية لها[13].

فكما تم توضيحه حول تأثر (هابرماس) بالعديد من المذاهب والاتجاهات الفلسفية فإلى جانب الكانطية والهيجلية والماركسية والتيارات الفلسفية الألمانية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فإننا نجد أن المصادر الأساسية لنظرية (هابرماس) النقدية قد بدأت أولا من خلال تأثره العميق بفسلفة (هيدجر)، ثم الفلاسفة الألمان المعاصرين وخاصة رواد مدرسة فرانكفورت الذين جمعوا بين الفلسفة والسوسيولوجيا والمنظور السياسي في دراسة الواقع، فتأثير (هيدجر) تمثل في البداية بالدراسات الثلاث

التي كرسها (هابرماس) (لهيدجر) والتي جمعها في كتابه (جوانب فلسفية وسياسية) الصادر عام 1983م، وهذا الكتاب يعكس التكوين النقدي المبكر لدى (هابرماس).

وقد تأثر (هابرماس) أيضا بأستاذه المباشر والذي عمل معه وهو (أدورنو)، وذلك من خلال أفكاره الفلسفية، ومن الشخصيات التي تأثر بها (هابرماس) أيضا نجد (كارل ياسبرر) الذي كان له تأثير كبير على تكوين (هابرماس) الفكري خاصة في دراسته للفيلسوف (شلنج) الذي قدم حوله أطروحته الأولى للدكتوراه، ثم (ارنست بلوخ) و(ماركيوز) و(كارل لوفيت)، وفيلسوف اللغة (فتجنشتين)، و(ارنولد غيهلن)، وبخلاف هؤلاء نجد أن (هابرماس) قد اعتمد على المنجزات العلمية (لتشومسكي) حول مسألة أن اللغة لا تشكل انعكاسة بسيطة لما هو واقع، ولكنها مجموع تنظيمي يحتوي مجموعة من المخططات الخاصة بعالم الأوليات[14].

ومنه اتسمت اهتمامات (هابرماس) المعرفية والبحثية بصبغة تحولية انتقالية، ففي الستنيات كانت ابستمولوجية وفي السبعينيات سوسيولوجية، وفي مطلع الثمانينيات إلى تأويلية لغوية مشفوعة بأساس اجتماعي. ومنه فإن المراحل التي مر بها (هابرماس) فكريا كانت كالاتي:

1- المرحلة الأولى: انشغل فيها بنقد الفكر الوضعي الذي ساد الغرب ولاسيما بعد التطور الرأسمالي والإنجازات العلمية في علوم الطبيعة والتقدم التكنولوجي، وكيف أن هذا الفكر استغل عقلانية حركة التنوير والحداثة.

2-في مرحلته الثانية: هم ببناء نظرية في الفلسفة الاجتماعية قائمة على إعادة مجد التنوير والتحديث وصياغة عقلانية من نوع مغاير لعقلانية العلوم الطبيعية مجالها العلوم الإنسانية ومحورها الانسان، وتسترشد بالمنجزات العصرية للعلوم الاجتماعية وعلوم الاتصال واللغة وعلم النفس التربوي، ذلك من أجل التحرر والخلاص.

3-أما المرحلة الثالثة: فهي مرحلة تحددت عند (هابرماس) ببلورة مفهوم الحداثة، ونقده لتيار ما بعد الحداثة.

4-ويمكن الحديث عن مرحلة رابعة على أنها المرحلة التي انشغل فيها (هابرماس) بالتأسيس الفلسفي للنظرية السياسية.

5-مرحلة خامسة: تتمثل في محاولة (هابرماس) حل النزاع بين الدين والعلمانية، وذلك عبر إنتاج فكرة جديدة عن المجتمعات المعاصرة، والتي يسميها (هابرماس) بالمجتمعات ما بعد العلمانية[15].

ثالثا-العقل الأداتي:

يعد هابرماس ممثلا للجيل الثاني من النظرية النقدية التي أخذت على عاتقها نقد عقل التنوير، وتجلى هذا النقد بصورة واضحة في (جدول التنوير) (لهوركهايمر) و(أدورنو) الذي عبرا فيه عن الانتكاس التي أصابت التنوير والنكوص الذي أصاب العقل عندما تم توظيفه كأداة لخدمة الإنتاج الصناعي في المجتمعات الرأسمالية، وما ترتب عن ذلك من اغتراب الذات عن الموضوع وتحول عقل التنوير إلى ما أطلق عليه اسم (العقل الأداتي)[16], الذي تم التطرق إلى مفهومه واستكشافه في سلسلة من المؤلفات أبرزها ما كتبه (هوركهايمر) و(أدورنو) معا بعنوان (جدل التنوير) 1972م ومؤلف (هوركهايمر) أفول العقل 1974م وكتاب (ماركوزه) الانسان ذو البعد الواحد 1964م[17].

والعقل الأداتي لدى هؤلاء هو منطق في التفكير وأسلوب في رؤية العالم، أي أن العالم الاجتماعي أصبح له طبيعة ثانية وأصبح كالطبيعة غير قابل للتغيير ومستقلا عن أفعالنا. كما يذهب (هوركهيمر) إلى أن العقل الأداتي هو العقل المهيمن في

المجتمعات الرأسمالية الحديثة التي فقد فيها العقل دوره كملكة فكرية وتم تقليصه إلى مجرد أداة لتوفير الوسائل، وأدى ذلك إلى فقدان العقل للقدرة على الادراك للحقائق في ذاتها حيث أصبح كل شيء مجرد وسيلة[18].

وقد شارك (هابرماس) أعضاء الجيل الأول في نقدهم للعقل الأداتي[19]، بسبب مركزيته في الفكر الغربي وسيطرته على العقول الغربية في ظل الرأسمالية الحديثة[20]، فمنذ أول أعماله (بنية الرأي العام) عام 1962م، و(أزمة الشرعية) عام 1973م حاول (هابرماس) تفكيك البنية الاقتصادية والاجتماعية التي انتجت العقل الأداتي ومكنته من الهيمنة على الوعي الفردي والجماعي وأفرزت أزمته[21].

والعقل الأداتي لدى (هابرماس) يمثل العقل الغائي، فهو إما أن يكون أداتيا أو اختبارا عقلانيا أو مركب منهما، ويهتدي العقل الأداتي بالقواعد التقنية التي تقوم على معرفة تجريبية ويحقق هذا العقل أهداف محددة في ظل شروط واضحة[22].

فمصطلح الأداتية عند (هابرماس) تحمل مضمونين (أحدهما إنه يمثل أسلوب لرؤية العالم والمضمون الآخر أنه يمثل أسلوب لرؤية المعرفة النظرية، مما يوضح صلة العقل الأداتي بالأغراض العملية[23].

إلا أنه كان بإمكان (هابرماس) أن يسير في الجدل السلبي الذي سار فيه (أدورنو)، ولكنه لم يجد فيه عاملا مساعدا على بناء نظرية نقدية متناسقة منهجيا، وذلك على من الرغم أن الفرصة لذلك كانت مواتية عندما بحث كل من (هوركهيمر) و(ماركوزه) أوائل الثلاثينيات في بدايات الفلسفة البرجوازية العقلية ووجدا فيها إمكانات عقلية كان من الممكن تنميتها على يد الطبقة العاملة والطبقات الهامشية، ولكن جدل التنوير كشف عن انهيار العقل، وبدأت الشكوك تحوم حول هذا الأمر، وخاصة (أدورنو) كشف عن تناقضات النظرية النقدية وأظهر التنوير في شكل معاد للحقيقة والصدق، فرأى (هابرماس) أنه لابد أن يخرج من دائرة الجدل السلبي الذي لم يتبنى سواء جانب الهدم[24]. فقام بإحالة العقل الأداتي إلى عقل آخر وهو العقل التواصلي الذي استطاع (هابرماس) من خلاله أن يغربل مفهوم العقل الأداتي[25].

رابعا–العقلانية التواصلية:

انطلق (هابرماس) من مفهوم جديد للعقلانية، فإذا كانت الحداثة الأوروبية قد انتهت إلى ما يعرف بالعقل الأداتي، فقد أدانته كل التيارات الفلسفية المضادة للحداثة وتعالت صيحات التخلي عن العقل وعن الفلسفة التي يعتبر العقل موضوعها الأساسي، ومن هنا جاءت دعوة (هابرماس) لتفعيل دور الفلسفة والتأكيد على أهمية العقل باعتباره المنطلق الأساسي لأي نظرية في المجتمع. ولذلك أراد (هابرماس) تفجير الطاقة الإبداعية لعقل التنوير باعتبار أن الحداثة مشروع لم يكتمل بعد، وإذا كان التطور الحديث بحسب رأيه كشف عن سلبيات العقلانية الأداتية، فإن هذا ليس مبررا كافيا للتخلي عن مشروع الحداثة بل لا بد وأن تواصل المجتمعات الحديثة تطورها باستكمال هذا المفهوم الأداتي بإدخال البعد التواصلي في مفهوم العقلانية[26].

فنقد العقل من قبل التيارات الفلسفية المعاصرة هو الذي دفع (هابرماس) لإعادة صياغة نظرية عقلانية جديدة، كما دفعته فلسفة (هيدجر) بتحليلاته الأنطولوجيه (التي ركزت على وجود الانسان في العالم ووجوده مع الآخرين، ولم تنطلق من الوعي) إلى الاهتمام بالوعي الفردى والوعي الجماعي، ومحاولة الكشف عن قدرة هذا الوعي على تحديد نمط الوجود، فتأسست لديه البدايات الأولى التي قادته إلى التطلع نحو التحرر الاجتماعي من منظور سوسيولوجي وهو المنظور الغائب في فلسفة (هيدجر) ولذلك كان هدف (هابرماس) هو تحرير الوعي الاجتماعي، وتأسيس نظرية تقوم على التواصل الإنساني[27].

إن أهم المكونات الأساسية لمشروع (هابرماس) التواصلي علم الاجتماع وارتباطه بمشكلات العقلانية، ومن هنا كان اهتمامه بعلماء الاجتماع أمثال (ماكس فيبر) و(دور كايم) و(تالكوت بارسونز) فقام هابرماس بالتأليف بين النزعة الوظيفية عند (بارسونز) وبين النظرية العقلانية عند (فيبر) معتمدا على التحليل الماركسي, لذلك يمكن لنا أن نقول أن النظرية العقلانية عند (فيبر) تعد مرجعا أساسيا لمشروع (هابرماس) في محاولة إعادة بناء العقلانية الاجتماعية[28]، وذلك بعد أن قام بتحليل المفهوم العقلي عنده[29].

يقول (هابرماس) في كتابه (نظرية العقل التواصلي): إن (فيبر) ينظر إلى مفهوم العقلانية العملية من ثلاث جهات هي استخدام الوسائل- وضع الغايات والتوجه نحو القيم فتقاس العقلانية الأداتية لفعل أو بالتخطيط الفعال لتطبيق الوسائل في سبيل الوصول إلى أهداف معينة، وتقاس عقلانية اختيار الفعل بالتقدير الصحيح للغاية والأهداف وتقاس العقلانية المعيارية للفعل بالقدرة على التوحيد والتنظيم المنهجي إلى الأفعال التي تحقق شروط عقلانية الوسائل والاختبار اسم العقلانية الغائية وأطلق عنها اسم (عقلانية القيم).

أي أن (فيبر) قسم النشاط العقلي إلى ثلاث مجالات هي (مجال الواقعية الموضوعية العلمية- مجال المعايير والمشروعية أو المشروعية الأخلاقية، مجال القيم والدلالات الرمزية أو المعايير الجمالية، وقد فصل (فيبر) بين المجالات الثلاثة.

وحاول (هابرماس) إعادة النظر في هذه المجالات الثلاثة من أجل وضع نظرية عقلانية للمجتمع، وبذلك دمج هذه المجالات (العلم-الأخلاق- الفن) التي فصلها (فيبر) عن بعضها البعض، وهذه المجالات الثلاث يدمجها (هابرماس) لكي تتعاون، وذلك لإحداث نوع من الاستقرار مما يجعل النجاح في مستوى أي منهما يرتبط بالنجاح في المستويين الآخرين. وعندما يحاول (هابرماس) إعادة صياغة العقلانية فإنه يحلل النشاط العقلي في كل أبعاده، وهنا جاء (هابرماس) ليؤكد على النشاط التواصلي[30].

يحدد (هابرماس) مفهوم العقلانية بقوله: إن ما نسميه (عقلانية) هو أولا الاستعداد الذي تبرهن عليه ذوات قادرة على الكلام والعمل وعلى اكتساب وتطبيق معرفة قابلة للخطأ، وإذا كانت الحداثة قد انتهت بما يسميه (هابرماس) بالتمايز بين العلم والأخلاق والفن، فإن قصر مفهوم العقل على فلسفات الوعي، مؤكدا أن الوعي يمثل جانبا واحدا فقط من النشاط العقلي، وأراد وضع العقل في إطار أشمل، لهذا قام بإدخال البعد التواصلي في مفهومه الجديد عن العقلانية[31].

ويتضمن مفهوم العقلانية التواصلية كل ما يتعلق بالنشاط العقلي، ولما كان هذا النشاط العقلي يدور حول المعرفة وتطبيقاتها، فقد قسمه (هابرماس) إلى نوعين: نشاط عقلي-أداتي وهو النشاط الموجه إلى غاية ويحقق النفع، وتسخر فيه المعرفة من أجل النجاح، ويستخدم الانسان هذا النوع من النشاط لمعرفة البيئة المحيطة به[32]، ونشاط عقلي وتواصلي وتمارسه ذوات قادرة على الكلام والفعل، فإذا كانت غاية النشاط الأداتي هو تحقيق المنفعة والنجاح عن طريق التقنية للسيطرة على البيئة الطبيعية والإنسانية على سواء، فإن غاية النشاط التواصلي باعتباره معينا بما يجري في الحياة الاجتماعية هو التوجه نحو التفاهم بين الذوات.

بمعنى آخر ينظر (هابرماس) إلى النشاط العقلي من منظورين أحدهما هو المنظور الأداتي أو الاستخدام الأداتي للمعرفة، والآخر هو المنظور التواصلي، وهو نوع من المعرفة التعبيرية اللغوية، من هذين النوعين من النشاط العقلي يصوغ (هابرماس)

مفهوما تركيبيا لعقلانية تواصلية جديدة تجمع بين المجالات الثلاثة للعقل عند (كانط) أي العقل النظري والعلمي وملكة الحكم[33].

منه فإن (هابرماس) يهدف من خلال العقلانية التواصلية إلى وضع نظرية نقدية للمجتمع تقوم على أسس عقلانية، فيقول: أريد أن أوضح أنه من الممكن تطوير نظرية الحداثة باستخدام نظرية تواصلية تملك الدقة التحليلية التي تحتاجها الظاهرة الاجتماعية المرضية التي يمارسها الماركسيون بالتشيؤ[34].

1- شروط تحقيق التجربة التواصلية:

لا يريد (هابرماس) للنشاط التواصلي أن يتخبط في العشوائية، وحتى لا يصبح تواصلا مشوها لابد أن تحكمه شروط يجب أن تتوافر في المشاركين في التفاعل[35]، وتتمثل هذه الشروط في:

أ-أن النشاط التواصلي لن يتم إلا من خلال علاقة تفاعل بين فردين أو أكثر داخل سياق العالم المعيش، ولذلك فمن حق كل شخص له القدرة على الكلام والفعل أن يشارك في التجربة التواصلية، على أن يعلن اعترافه بمزاعم أو مطالب الصدق المتفق عليها.

ب-أن تتم عملية التواصل من خلال اللغة التي يتم بواسطتها علاقة بين المشاركين في التفاعل وبين العالم الخارجي، وبينهم وبين الذوات الأخرى، باعتبار اللغة الوسيط الأساسي في النشاط التواصلي، وعن طريقها يتم الوصول إلى نوع من التفاهم بتوظيف الجمل والعبارات أو التعبيرات التي يتلفظ بها أعضاء الجماعة المشاركة في التواصل سواء كانوا متحدثين أو مستمعين.

ج-أن تهدف التجربة التواصلية للوصول إلى اتفاق بين الذوات المشاركة في التفاعل، ويفترض هذا الاتفاق وجود معرفة مشتركة بينهم، أو على الأقل وجود نوع من التقارب في وجهات النظر، وأن يتم الاعتراف المتبادل على مزاعم الصدق من أجل الوصول إلى إجماع[36].

د-يفترض المشاركون في التواصل أن الحوار له (قواعده الأخلاقية التي من أهمها توافر ظروف تضمن الاجماع الذي لن يتم الوصول إليه إلا عن طريق قوة الأطروحة الأفضل، وبهذا يخضع الحوار لمعايير مفهومة يمكن تبريرها والبرهنة عليها بحجج عقلانية معترف بها من قبل أطراف التواصل[37].

هـ-أن يتاح لكل مشارك في الحوار فرصة مساوية لسائر المشاركين، وأن يتمتع كل منهم بحق التأكيد أو الدفاع أو التساؤل حول ما يراه من قبول أو رفض لمزاعم الصدق وفق المعايير المعترف بها، مع الاعتراف بإمكانية الوقوع في الخطأ، وإمكانية تصحيحه أيضا فلا شيء يعلو على النقد ولا تمارس أي سلطة على الحوار سوى سلطة العقل.

و-أن يعبر كل مشارك في التواصل عن مزاعم الصدق والقدرة على تبريرها للمشاركة في عملية التفاهم المتبادل بأن: يختار تعبيرا معقولا لكي يتمكن المتكلم والمستمع من تفهم الواحد للآخر، والمتكلم يجب أن تكون له نية توصيل مضمون قضوى (من القضية) حقيقي لكي يتمكن المستمع من مشاطرة معرفته، وعلى هذا المتكلم أيضا أن يعبر عن مقاصده بصدق، لكي يتمكن المستمع من تصديق تلفظ المتكلم (والثقة به)، وأخيرا يتعين على المتكلم اختيار تلفظ دقيق بالقياس إلى المعايير والقيم الجاري بها العمل، لكي يتمكن المستمع من قبول هذا التلفظ بطريقة تجعل المتكلم والمستمع في وضعية القدرة على الاتفاق على التلفظ ذي الخلفية المعيارية[38].

2- نظرية الفعل التواصلي:

بدأ (هابرماس) يصوغ نظريته في الفعل التواصلي صياغة جادة في أواخر الستنيات نتيجة بحثه الطويل للتغلب على مشكلتين نشأتا في النظرية النقدية، أما الأولى فكانت تختص بمشكلة (ما ينبغي) أي مشكلة القيمة، لأن الموقف الماركسي الأصلي كان قائما على النقد (الحالي) للرأسمالية، أي التناقض بين ما وعدت بتحقيقه من حرية بشرية واكتفاء مادي وبين ما حققته في الواقع، وعندما انتصر العقل النفعي والعلم التكنوقراطي باعتباره أيديولوجية، انطمس هذا التناقض وأصبح على الباحث أن ينشد المصادر (الهزيلة) للمعارضة الأيديولوجية خارج (النظام).

وكان (هابرماس) يرى أنه وجد أساسا جديدا للبحث النقدي الحالي في الممارسة اللغوية، ما دامت قيم الاستقلال والمسؤولية كامنة في تلك الممارسة، بمعنى أن الناس كانوا يطلبون في ممارستهم اللغوية، دون قصد منهم، توافر شروط عدم إلتواء الكلام، وأما المشكلة الثانية فكانت تتمثل في التغلب على تشاؤم (هوركهايمر) و(أدورنو) اللذين كانا قد اقتنعا بحجة (فيبر) التي تقول إن الحداثة تنحصر في انتصار العقلانية النفعية[39]. على الرغم من أن (هابرماس) لم يرفض العقل النفعي نفسه[40].

وفي كتابه (نظرية الفعل التواصلي) لا يكف (هابرماس) عن مواصلة المسير في محاولة لتكوين توجه أخلاقي جديد يفتح أمامه أفاقا جديدة للتواصل تعمق الرابطة بين الفرد ومجتمعه، وذلك من خلال التأكيد على الممارسة العقلية التي تستند إلى معايير جوهرية تنفي الاستلاب الذي تعرضه المؤسسات المهيمنة، إن نقد (هابرماس) للعقلانية المعاصرة يبرره بأن العقل ليس جوهرا موضوعيا أو ذاتيا ولكنه فاعلية قائمة بذاتها، وعلى هذا فالنظرية الاجتماعية (لهابرماس) تعني القدرة النقدية وتأخذ شكل نقد العقل الوظيفي، وعليه يصير التواصل تناغما بين الانسان وذاته بين الذات ووعيها ويصير مدخلا لعالم المعاصرة الجديد[41].

ويعرض (هابرماس) أربعة نماذج للفعل استقاها من نظريات العلوم الاجتماعية:

أ-النموذج الغائي للفعل: ويطلق عليه اسم النموذج الاستراتيجي، وغالبا ما يفسر تفسيرا نفعيا، فالفاعل يفترض أنه يختار ويحسب الوسائل والغايات من وجهة نظر تحقيق أكبر قدر من المنفعة، وهذا النموذج هو الذي يكمن وراء كل مناهج البحث النظرية التي تحتاج إلى اتخاذ قرار في الاقتصاد والاجتماع وعلم النفس الاجتماعي[42].

ب-مفهوم نموذج الفعل: الذي توجهه وتنظمه المعايير، وهذا النموذج لا يشير إلى سلوك أفراد منعزلين يلتقون مصادفة بأفراد آخرين في محيطهم، وإنما يشير إلى سلوك أعضاء في جماعة اجتماعية، يوجهون نحو قيم مشتركة، فالفاعل الفرد يعمل وفق معيار معين عندما تتوافر في موقف معين شروط معينة، يمكن أن يطبق فيها ذلك المعيار، والمعايير تعبر عن اتفاق يتم التوصل إليه داخل جماعة معينة، وجميع أعضاء الجماعة الذين يعتقدون بصدق معيار معين، ينتظر منهم أن يتوقعوا من كل واحد منهم أن يقوم بتنفيذ الأفعال المطلوبة أو الامتناع عنها عندما تحكم ذلك مواقف معينة[43].

ج-مفهوم الفعل الدرامي: لا يحيل في المقام الأول إلى فاعل منفرد أو عضو في جماعة اجتماعية، وإنما يحيل إلى المساهمين في فعل مشترك بحيث يكونون جمهورا يعرضون أنفسهم أمامه، والفاعل هنا يثير في جمهوره صورة معينة أو إحساسا معينا عنه هو نفسه، وذلك بالكشف عن ذاتيته كشفا متعمدا أو غير متعمد (بشكل مباشر أو غير مباشر)، ففي الفعل الدرامي يستغل المساهمون هذا ويحركون أفعالهم المشتركة بإتاحة الفرصة للتعرف على عوالمهم الذاتية، وهكذا فإن مفهوم تقديم الذات لا يعني السلوك التعبيري التلقائي، بل التعبير المنظم عن التجارب الشخصية بالنظر إلى جمهور يراقب هذا التعبير، إن النموذج الدرامي للفعل

يستخدم قبل كل شيء في الوصف الفينومينولوجي للأفعال المشتركة (بين الذوات) ولكنه لم يتطور حتى الآن بحيث يصبح منهجا نظريا عاما[44].

د–مفهوم الفعل التواصلي: وهو الفعل العقلاني الوحيد الذي يرمي إلى فهم حقيقي، وغير تنافسي، قائم على التواضع ومدفوع بالفهم التعاوني بين الذوات، ومجرد من الأنانية والمصلحة، فهو الفعل الذي يحيل إلى الفعل المشترك لذاتين على الأقل قادرتين على الكلام والفعل، وإقامة علاقات شخصية مشتركة قائمة على أسس لغوية[45].

ويمر الفعل التواصلي حسب (هابرماس) بثلاث مراحل، هي:

أ–مرحلة التفاعل الذي تتوسطه رموز: وهذه المرحلة تقوم على فاعليتين: الأولى القول والثاني الفعل، فعن طريق الرمز التواصلي (القول) يتم التعبير عن رغبة في سلوك ما، وعن طريق النية في تحقيق هذا القول (الفعل) يتم تلبية تلك الرغبة، ومدلول القول والفعل يحدد كل منهما الآخر، ومن خلال هذه التبادلية في الدلالة يمكن أن يشكلا الحوار البينذاتي.

ب–مرحلة الخطاب المتميز بالنسبة لمضمونه: وفي هذه المرحلة ينفصل القول عن الفعل، فلا يمكن الاستناد إليهما بالنسبة للشخص الفاعل فقط، بل يدخل هنا موقف الشخص الملاحظ أو المشارك في الحوار، وهنا يمكن التبادل في التصورات بين المشاركين في الحوار، لذلك يمكن التنسيق بين رغبتين متبادلتين في السلوك، بحيث يشكلان نظاما من الدوافع المشتركة والمتكاملة، وهنا يتشكل الدور الاجتماعي، وفي هذه المرحلة تتميز الأفعال عن المعايير، أفعال الذوات ومعايير البينذاتية.

ج–مرحلة الخطاب البرهاني (الحجاجي): وهنا تتشكل مقتضيات الصلاحية، التي ترتبط بجانبين: الأول أفعال اللغة المنجزة بالمرحلة الأولى، والثاني معالجة افتراضات المعايير بحيث تكون قابلة لأن تكون شرعية أو غير شرعية.

هذه المراحل تشكل الاطار (الشكل) العام لنظرية الفعل التواصلي[46]، أو نظرية التواصل التي تعني فيما تعنيه بحسب (هابرماس) صياغة نظرية للتواصل وبلورة القوانين التي تتحكم فيه، هذا التواصل عبارة عن علاقة موازية حرة بين فئات المجتمع المتعددة المتباينة علاقة، تتوخى بناء وعي حر لا تحكمه المؤسسات، أو الأيديولوجيات المفروضة من قبل الأنظمة السياسية، علاقة تغوص إلى داخل مؤسسات المجتمع الغربي لتزيح عنها غلاف الزيف والتزييف[47].

إذ أنتجت الفلسفات المثالية والأداتية تواصلا بشريا مشوها وحوارا عقيما، فالتيار الهيغلي المثالي طرح شكلا ثنائيا للتواصل يقيم عبره شرخا بين الذات والواقع بإعتباره يعيد عالم الأشياء إلى الذات ولا يمنح الآخر أية قيمة أو دور في التفاهم والتحاور، وهذا التواصل الذي قدمه (هيغل) يعيد القمع ويكرس العنف، إنه تواصل مشوه من خلال العنف عمليا ديالكيتكيا، ليس التفاعل اللاقسري بين الذوات وإنما تاريخ قمعه.

فالأداتية الغربية أضعفت أواصر التواصل والتفاعل بين البشر، وأغرقت الانسان المعاصر أكثر فأكثر في الوحدانية والفردانية، فإنفلت العالم إلى أشكال ممزقة من المعاني التي تتكلم أصواتا متعددة تتفق مع تبايناتها التي أفقدتها الكثير من تناغمها وعمقها، مما أدى إلى فقدان قابليتها لتنظيم حياة الناس وإعطائها معنى.

من هنا استرجع (هابرماس) أهمية البعد اللغوي في الفلسفة الذي ظل زمنا غير مفكرا فيه أو حكرا على الصرامة اللسانية والبحوث الفيلولوجية، فاسترداد هذا البعد اللامفكر فيه، هو إعادة الاعتبار للتواصل الإيجابي المكلل بنتائج ومصالح تشمل كل المتخاطبين والمتواصلين. وبهذا ستكون اللغة عند (هابرماس) وسيطا اجتماعيا بين المتواصلين محدثة تفاعلا بينهم عن طريق التبادل والتداول، أي تنشئ بينهم علاقة البينذاتية التي تؤول إلى التفاهم والتحاور[48].

ويدين (هابرماس) في نظريته عن الفعل التواصلي إلى فلسفة اللغة....، كما استمد أيضا بعض عناصر نظرية الفعل التواصلي من نظرية أفعال الكلام بوجه خاص، ومن علم اللغة الاجتماعي (إن مفهوم الفعل التواصلي يفترض اللغة بوصفها الوسط الذي يمكن أن يتحقق فيه نوع من التفاهم، ومن خلاله يستطيع المشاركون في التفاعل أن يثيروا مزاعم الصدق التي يمكن الاتفاق عليها أو الاختلاف حولها)، كما طور (هابرماس) نظريته من بعض الأفكار المتعلقة بالمضامين التي ينطوي عليها الحوار أو المحادثة كما طورها مفكرون من أمثال (بول جرايس)، وقد كان أحد الأسباب التي دفعت (هابرماس) إلى هذا التحول نحو اللغة هو بغير شك ذلك الرفض المنتشر على نطاق واسع لما يسمى بالحجج التأسيسية في كل أشكالها ومظاهرها، وقد كان من أسباب هذا التحول أيضا اقتناع (هابرماس) المتزايد بأن التفكير التنويري (أو مشروع الحداثة)، قد قام بالتحديد بمثل هذا النقد وذلك بتركيزه الشديد على النموذج المعرفي المتمركز حول الذات، لهذا كان هدفه هو إعادة صياغة هذا المشروع التنويري أو الحداثي من خلال ما سماه بالبراجماطيقا (أو التداول اللغوي)[49].

تلعب اللغة إذن دورا أساسيا في نظرية الفعل التواصلي باعتبار اللغة الوسيط الأساسي للتواصل بين الذوات، وحجة (هابرماس) في هذا هو أن قدرتنا على التواصل ذات بنية وقواعد أساسية لا توجد إلا في اللغة التي تتعلمها وتتحدث بها كل الذوات، فالتجربة التواصلية ليست هي القدرة على إنتاج جمل لها قواعد، وليست اللغة مجرد نسق من الرموز له تركيبه النحوي ومعجمه وصوتياته، أو له خصائصه الدلالية فقط، بل يهتم (هابرماس) باللغة من منظور خصائصها التداولية، فاللغة تشكل عنده نسقا من القواعد تساعد على توليد تعبيرات لدرجة أن كل تعبير مصاغ بشكل صحيح يعتبر عنصرا من عناصر هذه اللغة، ومن ثم فإن الذوات القادرة على استعمال هذه التعبيرات تشارك في عمليات التواصل لأنها تستطيع التعبير وفهم الجمل والجواب عليها، تتشكل اللغة إذن من خلال التفاعل بين الذوات والحديث بين المشاركين في التفاعل يربطهم بالعالم المعيش حولهم، وبالذوات الأخرى، ويربطهم أيضا بمشاعرهم ورغباتهم ومقاصدهم[50].

وفيما يلي نذكر الشروط التداولية التي تعد أساسا للتواصل السليم والمعافى، التي تتمثل في:

أ–الصدق: عبارات المتكلم صادقة وغير مزيفة.

ب–المصداقية: يجب على المتكلم ألا يكون مقلا في حديثه فلا يفهم، ولا ثرثارا فيحشو ويطنب، بل محكم التعبير عن نواياه ومقاصده.

ج–الصلاحية المعيارية: يجب أن يكون استخدام العبارات والكلمات متطابقا ولا يخرج عن السياق المتعارف عليه في لغة المجتمع الذي ينتمي إليه المتكلم، وقد يضاف إلى هذا المستوى الثالث، مستوى رابع: المعقولية.

فالشرط الأول يحيا بالعلاقة بين اللغة والعالم الخارجي لأن اللغة تعبير عن أحداث أو وقائع موضوعية في العلم الخارجي، وهي موجودة بالفعل في دنيا الكائنات. وكلما جاء القول متطابقا مع الوقائع حصل الادراك وتم الفهم. أما الشرط الثاني فيحيل إلى مصداقية الذات المتكلمة عندما تتحدث عن موضوع ما، وهي مسألة نفسية ذهنية تتعلق بالانسجام بين ما نقول وما نشعر به، فالذات المتكلمة هي أول المتلقين. في حين يهتم الشرط الثالث بالصلاحية المعيارية التي تندرج في علاقة اللغة بعالم القيم والحياة الاجتماعية وما يشوبها من معتقدات وأحكام.

وتعمل هذه الشروط مجتمعة على تحديد غايات التفاهم وبلوغه، وهي تعكس علاقتنا: (بالعالم الخارجي الطبيعي– بالعالم الداخلي النفسي– بالعالم المعيشي أو عوالم العلاقات الاجتماعية)[51].

3- مكونات العالم المعيش:

عند الحديث على نظرية الفعل التواصلي والعقل التواصلي عند (هابرماس) لابد والتطرق إلى مفهوم العالم المعاش الذي يشكل عملية التفاهم بين الذوات الذي اهتم بها (هابرماس)[52]، إذ يرى (هابرماس) أن العالم المعيش يشكل الأفق لممارسة الفهم المتبادل، الذي يحاول فيه الفاعلون الذين يعملون من خلال التواصل أن يتوجهوا إلى خواتيم مشاكلهم اليومية وكيفية حلها[53]، لذلك فقد ركز عليه وخصص له الجزء الثاني من كتابه (نظرية الفعل التواصلي)، اعتمادا على أن نظريته في المجتمع لا يمكن أن تقتصر على نظرية الفعل التواصلي دون أن تستمد شرعيتها في العالم المعيش، ويؤكد (هابرماس) أن هذا العالم عرضة لتغير من خلال تحول بنية المجتمع ككل[54]. بمعنى آخر قدم (هابرماس) فكرة العالم المعيش باعتبارها مكملة لمفهوم العقل التواصلي، لأنها مرتبطة أيضا بالمجتمع، بل وتشكل سياق الفعل الاجتماعي[55].

وفكرة العالم المعيش ليست من ابتكار (هابرماس) ولكن لها جذور في الفكر الفلسفي الأوروبي فهي تمتد إلى (هوسرل)[56] ، في تحليل العالم المعيش تحليلا ظاهراتيا، كما أن (فيتجنشتين) قد تناوله من خلال تحليله لأشكال الحياة، إلا أنهما في رأي (هابرماس) لم يكن لهما هدف منهجي[57].وترتب على ذلك أن اتجه (هابرماس) إلى البحث في بناءات العالم المعيش بحثا تداوليا شكليا، بحيث يبرز البناءات التي تظل ثابتة على الرغم من تغير صور العالم المعيش وأشكال الحياة[58].

وقد تناول (هابرماس) في المجلد الثاني أربع نقاط أساسية يقوم عليها هذا الجزء، وهي:

أ-أن يوضح أن العالم المعيش مرتبط بالعوالم الثلاثة (الثقافة والمجتمع والشخص) وهي التي تقيم عليها الذوات –التي تهدف إلى التفاهم المتبادل- تحديداتها المشتركة للمواقف المختلفة.

ب-أن يطور مفهوم العالم المعيش بوصفه السياق الذي يتم فيه الفعل التواصلي ويربطه بمفهوم (دور كايم) عن الوعي الجمعي.

ج-أن يربط مفاهيم العالم المعيش التي تستخدم عادة في علم الاجتماع التفسيري بمفاهيم الحياة اليومية التي لا تصلح إلا للعرض السردي للأحداث التاريخية والظروف الاجتماعية.

د-أن يبحث في الوظائف التي يقوم بها الفعل التواصلي لإقامة عالم متنوع الأبنية. ويتم هذا البحث في أفق العالم المعيش بحيث يمكن بالاستناد إلى هذه الوظائف توضيح الشروط الضرورية لعقلنة العالم المعيش، ويؤدي هذا إلى آخر حدود البحوث النظرية التي توحد بين المجتمع والعالم المعيش، وفي هذه الحالة يقترح (هابرماس) أن نفهم المجتمع بوصفه نسقا وعالما معيشا في وقت واحد[59].

الخاتمة:

يعتبر الكثير من الباحثين أن (هابرماس) شخصية بارزة أعطى المدرسة النقدية صدى وتوجه مميز مما زاد من شهرتها، فإسهاماته تميزت بالثقل المعرفي والتنوع خاصة في مجالي الفلسفة والسوسيولوجيا، وهذا بسبب اتباع (هابرماس) تكوين علمي صارم اطلع فيه خلال مسيرته على العديد من الأبحاث والدراسات منذ القرن الثامن عشر إلى غاية من عاصره من باحثين ومفكرين ومنظرين مثل أعمال (كانط)، (هيجل)، (ماركس)، (دور كايم)، (ماكس فيبر)، (بارسونز)، (هيدجر)، (كارل ياسبرر)، (شلنج)، (تشومسكي) وغيرهم، الذين كان لهم دور كبير في تأسيس نظريته عن الفعل التواصلي، والتي حاولت هذه

الدراسة الاطلاع عن الأسباب التي دفعته لتأسيس هذه النظرية وأهم المراحل التي مر بها خلال وضع أسسها، ومنه يمكن ذكر أهم النتائج التي جاءت في هذه الدراسة:

1–أن الهدف الذي قامت عليه المدرسة النقدية هو بناء نظرية اجتماعية نقدية، هدفها نقد المجتمع الحديث بسبب هيمنة السلطات المركزية على أفرادها.

2–أن إسهامات رواد المدرسة النقدية كانت عبارة عن محاولة لربط النظرية بالواقع.

3–أن رواد مدرسة فرانكفورت عملوا على نقد عقل التنوير الذي تحول إلى عقل أداتي أصبح العقل فيه غير قادر على إدراك الحقائق، كما أصبح مجرد وسيلة (بمعنى آخر انتزاع الطابع الإنساني من الأشياء).

4–يعتبر (هابرماس) حسب الكثير من الباحثين أنه الوريث الحقيقي لمدرسة فرانكفورت، بسبب ما قدمه من إسهامات علمية جادة، فلم يرد (هابرماس) أن يستمر في الجدل السلبي الذي سار فيه (أدورنو) الذي لم يتبنى سواء جانب الهدم.

5–أن (هابرماس) بالرغم من نقده للعقل الأداتي إلى جانب (هوركهايمر) و(أدورنو) إلا أن النقد كان من أجل أن يعيد لعقل التنوير مجده، وذلك بإعلاء قيمة العقل باعتباره أساس أي نظرية اجتماعية، ولإكمال المفهوم الأداتي قام بإدخال البعد التواصلي في مفهوم العقلانية، أي عوض العقل الأداتي بعقلانية تواصلية.

6–حسب (هابرماس) يتضمن مفهوم العقلانية التواصلية كل ما يتعلق بالنشاط العقلي، الذي ينقسم بدوره إلى نشاط عقلي، ونشاط أداتي. ومن هذين النوعين من النشاط العقلي صاغ (هابرماس) مفهوما تركيبيا لعقلانية تواصلية جديدة.

7–أن الوصول للعقلانية التواصلية يتم عن طريق تواصل سليم أو ما يعرف بشروط تحقيق التجربة التواصلية ونظرية الفعل التواصلي (الفعل التواصلي) والعالم المعيش.

8–لتحقيق التجربة التواصلية لابد أن تتوفر فيها شروط عدة نذكر منها حسب (هابرماس) أن الحوار يكون مبني على قواعد أخلاقية، وأن تكون الفرصة مساوية لجميع المشاركين في الحوار.

9–في إطار تأسيس (هابرماس) لنظرية الفعل التواصلي أراد التغلب على مشكلتين وهما التغلب عن تشاؤم (هوركهايمر) و(أدورنو) اللذان اقتنعا بأن الحداثة تنحصر في انتصار العقلانية النفعية، أما المشكل الثاني مشكلة القيمة، فوجد (هابرماس) في الممارسة اللغوية اتجاها جديدا للبحث النقدي، مؤكدا كذلك على الممارسة العقلية بإرجاع قيمة العقل وذلك بعد انهياره عندما انتهت الحداثة الأوروبية إلى ما يعرف كما تم التوضيح سابقا إلى عقل أداتي الذي قام (هابرماس) بإحالته إلى عقل آخر وهو العقل التواصلي.

10–يعرف (هابرماس) الفعل التواصلي بأنه الفعل العقلاني الوحيد الذي يحيل إلى الفعل المشترك لذاتين على الأقل قادرتين على الكلام والفعل، ويرى أن الفعل التواصلي يمر بثلاث مراحل وجد أنها تشكل الإطار العام لنظرية الفعل التواصلي وهي مرحلة التفاعل الذي تتوسطه رموز، مرحلة الخطاب المتميز بالنسبة لمضمونه، مرحلة الخطاب البرهاني (الحجاجي). محاولا فتح أفق جديدة للتواصل بغية تعميق روابط الفرد بمجتمعه، وحتى يكون هذا التواصل سليم ومعافى من الكذب والخداع والزيف لابد من توافره على شروط، وهي الصدق، المصداقية، الصلاحية المعيارية، المعقولية.

11–اعتبر (هابرماس) أن فكرة العالم المعيش مكملة لمفهوم العقل التواصلي، فهو يشكل عملية التفاهم بين الذوات، وأن هذا العالم عرضة للتغير، وهو مرتبط بعوالم ثلاث هي الثقافة والمجتمع والشخص.

الهوامش:

[1]–إبراهيم عيسى عثمان: النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع (عمان)، 2008، ص181.

[2]– مصطفى خلف عبد الجواد: نظرية علم الاجتماع المعاصر، دار المسيرة للنشر والتوزيع (عمان)، 2011، ص514.

[3]–جون سكوت: علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، ترجمة: محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر (بيروت)، 2009، ص ص 420–421.

[4]– إبراهيم عيسى عثمان، مرجع سابق، ص 181.

[5]– نفس المرجع، ص 181.

[6]– نفس المرجع، ص ص 181–182.

[7]–مالك سماح: نقد الخطاب الحداثي والمقاربة التواصلية عند يورغن هابرماس، مذكرة ماجستير، قسم الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، (2011/2010)، ص ص 74–75.

[8]–إبراهيم عيسى عثمان، مرجع سابق، ص 182.

[9]– فليب جونز: النظريات الاجتماعية والممارسة البحثية، ترجمة: محمد ياسر خواجه، مصر العربية للنشر والتوزيع (القاهرة)، 2010، ص118.

[10]– مالك سماح، مرجع سابق، ص ص75–76.

[11]– سايمون تورمى، جولز تاونزند: المفكرون الأساسيون من النظرية النقدية إلى ما بعد الماركسية، ترجمة: محمد عناني، المركز القومي للترجمة (القاهرة)، 2016، ص ص 266.

[12]– أبو النور حمدي أبو النور حسن. يورجين هابرماس: الأخلاق والتواصل، أشراف: أحمد عبد الحليم عطية، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت)، 2012، ص ص 61–62.

[13]– سايمون تورمى، جولز تاونزند، مرجع سابق، ص 265.

[14]– أبو النور حمدي أبو النور حسن، مرجع سابق، ص ص 62–63.

[15]– علي عبود المحمداوي: الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، كلمة للنشر والتوزيع (تونس)، دار ومكتبة عدنان (بغداد)، 2015، ص ص 33–34.

[16]– عطيات أبو السعود: الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، منشأة المعارف جلال حزى وشركائه (الإسكندرية)، 2002، ص 94.

[17]– إيان كريب: النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة: محمد حسين غلوم، مراجعة: محمد عصفور، عالم المعرفة (الكويت)، 1999، ص279.

[18]– أبو النور حمدي أبو النور حسن، مرجع سابق، ص133.

[19]– عطيات أبو السعود، مرجع سابق، ص 94.

[20]– أبو النور حمدي أبو النور حسن، مرجع سابق، ص131.

[21]– نفس المرجع، ص ص14–15.

[22]– نفس المرجع، ص134.

[23]– نفس المرجع، ص133.

[24]– عطيات أبو السعود، مرجع سابق، ص ص 94–95.

[25]– أبو النور حمدي أبو النور حسن، مرجع، ص131.

[26]- عطيات أبو السعود، مرجع سابق، ص99.

[27]- نفس المرجع، ص 96.

[28]- أبو النور حمدي أبو النور حسن، مرجع سابق، ص140.

[29]- عطيات أبو السعود، مرجع سابق، ص97.

[30]- أبو النور حمدي أبو النور حسن، مرجع سابق، ص ص140-141.

[31]- عطيات أبو السعود، مرجع سابق، ص ص 99-100.

[32]- نفس المرجع، ص101.

[33]- نفس المرجع، ص ص101-102.

[34]- أبو النور حمدي أبو النور حسن، مرجع سابق، ص142.

[35]- عطيات أبو السعود، مرجع سابق، ص103.

[36]- نفس المرجع، ص ص103-104.

[37]- نفس المرجع، ص104.

[38]- نفس المرجع، ص ص104-105.

[39]- سايمون تورمي، جولز تاونزند، مرجع سابق، ص 273.

[40]- نفس المرجع، ص 274.

[41]- أبو النور حمدي أبو النور حسن، مرجع سابق، ص15.

[42]- عطيات أبو السعود، مرجع سابق، ص107.

[43]- مالك سماح، مرجع سابق، ص136.

[44]- عطيات أبو السعود، مرجع سابق، ص108.

[45]- مالك سماح، مرجع سابق، ص137.

[46]- علي عبود المحمداوي، مرجع سابق، ص ص 186-187.

[47]-أبو النور حمدي أبو النور حسن، مرجع سابق، ص15.

[48]- محمد بكاري: أرخبيلات ما بعد الحداثة (رهانات الذات الإنسانية من سطوة الانغلاق إلى إقرار الانعتاق)، دار الرافدين (بيروت)، 2017، ص ص274- 275.

[49]- عطيات أبو السعود، مرجع سابق، ص ص 105- 106.

[50]- نفس المرجع، ص ص 108-109.

[51]- حسن مصدق: يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت (النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي العربي (المغرب)، 2005، ص ص 131-132.

[52]-أبو النور حمدي أبو النور حسن، مرجع سابق، ص ص143-144.

[53] -علي عبود المحمداوي، مرجع سابق، ص 193.

[54]- أبو النور حمدي أبو النور حسن، مرجع سابق، ص ص143-144.

[55]- عطيات أبو السعود، مرجع سابق، ص113.

[56]- أبو النور حمدي أبو النور حسن، مرجع سابق، ص 144.

[57]- عطيات أبو السعود، مرجع سابق، ص113.

[58]- نفس المرجع، ص113.

[59]- نفس المرجع، ص114.

قائمة المراجع:

(1) الكتب:

-إبراهيم عيسى عثمان: النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع (عمان)، 2008.

-أبو النور حمدي أبو النور حسن. يورجين هابرماس: الأخلاق والتواصل، أشراف: أحمد عبد الحليم عطية، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت)، 2012.

-إيان كريب: النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة: محمد خسين غلوم، مراجعة: محمد عصفور، عالم المعرفة (الكويت)، 1999.

-جون سكوت: علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، ترجمة: محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر (بيروت)، 2009.

-حسن مصدق: يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت (النظرية النقدية التواصلية)، المركز الثقافي العربي (المغرب)، 2005.

-سايمون تورمى، جولز تاونزند: المفكرون الأساسيون من النظرية النقدية إلى ما بعد الماركسية، ترجمة: محمد عناني، المركز القومي للترجمة (القاهرة)، 2016.

-عطيات أبو السعود: الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، منشأة المعارف جلال حزى وشركائه (الإسكندرية)، 2002.

-علي عبود المحمداوي: الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، كلمة للنشر والتوزيع (تونس)، دار ومكتبة عدنان (بغداد)، 2015.

-فليب جونز: النظريات الاجتماعية والممارسة البحثية، ترجمة: محمد ياسر خواجه، مصر العربية للنشر والتوزيع (القاهرة)، 2010.

-محمد بكاري: أرخبيلات ما بعد الحداثة (رهانات الذات الإنسانية من سطوة الانغلاق إلى إقرار الانعتاق)، دار الرافدين (بيروت)، 2017.

-مصطفى خلف عبد الجواد: نظرية علم الاجتماع المعاصر، دار المسيرة للنشر والتوزيع (عمان)، 2011.

(2) المذكرات:

-مالك سماح: نقد الخطاب الحداثي والمقاربة التواصلية عند يورغن هابرماس، مذكرة ماجستير، قسم الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، (2011/2010).

الصراع القيمي في ظل الإعلام الجديد بين التأصيل والتبديل.

The Conflict values in new media
Between rooting and interpolation

باحث دكتوراه عبد الرؤوف وشان'، باحثة دكتوراه عائشة قرة[2]

1 جامعة الجزائر 03 (الجزائر)

2 جامعة سطيف (الجزائر)

البريد الإلكتروني:abderraoufouchene19@gmail.com

رقم الهاتف0665996610

ملخص البحث

تبحث الدراسة في تجليات الصراع القيمي كنتاج لتأثيرات الإعلام الجديد، بوصف الظاهرة الاتصالية الحديثة حاضنة لأزمة قيمية تعيشها المجتمعات؛ في محاولة للكشف عن سمات الإعلام الجديد وقدراته التواصلية، وكذا سلاسة تمريره للقيم المستحدثة، وتأثيراته على تصورات وسلوكيات الفرد والمجتمع، إذ شهدت وسائل الاتصال انتشارا واسعا مع نهايات القرن العشرين، مستفيدة من التطور التكنولوجي الهائل والذي أحدث طفرة نوعية ساهمت في بسط نفوذ هذه الوسائل خاصة ما تعلق بقدرتها الكبيرة والفريدة في التأثير على القيم السياسية، الاجتماعية، الثقافية، الجمالية وغيرها، استنادًا لهذا التطور انتقل العالم من طور "العالم قرية صغيرة "والذي أشار إليه "مارشال ماكلوهانMcLuhan" في ستينيات القرن الماضي، إلى رؤية أخرى تُشَّبه عالم اليوم بالكمبيوتر الصغير، إذ تسعى الدراسة في هذا الصدد للخوض في جدلية الصراع القيمي والكشف عن تمظهره السلبي / الإيجابي، لتخلص في الأخير إلى أن للإعلام الجديد أثار ظاهرة على القيم التي هي سيرورة ديناميكية تتغير من زمن لآخر، تعمل تقنيات الإعلام الجديد على تعزيزها أو تبديلها بقيم جديدة مستحدثة، تتضارب غالبا مع القيم الكلاسيكية حسب طبيعة استخدام الفرد للتقنيات الحديثة.

الكلمات المفتاح : القيم ؛ الصراع القيمي ؛ الإعلام الجديد.

Abstract :

The study presents the values conflict resulting from the use of new media,and trying to describe the phenomenon of modern communication as an incubator of a values crisis in societies. Also the study attempts to reveal thecharacteristics of new media and their communication capacities, as well asits ease in transmitting new values, and its effects on the perceptions andbehaviors of the individual and of society.

this paper seeks to discussing the dialectic of the conflict ofvalues andrevealing its negative and positive manifestation, in conclusion that thenew media have apparent effects on values which changes from time totime. So The New media techniques can enrich values or replace them withnew values different from traditional values, depending on the nature ofthe use of modern technologies by the individual.

Keywords : values, the values conflict, new media

توطئة:

لقد شهد عالم اليوم تغييرات بنوية تكاد توصف بأنها جذرية، ساهمت في بلورتها تكنلوجيات الإعلام المتطورة التي أحدث تغييرات هائلة في طبيعة الاتصال، خاصة ما أضحى يعرف اليوم بالإعلام الجديد، والذي يختلف مع الإعلام الكلاسيكي من حيث الأطر والوظائف والتأثير، إذ أحدث تغييرًا راديكاليًا في الطريقة التواصلية، وطبيعة القيم التي نستقيها عبر تواصلنا، ومن ثم بناءنا لقناعاتنا ومواقفنا السلوكية، بوصفه –أي الإعلام الجديد– وسيلة لانفتاح المجتمع على الأفكار الحديثة، من خلال تدوير المعلومات وما تخلقه من فضاءات يتم تبادل النقاش في فلكها بين عموم المستخدمين، نظرا لقدرتها المعتبرة في التأثير على سلوكياتهم وإدراكهم للواقع العيني، وكذا خلق سلوكيات وتمثلات وقيم في ذهن المتلقي تترسخ بوعي أو بدونه.

إنّ التطرق للصراع القيمي في ظل بيئة إعلامية تتصف بكونها إلكترونية، يستوجب البحث أولا في الإعلام الجديد باعتباره نتاج للتزاوج ما بين تكنولوجيات الاتصال والبث الجديدة والتقليدية مع الكمبيوتر وشبكاته، والذي عزز مكانة الإعلام بشكل عام، وجعل منه أكثر فعالية مما مضى، حيث أضحت وسائل الإعلام هذه تقدم للفرد وتغرس فيه سلوكيات وقيم متجددة، كما تسهم في بلورة تنشئته السياسية والإجتماعية، بالتماهي مع المكون القيمي العالمي، إذ يشكل الإعلام الجديد من هذا المنظور رابطة أساسية لتشكيل البنى القيمية داخل المجتمع.

تسعى وسائل الإعلام الجديدة إلى تركيز الإهتمام حول عادات وممارسات جديدة وإحلالها محل القيم والسلوكيات القديمة، وهي بذلك قد تخلق صراعا بين القيم المختلفة، كما قد تهدد البنية القيمية للمجتمع، حتى تنشأ في بعض الحالات منظومتان قيميتان متعارضتان داخل المجتمع نفسه، فالقيم باعتبارها المحدد الأول للسلوك، تتشكل عند الفرد بتدرج عبر مراحل تكوينه المختلفة، والملاحظ أن انحصار أدوار مؤسسات التنشئة الإجتماعية التقليدية، قد فسح المجال بارزا للأنماط الإعلامية الجديدة لتسويق مضامين وقيم مستحدثة، وهدم بعض القيم الأصلية، ذلك أن غرس المعتقدات من خلال الوسائط الإعلامية الجديدة يكمل لدى الفرد عملية تكوينه لمنظومة قيمية معينة تحدد سلوكياته، ومن المهم الإقرار بأنها قد تتماهى أو تتلاقى مع مكونات قيمية سابقة، على إعتبار أن ثبات القيم يظل أمرا نسبيا.

إشكالية الدراسة:

وفق ما سبق ذكره؛تسعى الدراسة إلى الخوض في إشكالية الصراع القيمي في ضوء الإعلام الجديد من خلال طرح التساؤل التالي: **هل يتجلى دور الإعلام الجديد في تأثيره على القيم من خلال بناء قيم جديدة، أم هدمالقيم المستقرة، أم إعادة إنتاج القيم القديمة بأسلوب جديد؟**

وتسعى الدراسة إلى الإجابة عن التساؤل الرئيسي من خلال جملة من المحاور هي:

- **أولا: في ماهية الإعلام الجديد.**
- **ثانيا: عن القيم.**
- **ثالثا: الحتمية القيمية وجهود حفظ منظومة القيم.**
- **رابعا: الصراع القيمي والاعلام الجديد.**

2/ أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى التطرق إلى العديد من النقاط الهامة قصد إثراء البحث العلمي في موضوع علاقة الإعلام الجديد بالقيم من خلال:

- ❖ الوقوف على ماهية الإعلام الجديد وسماته.
- ❖ الكشف عن جهود نظرية الحتمية القيمية في تأصيل القيم، واستخدام الإعلام الجديد بما ينمي قيم المجتمع ويحفظ خصوصيته.
- ❖ إبراز ماهية القيم والوقوف على أهميتها وخصائصها.
- ❖ السعي لرصد جدلية الإعلام الجديد تجاه القيم ودوره المضطرب بين التأصيل والتبديل.

3/ أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذا البحث في أنه من البحوث التي تعنى بموضوعات العصر، حيث يرتبط الموضوع كثيرا بالواقع الذي نعيشه، ذلك أنأزمة القيم أو الصراع القيمي الناتج عن تقنيات الإعلام الجديد، صار حتمية على الأفراد وضرورة للعيش والاتصال والحصول على المعلومات، وامتد أثره إلى خلق جدلية على مستوى موضوع القيم المتمثلة في صراع التأصيل والتبديل الذي نعايشه اليوم.

4/ مفاهيم الدراسة:

❖ القيم:

– **من الناحية اللغوية:**تدل على اسم النوع من الفعل "قام" بمعنى وقف واعتدل وانتصب وبلغ واستوى، والقيمة هيواحدة القيم، وأصله الواو، لأنه يقوم مقام الشيء، يقال: "قومتالسلعة". والاستقامة: الاعتدال، يقال: "استقام له الأمر"، وقومت الشيء فهو قويم أي مستقيم، والقيمة: الثمن الذي يقاوم به المتاع، أي يقوم مقامه، وقوله تعالى "ولم نجعل له عوجا قيما" وقوله "وذلك دين القيمة" فالقيمة هنا اسم للأمة القائمة بالقسط، وقيم الأمر مقيمه وأمر قيم أي مستقيم. وفي المعجم الوسيط: القيمة: قيمة الشيء: قدره وقيمة المتاع ثمنه، جمعه: قيم [1]

– **أما في اللغة الأجنبية:** فالكلمة مشتقة من الفعل اللاتيني Valeo ويعني "أنني قوي" بعدها أصبح هذا المعنى يشير إلى فكرة أن يكون الانسان بالفعل مفيدا ومتكيفا، وكلمة valeur تعني أن يكون الشيء ذو قيمة ومن العلماء من فسرها بأنها الخير أو الشر، الاهتمام، التفضيلات، الاتجاهات. وقد توصل الباحثون في ضبطهم لمفهوم القيمة من خلال مقاييس واختبارات أشهرها :[2]

- **مقياس القيم الفارقة:** يصنف القيم إلى تقليدية وحديثة تتكون من 64 بندا تشمل كل منها عبارتين على المجيب اختيار واحدة، تقوم القيم التقليدية على الخيارات الفردية أما العصرية فتقوم على العمل في ظل الجماعة.
- **مقياس دراسة الاختيارات:** تضمن ثلاث مشكلات رئيسية يندرج تحت كل منها ثمانية حلول تحاكي قيما كثيرة مثل الحياة، الاسرة، التدين، الصداقة، النشاط العقلي....
- **مقياس القيم الشخصية:** يتكون من 90 بندا تضم عشر قيم هي القيم الجمالية، الراحة، الصداقة، الأسرة، الحرية، السيطرة، التقدم الشخصي، الاعتراف والتقدير.

●**مقياس قيم العمل**: يضم 15 قيمة كالأمن، المكانة الاجتماعية والإبداع، العلاقة مع الآخرين...، تتكون من 18 مجموعة تحتوي أربع بنود لقياس أربع قيم مختلفة.

– **اصطلاحا**: اختلفت تعريفات القيم من تخصص لآخر ومن مجال معرفي لآخر، لكن الباحث adleur حصرها في أربع مقتربات هي :[3]

- مقترب ينظر إلى القيم في جوهرها كالأفكار الخالدة أو كجزء إلهي.
- مقترب يرى القيم كقوى ملازمة للحاجات التي نسعى لتحقيقها أو رغبات نود تلبيتها.
- مقترب يعتبر القيم مجموعة تفضيلات موروثة تعلمها الفرد.
- مقترب يربط القيم بالنشاط وتحديد قيم الأفراد يتم عن طريق تحليل النشاط.

❖ **الصراع القيمي**: يشير المصطلح إلى عدم وجود اتساق وانسجام داخل نسق القيم، نتيجة تباينها وتناقضها، يحدث عند تعرض الفرد لموقفين متعارضين ومتناقضين وكل منهما يتطلب سلوكا مختلفا، فيؤدي إلى ثنائيات تقليدي/حديث، أصيل/معاصر، وكل الثنائيات تؤدي إلى وجود نمطين من الدوافع المتناقضةوالمتعارضة تولد توترا متزايدا وأنماطا سلوكية غير ثابتة[4].

فصراع القيم حالة تكون فيها القيم متعارضة متضاربةٌ في داخل نسقها، والنسق القيمي هو المبادئ التييتمسك بها المجتمع أو أغلبه سواء صراحة أو ضمنيا، ويتضمن كل نظام قيمي أقره المجتمع. فتباين القيم هو تغاير واختلاف وظيفة كل منها وتعارضها مع وظائف وغايات قيم أخرى وان كان الصراع نزاع واختلاف بين موقفين أو أكثر ناتج عن حالة من عدم الاتساق والانسجام، **فصراع القيم** يحدث تبعا لما يحدث في المجتمع من تغيرات، فالتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والبيئية هي تغيرات في القيم، وتلك التغيرات قد تؤدي إلى عدم التوافق والتكامل والإنسجام إما بين القيم والسلوك أو بين القيم التقليدية القديمة والقيم الجديدة، خاصة أن التغيرات في حالة القيم القديمة والقيم الجديدة قد تتضمن تدمير القيم التقليدية الأساسية، مما يسبب صراعا بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون ويتبين مما سبق أن التغير في القيم يمثل مفتاحا لفهم الصراع القيمي .[5]

❖ **الإعلام الجديد:**

يعرف بأنه: "مصطلح يضم أشكال التواصل الإلكتروني المختلفة والتي أصبحت ممكنة من خلال استخدام تقنيات الحاسب الآلي، وبالنظر إلى علاقة هذا المصطلح بوسائل الإعلام القديم مثل الصحف المطبوعة والمجلات والتي تتسم بسكون نصوصها ورسوماتها".[6]

ويصفه قاموس التكنولوجيا الرفيعة High–Tech Dictionary بأنه: "اندماج الكومبيوتر وشبكات الكومبيوتر والوسائط المتعددة"، وبحسب ليستر Lester فهو مجموعة تكنولوجيات الاتصال التي تولدت من التزاوج بين الكومبيوتر والوسائل التقليدية للإعلام، الطباعة والتصوير الفوتوغرافي والصوت والفيديو[7]" .

كمايعرفه "**جونز**" بأنه: "شكل من أشكال الاتصال الإلكتروني أصبح ممكنا باستخدام الكمبيوتر كمقابل للإعلام القديم الذي يشمل الصحافة المكتوبة من جرائد ومجلات، بالإضافة إلى الإذاعة والتلفزيون. ويتميز الإعلام الجديد عن القديم بخاصية الحوار بين الطرفين أي بين مرسل الرسالة ومستقبلها، لكن الفواصل بين الإعلاميين القديم والجديد ذابت لأن القديم أعيد تكوينه وتحسينه ومراجعته لكي يلتقي مع الجديد في بعض جوانبه"[8].

أولا: في ماهية الإعلام الجديد.

الإعلام الجديد أو الإعلام الرقمي مصطلح يضم كافة تقنيات الاتصال والمعلومات الرقمية التي جعلت من الممكن إنتاج ونشر واستهلاك وتبادل المعلومات في الوقت وبالشكل المراد من خلال الأجهزة الإلكترونية المتصلة أو غير المتصلة بالأنترنت والتفاعل مع المستخدمين، **والإعلام الجديد** يتضاد مع الإعلام التقليدي، لكونه لم يَعد فيه نخبة متحكمة أو قادة إعلاميون، بل أصبح متاحا لجميع شرائح المجتمع وأفراده لاستخدامه، والاستفادة منه طالما توفرت أدواته لديهم،وللإعلام الجديد مرادفات عدة فتارة يطلق عليه مصطلح الإعلام البديل، أو الإعلام الاجتماعي، وتارة أخرى يسمى بصحافة المواطن وغيرها من المصطلحات التي تصب في معنى واحد.

ويتسم الإعلام الجديد بالعديد من المميزات والسمات من أبرزها[9] :

1. **التفاعلية**:حيث يتبادل المرسل والمتلقي الأدوار، ويطلق علىالمرسلين لفظ المشاركين بدلا من المصادر، وتكون ممارسة الاتصال مع المتلقيثنائية الإتجاه وتبادلية.

2. **التفتيت**:النظر إلى الجمهور ليس بوصفه كتلة وتعني تعددالرسائل التي يمكن الاختيار من بينها لتلائم الأفراد أو الجماعات الصغيرةالمتجانسة بدلاً من توحيد الرسائل لتلائم الجماهير العريضة.

3. **اللاتزامنية**: وتعني إمكانية إرسال الرسائل واستقبالها فيالوقت المناسب للفرد المستخدم للاتصال، ففي حالة البريد الإلكتروني يمكن توجيهالرسائل في أي وقت بغض النظر عن وجود متلقي الرسالة في وقت معين.

4. **الحركة والمرونة**: حيث يمكن تحريك الوسائل الجديدة إلى أي مكانمثل الحاسبات الشخصية وآلات التصوير المحمولة والهاتف النقال.

5. **قابلية التحويل**:حيث أتاح الاتصال الرقمي إمكانية تحويللإشارات المسموعة إلى رسائل مطبوعة أو مصورة والعكس.

6. **قابلية التوصيل**: إمكانية دمج الأجهزة ذات النظم المختلفةبغض النظر عن الشركة الصانعة.

7. **الإنتشار**: ويعني تحول الوسائل الجديدة من مجردترف وإضافات إلى وسائل ضرورية ووظيفية، ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح فيحالة انتشار التليفون المحمول وعلى نطاق واسع.

8. **الكونية**: حيث أصبحت بيئة الاتصال بيئة عالمية تتخطى حواجزالزمان والمكان والرقابة.[10]وهذا ما سهل من عملية تلقي المادة الإعلامية في أي وقت ومكان، انطلاقا من الوسيلة الاتصالية المناسبة، سواء كانت حاسوبًا أم هاتفا ذكيًا. [11]

9. **السرعة في إنجاز الاتصال**: تم الانتقال من مراحله المتعددة إلى أسلوب المرحلةالواحدة.

10. **التنظيم**:حيث أصبحت معالجة البيانات بطريقة رقمية أكثر سهولة في تنظيمها.

11. **التكثيف**:حيث أصبح بمقدور القائمين بالاتصال إمداد المتلقين بجرعات متعددةالأوجه ومفتوحة الإحتمالات.

12. **الشمول والإشتراك**: استطاع الإعلام والاتصال أن يقدم أشياء كثيرة من وجهاتنظر متباينة يشترك فيها من يرغب بذلك.

13. **الفردية في مقابل الجماعية**: حيث أخذنا نتعاطى مع وسائل الإعلام والاتصالبصورة فردية الحاسوب،الهاتف، المذياع... مع أنها كانت في الأساس وسائلاستخدام جماعية.

14.**عمومية المعرفة**:اختزل الإعلام والاتصال الانعزال العقلي المعرفي للناس إلىالحد الأدنى، وأدت الوسائل الحديثة للاتصال إلى الإسراع بنشر المعلومات إلىالحد الذي نستطيع معه في المستقبل البعيد أن نتوقع أنه لن يوجد فرد أو جماعةسوف يكون في مقدورها الهرب من تلك التأثيرات.

15.**هيمنة طابع الإثارة**:لجذب أكبر قاعدة عريضة من الجماهير، فالإثارة مدخلخصب من المداخل التي تضمن استمرار المنتج الإعلامي.

16.**سيادة المادة الإعلانية**:الإعلان هو البوابة الذهبية لمراكمة المزيد من رأسالمال ومضاعفة الأرباح، وتمجيد القدرة الشرائية للمستهلك.

17.**صناعة الرأي العام**:تجري صناعة الرأي العام وفق مقاسات الهدف الأساسيالمحدد من قبل الطبقة السياسية والاقتصادية والاجتماعية المهيمنة، كما تتم وفقمقاسات الجمهور الذي لم يعديشكل كتلة كبيرة متماسكة.

18.**انتصار الصورة**:تحول الوسائل العارضة للصور من وضع المنافس للوسائلالمطبوعة إلى وضع المنتصر، فأصبحت تحجز الجزء الأكبر من أوقات الناسمنشدين باستلاب للمشاهدة، هذا الوضع أعاد صياغة اقتصاديات الزمن اليوميالذي يمنح مؤشراً على سيادة الصورة على ما هو مكتوب، فهي تشبع الخيال بأقل جهد فكري ممكن بذله على حساب الفهم والتحليل والنقد.

19.**الإستهلاك**:تنامي القيمة النقدية للمنتجات والسلع المتداولة وتبضيع كل منتجانطلاقا من قاعدة ضرورة تراكم رأس المال، أدى إلى تحول ضروري فيالرأسمالية فكرا وممارسة من طور التبادل التجاري إلى طور ترسيخ السلوكالإستهلاكي.

ثانيا: عن القيم.

إن القيم بمفهومها العام عبارة عن أحكام مستقاة من الظروف الاجتماعية يكتسبها الفرد وتساهم في تحديد مجالات تفكيره وسلوكه، والقيم تجمع في طياتها بين الإيجاب والسلب، إيجابية مثل الصدق الأمانة...أو سلبية كالكذب والغش والنفاق...، كما تتميز من مجتمع لآخر وحتى يوجد هناك قيم تختص بها مجموعات معينة داخل المجتمع الواحد، وتضم القيم مضامين معرفية، وجدانية، سلوكية يعتنقها الفرد من بيئته المنتمي إليها ويتعايش معها ويحرص على احترامها والالتزام بها.

1- خصائص القيم:

تمتاز القيم بمجموعة من الخصائص تميزها عن غيرها من المفاهيم الأخرى كالحاجة أو الدافع أو المعتقد أو الإتجاه أو السلوك، ويمكن إبراز أهمها فيما يلي:[12]

- إنسانية بمعنى أنها تختص بالبشر دون غيرهم.
- مرتبطة بزمان معين، فالقيم إدراك يرتبط بالماضي والحاضر والمستقبل، وهي بهذا المعنى تبتعد عن معنى الرغبات أو الميول التي ترتبط بالحاضر فقط.
- تمتلك صفة الضدية، فلكل قيمة ضدها، مما يجعل لها قطبا إيجابيا وقطبا سلبيا والقطب الإيجابي هو وحده الذي يشكل القيمة في حين يمثل القطب السالب ما يمكن أن نسميه "ضد القيمة" أوعكس القيمة.
- المعيارية بمعنى أن القيم بمثابة معيار لإصدار الأحكام تقيس وتقيم وتفسر وتعلل من خلالها السلوك الإنساني.
- تتصف القيم بأنها نسبية من حيث الزمان والمكان، فما يعتبر مقبولا في عصر من العصور، لا يعتبر كذلك في عصر آخر، وما يعتبر مناسبا في مكان ما لا يكون كذلك في مكان آخر.

- تتسم القيم بالهرمية إذ أنها ترتب عند كل شيء ترتيبا متدرجا في الأهمية، وبحسب الأهمية والتفضيل لكل فرد، وعلى هذا يمكننا القول أن لدى كل فرد نظاما للقيم يمثل جزءا من تكوينه النفسي الموجه لسلوكه.
- تتصف بالقابلية للتغيير بالرغم من أن القيم تتصف بالثبات النسبي، إلا أنها قابلة للتغيير بتغير الظروف الاجتماعية لأنها انعكاس لطبيعة العلاقات الاجتماعية ونتاج لها.
- القيمة ذات قطبين في الجملة فهي إما هذا الوجود أو ذاك،إنها حق أو باطل، خير أو شر.
- الدينامية، فالقيم تتغير بتغير محور الاهتمام لدى الفرد وفقا للتفصيلات والاهتمامات الإنسانية.
- تساعد بعضها البعض وغالبا ما تتفاعل معا وتتداخل على نحو يزيدها قوة.
- إمكانية قياسها ودراستها من خلال أساليب عامة للقياس، تستخدم في قياس الميول والاتجاهات الملاحظة الميدانية والموقفية والاستبيانات المقننة، لذلك فالقيم مرتبطة بحياتنا التجريبية، فمن الممكن قياسها ودراستها باعتبارها تقديرا للأشياء وعلى أساس طبيعة الأشياء نفسها.

2- أنواع القيم: تقسم القيم إلى ما يلي:[13]

❖ **القيم الاقتصادية**: ويقصد بها النفعية والنظرة المادية، فعلاقات الأفراد مع بعضهم البعض هدفها المصلحة والحصول على المادة وبقدر ما يتحقق من منفعة تكون العلاقة قوية فيما بينهم.

❖ **القيم السياسية**: أساس هذه القيم هو القوة، فالقيم السياسية تعكس شخصية الفرد الذي يسعى إلى السيطرة والتحكم في الأمور، بحيث يكون قادرا على التأثير في الآخرين وبالتالي يكون قادرا على قيادتهم وتوجيههم.

❖ **القيم الاجتماعية**: ويقصد بها التفاعل الاجتماعي والمقدرة على إقامة علاقات اجتماعية مع مختلف الأفراد ومشاركة الآخرين في مشاعرهم ومسؤولياتهم ومناسباتهم.

❖ **القيم الدينية**: وتتضمن الإهتمام بالمعتقدات والقضايا الروحية والدينية والغيبية والبحث عن حقائق الوجود وأسرار الكون.

❖ **القيم الفكرية (النظرية)**: وتعني الاهتمام بالمعرفة واكتشاف الحقيقة، والسعي إلى التعرف على القوانين وحقائق الأشياء، وتمثل نمط العالم والفيلسوف.

❖ **القيم الجمالية**: تعبر عن الاهتمام بالجمال وبالشكل وبالتناسق، وهي تسم الشخص ذو الاهتمامات الفنية والجمالية.

وتختلف المنظومة القيمية الممارسة في المجتمع الواحد من عصر لآخر ومن زمن لآخر، وهذا ما يعبر عن النسبية الزمانية للقيم وهذا بحكم طبيعة التغير الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الحاصل. وفي هذا الشأن يقول ابن خلدون «إن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة، ومنهاج واحد مستقر إنما هو اختلاف الأيام والأزمنة.كما يؤكد ذلك **كروبر KROEBER**: "من المستطاع أن نتصور ما ستكون عليه قيم خلفائنا بعد ألف سنة... لا شك أنها ستكون مختلفة عن قيمنا لمجرد تلك الحقيقة التي لا مفر منها وهي تأثرها بعمليات التغير الثقافي المستمر"[14].

ثالثا: الحتمية القيمية وجهود حفظ منظومة القيم.

تنطلق النظرية من افتراض أساسي يعتبر الإعلام رسالة، وأهم معيار في تقييم الرسالة هو القيمة التي تنبع أساسا من المعتقد، ولذلك فإن تأثير وسائل الإعلام يكون إيجابيا إذا كانت محتوياتها وثيقة الصلة بالقيم، وكلما كانت الوثائق أشد كان التأثير إيجابيا. وبالمقابل، يكون التأثير سلبيا إذا كانت المحتويات لا تتقيد بأية قيمة أو تتناقض مع القيمة، وكلما كان الإبتعاد عن القيمة أكبر كان

التأثير السلبي أكثر. ويعتبر مفهوم السالب والموجب من بين المفاهيم الجديدة التي قدمها عبد الرحمن عزي بالإضافة إلى المخيال الإعلامي[15] (مقابل الرأي العام)، والزمن الإعلامي، والرأسمال الإعلامي الرمزي[16]، والتموضع[17] والتمخيل[18] والتمعقل[19] وفعل السمع والبصر، والبنية القيمية وغيرها[20]. ويقصد بالقيمية ما يسمو في المعنى، فالقيمة معنوية وهي ما يسعى إليه الإنسان كلما ارتفع بفعله وعقله إلى منزلة أعلى.[21] وبذلك تنحو هذه النظرية إلى اعتماد مضمون الرسالةباعتبارها جوهرا في العملية التواصلية بدل القناة، فإذا كانت قناة الاتصال قد أدت إلى نشوء مبدأ الحتمية التواصلية التكنلوجية كما تصورها (غوتنبرغ) في مجرته، فإن حتمية عزي التي تنهض على الجوهر (مضمون الرسالة) ستؤدى بالضرورة عبر الأنموذج الأخلاقي الذي ينبثق من مخرجات الفكر الإعلامي القيمي.[22] وتهتم نظرية الحتمية القيمية بمخرجات الإعلام الجديد تحت إطار فرضيات عادات الاتصال التي تنطلق من كون الشباب أكثر ارتباطا بالإعلام الجديد بحثا عن الإثارة والمغامرة، كما توظف هذه الوسائل للبحث عن الهوية والتمرد على المجتمع للفت الإنتباه وإثبات الذات، كما أن الشباب ينجذبون إلى الإعلام الجديد أكثر من نظيره الكلاسيكي نظرا لغياب مقومات التفاعل (نسبيا) في بقية الوسائل.[23]

وقد قدم صاحب النظرية "عبد الرحمان عزي" نموذج تتداخل فيه الثقافة والقيم والاتصال من خلال تأثيرات وسائل الاتصال وقسمها إلى تأثيرات موجبة وأخرى سالبة، أما التأثيرات الموجبة فتتمثل في تعزيز القيم وتحقيق التنشئة الاجتماعية السوية وتوسيع دائرة الثقافة والانفتاح على الثقافات الأخرى، أما التأثيرات السلبية فتتمثل في تجسيد القيم التي تميز مجتمع ما والتركيز على النموذج العالمي أو ما يسميه البعض بالعولمة ومحاولة إضعاف النسيج الاجتماعي، وأهم الركائز التي تقوم عليها النظرية حسب عبد الرحمن عزي تتمثل في:[24]

- أن يكون الاتصال تكامليا فيتضمن الاتصال السمعي البصري، والمكتوب والشفوي الشخصي، مع التركيز على المكتوب لأنه من أسس قيام الحضارات.
- أن يكون الاتصال قائما على مشاركة واعية من طرف الجمهور المستقبل لا أن يكون أحاديا متسلطا.
- أن يكون الاتصال نابعا ومنبثقا من الأبعاد الثقافية الحضارية التي ينتمي إليها المجتمع.
- أن يكون الاتصال دائما حاملا للقيم الثقافية والروحية التي تدفع الإنسان والمجتمع إلى الارتقاء.

كما تحاجج الفرضية في التأثيرات السالبة والموجبة للوسيلة من خلال فرضيات وسائل الإعلام التالية:[25]

كثرة استخدام وسائل الإعلام تحدث الإحساس بالعزلة، كما تؤثر سلبا على الصحة النفسية والجسدية كالقلق، ويؤدي سوء استخدامها إلى إهدار القيم أو تحييدها، كما قد يمنع الفرد منتغيير ذاته ومحيطه. في المقابل إن حسن استخدام وسائل الإعلام يساهم في دائرة الإستفادة من الثقافة والعلوم، كما قد يعمل على تعزيز القيم وقد يولد الإحساس بالذنب إذا أساء الفرد استخدام تلك الوسائل، بالإضافة إلى أن حسن استخدامها قد يحقق الإشباع والترفيه، وقد يلعب دور التحويل عندما يلجأ الفرد إلى وسائل الإعلام للتنفيس عن القلق النفسي.

عموما إن نظرية الحتمية القيمية ترتكز على مستوى القيمية التي اعتبرها **"عزي عبد الرحمان"** نوعا من التعبير عن الذات والتميز الثقافي، وتهتم أكثر بمضمون تكنولوجيا وسائل الإعلام وتأثيرها على المجتمعات وطريقة استخدامها والهدف من ذلك الاستخدام.

رابعا: الصراع القيمي والإعلام الجديد.

طرح **مارشال ماكلوهان** في كتابه "**مجرة غوتنبرغ**"،**The Gutenberg galaxy** مسألة أن الأدوات التقنية وتكنولوجيات الاتصال أكثر تأثيرا على المضمون والتي لخصها في عبارة (**الوسيلة هي الرسالة**)، بالتالي فالتقنيات التي لا تنفك في التجدد والابتكار هي التي أصبحت تتحكم في الإنسان وتغرس فيه سلوكيات وقيم متجددة غير التي نشأ عليها، خاصة وأن تكنولوجيات الاتصال تعتبر الأداة الأكثر تأثيرا في جعل العالم قرية واحدة، حيث تماهت من خلالها قيم المجتمعات وأصبحت تروج لقيم واحدة وتفكير واحد بعيدا عن خصوصيات كل جماعة. الأمر الذي أدى إلى تغير القيم لمواكبة التركيب البنائي الجديد للمجتمع، والذي أدى إلى نشوء صراع قيمي بين القيم الجديدة أو المستهدفة من التغيير و كذا القيم السائدة في المجتمع.

من جهة أخرى يجمع رواد التيار المتشائم على أن الحضارة التكنولوجية ستنتظم من اليوم فصاعدا حول حركة المعلومات وسيرانها في العالم. إلا أن القيم المختلفة التي تتعلق بتحطيم النموذج العمودي للاتصال، كالحوار الثنائي الاتجاه والنشاط المتبادل والأشكال الجديدة للألفة مع وسائل الاتصال الحديثة، كلها تعمل على تشكيل مجتمع قائم على المظهروالعقل المحلل... وهذا ما يجعل العلاقات الإنسانية المباشرة تصطبغ بالفردانية المبالغ فيها المتأتية عن التواصل مع جهاز الحاسوب وينشأ عندها ما يعرف بتبعية الأفراد[26]. إذ يصف إدغار موران حالة التماهي بين الصراع والعولمة وما أنتجته من تكنولوجيات الإعلام والاتصال بأن الجميع موجودون، يتواصلون و كلهم في حالة صراع، فالتكنولوجيات الحديثة أو ما أسماه "بالبربرية التقنية الجديدة" بالرغم من أنها سمحت بخلق تواصل وحد إلى حد ما الكوكب، إلا أنها تخلق حالة صراع وتسبب التفكك.[27]

من زاوية أخرى،يعد التغير الاجتماعي سمة من سمات الكون وتلعب تكنولوجيات الإعلام والاتصال دورا بارزا في تغير المجتمع بأكمله، وتعتبر المخترعات والمبتكرات الجديدة الاتصالية أحد أهم عوامل التغير[28]،إذ يرى برودي Brody: "بأنه وبينما يستمر التلفزيون بدوره كنافذة على العالم، فإن الإعلام الجديد استطاع أن يَصل المستخدم بالعالم طالما هو متصل بالأنترنت".[29]وهذا ما أكده "**عويدات**" حيث يقول: "لقد ترتب على هذه الثورة المعلوماتية حدوث تغير اجتماعي متسارع في القيم والمعايير والمؤسسات والعلاقات الاجتماعية والإنفتاح الإعلامي الثقافي الحضاري العالمي بفضل وسائل الإعلام السريعة"[30]. ما يخلق حيرة بين المحافظة على الثقافة الموروثة وبين الثقافة الدخيلة الناجمة عن العولمة والمعلوماتية التي غزت العالم بما تحمله من تقنيات متطورة وأساليب إغواء متحدية بذلك الخصوصيات مهما كانت وأينما وجدت[31]. فالتغيرات الإجتماعية الناتجة عن التعرض والمشاركة في المضامين الإعلامية الجديدة التي مست المجتمع وأثرت في بنيته وسيرورته، قد أحدثت تحولات في مواقفه واتجاهاته وخصوصياته وكذا هويته الثقافية، بما لا يدع مجالا للشك في كون الظاهرة الإعلامية الجديدة قد ولدت صراع قيمي يحاجج في سلبيات القيم الوافدة تارة، ويبحث في إيجابياتها تارة أخرى في مقابل القيم الموروثة.

فالإعلام الجديد بكل تطبيقاته وتقنياته كان له أثر بالغ على منظومة القيم (الاجتماعية، الأخلاقية..)، كونه طرح إشكالية هامة تتجلى في دور الإعلام الجديد الذي انحصر بين متضادين "التأصيل والتبديل"، فتارة نجده يعمل على تعزيز القيم المتأصلة في المجتمع، وتارة أخرى نجده يستحدث قيما هجينة جديدة لم يعرفها المجتمع من قبل، وهذا راجع إلى ظاهرة العولمة، الأمر الذي يؤدي إلى خلق حالة صراع وحيرة بين التمسك بالقيم القديمة التقليدية وبين تقبل القيم الحديثة المعاصرة، ما يؤدي إلى صراع بين الأجيال، إذ يبدو جليا في هذا المقام طبيعة الجيل القديم الأكثر تمسكا بقيمه الموروثة، بالمقارنة مع جيل الشباب الذي له قابلية أكبر في تقبل القيم البديلة الجديدة المعولمة.

بناء على ما سبق، يتضح أن تأثيرات التغيرات القيمية تجعل الفرد يعيش مرحلة من التناقض بين نوعين من المفاهيم والقيم (المتضادة)، تلك المفاهيم التقليدية التي ورثها عن الثقافة القائمة، والمفاهيم والقيم الجديدة التي تنطوي على مجموعة من القيم المتناقضة مع هويته، والتي يدعمها التطور العلمي والتكنولوجي، حيث يمكن أن تسعى هذه القيم الدخيلة إلى تحطيم مجموعةالقيم والتقاليدالكلاسيكية، وتمنحها طابعا متميزا له سماته الخاصة، والأمر ليس بهين فالصراع القيمي الذي يتسبب به الإعلام الجديد يضع الفرد بين خيارين صعبين؛ إما أن يثور أمام المتغيرات الجديدة والدخيلة أو يتقبلها تحت ضغوطات معينة مما يؤدي إلى زيادة احتمالات الصراع بين ما هو تقليدي وما هو جديد[32].يظهر ذلك جليا في تمثل الشباب وتقمصهم للأنماط الجديدة من الموضات، الأفكار، القيم، الأذواق والعادات والتقاليد، والتي انعكست على كافة سلوكيات الشباب مؤدية إلى تمييع الهوية المحلية.[33]

وعليه فالإعلام الجديد أدى إلى ظهور قيم وعادات وثقافات وتوقعات جديدة تتعارض إلى درجات كبيرة مع قيم الثقافات المحلية وعاداتها، بالإضافة لكل هذا، قضى الإعلام الجديد على مجال حياة الفرد الخاصة كجسمه وعائلته وممتلكاته وقيمه، فقد تمت تعريته من جل ما يميزه كإنسان له أسراره في الحياة، وقد تحولت قيمة الإنسان في خضم ذلك إلى مجموعة من المرئيات المكشوفة على وسائل الإعلام والاتصال، وإذا تأملنا في بعض المجتمعات فإننا نجدها قد سنت حدودا بين المواضيع الخاصة (الشخصية) والمعروضة على الرأي العام، ما أدى إلى عدم الاهتمام والتفريق بين القيم الوطنية المحلية والقيم الدخيلة[34].

من هذا المنظور؛ يتضح التأثير القيمي لخطاب الإعلام الجديد بوصفه "مهيمنا" من زاوية انعكاسه على الهويات المحلية، وقيمها الكلاسيكية، إذ نبه العديد من المفكرين من بينهم تيودور أدورنو إلى فكرة تسليع الثقافة وصناعتها، فالخطاب الإعلامي التفاعلي يسعى إلى قولبة قيم مستحدثة، قد تكون منافية في كثير من الأحيان لقيم الهويات المحلية، خاصة ما تعلق منها بالفردانية والمادية بوصفهما نظيرا لقيم الجماعة والتكافل وتمثلاتها المعنوية. إذ تتجلى مظاهر الصراع القيمي لدى مستخدمي الوسائط المتعددة في الإضطراب والإنزعاج من القيم الكلاسيكية ومحاولة تجسيد القيم المكتسبة من خلال التفاعلات الاجتماعية والسلوكيات اليومية، ولعل العديد من الدراسات أشارت إلى تكثف الصراع القيمي وارتباطه بالتعرض للمضامين الأنترناتية.

لقد أفرزت التكنلوجيات الحديثة سيلا وافرا من المعلومات، أثرت بشكل مباشر على الأسرة ونسقها القيمي، فالآثار السلبية للإعلام فيما يتعلق بالجانب القيمي تتمثل في خلخلة القيم التقليدية[35]، و تظهر الفجوة بين الأجيال عمق الصراع القيمي بين الآباء والأبناء، في بيئة إعلامية تتسم بالديناميكية السريعة، حتى تكاد تطفو تمظهرات قيمية تكاد تكون مختلفة تماما بينالآباء وأبنائهم، خاصة وأن الشباب يميلون لتبني القيم المستحدثة ويتفاعلون معها بتلقائية، عكس الآباء الذين يرون في ذلك تمردا على قيمهم الموروثة.

بالمقابل تبقى التقنيات مجرد أدوات ووسائل يستطيع الانسان التحكم فيها بدل أن ينصاع لها وتصبح هي المتحكمة فيه، وفي هذا الإطار وضع صاحب نظرية الحتمية القيمية "عزي عبد الرحمن" قاعدة للاستخدام الأمثل لأدوات الإعلام الجديد بطريقة تتماشى مع القيم والحفاظ عليها من الزوال وعدم فتح نافذة لاستقبال قيم جديدة غريبة عن المجتمع وأعرافه، إذ يرى "أن التأثير يكون ايجابيا كلما كان محتوى الرسالة وثيق الصلة بالقيم، وبالمقابل يكون التأثير سلبيا إذا كانت المحتويات لا تتقيد بأي قيمة أو تناقض مع القيمة، في حين يزيد التأثير السلبي كلما زاد البعد عن القيم، لذلك فطريقة الاستخدام سواء الايجابية أو السلبية هي التي تحدد مصير القيم.

خاتمة:

في الأخير يمكننا القول أن القيم ظاهرة ديناميكية متطورة، و هذا ما يؤكده الباحث "هربرت سبنسرHerbertSPENCER" حيث يقول: أن الخير والشر يجري عليهما التطور فالقيم نسبية يعني أن معناها لا يتحدد ولا

يتضح في النظر إليها والحكم عليها في حد ذاتها مجردة من كل شيء، بل لا بد من النظر إليها من خلال الوسط الذي تنشأ فيه، والحكم عليها لا حكما مطلقا بل حكما ظرفيا وموقفيا، وذلك بنسبيتها إلى المعايير التي يخضعها المجتمع المعين في الزمن المعين، أي أن القيم تتحرك على سلم زمني مختلف تماما عما نعيشه في حياتنا اليومية[36].

وكخلاصة لما سبق، يجدر القول أن الإعلام الجديد باعتباره نمط اتصالي وأداة، من أهم العوامل التي تسهم في إحداث التغيير على مستوى القيم، إلاّ أن المكون الإعلامي يرافق مكونات أخرى مهمة تتمثل في الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها، فالقيم في حالة تغير وتعديل وتبدل مستمر، والإعلام الجديد يساهم في بلورة هذا التغيير وإحداث صراع أفقي/عمودي بين القديم والجديد وكذا المحلي والدولي؛ بغض النظر عن فحوى هذا التغيير وما إذا كان بالإمكان طبعه بصفة إيجابي/سلبي، إذ تتيح تقنيات الإعلام الجديد بما تحمله من سمات تفاعلية ونتيجة شيوعها و سهولة إستخدامها؛ تمرير خطابات مرئية وألسنية من شأنها التأثير على قناعات وتصورات الأفراد الذين يتعرضون ويشاركون في هذه المضامين، ودفعهم إلى تبني قيم جديدة تنعكس على سلوكياتهم اليومية، وغالبا ما تخلق لديهم وبينهم صراع قيمي إذ يتمظهر هذا الصراعفي مستواه الفردي، وداخل الأسرة (باعتبارها النواة الأساسية للمجتمع)، وداخل المجتمع المحلي ككل، ليفرز مجموعة من المظاهر منها الإضطراب والتردد والقلق، والتي ترتبط غالبا بمدى التعرض للوسائط الإعلامية الجديدة.

وبذلك يمكن القول أن تأثيرات الإعلام الجديد متفاوتة حسب التنشئة السياسية والاجتماعية للفرد، وكذا وعيه وبؤرته الثقافية، إذ قد تسهم الميديا الجديدة في ترسيخ بعض القيم الكلاسيكية، وغالبا ما تقوم بتعزيزها خاصة ما تعلق منها بالقيم الجمالية والإجتماعية التواصلية، في حين تخلق صراع قيمي نتيجة تمريرها لمضامين تدحض القيم الكلاسيكية وتسعى إلى إحداث قطيعة مع ممارساتها، إذ يبقى وعي الأفراد بمثابة المحدد لكيفية الإستفادة من الوسائط الإعلامية الجديدة وطبيعة استخدامها، ضمن هذا المنظور تبدو الحاجة أكثر من أي وقت مضى لدراسة تأثيرات الإعلام الجديد على النسق القيمي وإفرازاته الصراعية، والبحث في تبعاتها.

الهوامش:

[1]– سهام صوكو: واقع القيم لدى المراهقين في المؤسسة التربوية –دراسة ميدانية بثانوية ميلة–، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، تخصص تنمية وتسيير الموارد البشرية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسنطينة، 2009/2008، ص17.

[2]– بوسنان رقية: وسائل الاعلام والتغير القيمي لدى الشباب –دراسة وصفية لعينة من الأبحاث التخصصية العربية والجزائرية–، مجلة حوليات جامعة الجزائر 1، العدد 31، الجزء3، 2017، ص105.

[3]– السعيد بومعيزة: أثر وسائل الإعلام على القيم والسلوكات لدى الشباب –دراسة استطلاعية بمنطقة البليدة–، أطروحة دكتوراه، قسم علوم الاعلام والاتصال، الجزائر، 2006/2005، ص143.

[4]– نسيمة طبشوش: القنوات الفضائية وأثرها على القيم الأسرية لدى الشباب –دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة باتنة–، مذكرة ماجيستير، قسم علم الاجتماع، جامعة باتنة، 2008/2007، ص170.

[5]– رولا عوده السوالقة: التغير الاجتماعي والصراع القيمي لدى المرأة المتعلمة في المجتمع الأردني دراسة مقارنة، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 43، ملحق5، 2016، ص2071.

[6]– نادية بن ورقلة: دور شبكات التواصل الاجتماعي في تنمية الوعي السياسيوالاجتماعي لدى الشباب العربي، مجلة دراسات الجلفة،العدد11، 2013، ،ص202.

[7]– مها فالح ساق الله: ماهية الإعـــلام الجديـــد (ضمن مساق موضوع خاص في برنامج ماجستير الصحافة)، كليـة الآداب، قسم الصحافة والإعلام، الجامعة الإسلامية–غزة، 2013، ص3.

[8]– كلفاح أمينة: الإعلام الجديد والتغير الاجتماعي، مجلة الصورة والاتصال، العدد7، 2014، ص2

[9]– محمد خليل الرفاعي:دور الإعلام في العصر الرقمي في تشكيل قيم الأسرة العربية "دراسة تحليلية، مجلة جامعة دمشق–المجلد27– العدد الأول والثاني 2011، ص713.

[10]– كوثر علوب محمد: الإعلام الجديد وأثره على القيم الاجتماعية –دراسة على قيمة التكافل في السودان–، مذكرة دكتوراه في علوم الاتصال، كلية الدراسات العليا، السودان، 2017، ص114.

[11]- flew terry , new media-an introduction(oxford university press, uk, 2009), p13.

[12]– سهام صوكو: مرجع سبق ذكره، ص44.

[13]– ماجد زكي الجلاد: تعلم القيم وتعليمها، ط1، دار المسيرة، الأردن، 2005، ص48.

[14]– ليلى فيلالي: أزمة القيم في ظل العولمة الاتصالية: مقاربة لتفعيل المنظور الخلدوني، مجلة المعيار، العدد 38، المجلد 19، 2014، ص5.

[15]– يسميه الأستاذ نصير بوعلي "الوجدان الجمعي" وهو الحالة التي تتضمن المشاعر النفسية والاجتماعية التي تتكون بفعل ما يتعرض له الجمهور من محتويات وسائل الإعلام من جهة وبفعل ما يحمله من مخزون ثقافي من جهة أخرى.

[16]– ينتمي الإعلام إلى المجال الرمزي الذي يعبر عن الواقع باللغة والصورة والصوت (فالإعلام ليس هو الواقع وإنما يعبر عن هذا الواقع).

[17]– أي الوضع غير السوي الذي يسعى الإنسان إلى تغييره نحو الأفضل عن طريق التمعقل.

[18]– أي استعمال الخيال لإعادة تصور الواقع للوصول إلى أفضل الحالات.

[19]– أي استعمال العقل بحثا عن الحقيقة بغية الوصول إلى اليقين.

[20]– نصير بوعلي: مفاهيم نظرية الحتمية القيمية في الإعلام عند عبد الرحمن عزي: مقاربة نقدية، مجلة المستقبل العربي، 2010، 88-101.

[21]– حميدة نواصرية، أثر الإعلام الجديد على قيم الشباب دراسة ميدانية من منظور الحتمية القيمية في الإعلام على شباب مدينة برج بوعريريج. مجلة آفاق للعلوم، العدد15، المجلد 04، 2019، ص 93.

[22]– بوداود ابراهيمي، نظرية الحتمية القيمية لدى عبد الرحمان عزي بين الأنموذج البنيوي والمقترح المونوغرافي. مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، العدد 04، المجلد 02، 2019، ص326.

[23]– إيمان هاجر مقيدش، الإعلام الاجتماعي في ضوء نظرية الحتمية القيمية بين المكان الرمزي والزمن الاجتماعي دراسة تحليلية وصفية الفايسبوك أنموذجا، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، العدد 11، المجلد 03، جوان 2020، ص123.

[24]– بداني فؤاد: حتمية ماكلوهان لفهم قيمية عزي عبد الرحمن، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية–جامعة الوادي، العدد 04، جانفي 2014، ص121.

[25]– إيمان هاجر مقيدش، الإعلام الاجتماعي في ضوء نظرية الحتمية القيمية بين المكان الرمزي والزمن الاجتماعي دراسة تحليلية وصفية الفايسبوك أنموذجا، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات العدد 11، ، المجلد 03، جوان 2020، ص123-124.

[26]– ليلى فيلالي، مرجع سبق ذكره، ص24.

[27]-Edgar morin, Sami nair, une politique de civilisation, France, édition arlec paris,1997, p15.

[28]– لطيفة طبال: التغير الإجتماعي ودوره في تغير القيم الإجتماعية، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد8، جوان 2012، ص407.

[29] –Brody Douglas, A Saudi Arabia international media strategy: influence through multinational owner ship in HfezxMass media politics and society in the middle east (Hampton pressIne, 2001), p138.

[30]– لطيفة طبال، مرجع سبق ذكره، ص 419.

[31]– ماجد الزيود، الشباب والقيم في عالم متغير، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2006، ص75.

[32]– سامية بن رمضان: التغير القيمي وأثره على اتجاهات الشباب في المجتمع الجزائري بين الواقع والتحديات المستقبلية–قراءة سوسيولوجية–، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد7، سبتمبر 2013، ص161.

[33]– خيرة محمدي، شبكات التواصل الاجتماعي والهوية الثقافية عند الشباب الجزائري دراسة وصفية تحليلية لعينة من صفحات مستخدمي موقع الفايسبوك، مجلة الحكمة للدراسات الاعلامية والاتصالية، العدد 11، 2017، ص168.

[34]– طيلب نسيمة، سلطاني فضيلة: الإعلام الجديد وصراع القيم في الوطن العربي، ورقة مقدمة للمشاركة في الملتقى الوطني الأول حول: الإعلام الجديد ودوره في الحراك الاجتماعي والسياسي يومي 22و23نوفمبر 2016 بالقطب الجامعي لأولاد فارس – جامعة الشلف، ص17.

[35]– ضامر عبد الرحمان و سعدي أسماء ،العولمة وصراع القيم الاجتماعية داخل الأسرة الجزائرية، الأكاديمية للدراسات الإجتماعية والإنسانية، العدد 20، 2018، ص208.

[36]- ليلى فيلالي، مرجع سبق ذكره، ص7.

الحتميات الإعلامية: قراءة في نظريات التأثير

Media imperatives: Read on theories of impact

أ. نسيمة طايلب[1]

[1] جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف (الجزائر

n.taileb@univ-chlef.dz

00213779251652

ملخص البحث

تتناول دراستنا البعد التنظيري لبحوث التأثير في علوم الإعلام والاتصال، من خلال عرض نظريتين مهمتين، إحداهما تركز على حتمية امتلاك و استخدام وسائل الإعلام الحديثة والتأثيرات الناجمة عن ذلك، والثانية تتناول حتمية التأثر بالرسائل الإعلامية و التفاعل معها، من حيث هي مجموعة من الرموز المشفرة ذات القيم الأصيلة، الأمر الذي بات يطرح العديد من التساؤلات حول ما إذا كان عصر الوسائط الجديدة يفرض على المستخدم حتمية الاندماج التكنولوجي و استخدام التقنيات الحديثة أم يفرض عليه محتويات جديدة ذات قيم مستحدثة يقاومها أو يندمج معها .

الكلمات المفتاح : نظريات التأثير؛وسائط جديدة؛ حتمية تكنولوجية ؛ حتمية قيمية.

Summary:

Our study will address the theoretical dimension of impact research in the media and communication sciences by presenting two important theories, one of which focuses on the inevitability of owning and using modern media and being affected by that, and the second deals with the imperative of messages and interaction with them in terms of a set of coded codes with The original or extraneous values, which raises many questions about whether the age of new media imposes on the user the inevitability of technological integration and the use of modern technologies or imposes on him new contents with new values that he resists or merges with.

Key words: theories of impact; New media; Technological imperative; Value determinism

تمهيد:

لابد من الاعتراف، أن هناك جدلا كبيرا بين الدارسين و المشتغلين في مجال الإعلام والاتصال حول حجم و كيفية تأثير وسائل الإعلام بمختلف أشكالها التقليدية والحديثة، الجماهيرية و الرقمية على جمهور المستخدمين و المتلقي،على سلوكاتهم، اتجاهاتهم و مواقفهم، حيث بلغ الجدل أوجه مطلع خمسينات القرن العشرين حين جزم بعض الباحثين بالسلطة التأثيرية الخارقة لوسائل الإعلام و مقدرتها السحرية في التحكم بالتحولات الاجتماعية و التغييرات النفسية للأفراد و المجتمعات، بالنظر إلى حتمية استخدامها التي توجب حتمية التأثير، بغض النظر على شدته.

في الاتجاه الآخر، تصاعدت الآراء التي تنفي غلبة تأثير الوسائل على الرسائل ليؤكد أصحابها أن جوهر العملية الإعلامية و الاتصالية في رسائلها، و العبرة في القيم التي تتضمنها وليس في الوسائل المستعملة.

و عليه، تم التأسيس لدراستنا التي تبحث في حتمية التأثير الإعلامي، من خلال تناول نظريتي الحتمية التكنولوجية لمارشال ماكلوهان والحتمية القيمية لعزي عبد الرحمن،.**فما فحوى النظريتين و ما مواضع التداخل بينهما ؟**

أولا– بحوث الإعلام و الاتصال في ظل التطورات التقنية الحاصلة :

1– واقع بحوث الإعلام و الاتصال و تحدياته

يجمع العديد من الباحثين أن الاتصال نشاط إنساني متميز و ممتد، باعتباره نقطة إلتقاء العديد من العلوم و التخصصات،الأمر الذي انعكس على الهويةالمنهجية للبحوث الإعلامية، فجلهاتستعير مناهجها من العلوم الإنسانية و الاجتماعية، دون أن يطور الباحثون بها مناهجا مستقلة تتناسب مع طبيعة موضوعاتها.[1]رغم أن البحوث الاجتماعية والإنسانية تستند هي الأخرى في نشأتها و تطوّرها إلى الأساليب البحثية المتبعة في التخصصات العلمية التطبيقية القائمة على تحليل عينات البحث و المواد المدروسة، قصد التوصل إلى نتائج يمكن تعميمها على بقية المواد المماثلة لها في الصفات و الخصائص،دون أن ننكر صعوبة مطابقة مبادئ البحث بالعينة بين الدراسات العلمية البحتة و الدراسات الإنسانية التنظيرية نظرا لتفاوت في سمات العينات (الأولى ذات خصائص متماثلة و الثانية ذات طبيعة متباينة).[2]

لعل هذه التبعية المنهجية هي التي تدفع المهتمين بشؤون البحث في علوم الإعلام والاتصال إلىالمطالبة بضرورة تطوير مناهج البحث و أقلمتها مع طبيعة الدراسات الإعلامية والاتصالية،من خلال المساهمة المحلية الجادة في إشباع هذه الحاجة.غير أن إشكالية استعارة المناهج البحثية ليست خارجية فحسب باستقدام المناهج من علوم مغايرة، بل أيضا من بيئات مختلفة، مع إغفالالبعد التاريخي للبراديغمات (Paradigms) التي تنطلق منها،كتبعية الدراسات الإعلامية العربية للنظريات الغربية دون فحص و تحليللمسلماتها، التي تستعمل بشكل جاهزفي بيئة غير متجانسة، دون اعتبار لاختلاف للبيئة الثقافية والاجتماعية التي أنتجتها و التي يعاد فيها الإنتاج،[3] هذا ما جعل البحوث الإعلامية العربية معرضة لأزمة مركبة تتمثل في النقل والاقتباس و التبعية للتيارات الإمبريقية والوظيفية، استنادا إلى رؤية خاطئة فحواها أن العلم لا وطن له، و هذه الرؤية تنطبق جزئيا على العلوم الطبيعية، لكنها بالقطع لا تنطبق على العلوم الإنسانية والاجتماعية و فروعها التي تتأثر بالخصوصية الثقافية لكل مجتمع فضلا عن اختلاف معدلات التطور الاجتماعي و الاقتصادي والبيئي و المسيرة التاريخية لكل مجتمع .[4] هذا يدفعنا إلى القول أن هناك قصورا واضحا في فهم ماهية النظرية و نقصا في إدراك أهميتها في بناء مواضيع البحث العلمي.[5]

لكن واقع تداخل البحوث الإعلامية و الاتصالية مع باقي العلوم الإنسانية والاجتماعية، لا يمنعنا من القول أن ابستمولوجيا البحث في علوم الإعلام و الاتصال أتاحت معاينة إشكاليات خاصة بها و تكيف نسبي لمناهج البحث و أدواتها مع الخصوصيات البحثية، رغم أن الحديث عن ضرورة انفصال علوم الإعلام و الاتصال على صعيد الممارسة البحثية، وليس التدريسية، يبدو حديثا متجاوزا في ظل تشغيل مجموعة من المفاهيم التي وجدت صداها الإبستيمولوجي في الدرس الأكاديمي في مجال العلوم الإنسانية و الاجتماعية.[6]

2– تقسيمات بحوث الإعلام و الاتصال في ظل التطورات التقنية الحاصلة

يمكن تقسيم البحوث الإعلامية من حيث المنهج المستخدم و أسلوب جمع المعلومات وتحليلها إلىدراسات وصفية و أخرى كمية،دون أن يعني الفصل بينها إلىحصر موضوع البحث في أحدهما، بل يمكن استخدام كليهما للوصول إلى المعلومة المطلوبة لكن بطرق و أساليب مختلفة، إذ يقصد بـ:[7]

أ.الدراسة الكيفية:استخدام المنهج الذي يوصل الباحث إلى نتائجها غير إحصائية من خلال وصف الظاهرة دون عمل قياسات محددة للمتغيرات، و يتم جمع المعلومات عن طريق الملاحظة، المقابلة ، أو البحث المكتبي في الوثائق و المراجع المختلفة...

ب.الدراسة الكمية:استخدام الطرق البحثيةالتي تسمحللباحث بإجراء قياسات للمتغيرات ذات الصلة بمشكلة الدراسة، من خلال ضوابط معيارية محددة،كما يتم استخدام الأرقام لتفسير نتائجها، بالإضافة إلى إمكانية قياس متغيرات و مؤشرات من مجتمع البحث وفقا لجزئيات محددة، حسب ما تقتضيه متطلبات الدراسة .

هذا يعني ، أن الدراسة الكمية تملك ما يؤهلها علميا لتحاكي العلوم الطبيعية فهي تنطلق من النموذج التفسيري(Paradigm)الوضعي و بالتالي تستطيع أن تقدم حقائق علمية مستقاة من صلب الواقع و الظواهر الاجتماعية ، أما الدراسة الكيفية فتغوص في دراسة الواقع لتقدم معطيات فريدة و متميزة.[8]

بينما تقسم البحوث الإعلامية من حيث الهدف المنشود،إلى:[9]

أ.الدراسات التأصيلية: ينتشر استخدامها في دراسات الإعلام الإسلامي من أجل صياغة إعلام الأمة الإسلامية وفق رؤية خاصة للحياة، بالاعتماد على أهم مصادر المعرفة الإسلامية من استنباط و تفسير.

ب.الدراسات التاريخية: يشيع استخدامها في الدراسة التطورية للمتغيرات الإعلامية، من خلال وصف التغييرات التي حدثت خلال فترة زمنية من اجل تفسير ظاهرة حالية و فتح آفاق لدراسات مستقبلية.

ج. البحوث الاستكشافية : تستخدم للتعرف على ظاهرة جديدة و مواضيع أو أجزاء من مواضيع لم يسبق تناولها مطلقا، من خصائصهاأنها ضعيفة في بنائها لقلة المعلومات التي يتحصل عليها الباحث حول موضوعه، لذلك لا يمكن لهذا النوع من الدراسات أن يخضع إلى الإحصاء الإستنتاجي الذي يقوم على اختبار الفرضيات .

د. البحوث الوصفية: ترتكز على جمع المعلومات اللازمة عن الموضوع، لإعطاء وصف شامل لأبعاد و متغيرات الظاهرة المدروسة من خلال تحديد ماهيتها.

هـ. بحوث الارتباط: يهدف هذا النوع من البحوث إلى التعرف عن مدى وجود علاقة بين متغيرين أو أكثر مع تحديد درجة العلاقة سواء ايجابية أو سلبية،هذا لايعني أنها تستخدم فقط من أجل البحث عن مؤشرات سببية تقود إلى دراسات تجريبية،بل تعني إمكانية الافتراض بشكل قوي أن وجود العامل المستقل يؤدي إلى وجود العامل التابع ذي العلاقة.

و. الدراسات السببية أو التجريبية : يتيح هذا النوع من الدراسات للباحث التحكم بصورة دقيقة في بيئة دراسته بما في ذلك تسليط العامل المستقل على العامل التابع (بناء على افتراض أنه السبب).

أما من الناحية التاريخية، فيمكن تقسيم بحوث الإعلام و الاتصال منذ القرن العشرين إلى ثلاث مراحل رئيسية، نوردها على الشكل التالي:[10]

أ. **المرحلة الأولى:** بدأت مع بوادر الاهتمام بدراسة و فهم وسائل الإعلام، حيث كانت نظرية المجتمع الجماهير هي أولى النظريات الاجتماعية التي استندت إليها الدراسات الإعلامية، حيث ركزت على البحث في التأثيرات قصيرة المدى لوسائل الإعلام.

ب. **المرحلة الثانية:**(من 1940 إلى 1960)، تأثرت هذه المرحلة بالبحوث الأمريكية التي تأسست على علم النفس الاجتماعي و الوظيفية، فيما يعلق بتأثير و فعالية الإعلام و قد توصلت إلى اكتشاف أهمية العوامل الاجتماعية و تأثيرها على جماهير وسائل الإعلام.

ج. **المرحلة الثالثة**:(من 1960 إلى غاية اليوم)، شهدت هذه المرحلة تركيز البحوث على مواضيع أكثر شمولية من التأثير قصير المدى لوسائل الإعلام، و هي مبنية في الأساس على علاقة المؤسسات الإعلامية مع غيرها من المؤسسات السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية في المجتمع و علاقتها بالمجتمع ككل .

لم يمنع القصور النظري في بحوث التأثير من ظهور العديد من المحاولات الجادة للتأسيس لبحوث إعلامية مستقلة، فقد خضعت في بدايتها لضرورة بيداغوجية و أخرى نظرية، نتيجة انشغال فروعها بمسايرة التحولات التقنية و ما صاحبها من تغييرات اجتماعية، أما من الناحية الثقافية فإن هذه العلوم قد نشأت من تساؤل أنثروبولوجي حول إعادة تعريف الثقافة بناء على تنوع أشكال الاتصال، أما من الناحية الامبريقية و الميدانية فإن علوم الإعلام و الاتصال سايرت التحولات التي تشهدها وسائل الاتصال الجماهيرية من خلال تأطير هذه التحولات، خاصة مع التطور التقني الحاصل بوتيرة سريعة و لا متناهية.[11]

أما من الناحية الممارساتية، فقد ارتبطت بحوث الإعلام بالنظم السائدة وفق علاقة التأثير والتأثر، ذلك أنها لا تخلق في فراغ اجتماعي لكنها تعمل متأثرة بالنظم السائدة اجتماعية كانت أو سياسية أو اقتصادية، هذا ما يجعل من دور بحوث الإعلام دورا رئيسيا ضمن عملية تكوين الرأي العام المبني على الدراسات الأكاديمية القادرة على التأثير و تحويل الاتجاهات، من خلال المضامين التي تلقى قبولا و موافقة لدى الجمهور، و كل ذلك لا يتحقق صدفة بل بالاعتماد على أسس علمية و بحثية تدرس الجمهور المتلقي و نوعية المضامين و الرسائل التي تؤديها تحملهاهذه الوسائل الإعلامية، فتكون بذلك بمثابة وسيط بين المتلقين و الممارسين و القائمين على العملية الإعلامية و الاتصالية.[12]

ثانيا: بحوث التأثير و نظرياته بين قوة الرسائل و تعدد الوسائل

1- في معنى التأثير الإعلامي:

يعد التأثير الإعلاميأحد المواضيع الرئيسية في تاريخ البحث الإعلامي، إذ دار نقاش واسع حوله، وكان يرتكز معظمه على مسألة ما إذا كانت وسائل الإعلام تمارس أو لا تمارس تأثيرا، فقد دفع الطابع الفكري المقيّد والمحدّد لهذا النقاشبعض الباحثين إلى التّخلي عن المصطلح جملة و تفصيلا، بينما يرى البعض الآخر أنّ وسائل الإعلام تمارس تأثيرا من خلال تزويد الجمهور بالمعلومات التي يعتمد عليها الكثيرون كدوافع لسلوكاتهم.[13] لكن جيهان رشتي ترى أنه ليس في الإمكان دائما دراسة السلوك الذي يحدث نتيجة الاتصال لذلك كان من الضروري التركيزعلى مجال المعلومات أو الاتجاهات، حيث يقيس الباحث استجابة المتلقي اللغوية أو الرمزية و يحاول أن يخرج منها باستنتاجات عن المعلومات التي تم تلقيها و اتجاهاته التي تأثرت أو لم تتأثر، و معنى ذلك أنه لا يمكن في كثير من الأحوال ملاحظة التأثير بشكل مباشر، فقد يجد باحث بصدد قياس الاستجابة اللغوية نفسه بصدد قياس متغيرات متداخلة نظرا لتعقيدها وصعوبة فصلها دون أن يتوصل لقياس التأثير النهائي. لذا يمكن القول أنالتأثير الإعلامي قد يضم مجمل التغييرات التي تطرأ على سلوك المستقبل للرسالة الإعلامية ، فقد تَلفِت الرسالة الإعلامية انتباهه و يدركها، و قد يتعلم شيئا منها أو قد يغيّر من اتجاهه النفسي، ليُكَوِّن بذلك اتجاها جديدا، و قد يتصرف بطريقة جديدة أو يعدّل من سلوكاته القديمة، على أن تكون هذه التأثيرات ظاهرة أو كامنة، بناء علىالأهداف المسطرة من الرسالة الإعلامية، فقد تكون أهدافا مباشرة و عاجلة أومضمرة وآجلة،بحسب إيديولوجية المؤسسة الإعلامية.[14]

فالتأثير الإعلامي على هذا النحو متعدد الأبعاد، لكنه في الأصل لا يعدو عن كونه ظاهرة بسيكولوجية ترتبط بالوضعية النفسية التي يكون عليها الفرد خلال أو بعد العملية الإعلامية و الاتصالية، و لأنه كذلك فهو بالغ التعقيد لصعوبة التنبؤ بسلوكات الأشخاص وحالاتهم النفسية أمام المضامين الإعلامية، فالتأثير نتاج شروط عديدة و مستويات كثيرة تتداخل فيما بينها لتحدث الأثر و على كثرة هذه المستويات، يجب النظر إلى التأثير من أبعاد مختلفة، منها: النفسية ، الاجتماعية، التعليمية، الثقافية ...[15]

فالمقصود بالتأثير الإعلامي مجمل ما يحدث من تغييرات سلوكية، وجدانية أو معرفية على مُستقبِل الرسالةبعد التعرض للمحتوى، كأن يتبنى اتجاها مؤيدا للمحتوى، أو يتخلى عن أفكار كان يعتنقها قبلا، أو يعدل من مواقفه.[16] فالتأثير قد يعمل على خلق اتجاهات جديدة، يدعم اتجاهات متاحة أو يغيير اتجاهات موجودة، كما أنه يمس تغيير المعلومات، المواقف والسلوكات و هذه التغييرات غالبا ما تحدث متتالية إذا استمر التعرض للمحتويات الإعلامية فينتقل معها المتلقي من التأثير السطحي إلى التأثير الأعمق.

2- دراسات و بحوث التأثير الإعلامي

ترتكز دراسات التأثير على إحدى أو بعض نظريات التأثير المعروفة في الاتصال، و من الأساليب المتبعة في هذا النوع من البحوث محاولة معرفة أسباب استخدام الجمهور لوسيلة إعلامية محددة و مدى تحقيقها الإشباع الذي يبحث عنه، ويكون الهدف الرئيسي في هذه الحالة هو معرفة الدوافع الحقيقية سواء الشخصية أو النفسية التي تقود المرء إلى استخدام الوسيلة بعينها دون أخرى (نظرية الاستخدامات و الاشباعات) ، نوع آخر من البحوث يهدف إلى التعرف على العلاقة بين أولويات اهتمام جمهور وسائل الإعلام بمحتويات دون أخرى بالاستناد على نظرية (ترتيب الأولويات) ، كما أن هناك عددا آخر من البحوث الإعلامية التي ترتكز على نظريات أخرى كـ (نظرية قادة الرأي ، الغرس الثقافي ...)، و من الجدير بالذكر، أن استخدام نظريات التأثير لا يعد حكرا على وسيلة إعلامية دون أخرى بل بالإمكان استخدامها على مختلف الوسائل.[17]

من الناحية التاريخية، تعود أصول بحوث التأثير لسلسلة من الدراسات التي أنجزت في ميدان بحوث الاتصال التي تعتبر خلفية مهمة للتنظير والتأسيس للدراسات الحديثة وما بعد الحديثة خاصة ما تعلق بتكنولوجيا الإعلام و الاتصال الحديثة التي تنطلق إما من خلفية بسيكولوجية أو سوسيولوجية، بحيث تنقسم المساهمات البحثية في هذا المساق إلى دراسات إمبريقية وأخرى نقدية ، فالأولى ترى أن تأثير وسائل الإعلام هو تأثير بالغ وقويّ لا يتعرّض لأي حواجز ومعوقات لبلوغ عقول الجماهير التي كان ينظر إليها بأنها تشبه الحشود وتتميز بالضعف ولا تملك أي مقومات للحماية من تأثيرات وسائل الإعلام. فهو الأنموذج الذي يرى بأنّ تأثير الرسائل الإعلامية على الجمهور يتمّ في شكل خطي،بحيث يستجيب من خلالها كل شخص بشكل مشابه تقريبا ما جعلها توصف بنظرية الآثار الموحدة أو الحقنة تحت الجلد التي تؤثر في متلقيها كما يؤثّر سائل الحقنة في دم المريض، ومن ثمّ فإنّ هذا الأنموذج ينظر للمتلقي بأنه سلبي، لا يملك القدرة على مواجهة الرسائل الإعلامية وفق ما يحتاج إليه لإشباع حاجياته ورغباته؛ وإنّما رسائل وسائل الإعلام هي التي تؤثّر عليه؛ أما البحوث النقدية فيرى أصحابها أنّ وسائل الإعلام تنتج صناعات ثقافية، ذلك أنها أدوات إيديولوجية في يد السلطات الحاكمة تؤثّر تأثيرا مباشرا على الجماهير من خلال الاهتمام بآليات التلاعب بعقولها عن طريق الكم الهائل من المحتويات التي تقدّمها والاستهلاك المكثّف من طرف الجماهير، حيث تستعملها السلطات لتخدير عقول الناس. وانطلاقا من هذا المنظور، تعمل المدرسة النقدية على نقد الثقافة الجماهيرية التي ترى بأنها آلية للهيمنة على عقول الناس. فالمشاهدون ليسوا فاعلين حقيقيين وإنما سلبيين يَتَلَقَّوْنَ المنتجات الثقافية ويستهلكونها بصفة نمطية، فالجمهور لا يختار، لكنّه معرض لسيل هائل من الرسائل التي تؤثر فيه مباشرة.[18]

فيما بعد، تم دحض النظرية التشاؤمية السلبية لجمهور وسائل الإعلام بعد وضع منهجية بحث تجريبي لدراسات جمهور وسائل الإعلام من خلال دراسة لازار سفيلد (Paul Lazar sfeld) لـ "اختيار الشعب"، إذ توصل من خلالها إلى مفهوم تدفق الاتصال على مرحلتين (two step-flow of communication). حيث يَعْتَبِرُ أن الاتصال الشخصي يلعب دورا مهمّا في التأثير على أراء ومواقف الجمهور أثناء الحملات الانتخابية عن طريق قادة الرأي الذين يستطيعون أن يؤثروا على الجمهور لتغيير مواقفهم وبالتالي، توصلت هذه النظرة إلى الحد من فكرة التأثير البالغ لوسائل الإعلام و الانتقال إلى فكرة التأثير المحدود لوسائل الإعلام .[19]

من جهة أخرى، أثار التنوع في الوسائط الإعلامية فضول العديد من الباحثين في محاولة معرفة أثر ذلك على درجة تلقي المستخدمين للمواد الإعلامية المقدمة من خلالها ، و انطلقت البحوث في هذا الشأن من افتراض أن المتخصصين في تقنية المعلومات حينما سعوا إلى تطويرها بالشكل الذي يعين على تقديم المواد في نماذج و أشكال مختلفة إنما قصدوا إلى التأثير في مستوى إدراك ومعرفة المتلقين للرسائل المقدمة لهم، و هو افتراض يؤيده البعض بحجة أن عرض المعلومة في أشكال مختلفة يساعد على إيصالها للمستقبل بشكل أفضل من عرضها في شكل واحد، في حين يرى البعض الآخر أن تكثيف الأشكال التي تقدم بها الرسالة قد تعقد عملية الإدراك و لا تحقق الأثر المطلوب.[20]

يلاحظ مما سبق، تعدد الاجتهادات النظريةالمفسرةلتأثير وسائل الإعلام على الفرد والمجتمع، مع صعوبة ذكرها كليا و الإحاطة بها لكثرتها من جهة و تداخلها من جهة أخرى،لكن المتفق عليه أن كل نظرية كانت تسود لفترة محددةثم تعقبهانظرية أخرى بناء على الشكوك والانتقادات التي تطالها، في خطوة للتعمق في سابقتها و إعادة النظر في افتراضاتها و مسلماتها.لذلك وجب التأكيد أن البحث في موضوعات تأثير وسائل الإعلام يمثل حقلا واسعا لم يستوف حقه من الدراسة النقدية و البحث المثمر بعد، بل إن نتائج دراساته السابقة لا تزال مثار جدل بين علماء التخصصات المهتمة به، و يمكن تفسير محور التردد في الحكم على تأثير تلك الوسائل و الجدل حول الدراسات المتعلقة به بوجود قدر كبير من المتغيرات المستقلة الإعلامية و غير الإعلامية التي يمكن أن ينسب إليها حدوث التغييرات المتوقعة في سلوك الأفراد، كما أن تحديد طبيعة التأثير و حجمه من الأمور الصعبة نظريا أما تجريبيا فيبقى السلوك الإنساني صعب الضبط و التوصل لعمقه.[21]ضف إلى ذلك الاتجاهات المنادية لعدم جدوى هذا النوع من الدراسات، في زمن تعددت فيه حوامل الاتصال و تشعبت،كون دراسات التأثير غير قادرة علىفهم العلاقة المعقدة لمستخدمي وسائط الاتصال المعاصرة باعتبارهم مستخدمين افتراضيين يستعصي ضبط سلوكاتهم و تفاعلاتهم و مطابقتها فعليا.

ثالثا: الحتميات في بحوث التأثير الإعلامي

1- نماذج الحتمية في الإعلام و الاتصال:

تعني الحتمية عملية الاعتماد على متغير واحد من دون المتغيرات الأخرى في تفسير الظواهر، كأن يفسّر تطور المجتمع على أساس الصناعة فقط فتكون هذه حتمية تكنولوجية،أو يفسر على أساس الحركة الاجتماعية فتكون هذه حتمية اجتماعية ، أما الحتمية الإعلامية فتعني أن تكنولوجيا الاتصال هي المتغير الأساسي في تفسير آليات التطور الاجتماعي؛[22]و أشار "نصر الدين لعياضي لوجود نموذجين تفسيريين (Paradigms)للبحوث العلمية حول وسائل الاتصال الحديثة، هما:[23]

أ.نموذج الحتمية التكنولوجية :الذي يعتبر أن قوة الترسانة التكنولوجية المتجددة والمتطوّرة هي وحدها المالكة لقوة التغيير في الواقع الاجتماعي، انطلاقا من النظرة التفاؤلية للتكنولوجيا، و التيترفي التغيير رمزا للتقدم الإنساني وعاملا لتجاوز عثراته و إخفاقه في

مجالات أخرى، أما النظرة التشاؤمية فترى أن التكنولوجيا أداة من أدوات الهيمنة على الدول و الشعوب المستضعفة والسيطرة على الفرد عبر وسائل المراقبة والتحكم، فتقتحم حياته الشخصية و تفكك علاقاته الاجتماعية.

ب.نموذج الحتمية الاجتماعية: ينطلق من فكرة رئيسية مفادها تحكم البنى الاجتماعية في محتويات التكنولوجيا و اشكالها، أي أن القوى الاجتماعية المالكة لوسائل الإعلام هي التي تحدد محتواها .

كما ينسب أصحاب الحتميات الاجتماعية مختلف أوجه التغيير الاجتماعي و الثقافي في المجتمع إلى القوى و البنى الاجتماعية، بما تتمتع به من سلطة توجيه و تحكم ، و بما تزود به الأفراد و المؤسسات الاجتماعية من معايير الاختيار و التمييز و المفاضلة، متمثلة في منظومة القيم الدينية و الاجتماعية. في المقابل، لا تنظر بعض المدارس إلى موضوع الحتميات بعين الرضا، فهيلا تؤمن بأن ما هو تقني ويتمتع بديناميكية قوية يوجد في حالته الكاملة والنهائية ،كما أن البنى الاجتماعية ليست منتهية البناء.[24]

2-الحتمية التكنولوجية لمارشال ماكلوهان:

أ.الأصول النظرية و المعرفية للنظرية :

انطلقت نظرية الحتمية التكنولوجية من أفكار الفلاسفة الغربيين كآدم سميث و جون ستيوارت ميل و نيتشه،باعتبارها ترتكز على القوة الاقتصادية و الصناعية التي عرفتها أوروبا خلال عصر النهضة الصناعية، استنادا إلى فكرة رئيسية مفادها أن كل تغيير اجتماعي مرتبط بالقوة المادية و سطوة الآلة؛ و قد تم عرض النظرية في الستينات من القرن العشرين انطلاقا من تصورات استقرائية عن تطوّر وسائل الاتصال و تأثيراتها على المجتمعات الحديثة، إذ يرى ماكلوهان أن تطوّر المجتمعات المعاصرة مرده تطوّر تكنولوجيا الاتصال التي أحدثت ثورة ضخمة في جميع مناحي الحياة .فجرأة ماكلوهان و حداثته في الطرح، جعلت من الحتمية التكنولوجية من أهم النظريات الاتصالية في العصر الحديث، حتى أن مجمل دراسات التأثير انطلقت من أفكاره التي عرضهاسنة 1962 في كتابه مجرة غوتنبورغ، إذ اهتم بدراسة تأثير تكنولوجيا الإعلام والاتصال على شعور و تفكير و سلوك الأفراد و على التطور التاريخي للمجتمعات، و حجته في ذلك أن مضمون وسائل الإعلام لا يمكن النظر إليه مستقلا عن تكنولوجيا وسائل الإعلام نفسها، فطبيعة وسائل الإعلام التي يتصل بها الإنسان تشكل الأفراد و المجتمعات أكثر مما يشكلها مضمون الاتصال، لذلك يفترض في نظريته أن تكنولوجيا الاتصال تكبل حرية الإنسان الذي يصبح تابعا لها.[25]و هذا ما أشار إليه في كتابه " Understanding Media:The extension of man"، إذ يؤكد أن الأنماطالجديدةللارتباطالبشريتميل إلىإلغاءالوظائف النمطية، والاستغناء عن الأدوار التقليدية للأفراد من خلال الاتجاه للأتمتةالإيجابيةالتي تعني عمقالمشاركةفيعملهم، و هو ما يدعم فكرة "الوسيلة هي الرسالة" التي تبسط ما تفعله الآلة بالإنسان و ما تفعله تكنولوجيا الإعلام و الاتصال بالمتلقي.[26] فقوّة التأثير عند ماكلوهان هي حتمية التأثر بالوسيلة ذاتها بمعزل عما تحمله من مضمون،إذ يرى أن مضمون الاتصال لا علاقة له بالتأثير، أما قوة التأثير فتزداد بحسب طريقة تعامل الناس و نظرتهم للوسائل. كما أن مضمون أية وسيلة هو دائما وسيلة أخرى و كل تكنولوجيا جديدة تخلق ظروفا جديدة تحوّل ما يسبقها دائما إلى شكل فني متقادم، و هو ما يعني أن لكل وسيلة جمهورها من الناس الذين يفوق حبهم لهذه الوسيلة اهتمامهم بمضمونها.[27]

ب. الانتقادات الموجهة للنظرية :

من أكثر الانتقادات شدة لأفكار ماكلوهان تفسيره لأي تطور حاصل في المجتمعات الإنسانية بقوة الوسيلة التكنولوجية، و التي يراها أصل أي تطور حضاري، و هذا قصور في التفسير الشامل للظواهر، فمن غير المنطقي تفسير أي ظاهرةمن وجهة واحدة و بمتغير واحد لأن التحليل سيكون جزئيا و ينقصه التكامل، فالتطوّر و التغيير الحضاري لا تتحكم به الآلة فحسب،إنما تتدخل به عدة

عوامل إلى جانب الوسيلة، كثقافة المجتمع و قيمه وعاداته عن طريق استخدام أفراد المجتمع للتكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال، أما الانتقاد الثاني فوُجِّه لفكرة استخدام الوسيلة بمعزل عن القيم، ذلك أن القيمة حسبه تعرقل أداء الوسيلة و هذه فكرة غير عملية، لأن القيم السليمة هي من يعطي قوة للوسيلة، كما أنها محرك المجتمعات، و هو المنطلق الذي انطلقت منه نظرية الحتمية القيمية، أما قوله أن الوسيلة هي الرسالة فليس حكما مطلقا، ذلك أن الأفراد قد تستهويهم قوة انتشار المبتكرات الجديدة كوسيلة و ما تحويه من رسائل غير موجودة في وسائل أخرى، لذلك لا يمكن فصل الوسائل عن الرسائل، و هو أيضا النقد الذي انطلقت منه الحتمية القيمية من خلال فكرة تعثر المضمون في عصر الوسيلة.[28]

تَبَني الطرح الماكلوهاني في المجتمعات العربية فيه مخاطرة منهجية، تفرز قصورا بحثيابالنظر لإسقاط أفكاره وافتراضاته دون مراعاة للاختلاف في الانتماء الحضاري و خصوصية المجتمعات وهو ما يجعله الطرح غير مناسب، كماأن تقديس هذه النظرية حال دون الاجتهاد العربي في التنظير للظاهرة الاتصالية و الإعلامية، باستثناء بعض المحاولات كالنظرية التي تبناها المفكر الجزائري عزي عبد الرحمن تحت مسمى"الحتمية القيمية" و هي مستمدة من التراث الديني والفكري و الثقافيللبيئة العربية الإسلامية.[29]

3- الحتمية القيمية لعزي عبد الرحمن :

أ. الأصول النظرية و المعرفية للنظرية :

ولّد احتكاك النخب العربية بالثقافة الغربية بشكل مباشر أو غير مباشر حالة من الإنبهارالذي دفع بعض تلك النخب إلى تبني النموذج الغربي في تفسير كافة الظواهر تبنيا مطلقا، بينما اتجه البعض الآخر إلى استيعاب الإنتاج النظري الغربي وإعادة تكييفه أو إنتاجه من جديد بإخضاعه إلى الرؤية المرجعية للمجتمعات العربية، و يعد عزي عبد الرحمن أحد هؤلاء، حيث مكنته معايشتهالمباشرة للحضارة الغربية في مطلع الثمانينات من اكتشافها من الداخل و الوقوف على خلفية تفسيراتها للظاهرة الإعلامية و الاتصالية . [30]

إذ تعود المعالم الأولى لظهور النظرية إلى بداية الثمانينات من القرن العشرين، حيث قام الباحث عزي عبد الرحمن منذ عودته من أمريكا إلى الجزائر سنة 1985 بعد ثماني سنوات قضاهافي النهل من المدارس و المعارف الغربية و احتكاكه بالدارسين و الباحثين في المجال، ما جعله يكوّن رؤية معرفية واضحة و متميزة تجلتفي تأسيسهلنظريةإعلاميةتحاكي واقع المجتمعات الإسلامية، حيث يُذْكر أن عزي عبد الرحمن قد فطم في بيئة دينية مفعمة بالتعاليم الدينية و حفظ القرآن مما كان له بصمة على فكره الذي وصفه بالقول "الواقع آن عودتي المؤقتة إلى الجزائر والمحيط الثقافي الذي كان يكوّن أزمتها الفكرية و الهوياتية جعلني استقلّ تدريجيا عن تلك البيئة النظرية الاجتماعية الغربية، و لكن أدواتها ظلّت حاضرة في مقاربتي لهذا المحيط المستجد رغما عني،و قد مكنتني هذه الأدوات من النظر إلى الذات و الثقافة من زاوية خارجية، و كأنني أكتشف هذه الذات و هذه الثقافة،فكان حافزا أساسيا في النبش في التراث". [31]

المميز في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام عدم اقتصارها على دراسة عنصر معين ضمن العملية الإعلامية والاتصالية بكل ما يرتبط به من ظواهر فقط، إنما تشمل دراسة كافة متغيرات هذه العملية و تداخلها مع الظواهر الاجتماعية و الإنسانية الأخرى، فهذه النظرية يمكن تطبيقها على القائم بالاتصال، الرسالة، المضمون، الوسيلة، الجمهور(المتلقي)، الأثر، على أن تكون القيمة و التي مصدرها المعتقد هي المتغيّر الأساسي في البحث و الدراسة .[32]

ترتكزنظرية الحتمية القيمية في الإعلام على عدة أسس و مستندات مرجعية أهمها:القرآن والسنة النبوية و اجتهادات المفكرين والعلماء المسلمين، أمثال: مالك ابن نبي، ابن خلدون، الفرابي و ابن رشد..، الأدوات المعرفية البحثية الحديثة ، منظومة القيم الإسلامية التي تحدد الوعاء الحضاري للأنا الإعلامية –و قد جمعها في خمس فئات رئيسية: القيم العقدية الروحية، القيم الوجدانية

النفسية و الانفعالية، القيم الفكرية و العقلية، القيم الجمالية و الفنية و الرمزية، القيم الأخلاقية و السلوكية، وفقا لأنساق تواصلية خاصة، فالقيمة من المنظور الإسلامي هي الأساس و المعيار الموجه لكل نشاط إنساني، فإذا كان الفعل موافقا للقيمة كان إيجابيا، و إذا كان مخالفا للقيمة كان سالبا، وفي ذلك إشارة إلى أهمية القيم وقدرتها على تبسيط الظاهرة الاجتماعية وفهم مكمن الأزمةالاجتماعية.[33]

ما يجعل الباحث الذي يتبنى هذه النظرية يسير ضمن بوصلة مضبوطة،و منطلقات واضحة تعبر عن انتمائهالحضاري والثقافي للمجتمع العربي الإسلامي، فالباحث انطلاقا من افتراضاتها لا يحس أنه يدرس ما أراده الآخر، بل يجسد واقعه القيمي المنسجممع بيئتهالثقافية و الحضارية، كما أنها تشير إلى منظومة الباحث الإعلامية و الاتصالية ذات الصبغة الإنتاجية الإبداعية المستقلة عن المفاهيم الغربية ليس معرفيا فحسب، بل أيضا قيميا و أهمها:"الإبلاغ، الرحلة، المخيال الإعلامي، الزمن الاجتماعي والزمان القيمي، المكان الرمزي و المكان القيمي، الرأسمال الرمزي و الرأسمال القيمي، عنف اللسان و الإعلام، البنية القيمية اللغوية، السكة القيمية الإعلامية، الأخلاقيات القيمية الإعلامية ، القابلية الإعلامية للاستعمار، معادلة الإنسان–التراب–الزمن–الإعلام، المنهجية القيمية..."[34]

و في اتجاه مغاير لما جاءت به نظرية مارشال ماكلوهان، أفاد عزي عبد الرحمن بأن المتغير الرئيسي للنظرية اعتبار "الرسالة هي القيمة"، فإذا كانت مضامين تكنولوجيا الإعلام و الاتصال الحديثة تصدر عن مالكي هذه التقنيات و المروجين لإيديولوجياتهم و ثقافتهم المادية، فإن الرسالة الإعلامية في النظرية القيمية و مضمونها لابدأن تكون لها قيمة ساميةمن خلال شريعة الإسلام،و أن تخضع لمصدر هذه القيم، و هو الله سبحانه وتعالى.[35] فشرط التأثير حسب عزي عبد الرحمن هو ارتباط محتويات هذه التكنولوجيا بالقيم و طبيعة التأثير من طبيعة القيم و اتجاهها السلبي أو الايجابي.

ب. الانتقادات الموجهة لنظرية الحتمية القيمية :

من الانتقادات الموجهة لنظرية الحتمية القيمية هو مدى علمية القيم، التي تعد حجرها الأساس، ذلك أن التيارات العلمية السائدة تعتبر العلم هو دراسة الواقع، لا ما يجب أن يكون عليه، حتى أن عزي عبد الرحمن جعل من القيم في نظريته المتغيّر و المنظور و المنهج و الرؤية التي تحكم كيفية النظر إلى الظاهرة و كيفية الاقتراب منها و دراستها، و هذا في العرف العلمي فعل صادم و ثوري لا يمكن تقبله ببساطة لاعتبارات متعلقة بنسبية القيمة في حد ذاتها، و هذا ما يعيق إسقاطها على مختلف المجتمعات و البيئات.

أما الانتقاد الثاني الموجه للنظرية فهو مشترك بينه و بين الحتمية التكنولوجية لماكلوهان، إذ يتساءل منتقدوا الحتميات الإعلامية:كيف يعود الحديث عن الحتمية في العلوم الإنسانية والاجتماعية للواجهة، في الوقت الذي يكون العالم قد كتب نهاية الحتميات حتى في العلوم الطبيعية و الفيزياء؟ إضافة إلى انتقاد الركيزة المنهجية للنظرية التي تطمح لأن تكون في مصاف براديغمات شاملة في حين سجل منتقدوه فراغا منهجيا في النظرية.[36]

خاتمة:

إن المتتبع للشأن الإعلامي و للمساعي المتواصلة للتنظير في دراسات التأثير، يلاحظ جليا انسدادا عربيا في البحث الأكاديمي في مجال الإعلام و الاتصال، بفعل ذهنية التبعية العلمية التي لا تزال تلاحق الفكر العربي جراء النقل و علاقة الأنا بالآخر، لذا ارتأينا في ما سبق من عناصر بحثية عرض عام عن التطورات التاريخية و المعرفية التي مست بحوث التأثير منذ بدايتها، باعتبارها حجر الأساس في الدراسات الميدانية ومنطلقا مهما لبلوغ الوعي بواقع الدرس الإعلامي.

غير أن التطور التكنولوجي و مجمل التغييرات التي مست عناصر العملية الإعلامية والاتصالية أفضت إلى ضرورة مراجعة النظريات الراهنة لعدم مواكبتها لمجريات تطور الإعلام الرقمي، إذ تعد النظريات الحتمية في التأثير الإعلامي، بما فيها الماكلوهانية و القيمية، أكثر النظريات إثارة للجدل نظرا لارتباطها بقالب القيد و الإلزام و هو ما لا يمكن الحديث عنه في مجتمعات رقمية تتيح تعددا في البدائل، وتنوعا في الرسائل و الوسائل، خاصة في ظل عدم تجانس فضاءات التلقي و الفاعلين والمتفاعلين بها.

و عليه، وجبت علينا الإشارة لضرورة إعادة النظر فيالمرتكزات النظرية المعمول بها في علوم الإعلام و الاتصال، و مسايرتها لسرعة تطور فضاءات التلقي و وسائل التأثير، خاصة في المنطقة العربية، التي عرفت لفترات ماضيةو راهنة قصورا في الاجتهاد التنظيري و عقمافي إسقاط النظريات الغربية،لعدم جدوى المطابقةبينمجتمعات متباينة في البيئات الاجتماعية والثقافية، دون إنكار أهمية نظرية الحتمية القيمية التي و إن عرفت العديد من الانتقادات جراء الفراغات المنهجية التي طالتها و التي تتطلب استكمالها،لكنها أتاحتفرصة خلق تصور نظري عربي مستقل في بحوث التأثير، بعد أن أصبح للباحث العربي نظرية تصبوا لأن تكون في مصاف النظريات الغربية و حتى العالمية .

فنظرية عزي عبد الرحمن ثمار جهد فكري إعلامي عربي لا يستهان به، ذلك أن فهمها يتطلب القراءة ثم القراءة المتأنية و تبسيط الكثير من المفاهيم الواردة على لسان صاحبها ، فهي كغيرها من النظريات لم تظهر لتدحض ما سبقها، بل لتقدم تصورا ذو خصوصية عربية إسلامية و هذا ما يشجع على ضرورة إلتفاف الجهود المشتتة حولها من أجل نظرية متكاملة.

الهوامش:

[1] محمد عبد العزيز الحيزان: البحوث الإعلامية: أسسها، أساليبها، مجالاتها، مكتبة الملك فهد الوطنية (الرياض)، 2004، ص 06.

[2] المرجع نفسه، ص 12.

[3] نصر الدين لعياضي: البحث العلمي في علوم الإعلام و الإتصال في المنطقة العربية و غياب الأفق النظري، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، المجلد 39، العدد 450، آب/ أغسطس 2016، ص 17.

[4] مالك شعباني: وسائل الاتصال الحديثة: من التجميع إلى التفتيت و من الجماهيرية إلى الفردية، دراسات و أبحاث: المجلة العربية في العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة زيان عاشور بالجلفة، المجلد 07، العدد 18، مارس 2015، ص96.

[5] نصر الدين لعياضي، البحث العلمي في علوم الإعلام و الإتصال في المنطقة العربية و غياب الافق النظري، مرجع سبق ذكره، ص10.

[6] المرجع نفسه، ص 08.

[7] محمد عبد العزيز الحيزان، مرجع سبق ذكره، ص ص 16-19.

[8] نصر الدين لعياضي: الرهانات الإبستيمولوجية و الفلسفية للمنهج الكيفي: نحو افاق جديدة لبحوث الإعلام و الاتصال في المنطقة العربية، مجلة شؤون اجتماعية، العدد 107، 2010 ص 11-12.

[9] محمد عبد العزيز الحيزان، مرجع سبق ذكره، ص ص 20-26.

[10] جهاد الغرام و خالد بلجوهر: البحوث الإعلامية في الوطن العربي: واقعها و إمكانات تطويرها، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة عمار ثليجي بالأغواط، المجلد 08، العدد01، جانفي 2014، ص 150.

[11] رضوان بوجمعة: أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل: محاولة تحليل أنثروبولوجي، أطروحة دكتوراه في علوم الإعلام و الاتصال، جامعة الجزائر3، 2006-2007، ص 59.

[12] جهاد الغرام، و خالد بلجوهر، مرجع سبق ذكره، ص 148.

[13] حنان شعبان: أثر الفواصل الإشهارية التلفزيونية على عملية التلقي: دراسة استطلاعية لجمهور الطلبة الجامعيين، رسالة ماجستير في علوم الإعلام و الاتصال، جامعة الجزائر3، 2008-2009، ص 85.

[14] مالك شعباني، مرجع سبق ذكره، ص ص94-95.

[15] يوسف تمار: نظرية Agenda setting: دراسة نقدية على ضوء الحقائق الاجتماعية والثقافية والإعلامية في المجتمع الجزائري، أطروحة دكتوراه في علوم الإعلام و الاتصال، جامعة الجزائر3، 2004-2005، ص 59.

[16] محمود حسن إسماعيل: مبادئ علم الاتصال و نظريات التأثير، ط1، الدار العالمية للتوزيع والنشر(مصر) ، 2003، ص ص 226-227.

[17] محمد عبد العزيز الحيزان، مرجع سبق ذكره، ص 162.

[18] حنان شعبان، مرجع سبق ذكره، ص ص 86-87.

[19] المرجع نفسه، ص 88.

[20] محمد عبد العزيز الحيزان، مرجع سبق ذكره، ص 190.

[21] المرجع نفسه، ص 177.

[22] ياسين قرناني: قراءة تحليلية لنظرية الحتمية التكنولوجية و الحتمية القيمية: بين مارشال ماكلوهان و عزي عبد الرحمن، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة عمار ثليجي بالأغواط، المجلد08، العدد01، جانفي 2014، ص65.

[23] نصر الدين لعياضي: الرهانات الإبستيمولوجية و الفلسفية للمنهج الكيفي: نحو آفاق جديدة لبحوث الإعلام و الاتصال في المنطقة العربية، 2010، مرجع سبق ذكره، ص 18.

[24] أحمد عبدلي: الاستخدام الاجتماعي لتكنولوجيا الاتصال: الأنترنت نموذجا – مقاربة نظرية، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة عمار ثليجي بالأغواط، المجلد08، العدد01، جانفي 2014، ص58.

[25] ياسين قرناني، مرجع سبق ذكره، ص ص 66-67

[26]Marshall Macluhan: Understanding media: The extentions of man. https://chl.li/Gjz7f

[27] ياسين قرناني، مرجع سبق ذكره، ص ص 68-70.

[28] ياسين قرناني، مرجع سبق ذكره، ص ص 71.

[29] ياسين قرناني، مرجع سبق ذكره،ص 65.

[30] محمد عوالمية: نظرية الحتمية القيمية: قراءة تبسيطية للسياق و المبررات والمنهج، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد أ، العدد 41، جوان 2014، ص 196.

[31] شهرزاد سوفي: نموذج لنظرية الحتمية القيمية في الإعلام، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة عمار ثليجي بالأغواط، المجلد08، العدد01، جانفي 2014، ص282.

[32] المرجع نفسه، ص 288.

[33] أحمد عيساوي: رؤية تحليلية نقدية لـ "منهجية [نظرية] الحتمية القيمية في الإعلام" للباحث المفكر الأستاذ الدكتور عزي عبد الرحمن، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة عمار ثليجي بالأغواط، المجلد08،العدد01، جانفي 2014، ص ص 193- 194.

[34] شهرزاد سوفي، مرجع سبق ذكره، ص ص 288-289.

[35] ياسين قرناني، مرجع سبق ذكره، ص 69

[36] باديس لونيس: تحديات تواجه نظرية الحتمية القيمية في الإعلام، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة عمار ثليجي بالأغواط، المجلد08، العدد01، جانفي 2014، ص ص316-318.

المراجع:

الكتب:

1. محمد عبد العزيز الحيزان: البحوث الإعلامية: أسسها، أساليبها، مجالاتها، مكتبة الملك فهد الوطنية (الرياض)، 2004.
2. محمود حسن إسماعيل: مبادئ علم الاتصال و نظريات التأثير، ط1، الدار العالمية للتوزيع والنشر(مصر)، 2003.
3. Marshall Macluhan: Understanding media: The extentions of man. https://chl.li/Gjz7f

المجلات:

4. أحمد عبدلي:الاستخداماالاجتماعي لتكنولوجيا الاتصال: الأنترنت نموذجا – مقاربة نظرية، مجلة العلوم الإجتماعية، جامعة عمار ثليجي بالأغواط، المجلد08، العدد01،جانفي 2014.

5. أحمد عيساوي: رؤية تحليلية نقدية لـ "منهجية [نظرية] الحتمية القيمية في الإعلام" للباحث المفكر الأستاذ الدكتور عزي عبد الرحمن، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة عمار ثليجي بالأغواط، المجلد08، العدد01،جانفي 2014.

6. جهاد الغرام و خالد بلجوهر: البحوث الإعلامية في الوطن العربي: واقعها و إمكانات تطويرها، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة عمار ثليجي بالأغواط،المجلد 08، العدد01، جانفي 2014.

7. شهرزاد سوفي: نموذج لنظرية الحتمية القيمية في الإعلام، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة عمار ثليجي بالأغواط، المجلد08، العدد01،جانفي 2014.

8. مالك شعباني: وسائل الاتصال الحديثة: من التجميع إلى التفتيت و من الجماهيرية إلى الفردية، دراسات و أبحاث: المجلة العربية في العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة زيان عاشور بالجلفة، المجلد 07، العدد 18، مارس 2015.

9. محمد عوالمية: نظرية الحتمية القيمية: قراءة تبسيطية للسياق و المبررات والمنهج، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد أ، العدد 41،جوان 2014.

10. نصر الدين لعياضي: البحث العلمي في علوم الإعلام و الاتصال في المنطقة العربية و غياب الأفق النظري، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، المجلد 39، العدد 450، آب/ أغسطس 2016.

11. نصر الدين لعياضي: الرهانات الإبستيمولوجية و الفلسفية للمنهج الكيفي: نحو آفاق جديدة لبحوث الإعلام والاتصال في المنطقة العربية، مجلة شؤون اجتماعية، العدد 107،2010.

12. ياسين قرناني: قراءة تحليلية لنظرية الحتمية التكنولوجية و الحتمية القيمية: بين مارشال ماكلوهان وعزي عبد الرحمن، مجلة العلوم الاجتماعية،جامعة عمار ثليجي بالأغواط، المجلد08، العدد01،جانفي 2014.

13. باديس لونيس: تحديات تواجه نظرية الحتمية القيمية في الإعلام، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة عمار ثليجي بالأغواط، المجلد08، العدد01،جانفي 2014.

الدراسات:

14. حنان شعبان: أثر الفواصل الإشهارية التلفزيونية على عملية التلقي: دراسة استطلاعية لجمهور الطلبة الجامعيين، رسالة ماجستير في علوم الإعلام و الاتصال، جامعة الجزائر3، 2008-2009.

15. رضوان بوجمعة: أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل: محاولة تحليل أنثروبولوجي،أطروحة دكتوراه في علوم الإعلام و الاتصال، جامعة الجزائر3، 2006-2007.

16. يوسف تمار: نظرية Agenda setting: دراسة نقدية على ضوء الحقائق الاجتماعية والثقافية والإعلامية في المجتمع الجزائري، أطروحة دكتوراه في علوم الإعلام و الاتصال،جامعة الجزائر3، 2004-2005.

دور وسائل الإعلام الجديدة في تجسيد عملية التغير الاجتماعي والثقافي والنظام القيمي

أ.منية عمري، أ.طاهر نقض

المعهد لعالي للتنشيط الشبابي والثقافي بئر الباي(تونس)

البريد الالكتروني:moniaomri51@yahoo.fr

الهاتف: 98697925/97295763

ملخص البحث

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على التغيير العميق الذي حدث في المجتمعات العربية ولا سيما المجتمع التونسي بفعل تطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال، وظهور التفكير المبني حول دور شبكات التواصل الاجتماعي في توجيه الرأي وصناعته ولاسيما في ما حصل في الآونة الأخيرة"جائحة كورونا".

الكلمات المفتاحية:التغير ،القيم، الإعلام الجديد، كورونا

Abstract

This research paper aims to shed light on the profound change that has occurred in Arab societies , especially Tunisian society, due to the development of information and communication technology ,and the emergence of constructive thinking about the role of social networks in directing and making public opinion, especially in what happened in the recent “Corona pandemic”.

Keywords: Change,Value, new information,Corona

مقدمة:

أصبح الإعلام الجديد اليوم البديل الأمثل للإعلام التقليدي، وهو ما تؤكده الدراسات في بحوث الإعلام والاتصال،محدثة تأثيرات جديدة على مختلف البنى الاجتماعية، ساهم في ذلك في ما بات يعرف بشبكات التواصل الاجتماعي التي أصبحت الأداة المؤثرة في الأحداث اليومية بحيث أتاحت الفرصة للأفراد تقديم شكل الواقع وما طرأ عليه من تغيرات في مستوى القيم.

لا شك أن الإعلام بصفة عامة، والإعلام الجديد على وجه الخصوص أصبح يمثل دعامة هامة في التأثير على الرأي العام.

وتأسيسا لما سبق تحاول هذه الورقة البحثية تحديد دور وسائل الإعلام الجديدة في تجسيد عملية التغير الاجتماعي.

منهج الدراسة:

لدراسة هذا الموضوع تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي من خلال عرض المفاهيم الأساسية للإعلام الجديد والتغير الاجتماعي والقيم والإشارة إلى العولمة والقيم ودور الإعلام الجديد في صناعة الوعي من خلال التغير الاجتماعي.

أولا– الإطار المفاهيمي

1–1 مفهوم وسائل الإعلام الجديدة:

يأخذ الكثير من الباحثين في مجال الإعلام بتعريف الأستاذ الألماني "أتوبروت OttoGroth " للإعلام والذي مفاده : الإعلام هو التغيير الموضوعي لعقلية الجماهير وروحها واتجاهاتها في نفس الوقت"[1].

والإعلام بهذا المعنى لا يختلف في نطاق النمط التقليدي عن النمط الجديد،وإنما يكمن اختلافه في شكل الممارسة وآلياتها. مما جعل بعض الباحثين يستنبطون بعض المفاهيم الأخرى كالباحث "صادق الحمامي" الذي يرى إن المعنى الأكثر ارتباطا بالإعلام الجديد يرتبط ببعد الحداثة والجدة، كمقابل لبعد القدم المرتبط بالإعلام التقليدي. ومن ثمة القطيعة التامة مع الإعلام التقليدي وولادة إعلام جديد.[2]

وفي بحثنا هذا يحيلنا مفهوم الإعلام الجديد إلى كافة التطبيقات والخدمات التفاعلية التي يتيحها العالم الالكتروني على اختلاف أنواعها كشبكات التواصل الاجتماعي ومنتديات حوارية ، ومن أهم البرامج المستحدثة التي تستخدم في اللوحات الالكترونية ومن خلالها تبلور مفهوم الإعلام الجديد نجد التطبيقات الخاصة بتشغيل مواقع التواصل الاجتماعي وأبرزها:

- الفايسبوك: هو الموقع الأول في مواقع الأنترنيت حيث بلغ عدد مستخدمي هذا الموقع أكثر من مليار مستخدم.
- التويتر: هو موقع يكون فيه بروفايل الشخص الخاص بالمستخدم يبدو كأنه عبارة عن سيرة ذاتية مفصلة ويستخدم هذا الموقع للتقدم إلى الوظائف المختلفة.
- اليوتيوب : هو أكبر موقع لغرض الفيديوهات عبر شبكة الأنترنيت .
- الأنستغرام: هو أكبر موقع ينشر صورا أو فيديوهات على حسابه ولفترة قصيرة من قيام المستخدم بنشرها.

1-2مفهومالتغير:

يثير التغير الاجتماعي مجموعة من التساؤلات الابستيمولوجية التي تستدعي القيام بوقفة تأملية بهدف إبراز حدوده من جهة، وتبيان ملامحه من جهة ثانية. ويعتبر سؤال المفهوم من الإشكالات المركزية التي تدفع بالمهتم أو الباحث السوسيولوجي إلى تمييزه عن مجموعة من المفاهيم الأخرى المتداخلة معه.

فعادة ما يتراوح استعمال مفهوم التغير الاجتماعي بين الاستعمالات التالية: التطور، التقدم، التحول، التغيير، النمو... وعلى الرغم من هذا التداخل الناجم عن التداول الشائع، فإن هناك نقاطا فاصلة بين التغير الاجتماعي والمفاهيم السابق ذكرها.

"وبشكل تبسيطي يمكن القول: عادة ما يكون التغير جذريا والتحول سلميا والتطور تقدميا والحركية هادئة والنمو زيادة مخططة...الخ".[3]

حيث تعنيكلمةتغيرفياللغةالعربيةالتبدلوالتحول،" فتغيرالشيءعن حاله: تحول وغيره: حوله وبدله كأنه جعلهغيرما كان"[4]،وبهذايتخذ التبدل التحولوالتغير المعنىنفسه.

وفيالتعريفالاصطلاحي،فقدجاءفيتعريف التغيرالاجتماعيأنه : العمليةالتييحدثالتحولبواسطتهافيالنسق الاجتماعيووظيفته.[5]

وقداستعملمصطلحالتغيرالاجتماعيمنقبلعلماءالاجتماعللتعبيرعن

ظاهرةالتحولوالنموواالتكاملوالتكيفوالملائمة،ممادفععلماءالاجتماعهؤلاء إلىاستخدام

مفهومالتغيرالاجتماعيبعيداعنالأحكامالقيمية،وليقررالواقع المجردكماهوفعلافيالمجتمع .[6]

يشيرإذنمصطلحالتغيرالاجتماعيإلىأوضاعجديدةتطرأعلىالبناء الاجتماعيوالنظموالعاداتوأدواتالمجتمع،نتيجةلتشريعأوقاعدةجديدة لضبطالسلوك،أوكنتاجلتغيرفيبناءفرعيأوفيجانبمنالوجود الاجتماعيأوالبيئةالطبيعيةأوالاجتماعية.[7]

أماروس (ROSS) فيعنيبالتغيرالاجتماعيالتعديلاتالتيتحدثفيالمعانيوالقيمالتيتنتشرفيالمجتمعأوبينبعضجماعاتهالفرعية[8].

وينظرفيرتشيلد (FAIRCHILD) إلىالتغيرالاجتماعيعلى " أنهتغير يعترياالعملياتالاجتماعيةأوالنظمالاجتماعيةأوالتكويناتالاجتماعية،وقد يكونتقدميأوتأخرياثابتاأومؤقتامخططاأوغيرمخططموجهاأو غيرموجهمفيداأوضارا[9].

ويعرفكينجزليديفز (KINGSLY DAVIS) التغيرالاجتماعيبأنه"كلتغيرفيالتنظيمالاجتماعيسواءفيتركيبهأو فيوظائفه[10].

أما(مالينوفسكي) فيشيرإلىالتغير بأنه"العمليةالتييتحولبهانظام المجتمعمننموذجإلىآخر."[11]

أما التعريف الذي قدمه غي روشيهGuy rocher ، ينص على أن :"التغير الاجتماعي هو ذلك التحول القابل للملاحظة الذي يمس كل تشكيل اجتماعي لجماعة ما سواء كان استثنائيا أو مؤقتا، ويعمل على تغيير مسار تاريخ هذه الجماعة[12].

وهكذا، فالتغير الاجتماعي حسب "روشيه" يعبر عن تلك التغيرات البسيطة التي يمكن ملاحظتها والتأكد منها بالتحقق والدراسة "observable et vérifiable في الزمان والمكان.

إن دراسة التغيرات والتحولات في الواقع الاجتماعي التونسي تستدعي معرفة وإلمام بالمعيش اليومي الذي يوجد "في حالة غليان يتحرك باطراد ويستدعي قوى متولدة لإعادة التنظيم و التعديل"[13].

فهناك حالة فقدان الوجهات المعيارية في بعض الأحيان وتداخل المرجعيات وتفسخ سلطة التقاليد، فالمجتمعات كما يرى E. Morin توجد في حالة "مواجهات في شتى مناحي الخبرات الإنسانية حيث لم يعد لأي مجتمع بد من أن يتملص من تأثيرات الأحداث الخارجية ولا أن يطور قدراته على استيعاب تعاظم التجديدات المأتية من الخارج، فالتجديدات والإبداعات هي دائما حدث يربك غير متوقع ولا سوي بمقاييس المعيار الثابت والمألوف"[14]. وهو ما يؤكده تسمية البعض "للثورة التونسية" "بثورة الفايسبوك" باعتبار اعتمادها الكلي تقريبا على الفايسبوك للدعاية والتواصل والإعلام والتحريض.

وسنحاول في بحثنا التطرق إلى كل العوامل الاجتماعية التي تساهم في التغيير وفق منظور شمولي لمجتمع يتغير وتتغير أنساقه القيمية حيث تتسم المجتمعات الراهنة بأنها أكثر تعقيدا وتشعبا.

وذلك بالاعتماد على العناصر التالية كما يراها "محمد نجيب بوطالب" متمثلة أساسا في:

1-الجمع بين الجوانب المادية والجوانب الرمزية في دراسة الظاهرة الاجتماعية المتعلقة بالتغير حتى تكتمل الصورة الحقيقية والفهم المتكامل لجوهر أي تغير.

2-ربط دراسة وتحليل عملية التغير الاجتماعي في النظم والبنى والعلاقات بالممارسات اليومية للفاعلين بما يضمن التخلص من التعميمات الخاطئة.

3-إحكام ربط الصلة بين عملية التغير ذاتها وبين سياقها التاريخي (التجربة المحددة بالمكان والزمان).

4-الإقرار بأن الصراع ليس مفهوما سلبيا بالضرورة، فهو عنصر حيوي لاستمرار الكائن الاجتماعي، كما أن الثبات يعني الانحلال والتلاشي، فلا وجود لثبات بل يوجد استمرار وتواصل لعناصر لا تتصف بالديمومة.

5-اعتبار مسيرة المجتمعات في التغير ليست واحدة ولا يمكن إخضاعها لنموذج مكتمل، وإنما يمكن الحديث عن تشابهات وتجارب متبادلة.

6-إن التغير الحقيقي هو ذلك التحول الذي يحصل في طبيعة أداء النظام الاجتماعي وأنساقه الداخلية المختلفة.[15]

إذ يمكن لهذه العناصر أن تشكل إطارا لدراسة التحولات والتغييرات التي يشهدها المجتمع التونسي عامة ومجتمع الدراسة خاصة.

1-3- مفهوم القيم:

يعد مفهوم القيم من بين أكثر مفاهيم العلوم الاجتماعية غموضا وارتباطا بعدد كبير من المفاهيم الأخرى كالاتجاهات والمعتقدات والدوافع والرغبات ...

ويرجع هذا الغموض إلى ارتباط المصطلح بالتراث الفلسفي، كما أنه يقع على أرض مشتركة بين مجموعة من العلوم والمعارف المختلفة من جهة أخرى.[16]

فهناك من ينظر للقيم من منظور فلسفي فالمثاليون يعتبرون أن القيم مطلقة وثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان، مصدرها عالم المثل، أما الواقعيون والبرجماتيون والوجوديون ينظرون إلى القيم على أنها تعتمد على خبرة الإنسان وذكائه وتجاربه الحياتية ولذلك فهي نسبية تتغير بتغير الزمان والمكان والمواقف التي يتعرض لها وتقاس أهمية القيم بمدى نفعها.

وهناك من ينظر إلى القيم على أنها اعتقاد ، فالقيمة هي المعتقدات التي بمقتضاها يتوجه الإنسان إلى السلوك الذي يرغبه أو يفضله ويؤكد ذلك Lemos " أن القيم مفاهيم مجردة ومتوافرة في أفكار ومعتقدات الأفراد كالعدل والإيثار والتعاون والإخلاص والتضحية." [17]

ولإعطاء مفهوم القيم تعريفا واضحا لابد أن يخضع لعدد من المعايير منها أن يكون واضحا ومميزا.

وقد حاول الكثير من العلماء والمختصين وضع وصياغة تعاريف محددة للقيم اتفقت في إطارها العام، إلا أنها اختلفت من الناحية الفعلية، فهي على العموم أكدت على أن القيم تنتج من الثقافة والمجتمع والشخصية، وأنها تعبر عن الدوافع وعن الحاجات والرغبات والميول وتحدد طرق ووسائل إشباعها.

وقد عرفها " غي روشيه " على أنها " طريقة في الوجود أو في السلوك يعترف بها شخص أو جماعة على أنها مثال يحتذى به ، وتجعل هذه الطريقة من التصرفات أو من الأفرادالذين تنسب إليهم أمرا مرغوبا فيه أو شأنا مقدرا خير تقدير".[18]

وقد عرفها " ستيورات دور" بأنها الرغبة أو الشيء المرغوب فيه الذي يختاره الفرد في وقت معين وعرفها " نيل سيملر " الفعاليات المرغوبة التي توجه النشاط الإنساني، أو القضايا العامة للغايات الشرعية الموجهة للفعل الاجتماعي " [19] .

ويتخذ بعض الباحثين من القيم الاجتماعية دليلا موجها في دراستهم للثقافة والشخصية، حيث أن القيم تفرض نفسها على الأفراد كمقاييس مشتركة يسخرونها في أي مجتمع كانوا لحل مشاكلهم وحسم خلافاتهم وتحقيق حالة من الإجماع والاتفاق الضمني والعلني حول أمور وقضايا مختلفة.

"فالقيم هي عبارة عن الأحكام التي يصدرها الفرد بالتفضيل أو عدم التفضيل للموضوعات أو الأشياء، وذلك في ضوء تقييمه أو تقديره لهذه الموضوعات أو الأشياء وتتم هذه العملية من خلال التفاعل بين الفرد بمعارفه وخبراته وبين ممثلي الإطار الحضاري الذي يعيش فيه ويكتسب من خلاله هذه الخبرات والمعارف " [20]

ومن المعروف أن القيم الاجتماعية كما يؤكده بعض علماء النفس على غرار "فرويد" ، تمثل الجانب المهذب والمقنن أو أحيانا البديل عن الغرائز لدى الإنسان ليتحرر من قيودها ويدخل عالم الاختراع والإبداع ، لهذا اعتمد بعض الأنتروبولوجيين القيم إطارا شموليا لفهم وبحث العلاقة بين الثقافة والشخصية.

كما تعرف القيم " على أنها مجموعة من المعايير والأحكام تتكون لدى الفرد من خلال تفاعله في المواقف والخبرات الفردية والاجتماعية بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته يراها جديرة بتوظيف إمكانياته، وتتجسد خلال الاهتمامات أو الاتجاهات أو السلوك العملي أو اللفظي بطريقة مباشرة "[21].

ومنخلالماسبقيتبينلناأنهؤلاءالعلماءفيتعريفهمللقيموبالرغممناختلافهمفي

ذلك،فإنهميؤكدونأنالقيمتعدمحددامهمامنمحدداتالسلوكالإنساني،إذمنخلالهايمكنالحكم

علىماحولنامنالمكوناتالثقافيةوالسلوك،كماأنهاتفصحعننفسهافيأنماطالتفضيلوالاختيار

بينالبدائلالمتاحة،غيرأنالعلماءيختلفونفيتحديدنوعالمؤشراتالتييمكنالاعتمادعليهافي

تحليلالقيم،فهيكماتبدومنخلالالتعريفاتمجسدةفيمؤشراتالأنشطةالسلوكية،الاتجاهات الاهتمامات،الرغباتوالحاجات،المعاييروالتصريحالمباشربها

.

ومهمايكنمنأمرفانالاعتمادعلىمؤشرواحدلايعكسبالضرورةطبيعةالقيمالتي

يعتنقهاالفرد،إذأنكثيرامنالأنماطالسلوكيةالتييصدرهاالفردوهوبصددالتعاملمعالمواقف

الاجتماعيةالمختلفة،لاتبينمايتمثلهذاالفردبالفعلمنقيممجديرةبالاهتمام،وإنماتعكسماهو

مرغوبفيهاجتماعيا،كماأنهكثيرامايتسقالسلوكالذييقومبهالفردمعطبيعةالأدوارالتي

يمارسها،وماتفرضعليهمنأنماطسلوكيةمتميزةأكثرمناتساقهمعمايتمثلهمنقيمخاصةبه، وبذلك وتأسيسا

علىماسبقفإنالبحثيطرحتعريفاللقيمالاجتماعية وهو:

"أنالقيمالاجتماعيةهيالمعتقداتوالأحكاموالمبادئالتي،يتمثلهاويلتزم

بهاالإنسان،تتكونلديهمنخلالتفاعلهمعالمواقفوالخبراتالفرديةوالاجتماعية،وتفصحعن

نفسهامنخلالالاتجاهاتوالاهتماماتوالسلوكالعمليأواللفظيبطريقةمباشرةأو غيرمباشرة."

ثانيا– العولمة والقيم :

تتمثل العولمة في كونها نظرية اقتصادية في المنطلق، سياسية، اجتماعية، ثقافية في النتائج، هدفها فتح الأسواق الاقتصادية، وتطبيق سياسة السوق فيها بإلغاء الرسوم الجمركية، وإقرار حرية تنقل رأس المال والبضائع والخدمات بين الدول دون أية قيود، وفتح الحدود الوطنية في المجال السياسي والترويج لثقافة نمطية عالمية واحدة هي ثقافة القوة المهيمنة على العالم.

حيث صار من المؤكد أن للعولمة تأثيراتها الفعالة على المجتمعات المعاصرة ،سواء المتقدم منها أو النامي، وتمثلت أبرز تأثيرات العولمة في الجانب الاجتماعي، الذي تمثل في محاولة تكوين شخصية معولمة، تصير طبقاً لنظام عالمي تحكمه قوة طاغية مسيطرة، إذ سعت العولمة إلى محاولة القضاء على الإرث الإنساني المقدس، وذلك من خلال العمل على تعميم القيم الغربية، وخاصة الأمريكية وذوبان الحضارات غير الغربية في النموذج الحضاري الغربي، بل وتعميم السياسات المتعلقة بالطفل والمرأة والأسرة، والتظاهر بالحفاظ على حقوقهم، ولكنها في الحقيقة تعمل على تفكيك الأسرة ، واستلاب وعي الأفراد واقتلاع الجذور التي تربط الفرد بعائلته ووطنه وبيئته، واستغلال المرأة في الإثارة والإشباع الجنسي وإشاعة الفاحشة في المجتمع، وخير مثال على ذلك نموذج عولمة القيم الغربية والأمريكية هو صياغة تلك القيم الغربية في مواثيق ثم عولمتها باسم الأمم المتحدة، وذلك مثلما حدث في وثيقة برنامج عمل مؤتمر السكان والتنمية الذي عقد بالقاهرة في شهر سبتمبر 1994، وفي بكين عام 1995 وفي أسطنبول عام 1996. [22]

أما العولمة في بعدها الثقافي وهو أخطر أبعادها فتعني إشاعة قيم ومبادئ ومعايير ثقافة واحدة وإحلالها محل الثقافات الأخرى"[23] وهذا معناه تلاشي القيم والثقافات القومية وإحلال محلها القيم الثقافية للبلاد الأكثر تقدماً تكنولوجياً واقتصادياً وخاصة أمريكا وأوروبا،أما في بعدها السياسي فتعني العولمة سقوط السلطوية والشمولية، والاتجاه إلى الديمقراطية، والتعددية السياسية، واحترام حقوق الإنسان ،واستخدام الأمم المتحدة لحماية حقوق الإنسان في العالم، وغيرها من آليات نظام العالم الجديد.

ومن هنا تتمثل خطورة العولمة فى محاولة التأثير على القيم ، وذلك من خلال نشر الفكر الغربى الذى يعمل على تغيير تلك القيم الثابتة ومحاولة إقناع أن الذى يتمسك بقيمه إنما يتعارض مع التقدم العلمى والفكرى ونهضة العقل[24]، الأمر الذى أدى إلى تفاقم الشعور بالاغتراب لدى الشباب، ووقوعهم فى أزمة حضارية وفى صراع، لأنهم يعيشون بين "ثقافتين متعارضتين فى وقت واحد، إحداهما خارج النفس والأخرى مدسوسة فى ثناياها، فترى حضارة العصر فى البيوت والشوارع، بينما تجد حضارة الماضى رابطة خلف الضلوع[25]"، لدرجة أن هؤلاء الشباب من شدة تعلقهم بالحضارات الغربية والحلم بالعيش فى محيطها صاروا "يعانون حالة من الاغتراب الثقافى، فهم وإن كانوا يعيشون على أرضنا إلا أن وجداناتهم وعقولهم مهاجرة مغتربة قيمياً وفكرياً".[26]

2 – 1 العوامل الاجتماعية :

يواجه المجتمع التونسي العديد من التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي أدت إلى ظهور العديد من الانحرافات والمشاكل، كالعنف وإدمان المخدرات والتعصب والسلبية واللامبالاة، وعدم قدرة العديد من المؤسسات الاجتماعية على القيام بدورها في الضبط الاجتماعي، كالأسرة والجمعيات..إلخ، والذين من بين أدوارهم إكساب الشباب ثقافة مجتمعهم من قيم وعادات وتقاليد.

حيثتعتبرفترةالشبابوالمراهقةنتيجةمننتائجالتغير الاجتماعيوالتقسيم الجديدللعمل،الذيصاحبالانتقالمن المجتمعالزراعيالتقليديإلى المجتمع الصناعيالحديث،إذأصبح "إعدادالفردليكونعضوًاكاملاومنتجاويستطيع الاعتمادعلىنفسه،يحتاجلفترةأطولمنالتعليموالتدريب[27]وبالتالي ازدادتالفجوةبينالنضجالجسمانيللفردوحاجاته،والنضجالاجتماعيوما يتطّلبهمنمسؤولياتوأعباء.

فمرحلةالشباب،هيمرحلةوسيطةبينحياةالطفولةالتييكوناعتماد الفردفيهاكلياعلىأبويه،وحياةالكبارالمستقّلينبأنفسهم.وتعجفترةالشباب بالكثيرمنالمشكلات، كتلكالمتعّلقةبالدوافعالجنسية،والعلاقاتبالجنسالآخر،

هذابالإضافةإلىالطبيعةالنفسيةالاجتماعيةالنزاعةنحوالتجديدوالتغيير،ممايجعل

هذهالفئةفيتعارضوأحيانافيصراعدائممعكبارالسنالمتمسكينبالقديم، حولكثيرمنالمواضيع،منبينها اللباس،نوعيةالتعليموالوظيفةالتي يريدهاالأبناء،قضاياالزواجوالسكنالمستقيلعنالسكنالعائلي .وتعتبرهذه المواضيعأوالقضايا،بمثابةمجالاتيمكنأننفحصمنخلالهاعلاقاتالسلطة والصراعبينالآباءوالأبناء.

وتعد الأسرة أهم المؤسسات الاجتماعية تأثيرا على قيم الشباب إذ أن توتر العلاقات والروابط الأسرية بين الآباء والأبناء له أثره الواضح في تشكل الصراع القيمي لدى الأبناء وتعرضهم للانحرافات السلوكية وزيادة احتمال التورط في الجريمة.

وهذا ما يؤكده "جاف jaffe" حيث وجد أن هناك علاقة طردية بين نقص الإجماع على القيم داخل الأسرة وبين الميل إلى الجنوح وقد توصل إلى القضايا التالية :[28]

1- كلما زاد مقدار الاجتماع القيمي داخل الأسرة زاد مقدار التوحد مع الوالدين.
2- كلما زاد مقدار الإجماع القيمي داخل الأسرة قلت مشاعر الضعف.
3- كلما زاد مقدار الإجماع القيمي داخل الأسرة قل السلوك الإجرامي .
4- كلما زاد التوحد بالوالدين انخفض احتمال السلوك الإجرامي .
5- كلما زاد الشعور بالضعف زاد احتمال التورط في سلوك الإجرامي .

وتعتبر الفجوة بين الآباء وجيل الأبناء أحد العوامل المساعدة في ظهور الصراع القيمي إذ أن الشباب بحكم المرحلة العمرية وحماسته وطاقته الفياضة هو جيل ثائر ويرى أنه غير جيل الآباء والأمهات كما إن عدم اقتناع الآباء في كثرة من الأحيان بالمستورد من الأفكار والتقاليد والمعايير والتي تخالف مما عاش عليه الآباء من شأنها إحداث عدم التماسك الأسري وكلما أدرك الآباء أن سوء التوافق من قبل الأبناء مرجعه فوارق الحضارة بين جيل الآباء وجيل الأبناء وان نظرة الأبناء إليهم قد تصنفهم بأنهم من جيل عتيق متزمت

وكلما كانت محاولات الآباء التغلب على هذه المشكلات عن طريق المناقشة والحوار الهادئ وزيادة الثقة بينهم وبين أبنائهم وتعديل الأفكار الناجحة لأبنائهم كلما أدى ذلك إلى تقارب الاتجاهات داخل الأسرة وتضيق الثنائية والتعارض بين الأجيال.[29]

2-2- العوامل الثقافية:

تعيش المجتمعات العربية عموما حالة من عدم الاستقرار الثقافي نتيجة شيوع حالة من التناقض والازدواجية في كافة مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية وبالتالي فان الشباب الذي ينشأ في مجتمع بكل هذه التناقضات لابد من أن يعيش هذه الفوضى الفكرية مما يؤدي به إلى وقوعه في أزمة وصراع القيم.

فالواقع العربي يعاني ثنائية حادة بين ما هو عصري وما هو تقليدي على جميع المستويات الفكر والثقافة ثنائية تزداد مع الأيام لتكرس في المجتمع العربي انشطارا خطيرا وقطيعة فذة بين القديم التليد والحديث الجديد.

إذ يشهد المجتمع العربي تنافسا وصراعا بين دعاة الانفتاح على الغرب والعالم وبين دعاة الرجوع إلى الذات والماضي والتراث، وبشكل عام بين ثقافة عربية إسلامية أصلية وثقافية غربية معاصرة لا نستطيع أن ننغلق أمامها أو مقاطعتها لأننا نعيش في رحابها في كثير من أوجه الحياة.

وقد رسخ هذا الشعور، التطور الهائل فى الاتصالات التي بدأت تنعكس على المجتمع العربى من خلال انفتاح إعلامى بلا حدود يستهدف فرض ثقافة كونية، وينطوى على إخضاع العقول العربية لمجموعة من القيم والمعتقدات وأنماط السلوك المنتمية إلى مجتمعات حققت مستويات عالية من التقدم وتميزت ثقافتها بحريات شخصية واسعة، فكانت النتيجة هى اندثار بعض الثقافات المحلية، أو الصراع بين الوافد والمحلى، وصاحب ذلك مشكلات عديدة منها : ظاهرة الاغتراب بين الشباب، والبحث عن الهوية والذاتية الثقافية بل بات واضحاً أن الشباب فى مجتمعنا يعانى تمزقاً أمام الاتجاهات المتعددة للثقافات العديدة – خاصة الوافد منها – ، ويعيش صراعاً بين تراثه الإسلامى الأصيل وبين ما تقدمه الحضارة المادية الغربية، وأصبح حائراً من أجل مستقبله،وصار الشباب لا يعلم ماذا يريد، وما الأهداف التي يسعي لتحقيقها.

ومن أبرز التداعيات التى ظهرت على الساحة العالمية نتيجة الهيمنة الثقافية الغربية هو احتمال تراجع اللغة العربية فى مواجهة اللغات الأكثر انتشاراً فى العالم، وخاصة اللغة الإنجليزية والفرنسية وأصبح تعلمهما ضرورة لمواكبة العصر، الأمر الذى أدى إلى إهمال اللغة الأم إهمالاً تاماً من الشباب وعدم إتقانها، مما أدي إلى ضعف قيم الولاء والانتماء لدى الشباب وعدم تمسكهم بهويتهم الثقافية العربية والإسلامية.

ونلحظ هذا التأثير على التعاملات العربية خاصة على النات وفى بعض صحفنا ومجلاتنا، بل وفى اللوحات الإعلانية والتجارية، وحتى فى بعض التعاملات العادية التى لا تستلزم مطلقاً استخدام اللغة الأجنبية، مثل إقحام الشباب لبعض الكلمات الأجنبية فى الكلام دون الحاجة لذلك سوى التأثر اللاواعى بمعطيات العصر أو التفاخر بذلك، أو التحرج من استخدام لغته الوطنية، كما يظهر تأثير ذلك في العديد من السلوكيات اليومية مثل "ارتداء بعض الشباب الملابس والقبعات المرسوم عليها كتابات باللغة الأجنبية، وإطلاق المسميات الأمريكية والأوربية على بعض المحلات التجارية، ليس هذا فقط بل حتى على مستوى المتعلمين ممن حصلوا على درجات علمية رفيعة، نلاحظ أن البعض منهم يتباهى بأنه حصل على درجته العلمية من إحدى الجامعات الأوربية أو الأمريكية وهذا يدل على اعتزاز هؤلاء بالنموذج الأجنبى على حساب النموذج الوطنى.

وتلعب وسائل الإعلام وفي مقدمتها القنوات التلفزيونية الفضائية وشبكة الأنترنات دورا بالغا في التأثير على الجانب الثقافي والقيمي للشعوب وذلك من خلال تدفق المعلومات بلا أية قيود أو ضوابط ناقلة معها قيما وأنماطا سلوكية وأخلاقيات جديدة غريبة عن الثقافة السائدة مثيرة بذلك تناقضات مع ما ألفه الأفراد وبخاصة الشباب، مما يؤدي بهم الى الوقوع في الإزدواجية الثقافية والتناقض بين واقعهم المعيش وبين الواقع الذي تصوره لهم الفضائيات مما يؤدي الى وقوع الشباب في الصراع القيمي .

حيث تظهر على شاشات التليفزيون العربية، تلك المسلسلات المليئة بالقيم السلبية، ومن أبرز هذه القيم : الفردية والقسوة والعنف والتعصب والعدوانية والخيانة والسرقة والخداع، وأن هذه المسلسلات وخاصة الأمريكية منها تروج باستمرار الجوانب الإنحلالية كإقامة علاقات جنسية غير مشروعة بين شباب الجنسين، ولذلك يوجه كثير من علماء النفس والتربية والاجتماع الاتهامات لما يعرضه التلفزيون حيث يساعد على نمو السلبية واللامبالاة، ويدفع ببعض الشباب إلى ارتكاب جرائم العنف والقتل والسرقة، وهكذا يتضح أن انحراف الشباب جاء نتيجة لغياب المثل العليا التى يمكن الاحتذاء بها، بل تم إحلال مُثل أخرى غير سليمة محلها.

وهكذا فان الفرد في المجتمع العربي يتملكه الإحساس بأن القيم الحديثة قيم غريبة عنه كما يدرك أنه لا يمكن أن يتبني هذه القيم إلا إذا تخلى عن هويته الذاتية إلا أن هذه القيم الحديثة تستهويه من ناحية أنها منطلق الحضارة والطريق للوصول إلى التكنولوجيا المعاصرة لذا فان الفرد محاصر بنموذجين متناقضين من القيم يجعل الفرد يعيش صراعا ثقافيا وقيميا.

كما أن القيم السالبة التى انتشرت في المجتمع أعاقت الإبداع وأفرغت المعرفة من مضمونها التنموى والإنساني، حيث ضاعت القيمة الاجتماعية للعالم والمتعلم والمثقف، كما أن التعليم فقد قدرته على توفير الإمكانات التي تتيح للفقراء الارتقاء الاجتماعي، وباتت القيمة الاجتماعية العليا للثراء والمال، بغض النظر عن الوسائل المؤدية إليها, وساهم القمع والتهميش في قتل الرغبة في الإنجاز والسعادة والانتماء، مما أدى إلى سيادة الشعور باللامبالاة والاكتئاب السياسى، وبالتالي ابتعاد المواطنين عن الإسهام في إحداث التغيير المنشود في الوطن، ولم يعد الإنسان الحديث المنتج الفعال هو مثال المواطن المنشود، وبالتالي كان من الطبيعى أن تعانى الثقافة وإبداع المعرفة معاناة حقيقية، وهذا معناه أن الشباب العربى في حاجة ماسة إلى تمثل قيم جديدة كالمثابرة والصبر على العمل والإصرار والابتكار والإبداع.

2-3- العوامل الاقتصادية :

شهد العالم المعاصر تغيرات واسعة ومتلاحقة أثرت على المجتمعات الإنسانية ومنها المجتمعات العربية الإسلامية فخلقت أنماطا جديدة للحياة مست مختلف الجوانب الاجتماعية والأخلاقية والقيمية.

وأهم هذه التغيرات الاقتصادية الاتجاه نحو الاقتصاد العالمي واندفاع الدول نحو نظام الاقتصاد الحر والخوصصة والاندماج في النظام الرأسمالي وتحول اقتصاديات الدول المتقدمة من التركيز على الصناعة إلى التركيز على الخدمات وبروز منظمة التجارة العالمية والشركات ذات النشاط الدولي.

وقد أدى تطبيق اقتصاد السوق في عصر العولمة إلى انعكاسات خطيرة على الأنظمة الاجتماعية والثقافية في معظم بلدان العالم الثالث سيما دول الوطن العربي إذ أدى إلى ضعف الحياة الاقتصادية للأسرة العربية بسبب تنامي معدلات الفقر وازدياد معدلات البطالة بين أفرادها سيما الشباب الجامعي مما تسبب في انحسار الطبقة الوسطى مقابل اتساع أعداد الطبقة الفقيرة.

وقد تأثرت شريحة الشباب بقيم السوق التجاري التي أفرزها النظام الرأسمالي حيث شاعت في أوساطها النزعة المادية والرغبة الجامعة في الكسب والربح السريع.

وفي هذا الصدد يقول عبد الله عبد الدائم :" إن القيم الجديدة الوافدة التي تحل محل القيم التقليدية السائدة هي قيم الربح والكسب والاستثمار الأقصى للموارد المادية والبشرية من أجل زيادة الربح والكسب" [30]

وفى ظل انعكاس آليات السوق لم تعد قيم الكفاءة العلمية والقدرة الذهنية تؤهل الشباب لشغل الوظائف، بل حلت محلها قيم النفعية التبادلية مع من يمسكون بزمام هذه الوظائف، أى يتوقف الأمر على قيم الواسطة والمحسوبية والنفوذ وغيرها من القيم السلبية الأخرى، كما قد يدفع العجز المادي بعض الشباب إلى أن يقعوا فريسة للانحراف كأن يلجأوا للسرقة والغش والنصب والاحتيال والكذب، كما قد يدفعهم هذا العجز إلى اعتزال الناس والأصحاب، وعدم القدرة على مجاراتهم، مما يخلق فى نفوسهم مشاعر النقص وصعوبات التكيف مع مجتمعهم.

إن هذه القيم السالبة أخذت تتكرس منذ تراجع قيمة العمل والكفاءة والإنجاز، وطغت عليها اعتبارات الولاء والمحسوبية ، الأمر الذى جعل المجتمع مهيء لإعلاء قيمة الربح وقوة المال [31]

ثالثا– الإعلام الجديد وصناعة الوعي من خلال التغير الاجتماعي مثال جائحة كورونا:

أحدثت شبكات التواصل الاجتماعي طفرة نوعية ليس فقط في مجال الاتصال بين الجماعات بل في تأثير هذا الاتصال ، إذ كان لهذا الاتصال تأثيرات في المجال الاجتماعي والسياسي والثقافي ، إلى درجة أصبحت أحد أهم عوامل التغير الاجتماعي محليا وعالميا وذلك لما تلعبه هذه الوسائل من القدرة على التواصل والسرعة في إيصال المعلومة ،ومن ثمة يمكن تبين عجز وسائل الإعلام التقليدية أمام التأثير المباشر لشبكات التواصل الاجتماعي ، والأحداث الأخيرة التي شهدها العالم جراء ظهور وباء "كورونا" أو كما سمي ب"كوفيد 19"خير دليل على مدى تأثير الإعلام الجديد على تغير ملامح المجتمعات.

مما لاشك فيه أن العالم بأكمله يعيش تغير كبير بحيث أصبحت شبكات التواصل الاجتماعي هي البديل الأمثل للتعبير وتفاعل الأفراد في ما بينهم من خلال ما يقضونه من وقت طويل أمام شاشات الكمبيوتر مما أتاحت الفرصة لجميع الشباب تفعيل طاقاته المتوفرة وتوجيهها للبناء والإبداع وهذا ما لاحظناه من خلال الفيديوهات التي تضمنت ومضات تحسيسية وتوعوية مكثفة لمجابهة بعض السلوكيات الضارة بصحة الإنسان جراء كوفيد 19 ، من ثمة يتبين دور الإعلام الجديد في مناقشة قضايا الشأن العام بما يتناسب ومزاج المستخدمين في أشكال التواصل ، وكذلك في الصراع من أجل صناعة المعنى كما وصفها رواد النظريات النقدية وبوديار وليوتار ب"**الصناعة المزورة للواقع**"[32].

إن ما يحدث في شبكات التواصل الاجتماعي من عمليات تواصل يجسد ممارسات عشوائية"**والتي لا يمكن احتواءها بفعل تعديل يحدث داخل النظام ،لأن البيئة الجديدة المسماة اليوم بالإعلام الجديد، مهيأة لحدوث الفوضى لاعتبارها نظاما ديناميا معقدا، تحدث داخلها سلوكيات غير منتظمة وغير مستقرة ، بل إن عناصرها المادية والرمزية مولدة لمثل هذه السلوكيات، فالفوضى، بتعبير آخر، هي خاصية من خصائص هذه البيئة اللاخطية ، التي أصبح من العسير التحكم في ديناميتها والتنبؤ بحالاتها المستقبلية**" [33].

ولكن ما لاحظناه في فترة الحجر الصحي ظهور ممارسات ثقافية متعددة كالممارسات الموسيقية وخاصة فن الراب،الذي يعتبر أحد أبرز عناصر "ثقافة الهيب هوب" التي تتضمن ممارسات وتعبيرات ثقافية شبابية جديدة ومستحدثة (التعبيرات التشكيلية والتعبيرات الجسدية والتعبيرات الموسيقية) يطلق عليها في عديد البحوث السوسيولوجية: تسمية ثقافة الشارع وذلك نتيجة ما تعكسه التحولات الاجتماعية السريعة في عصر العولمة على الفئات الأغلبية الشعبية المهمشة والمقصاة اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا بذلك أصبحت اليوم ذات بعد كوني عالمي تسعى للتأقلم مع مشكلات العالم المعاصر.

وذلك عبر استيعابها لجملة من فنون الشارع التي تتألف في إطار ثقافة حضرية لها مميزاتها من أساليب التصرف واللغة واللباس والتفكير ولها إطار معنوي ورسالة تمنحها بعدا كونيا[34]. وهو ما خول لنا مخاطبة أعماق الشباب في أنحاء العالم والاستجابة لاحتياجاته الاجتماعية والنفسية لتصبح تأثيرات هذه الثقافة شائعة لدى كل فئات المجتمع التونسي إلا أن الفئات الأكثر تعرضا لهذا التأثير هي فئات الطبقة الوسطى والأوساط الشعبية.

"إن أصل كلمة الراب منحدر من الأمريكية أي الدردشة والثرثرة ويذهب البعض إلى ربطها بأصل شعبي دارج يقصد به الإسراع، ومهما يكن من أمر فإن كلمة "راب" تمثل جزءا من لغة الشباب اليوم.

أغاني الراب هي إلقاء نصفه كلام ونصفه الآخر غناء، ظهرت هذه الممارسة بطريقة واضحة ومعروفة بوصفها كفاءة من كفاءات الشارع خلال السبعينات في نيويورك وقد ظهر أول تسجيل على اسطوانة سنة 1979 وأصله من موسيقى الجماييك التي ساندت حركات النضال الزنجي الأمريكي حيث أخذ في سنة 1982 بعدا نضاليا يتبنى قضايا الزنوج الأمريكيين.

خاتمة:

إن البحث في موضوع الميديا الجديدة والتغير الاجتماعي، قد بات حتمية وضرورة لابد منها ، لذا أصبح للأفراد مؤسسات افتراضية يتفاعلون من خلالها، فمثل هذه السلوكات تطرح عديد الإشكاليات أهمها ما إذا كان للشباب وعي رقمي لما تحدثه هذه الوسائل الرقمية من تغيير في الواقع.

ولعلنا نحتاج في عالمنا العربي المعاصر إلى دراسات في مجال الإعلام تساهم فيها مختلف فروع المعرفة الإنسانية من علم اجتماع وعلم نفس وأنتروبولوجيا وعلوم الثقافة والاتصال.

الهوامش:

[1]- محي الدين عبد الحليم، الاعلام الاسلامي وتطبيقاته العملية، مكتبة الخانجي،ط2، القاهرة 1984،ص18.

[2]- باديس لونيس، صحافة المواطن وإعادة تشكيل مفهوم الجمهور،مجلة الحكمة، مؤسسة كنوز الحكمة،الابيارالجزائر، العدد2012،10،ص244

3- بوطالب(محمد نجيب):القبيلة التونسية بين التغير والإستمرار الجنوب الشرقي من الاندماج القبلي الى الاندماج الوطني,كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية تونس,سلسلة علم الاجتماع-المجلد8,المطابع الموحدة,تونس 2002,ص 75.

[4]- إبن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) لسان العرب ،دار صادر للطباعة والنشر,بيروت لبنان,ط2, 2003, المجلد الحادي عشر,ص107.

[5]- جابر, سامية محمد :علمالاجتماعالريفي،دارالنهضة .العربية،بيروت،1990 .ص10.

[6]- لجولاني(فاديةعمر) : التغيرالاجتماعي(مدخلالنظريةالوظيفية .لتحليلالتغير)،مؤسسةشبابالجامعة،الاسكندرية،1993 'ص13.

[7]- نخبةمنأساتذةعلمالاجتماع :المرجعفيمصطلحاتالعلوم الاجتماعية،دارالمعرفةالجامعية،الإسكندرية،دت.ص415-416.

[8]- نخبةمنأساتذةعلمالاجتماع ,نفس المصدر.ص416

[9]- الجولاني(فاديةعمر) : التغيرالاجتماعي(مدخلالنظريةالوظيفية .لتحليلالتغير),مصدر سابق, ص13.

[10]- الجولاني(فاديةعمر) : التغيرالاجتماعي(مدخلالنظريةالوظيفية .لتحليلالتغير),نفس المصدر. ص13.

[11]- الجولاني(فاديةعمر) : التغيرالاجتماعي(مدخلالنظريةالوظيفية .لتحليلالتغير),نفس المصدر.ص13.

[12] -Guy, Rocher, le changement social, Tome 3, coll. point, n° 15, Paris, 1970.

[13]- بلحاجعمر(عادل):أولويات القيم عند التونسي و علاقتها بالتغير الاجتماعي,بحث لنيل شهادة الدكتوراه,إشراف الأستاذ 14عبد الوهاب بوحديبة,كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس, السنة الجامعية 2001/2000.ص53.

[14] -Morin(E) ; sociologie ; Ed. Fayard ; Paris1984 ; P.438

[15]- بوطالب(محمد نجيب):القبيلة التونسية بين التغير و الإستمرار الجنوب الشرقي من الاندماج القبلي الى الاندماج الوطني, كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية تونس,سلسلة علم الاجتماع-المجلد8,المطابع الموحدة,تونس 2002,ص 81-82.

[16]- تبدل القيم ، مركز آل الحكيم الوثائقي ص 1.

[17] -Lemos. R. M. : The nature of Value, Fl. University Press, Florida, M. S. A, 1995, P. 17

[18]- روشيه (قي) ، **مدخل إلى علم الاجتماع العام ، الفعل الاجتماعي** ، تعريب مصطفى رندشلي, المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت,1983, ص89.

[19]– حنا (نبيل) ، **الاتجاهات التقليدية والحديثة في الأنتروبولوجيا الاجتماعية**, دالا المعرفة مصر,1985.

[20]– خليفة (عبد اللطيف محمد) ، **ارتقاء القيم ، دراسة نفسية** ، سلسلة عالم المعرفة الاجتماعية – دار المعارف , مصر 1985 ، العدد 160 أفريل 1992 ص 51.

[21]– ابراهيم (محمد عبد اللطيف) وموسى (هاني محمد يونس) **القيم لدى شباب الجامعة في مصر ومتغيرات القرن الحادي والعشرين**, دراسة منشورة على الأنترنات,ص5.

[22]– زاهر(ضياء الدين),**القيم فى العملية التربوية**، سلسلةمعالمتربوية، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 1996,ص49.

[23]– أمين(جلال): **العولمة والهوية الثقافية**، مجلة المستقبل العربى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ع234، أغسطس 1998، ص 60 .

[24]– محمود(زكى نجيب), **ثقافتنا فى مواجهة العصر**، ط3، دار الشروق : القاهرة، 1982، ص 160.

[25]– شبل(أحمد أبو الفتوح) : "**الانفتاح الحضارى، مبرراته، شروطه، متطلباته التربوية**"، مجلة كلية تربية **المنصورة**، ع34، مايو 1997، ص 268.

[26]– دولار(شريف), **تنافسية مصر فى إطار النظام التكنولوجى الجديد** ،مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة، 1996، ص73.

[27]– فتح الله(محمود فهمي),لنشق في الشباب,في الهيئة الدولية لصحة الأسرةFamily Health International , نشرة خاصة بالعربية,نيويورك,ص4.

[28]– الخشاب (سامية),**النظرة الإجتماعية ودراسة الأسرة** دار المعارف– القاهرة ط1– 1982ص 159.

[29]– منصور(عبدالمجيد سيد),الشربيني(زكريا احمد),**الأسرة على مشارف القرن 21**,دار الفكر العربي, القاهرة,ط1, 2000,ص222.

[30]– عبد الدائم (عبد الله) : **نحو فلسفة تربوية عربية** – مركز الدراسات الوحدة العربية – بيروت –ط2–2000–ص218

[31]– برنامج الأمم المتحدة الإنمائى – الصندوق العربى للإنماء الاقتصادى والاجتماعى : **تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2003 – نحو إقامة مجتمع المعرفة**، المكتب الإقليمى للدول العربية، الأردن، 2003، ص 142.

[32] –Théodor W.Adomo,Max Horkkeimer,Dialectic of Enlightenment,(social studies Association,Inc, New York,1944,4.

[33]– عبد الله الزين الحيدري، الميديا الاجتماعية: المصانع الجديدة للرأي العام،2017.

[34] –BAZIN (Hugues) : La culture hip-hop, DESCLEE DE BROUZEER 2001, P10

الاثنوغرافيا ودراسة الظاهرة الاتصالية

Ethnography and the study of communication phenomenon

د.شيخ علي[1]، د. مزي خديجة[2]

جامعة ابن خلدون- تيارت- الجزائر

[2]مركز الجامعي نور الباشير- البيض- الجزائر

ملخص البحث

تحاول هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على إسهام الاثنوغرافيا كمجال بحثي في دراسة الظاهرة الاتصالية في سياقها الاجتماعي والافتراضي من خلال بناء نموذج توصيفي للأساليب والكيفيات التي يوظفها الأفراد والجماعات في تواصلهم وتفاعلهم اليومي الآني والمتزامن، حيث ساهمت الاثنوغرافيا نظريا وحقليا في إماطة اللثام عن مرتكزات الاتصال والتواصل باعتبارهما أساسيان في فهم سلوك الاجتماعي للأفراد في سياقاته المختلفة، فهؤلاء يتواصلون عبر أداة أساسية هي اللغة كوسيط تقوم عليه الحياة الاجتماعية، فعندما تستخدم اللغة في سياقات الاتصال تنعقد الصلة بينها وبين الثقافة في نواحي كثيرة ومتشابكة، وهنا نشير إلى أن اللغة هي ترجمان حي للواقع الثقافي لدى مجتمع من المجتمعات. إن فعل الاتصال والتواصل يهدفان إلى تغيير مفاهيم عن طريق استعمال الرموز والحركات والإشارات والرسوم كما يهتمان بعمليات التخاطب والتي هي عمليات أساسية تتحدد في ضوئها نتائج أي نوع من أنواع التفاعل الاجتماعي، ونتيجة للتغيرات الحاصلة بفعل الرقمنة والتطبيقات الحديثة أصبحت طريقة تفاعل الأفراد والجماعات تتجاوز نطاق المتعارف عليه(الأسلوب الوجاهي)، لتنتقل إلى أسلوب التفاعل الافتراضي عبر الشبكة الافتراضية. **كيف ساهمت الاثنوغرافيا في تشخيص الظاهرة الاتصالية؟ وما هي أبرز الأساليب البحثية التي تقوم عليها الدراسة الاثنوغرافية الحقلية للظاهرة الاتصالية؟**

كلمات المفتاحية:الاثنوغرافيا؛ الاثنوغرافيا الاتصال؛ اللغة؛ البيئة الافتراضية؛ الثقافة.

Abstract:

This research paper attempts to shed light on the contribution of ethnography as a research field in studying the communication phenomenon in its social and virtual context by building a descriptive model of the methods and ways that individuals and groups employ in their daily, immediate and synchronic interaction and communication, Where ethnography through its theoretical and field contributions unveiled the foundations of contact and communication as essential to understanding the social behaviour of individuals in its various contexts, those communicate through an essential tool which is the language as a medium upon which social life is based, When language is used in communication contexts, the connection between it and culture is joined in many interrelated aspects, Here we point out that language is a living translation of the cultural reality of a community of societies.The act of contacting and communicating aims to change concepts through the use of symbols, movements, signs, and drawings, It also concern with conversational processes, which are basic processes in the light of which the results of any kind of social interaction are determined.As a result of the changes that have occurred due to digitalization and modern applications, the way individuals and groups interact has exceeded the accepted range (face-to-face), moving to the model of interaction via the virtual network.How did ethnography contribute to the diagnosis of

[1]شيخ علي، متحصل على شهادة الدكتوراه ل.م.د تخصص الأنثروبولوجيا العامة، أستاذ مؤقت بجامعة ابن خلدون –تيارت، الجزائر shikh3ali@gmail.com

[2]متحصل على شهادة الدكتوراه علوم تخصص علم الاجتماع العام، أستاذة مؤقتة بمركز الجامعي نور البشير، البيض، الجزائر mazzikhadidja@gmail.com

communicative phenomenon? What are the most prominent research methods that conduct the field ethnographic study of the communicative phenomenon?
Keywords: Ethnography; Contact ethnography; the language; Virtual environment; the culture.

تمهيد:

فتحت التكنولوجيا الحديثة لوسائل الإعلام والاتصال آفاقا كبيرة، وأثارت عدة من القضايا حول تأثيرها وانعكاساتها، سواءً إيجابية أو سلبية على الحياة البشرية، اجتماعيا، ثقافيا وسياسيا...، وكذا التأثير الكبير على نمط الاتصال، وبهذه التأثيرات أصبح استخدامها حقلا خصبا للعديد من الدراسات. الاثنوغرافيا هي مقترب يركز على فهم السلوك في سياق اجتماعي عبر مشاركة الباحث في المجال المدروس مشاركة فاعلة ضمن الفريق موضوع الدراسة، كما يوفر تقريرا وصفيا معتمدا على أدوات بحثية مميزة من مقابلات ودية غير رسمية إلى الملاحظة بالمشاركة.

1- الاثنوغرافيا سياق لبحث نمط العيش:

شكلت الثقافة الإطار المرجعي الذي تنتظم وفقه سلوكات الأفراد وأفعالهم نظرا لاشتمالها على مصادر تقوم في سياقها العام والخاص على تنظيم وتأطير شؤونهم داخل الفضاءات التي ينتمون إليها، فالثقافة هي التراث الاجتماعي الذي يتم اكتسابه وتوارثه عبر عملية التنشئة الاجتماعية وهي تعبر في إطار آخر عن مفهوم الخصوصية والانتماء إلى المحلي والمتماثل معه، وبذلك فهي تجسد في إطار اليومي مفهوم الاختلاف عن الآخر من خلال(جوانبها المادية والمعنوية التي تشكل مركب الثقافة)،" فالثقافة هي كل ما يتشاركه الأفراد من معتقدات، معايير، قيم، طقوس، لغة، تاريخ، معرفة وخصائص اجتماعية."[1]

وفي سياق آخر تعبر الثقافة عن" جوانب الحياة الإنسانية التي يكتسبها بالتعلم لا بالوراثة، يتشارك فيه أعضاء مجتمع معين في مجالات التواصل والتعاون سواء عبر الجوانب المنظورة مثل طرق العيش وتقنيات البناء ووسائل الإنتاج أو سواء عبر الجوانب غير المنظورة مثل المعتقدات والآراء والقيم التي تعتبر بمجملها مقومات الثقافة."[2]

وقد حظي هذا المفهوم باهتمام كبير من طرف علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا نظرا لأنها تشكل مصدرا مباشر لفهم نمط عيش الأفراد والجماعات داخل مجتمع معين فهي في نظرهم حقل خصب يعكس جل ممارسات ونشاطات الأفراد والجماعات، لذلك جاء تأكيد الأنثروبولوجيين من خلال دراساتهم الحقلية أن فهم ثقافة مجتمع معين تقوم في مقامها الأول على المشاركة الفعلية عبر الإقامة والاتصال المباشر بأفراد مجتمع مجال البحث، حتى يتمكن الباحث الأنثروبولوجي من تشخيص الواقع المعاش في ذلك الوسط.

فالاثنوغرافيا كمجال بحثي ضمن مجالات الأنثروبولوجيا العامة تقوم في مقامه الأول على التقصي الميداني الحقلي لدراسة خصائص التنظيم الاجتماعي في المجتمعات المختلفة، حيث اعتبرت مصدرا مباشر لفهم نسق العيش لدى جماعة معينة، فهي تشير في مفهومها العام إلى الدراسة الوصفية الدقيقة لمختلف الجوانب المشكلة لثقافة المجتمع من (عادات وتقاليد، قيم ومعايير، لغة ومعتقدات)،وغيرها من الجوانب التي تعكس طرائق العيش الاجتماعي وطبيعة النظم والعلائق الاجتماعية في ثقافة معينة.

تهتم الإثنوغرافيا بدراسة خصائص ثقافة معينة عبر تسليط الضوء على مختلف الجوانب المشكلة لها، فنمط العيش من المنظور الاثنوغرافي يرتبط بمختلف الأساليب والوسائل التي يوظفها أفراد المجتمع في تحقيق تكيف مع الظروف البيئية والاجتماعية، حيث يتم بناء وإرساء مظاهر هذا العيش عبر العلاقات الاجتماعية، النشاطات والممارسات اليومية التي تتوزع داخل الفضاءات المختلفة(الخاصة

منها والعامة)، والتي تتحدد بناء عليها مفهوم النوع الاجتماعي، المنطقة الجغرافية التي بدورها تعتبر فضاء يتم فيه ممارسة الفعلية للنشاطات الاجتماعية والثقافية التي تخص الأفراد والجماعات والتي تتعلق بالعادات اليومية والتقاليد التي يتم إحيائها في الاحتفاليات والمناسبات الدينية والاجتماعية الموسمية، النظم والأنساق باعتبارها حلقة وصل في تطبيق وغرس العناصر الثقافية في وعي الأفراد عبر عملية التنشئة الاجتماعية المبنية على التلقين والتقليد، ومنه فإن نمط العيش لدى مجتمع من المجتمعات يتحدد عبر المشاركة والمساهمة الفردية والجماعية في العناصر الثقافية التي تعتبر أساليب تعكس اجتهادات الأفراد والجماعات في تأسيس واقعهم الاجتماعي. وفي سياق آخر فإن دراسة نمط العيش في مجتمع معين يتوضح من خلال دراسة مختلف الظروف والأوضاع الاجتماعية السائدة التي تسمح بتقديم صورة عن الواقع الفعلي للجماعات والأفراد، حيث أن الاثنوغرافيا في هذا الإطار تهتم بدراسة مختلف الممارسات والنشاطات الاجتماعية والثقافية الاعتيادية، الاحتفاليات الموسمية، العادات اليومية الروتينية، التقاليد الاجتماعية، نمط الدين ومظاهر التدين، الممارسات الطقوسية التي تتصل بالسحر والشعوذة وأسباب الإصابة بالمرض، طرق وأساليب الاتصال وأشكال التفاعل الاجتماعي، كأساسيات يقوم عليها مفهوم نمط العيش، وفي هذا الصدد يمكن الإشارة للإسهامات عالم الأنثروبولوجيا برونسلاو مالينوفيسكي **B. Malinowski** الذي يعتبر أبرز الباحثين الحقليين الذين كان لهم دور كبير في دراسة المجتمعات دراسة واقعية عبر الملاحظة والمشاركة الفعلية في كل المظاهر الثقافية التي تجمع أفراد المجتمع مجال الدراسة، وجاء في تأكيده أن فهم الثقافة فهما شاملا يرتبط بالعيش الطويل بين أفراد الجماعة المحلية، ففي إطار بحثه الحقلي اهتم مالينوفيسكي بمختلف الجوانب المميزة للثقافة في مجتمع التروبرياندي حيث شملت اهتماماته الحقلية (دراسة نظم العائلية والقرابية، دراسة نظم الزواج ونظم التبادل الاقتصادي، دراسة التراتبية الاجتماعية ونظم السياسية، دراسة العلاقات الاجتماعية والجنسية، دراسة نظام المحارم والسلوكات المنحرفة كالجريمة والعنف، دراسة الدين والسحر وطبيعة الممارسات الطقوسية، دراسة قضايا الصحة والمرض وكيف يفسر هؤلاء إصابتهم بمرض معين، دراسة الاحتفاليات والمناسبات المختلفة)، وغيرها من الجوانب التي اعتبرها مالينوفيسكي أساسية في فهم الواقع الاجتماعي الذي يجسد مفهوم نمط العيش كنتاج عملية تفاعل بين البيئة، الإنسان والثقافة. ومنه تصبح الثقافة في نظره الإطار المرجعي الذي ينظم عملية التفاعل وتكيف وتبيان أنماط العيش لدى مجتمع معين أو داخل جماعة معينة، وفي جانب الآخر تساعد الثقافة عبر مظاهرها الباحث الاثنوغرافي من إلمام بتمفصلات حياة الأفراد والجماعات داخل النسق الثقافي الذي يحتوي جل ممارساتهم وأفعالهم ومقاصدهم على المستوى(الفردي والجماعي)، وكيف يعبر الأفراد عن هويتهم (الإثنية والجنوسية)؟

ومنه، فدراسة الثقافة من المنظور الاثنوغرافي تقتضي حضور الدائم للباحث وتطبيق قواعد الدراسة الاثنوغرافية التي تسمح بجمع أكبر كم من المعطيات بموازاة مع ذلك يتمكن الباحث من الإطلاع أكثر على سمات ومظاهر الثقافة مجل دراسته ونوع الإسهامات التي يقدمها الأفراد والجماعات للمحافظة عليها من تبعات التغير الاجتماعي والثقافي. وقد أدرج مالينوفيسكي كغيره من علماء الأنثروبولوجيا(راد كليف براون)، شروط التي لابد أن تتوفر في الدراسة الحقلية والتي شملت(الإقامة الدائمة في مجتمع البحث والاتصال اليومي بأفراده، تعلم لغة أفراد الجماعة المحلية، المشاركة في الاحتفاليات والعادات والتقاليد والأنشطة اليومية والممارسات الطقوسية)، " فإقامة الباحث بمجتمع الدراسة وتعلم لغة سكان المجتمع أمران ضروريان لأنهما يساعدان على ما أسماه(الملاحظة بالمشاركة)، وهي طريقة جمع المادة عن طريق الاشتراك في الأنشطة اليومية لسكان المجتمع موضوع الدراسة، بمعنى أن الباحث لا يقف موقف المشاهد عن بعد، وإنما يلجأ إلى المشاركة الفعلية فيما يقوم به الأفراد في المناسبات المتعددة والمجالات المختلفة التي تشكل أساسا جوهريا في فهم

الثقافة، فالباحث في رأيه لا يمكنه الوصول إلى حقيقة المعاني الرمزية أو الضمنية لسلوك معين في مناسبة خاصة، دون أن يكون له فرصة الجمع بين الملاحظة والمشاركة في الوقت نفسه."[3]

إن اهتمام الاثنوغرافيا في الفترة المعاصرة هو دراسة القضايا والمواضيع التي أصبحت تميز الحياة العصرية، حيث تم انتقال من دراسة الثقافات القديمة إلى دراسة الثقافة العصرية وإبراز خصائصها وسماتها ومن ضمن المواضيع التي اهتمت بها الاثنوغرافيا(دراسة الظاهرة الاتصالية في شكلها البسيط والمعقد، والكيفية التي يتبعها الأفراد والجماعات في عملية تفاعلهم وتواصلهم داخل الفضاءات المختلفة(العامة منها والخاصة)، وطبيعة الأساليب والوسائل التي يستخدمونها في عملية الاتصال والتواصل مع الآخر، دراسة الظاهرة الاتصالية في إطارها اليومي داخل الأماكن المختلفة، البيت، المقاهي، المساجد، نواد الرياضية، دراسة الظاهرة الاتصالية في سياقها الافتراضي عبر مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة التي لها دور في تحقيق فعالية اتصالية مع أفراد ضمن الشبكة الافتراضية)، وغيرها من المواضيع والقضايا التي أصبحت محل اهتمام الاثنوغرافيا التي نتج عنها ميلاد مجال بحثي عرف(بالاثنوغرافيا الاتصال)، كسياق لدراسة الظاهرة الاتصالية وبناء نموذج توصيفي للأساليب الاتصالية بين الأفراد والجماعات في إطار يومي روتيني وإبراز الجوانب التي يؤسس من خلالها هؤلاء واقعهم المعاش. وبذلك فالاثنوغرافيا الاتصال تهتم بدراسة السلوكيات الاجتماعية للأفراد والجماعات على أساس أنها تترجم عملية الاتصال.

2- اثنوغرافيا الاتصال(المفاهيم والسياقات):

إن الناس يتفاعلون مع بعضهم البعض عن طريق أداة مهمة هي اللغة، ففي اثنوغرافية الاتصال انطلقت ما يسمى اثنوغرافيا اللغة، هذا التيار وضع أسسه باحثان أمريكيان "دال هايز"Dell Hymes و"جون فمبرز"Gember، هذا التيار ظهر في الستينات حيث أراد أن يستفيد من العديد من التيارات التي كانت سائدة من خلال محاولة الاستفادة من أفكار وأبحاث مختلف التيارات الفكرية في مجال الأنثروبولوجيا واللسانيات وسوسيولوجيا اللسانيات في كتابهما اثنوغرافيا الاتصال، حيث خصصا كتابهما لعرض المقاربة الاثنوغرافية بحيث كانت عبارة عن مقاربة جديدة وهي الاستفادة من الأفكار التي طرحت في تخصصات مختلفة لدراسة مقاربة التفاعلات السلوكية اللغوية، وهذه الأخيرة هي مقاربة منهجية ولغوية اعتمدت على التحليل الميداني، هذان الباحثان لم يقتنعا بالدراسات والأبحاث التي قدمت من قبل التيار اللساني سواءً من قبل دسوسيور ولا جاك ويسون لأن هذا التيار عند غامبرس وهايمز هي بيئة مغلقة ومستقرة، هذه المقاربة استفادت من التيار البراغماتي في الاتصال الذي وضع أسسها أوكستن في كتابه حيث استعار الباحثان من هذا البحث المفاهيم الأساسية خاصة مفهوم الأداء اللغوي. أما المحاور الكبيرة التي اهتمت بها هذه المقاربة هي وضع تصنيف لوضعية اللغة وهذا التصنيف يقوم على التوليف بين البحوث الإمبريقية هي العادات اللفظية للجماعات الإنسانية والإشكاليات المرتبطة بالتنوع اللغوي (ازدواجية اللغة، تعدد اللغة، ازدواجية اللهجات، تعدد اللهجات)، ومفهوم آخر هو La Diaglosse أطلقه ماريتي توماسوتوجد فيه لغة ثانوية أساسية تستفرد بالسلطة في مجتمع من المجتمعات مثلا أنا أمازيغي إذن أنا مضطر إلى أن أدرس الأمازيغية؛ أي هناك لغة تستحوذ على لغة أخرى وهذا يخلق مشكلات اتصالية وهذه ظاهرة مجتمعية وليست فردية."[4]

فالاثنوغرافيا الاتصال Ethnographie de communication أحد "المفاهيم التي طورها علماء اللغة واللسانيات من خلال دراستهم لظاهرة الاتصال اللغوي، بحيث اعتبروا أن اثنوغرافيا الاتصال تتضمن الموقف التواصلي، والحدث التواصلي، والفعل التواصلي، وهي عناصر أساسية لتحليل الظاهرة وفهمها، فالأول يركز على ظروف التواصل، والثاني يعني عدد الوحدات والمواقف المكونة للحدث، والثالث نقصد

به الأقوال اللغوية المتعارف عليها."[5] من اهتمامات اثنوغرافيا الاتصال دراسة الأساليب المتبعة من طرف الفاعلين في عملية الاتصال والتفاعل مركزة بذلك على الأسلوب الشفهي الذي يتجسد عبر الحدث الكلامي واللغوي والأسلوب غير الشفوي الذي يتمظهر عبر توضع الجسد والحركات والإيماءات التي تعتبر في نظر الباحث الاثنوغرافي طرق اتصالية تشرح المقاصد والمصالح التي تجمع بين الأفراد في سياق مجتمعي معين. في هذا الصدد يقول **غوفمان Goffman**في مقدمة كتابه تعريف بالذات" حينما يكون فرد في حضور أفراد آخرين، فإن هؤلاء يحاولون الحصول على معلومات حوله، أو يحركون المعلومات المحصلة لديهم حوله سلفا، وقد يأسفون ويقلقون على وضعه الاجتماعي والاقتصادي، ومن رؤيته إلى نفسه وتصرفاته معهم ومن قدرته ومهارته وصدقه..الخ. لا تطلب هذه المعلومات لذاتها فحسب، بل كذلك لأسباب عملية وتطبيقية إنها تساهم في تعريف الوضع وتحديده بتمكين الآخرين من التنبؤ بما ينتظره شريكهم منهم وبالتوازي ما ينتظرونه منه."[6] وفي سياق آخر" فالناس من خلال التفاعل يتعلموا أن يتصرفوا بالطريقة التي يتوقعها الآخر منهم، ومن ثمة فهم يراعوا أن يكون سلوكهم مطابقا للأنماط السلوكية التي تحدث في المؤسسات والنظم الاجتماعية التي خلقوها وهو يعلمون أيضا أن الآخرين لديهم نفس التوقعات. ومن هنا فإن أنماط العلاقات بين الناس وجماعاتهم تشكل البيئة الاجتماعية social structure وتتجلى طبيعة المجتمع في كونها انعكاس للتوقعات المتبادلة. وبالتالي فإن جميع هذه الأفعال والتفاعلات منظمة ومراقبة ومدفوعة بالعضوية الجماعية، بما يترتب عنها من أدوار وتوقعات يتعلمها الفرد عن طريق التنشئة الاجتماعية."
[7]

3- الظاهرة الاتصالية في سياقها الاثنوغرافي:

يعبر الاتصال في سياق الاثنوغرافي عن مختلف الأساليب والوسائل (البسيطة منها والمركبة)، التي يستخدمها أو يوظفها الأفراد والجماعات في عملية تواصلهم وتفاعلهم اليومي، وهو ما سعت اثنوغرافيا الاتصال إلى تشخيصه ومعاينته عبر الدراسة الحقلية باعتبارها فضاء مناسب لرصد تلك الأساليب والطرق الاتصالية التي تتحدد فعاليتها من خلال النسق الثقافي للمجتمع، وقد ركزت في بداية دراستها للحدث الاتصالي على الأساليب الشفوية التي تتجسد من خلال(الكلام واللغة)، كنماذج أساسية في فهم علاقة بين(الأنا والآخر)، ففي الإطار اليومي يتبادل الأفراد أطراف الحديث من خلال استخدام كلمات ومفردات متداولة ومتعارف عليها لديهم، تحمل في طياتها مضامين وتأويلات حول مواضيع مختلفة قابلة للنقاش، وهنا نشير إلى الحدث الكلامي، حيث يعد الكلام وسيلة اتصال شفهي، وفي هذا الصدد اقترح الباحث dellHymes نموذجspeaking والذي حدد له كهدف، تزويد الباحثين بإطار وصفي ومنهجي الذي يأخذ بعين الاعتبار التغير والتقلب الثقافي لأنساق الاتصال، والذي يسمح بمقارنة دور الكلام في مجتمعات مختلفة، ويحتوي هذا النموذج على ثمانية مكونات حددها فيما يلي:

- ✓ السياق setting: وحدده في مكان، ووقت وأجواء الاتصال.
- ✓ المشاركون participants: كل المشاركون سواء كانوا قد أخذوا الكلمة أولا.
- ✓ الغاياتends: ويقصد به هدف ونتاج اللقاء.
- ✓ الأفعال أو المنتوج acts: ويقصد به الرسائل في حد ذاتها، في موضوعها وفي شكلها.
- ✓ النبرةKey: الخصائص البروزودية للرسائل أي نبرات الرسائل.
- ✓ الوسائل والأدوات:instrumentalités ويقصد بها وسائل الاتصال، وتتضمن الوسائط والقنوات، اللغة المنطوقة، المغناة، المكتوب، والمجاورة والمدونات، لغات، لهجات ومستويات اللغة.
- ✓ المعاييرnorms : معايير التفاعل التي تضبط أخذ الكلمة وتوزيعها، وقواعد ومعايير التأويل التي تأخذ بعين الاعتبار الخلفيات والاختلافات الاجتماعية والثقافية.

✓ الأنواع genres : ويقصد بها أنواع أو أنماط الخطابات، أي الفئات التي يصنف من خلالها أعضاء جماعة ما نشاطاتهم اللفظية، قصص، حكايات غريبة، مآسي."[8]

وتعد اللغة في هذا الإطار أساسية لتفعيل العملية الاتصالية بين الأفراد والجماعات، فداخل كل ثقافة هناك لغة متعارف عليها لدى أفرادها وجماعاتها تسمح لهم بالتعبير عن أفكارهم وآرائهم(الشخصية والجماعية)،" فأعضاء مجتمع ما أو جماعة اجتماعية ما لا يكتفون بالتعبير عن خبراتهم، ولكنهم يقدمون خبراتهم للعالم حين يبعثون فيها الحياة من خلال اللغة، فهم ينقلون خبراتهم من خلال الوسيلة التي يختارونها من أجل التواصل بينهم عبر الهاتف– على سبيل المثال أو من خلال الحديث المباشر أو بإرسال رسالة عبر البريد العادي أو الإلكتروني أو عند قراءة جريدة أو تفسير رسم بياني ، إن الطريقة التي يستخدم بها الناس اللغة منطوقة كانت أو مسموعة أو مكتوبة أو مرئية، تنشئ معان يفهمها أعضاء الجماعة التي ينتمون إليها من خلال أسلوب المتحدث، مثلا ونبرة صوته وطريقته في المحادثة وإيماءاته وتعبيرات وجهه. إذن تجسد اللغة واقعا ثقافيا من خلال جميع مظاهرها اللفظية وغير اللفظية".[9]

فاللغة أساسية في الحياة اليومية فهي أداة لفهم الأطر المختلفة للفعل الاجتماعي في صيغه(التفاعلية، التبادلية والتواصلية)، فالأفراد والجماعات توظف اللغة بطرق مختلفة(التعبير عن الأفكار والآراء، بناء روابط اجتماعية، تقديم وتعريف بالذات لدى الآخر، تحقيق انتماء إلى جماعة معينة أو ثقافة معينة، إحياء العادات والتقاليد)، وغيرها من الجوانب، فهي تعبر عن الأداء الاجتماعي Social performance واللغة أساسية في فهم(الظاهرة الاتصالية وفعل التواصل في سياقه الاجتماعي والثقافي" فالتواصل كما صوره هابرماس ينظر إلى اللغة في بعد البراغماتي، فهو يعني اللغة وهي منغمسة في تيار الإنتاج والإبداع لكن ما هي حقيقة هذا الإنتاج ومضمونه؟ يجيب هابرماس بصرامة واختصار إنه التفاهم أو الوفاق Entente وهو في هذه المسائل كما يقول على اتفاق تام مع فيتجنشتاين الذي يرى أن مفاهيمه عن اللغة والتفاهم مفاهيم أصلية تعبر عن حقيقة الجهد الذي بذله في هذا المجال. فأغلب فلاسفة اللغة يرون في هذا الاندماج بين اللغة والتفاهم اختزالا للظاهرة اللغوية المعاصرة، والحال أنه يمكننا الاعتراض على هابرماس فيما يخص موقفه من اللغة وثقته المتزايدة فيها، فهي لا تعني دائما التفاهم على اعتبار أنها قد توظف لغايات التلاعب والخداع فقد ندعي أن هدفنا هو بلوغ التفاهم بينما نتصرف عكس ذلك تماما."[10]

من خلال هذا الطرح يمكن القول أن اثنوغرافيا الاتصال اهتمت بدراسة اللغة باعتبارها أساسية في فهم صيغ التفاعل والاتصال اليومي بين جموع الناس(أفراد وجماعات)، مركزة بذلك على المضامين والتأويلات التي يضفيها الفاعلون في عملية الاتصال والتواصل الآنية واليومية بينهم، وفي هذا الصدد يؤكد هابرماس على" أن اللغة تلعب دورا رئيسيا وأساسيا في نظرية الفعل التواصلي باعتبارها الوسيط الأساسي للتواصل بين الذوات، وحجة هابرماس هنا هي أن قدراتنا على تواصل ذات بنية وقواعد أساسية لا توجد إلا في اللغة، فكان اهتمام هابرماس باللغة من منظور خصائصها التداولية، فاللغة تشكل عنده نسقا من القواعد تساعد على توليد تعبيرات تعتبر من عناصر اللغة."[11]

وفي سياق آخر تهتم اثنوغرافيا الاتصال بدراسة الأساليب غير الشفوية كوسيط لفهم الظاهرة الاتصالية داخل ثقافة معينة، وكيف يصبح للأسلوب غير الشفوي إسهام في بناء علاقة اتصالية مع الآخر، حيث تتمظهر الأساليب الاتصالية غير شفوية فيما يطلق عليه(لغة الجسد)، والتي تشمل(الحركات، الايماءات، الإشارات، تغير معالم الوجه في أوقات الفرح والحزن، في أوقات المرض، أثناء ارتداء نمط معين من اللباس، أثناء العناية الصحية بالجسد)، كلها تعكس الأسلوب غير الشفوي الذي تظهر معالم عبر تموضعات الجسد المختلفة. إن تموضعات الجسد في أوضاع التفاعلية توحي بوجود علاقة اتصالية بين الأفراد، فعندما نتكلم وندخل في محادثات

مع الآخر، فإن أجسادنا تتخذ وضعيات معينة تتناسب مع زمن ومكان اللقاء، حيث أن تموضعات الجسد تختلف من فضاء إلى آخر، كما تختلف بين الأفراد وفقا لمؤشر(السن، النوع الاجتماعي والمكانة الاجتماعية)، ولمعالم الوجه في الظروف اليومية دور في علاقة الاتصالية" فالجسد يعتبر أحد الأدوات التي يوظفها الخطاب البصري لبناء إرساليته البصرية، وذلك لما يوفره من إمكانيات تواصلية، وهو الأمر الذي ركزت عليه التجربة السيميولوجية في تعاملها معه باعتبارها نسقا إيمائيا تواصليا، فهو يعبر عن تمثلاتنا البيولوجية والثقافية، إنه وسيلة للعيش والتواصل وإنتاج الدلالات، وهو الواجهة التي تفضح دواخلنا وأداة لتحديد هوياتنا وأشكالنا فالجسد يحتل مكانة هامة في حياتنا اليومية، إنه المبدأ المنظم للفعل، وهو الهوية التي بها نعرف وندرك، وهو أيضا الواجهة التي تخون نوايانا الأكثر سر.[12]

وعليه" فالكثير من تصرفاتنا غير الشفهية مكتسبة ومعنى هذا أن الكثير من حركاتنا وإيماءاتنا محددا ثقافيا، ومثلما تختلف اللغة الشفهية بين ثقافة وأخرى، كذلك قد تختلف اللغة غير الشفهية، وفي حين قد تكون إيماءة ما عادية في ثقافة معينة ولها تفسير واضح، قد تكون غير ذات معنى في ثقافة أخرى أو حتى قد يكون لها معنى مناقضا كليا، ومنه يمكن القول أن لغة الجسد هي لغة تواصلية حديثة، تعتمد على تعابير الجسد ومصطلحاته، وهو علم يدرس طرق التواصل غير اللفظي اللاشعوري، إذ يحاول الإحاطة بردود فعل الجسم عند التواصل مع الغير عن طريق ملاحظة الحركات الصغيرة والبسيطة للوجه والجسد ككل.[13]

شكلت اللغة الشفهية وغير الشفهية والعناصر الثقافية الأخرى(الطقوس)، ركائز أساسية لفهم الظاهرة الاتصالية داخل نسق ثقافي معين، فحسب رواد الاثنوغرافيا فإن هذه العناصر الثقافية تعتبر حقل خصب لتحليل العلاقات الاتصالية في سياقها(الزماني والمكاني المختلف)، وهي في نظرهم جوانب مهمة في تشخيص ظروف العيش لدى الأفراد والجماعات وطبيعة الاختلاف في تأويل دلالات فعل الاتصالي من ثقافة إلى أخرى. كما يتواصل الأفراد في الإطار اليومي عبر العناصر الثقافية التي يتشاركونها في الوسط الاجتماعي لعل من ضمنها(العادات والتقاليد التي تتمظهر عبر الممارسات الطقوسية)، التي تكتسح الحياة الاجتماعية في إطار النشاطات الاعتيادية والروتينية أو بتعبير بيار بورديو P. Bourdieu (الهابيتوس)، حيث تتصل هذه الممارسات بعملية تأطير شؤون اليومية الفردية والجماعية، طقوس العناية بالجسد وطقوس الوقاية من المرض، طقوس شرب القهوة، وغيرها من الممارسات التي تؤسس لمفهوم فعل الاتصال والتواصل، فالطقوس في سياقها الاثنوغرافي تشكل مجموعة من الممارسات والإجراءات التنظيمية ذات اتفاق الجمعي، فهي حسب الباحث Rappaport " "فالطقوس كممارسات تتميز بأنها الفعل الذي يتم بشكل رسمي، نمطي و متكرر."[14]

تتصل بمختلف أطوار الحياة الاجتماعية، حيث تعد هذه الممارسات أساليب اتصالية بامتياز نظرا لأنها تشكل حلقة وصل في بناء نموذج علائقي بين الأفراد والجماعات في الاحتفاليات والمناسبات الاجتماعية والدينية اليومية والموسمية. فالطقوس في هذا الإطار تعد وسيلة اتصال ، فالبشر حسب الباحث غوفمان كائنات طقوسية بامتياز ، وهنا نشير إلى أن هذه الممارسات تعكس المعيش اليومي في ظل وجود غايات ومقاصد يسعى الفاعل الاجتماعي لنيلها والحصول على مباهجها ومنافعها، ومنه فالأفراد والجماعات يتواصلون عبر صيغ مختلفة وفي سياق مجتمعي معين.

وفي سياق آخر ونتيجة للتغيرات الاجتماعية والثقافية، فإن الاثنوغرافيا الاتصال وسعت من نطاق اهتمامها بالظاهرة الاتصالية لتشمل بذلك دراستها في إطار تقني رقمي عبر الشبكة الافتراضية أي دراسة(الاتصال والتفاعل عبر الوسائط الإعلامية المختلفة)، وذلك من خلال تشخيص خصائص وسمات هذه العملية وطبيعة العلاقات الافتراضية ونوع الأساليب التي يوظفها الأفراد في هذا الفضاء الافتراضي" فاللتفاعل مع الآخرين هناك أكثر من وسيلة(الهاتف، الرسالة، الهدية، اللقاءات المباشر في المناسبات)، إلا أن التواصل البريدي الفوري أضحى مثلا عصريا للترابط الوثيق بين أشكال الحياة الاجتماعية من جهة، والقدرة على التحكم بالزمان

والمكان من ناحية أخرى، فالبريد الالكتروني عبر الانترنت على سبيل المثال أتاح التفاعل مع أناس من شتى بقاع العالم دون معرفة مسبقة(تفاعل المكان)، كما أنه عدل من حركة الزمان فأصبح بالإمكان الاتصال بصورة فورية ومباشرة وفق ما يعرف بلحظنة التواصل(تفاعل الزمان). لقد أعاد هذا الدخول التقني ترتيب حياة الناس اليومية في أشكال من التفاعل لا مجال لمقارنتها مع الزمن الغابر حتى أصبح ضروريا وحيويا بشكل لا يمكن تصور الحياة بمعزل عنه، فالتخاطب عبر ما يعرف Emails ورسائل الهاتف الخلوي غدي من البديهيات القائمة في حياة الكثيرين بالمجتمعات المعاصرة." [15]

فبفعل التغيرات المختلفة إلي عرفتها المجتمعات فإن العلاقات الاتصالية بين الأفراد والجماعات أصبحت اليوم محددة أكثر عبر التقنيات الحديثة والوسائط الإعلامية، فالتواصل اليومي إلى جانب أنه شفهي بين الأفراد في نفس المجتمع فقد اتسم بميزة أخرى هي سهولة اتصال بأفراد من نفس المجتمع ومجتمع آخر عبر استخدام(الهواتف الذكية، انترنت، المواقع الاجتماعية التواصلية)، في إطار البيئة الافتراضية التي أضحت اليوم تصنف ضمن البيئات التي تتحدد عبرها سلوكات الأفراد والجماعات، واعتبرت في سياق نفسه بيئة انتمائية يطرح فيها الأفراد كل ما يخصهم في الإطار اليومي. وهنا نشير إلى أن الظاهرة الاتصالية في زمن التكنولوجيا اتسمت بتعدد مجالاتها وتزايد تعقيدها لاشتمالها على عنصر التقنية كوسيط أساسي في بناء علاقة تواصلية تفاعلية بين الأفراد، حيث" ساهمت الانترنت والتي تعد أحد منجزات الثورة الاتصالية في تشكيل فضاء جديد وهو الفضاء الرمزي Cyber space، الذي يعد إطار جديدا لعلاقات اجتماعية عابرة للقوميات والأماكن. فالمتعارف عليه أن الجماعة الاجتماعية مجموعة من الأفراد يجمع بينهم قيم مشتركة وشعور بالانتماء يعيشون في بيئة جغرافية مكانية واحدة تحكمهم قيم وأعراف يجتمعون عليها. ولكن الانترنت ساهم في تشكيل علاقات تتجاوز الإطار الفيزيقي المكاني وتفاعل الوجه بالوجه. وشكل مستخدموه وخاصة الذين يجمع بينهم اهتمامات مشتركة جماعات فيما يطلق عليها Virtual community الجماعات الافتراضية، وهي شكل جديد من أشكال التفاعل الإنساني تتكون هذه التجمعات من مجموعة من الأفراد، والذين يستعملون الحاسب الآلي للاتصال بينهم وذلك يختلف عن اتصال الوجه بالوجه."[16]

تعد البيئة الافتراضية ركيزة أساسية يقوم عليها التواصل اليومي والمتزامن بين الأفراد، فهذه البيئة ساهمت في خلق مناخ يسمح للأفراد من مجتمعات مختلفة بالتقاء عبر المواقع الإلكترونية وتبادل الأفكار والمعارف وحتى عرض الخصوصيات وتعبير عن التراث الاجتماعي(عادات وتقاليد)، وبالتالي فهي قائمة على إشراك الأفراد وتفعيل الأساليب الحياتية عبر تقديم صورة حية من خلال(الشاشة والصوت وبمختلف اللغات)، واليوم أضحت هذه البيئة ضرورية بالنسبة للنشاطات التي تتخلل الحياة اليومية، نظرا لاحتوائها على سمات مكنتها من إلمام بكل تفاصيل وجوانب المشكلة للحياة الاجتماعية(فالنشاطات التي نقوم بها والطقوس التي نمارسها والمقاصد التي نسعى لتحقيقها أصبحت في ظل الواقع الافتراضي عناصر نتشاركها مع الآخر)،" فالبيئة الافتراضية أو البيئة الواقعية كما يسميها البعض هي امتداد منطقي للتقدم التكنولوجي للحاسوب. فهي بيئة يتم إنتاجها من خلال الحاسوب بحيث تمكن المستخدم من التفاعل معها سواء كان ذلك بتفحص ما تحتويه هذه البيئة من خلال حاستي البصر والسمع أو بالمشاركة والتأثير فيها بالقيام بعمليات تعديل وتطوير. فهي عملية محاكاة Simulation ليست واقعية أو خيالية يتم تصورها وبنائها من خلال الإمكانيات التي توفرها التكنولوجيا الحديثة باستخدام الصوت والصورة ثلاثية الأبعاد والرسومات لإنتاج مواقف حياتية تشد من يتفاعل معها وتدخله عالمها."[17]

تتمظهر البيئة الافتراضية عبر الوسائط الإعلامية والاتصالية الحديثة الممثلة في مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة(فايسبوك، تويتر، انستغرام و يوتوب)، وغيرها من المواقع الأخرى التي يعتبرها البعض وسائط للاتصال وتماثل مع الآخر، فهذه المواقع توفر حرية الاتصال وتفاعل دون قيود أو عراقيل كما تسمح للفرد(بالتعريف بالذات)، وتقديمها في إطار افتراضي واقعي." بطريقة أو بأخرى تنتظم حياة الناس في جماعات، وحينما تقيم سلسلة من التواصل تعرف بالشبكة الاجتماعية Social network، التي تعني الارتباطات القائمة والعلاقات المباشرة فيما بينها، مثل هذه المواقع وغيرها لم تكن فقط مجرد صفحات إلكترونية تنشر المعلومات والأخبار والأحداث الغريبة، وإنما ما تتركه من تأثير على نمط التفاعل وصوره. لفترة من الزمن كان التواصل محدد برسالة خطية أو بطاقات معايدة بالمناسبات الكبيرة ومحكوما بالزمن والمسافة والجهد، بينما اليوم أصبح التفاعل مختصرا في حضوره الآني والمباشر وربما بأسلوب التعاطي مع الآخرين."[18]

لقد ساهمت هذه المواقع في ربط الأفراد عبر عالم افتراضي بعلاقات افتراضية يتبادل من خلالها هؤلاء كل تجاربهم الشخصية ومعاناتهم وعرض أسرارهم في حالات أخرى كما أصبحت مجالا يعرض مختلف القضايا (الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية، الثقافية والدينية)، وحتى عرض مظاهر السلوك الانحرافي في أوساط الاجتماعية، وفي ذلك إشارة إلى أن التطور التكنولوجي سمح برفع الستار عن القضايا التي كانت تصنف ضمن مواضيع(طابو)، وقد استأثرت هذه المواقع باهتمام الباحثين الاثنوغرافيين الذين اعتبروا هذه المواقع جوانب أساسية لدراسة ظاهرة الاتصالية في إطارها الافتراضي، حيث سعى هؤلاء الباحثين إلى دراسة مجموعة من القضايا ضمن السياق الافتراضي عبر تسليط الضوء على أساليب الاتصال المستخدمة في هذه المواقع، اللغة والمفردات المستخدمة ضمن هذه المواقع، كيفية عرض وتقديم الذات للآخر عبر هذه المواقع، دراسة دور هذه المواقع في بناء هوية الأفراد المشاركين والمستخدمين لها، دراسة أثر هذه المواقع على مستوى العلاقات والروابط الافتراضية، على مستوى الصحة النفسية والاجتماعية للأفراد، وغيرها من القضايا التي ترتبط بالتواصل الافتراضي ضمن البيئة الرقمية. وبذلك، أصبح الفضاء الافتراضي حقل خصب للدراسات الاثنوغرافية نظرا لأنه يعتبر مصدر مباشر لفهم وتشخيص العلاقات الافتراضية عبر المعايشة والمشاركة في هذه القضايا التي تثيرها مواقع التواصل الاجتماعي ومسألة الاتفاق حولها أو معارضتها، حيث فتحت هذه الدراسات الاثنوغرافية مجالا آخر لتشخيص الظاهرة الاتصالية في إطارها الرقمي والمعصرن." فظهور الدراسات الاثنوغرافية في الإعلام فكان في الثمانينيات من القرن الماضي وذلك في إطار ما أطلق عليه الدراسات الثقافية Cultural studies تحت رعاية مركز الدراسات الثقافية في بريطانيا، أين ساهمت هذه الأخيرة بنظرتها النقدية إلى طبيعة عمل وسائل الإعلام وانتقاداتها الحادة إلى المناهج الكمية المستخدمة في دراسات الاتصال أو ما عرف بالفكر النقدي لرواد مدرسة فرانكفورت في توجيه البحوث والدراسات الإعلامية والاتصالية نحو منهج الاثنوغرافي لفهم ظواهر الإعلام والاتصال."[19]

4- الدراسة الاثنوغرافية الحقلية للظاهرة الاتصالية:

إن دراسة ظاهرة اجتماعية معينة يقتضي من الباحث إتباع أساليب وطرق لتشخيص وبحث عناصر وسمات التي تميز هذه الظاهرة في إيجابياتها وسلبياتها وإبراز آثارها المختلفة على الأفراد، المؤسسات والمجتمعات، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال إجراء دراسة ميدانية التي تسمح له(أي الباحث)، بجمع أكبر كم من المعطيات في صيغها المختلفة(كمية كانت أو كيفية حسب طبيعة الموضوع أو الظاهرة محل الدراسة)، وقد حفلت الدراسات الأنثروبولوجية والاثنوغرافية بحضور الدائم للباحث(الأنثروبولوجي/الاثنوغرافي)، في الميدان نظرا لأن طبيعة الدراسة تقتضي ذلك، فالحضور والمعايشة والملاحظة بالمشاركة أساسيات في الدراسة الحقلية الاثنوغرافية، فالباحث في هذا الصدد يتقيد بهذه الشروط، وبالتالي فالدراسة الاثنوغرافية تتضمن الحضور الفعلي للباحث بين الجماعات محل الدراسة لتشخيص ظروف عيشهم وطبيعة ممارساتهم لعاداتهم وتقاليدهم وأساليب احتفالهم بالمناسبات الدينية والاجتماعية وطرق اتصالهم وتواصلهم

وتفاعلهم، حيث " يركز البحث الاثنوغرافي على وصف السياق، دون محاولة من الباحث فرض نظامه أو معتقداته على الموقف البحثي. ففهم السلوك وجمع البيانات والمعلومات وفهمها وتفسيرها يجب أن يجري في مواقعها وسياقاتها الطبيعية، كما أن تعميم النتائج ليس هدفا، فالمهم هو الوصف الدقيق والمتعمق للموقف موضوع الدراسة. كما يركز على دراسة حالة اجتماعية معينة أو حدث معين، وتقديم فهم شامل عن الحالة أو الحدث، ويعتمد هذا الوصف على النص أكثر من اعتماده على الأرقام، ولذلك فإن البحوث الكيفية تعتمد في عرضها للنتائج والتفسير لإجابات المبحوثين واستخلاص الرؤى منها." [20]

وبذلك تقوم الدراسة الاثنوغرافية الحقلية على انغماس المباشر للباحث وحضوره الدائم الفعلي أو عبر الخط لمعايشة الأحداث الفعلية، فيصبح بموجب ذلك أحد أعضاء الجماعة المدروسة، يسجل ما يحدث عبر ما يسمى(باليوميات)، استخدام أداة تصويرية وتدون المشاهدات اليومية والآنية بتفاصيلها الكبرى والصغرى، يطرح أسئلة، يشارك في العادات والتقاليد والاحتفاليات المختلفة، يتابع مجريات العيش في ذلك الوسط لحظة بلحظة، نظرا لأن السياق البحثي يقتضي ذلك مع الأخذ بعين الاعتبار طبيعة الموضوع الذي اختاره الباحث ومنه" فالبحث الاثنوغرافي يقع بين حدود البحث الكيفي السوسيولوجي لمجرد الفهم، وبين البحث الإجرائي كون هدفه الفهم والمشاركة في التغيير نحو الأفضل، حيث يختلف البحث الاثنوغرافي عن الأبحاث الأخرى بمنهجيته وأهدافه، فمن حيث المنهجية يقتضي البحث الاثنوغرافي قيام الباحث بمعايشة المجتمع موضوع البحث، مثل المنزل، المدرسة، السجن..الخ، كما يتطلب آليات معينة لجمع البيانات كتدوين المشاهدات اليومية إضافة إلى تحليلات وثائق واليوميات ذات الصلة."[21]

إن الدراسة الاثنوغرافية لظاهرة معينة تقتضي من الباحث إتباع الخطوات التالية كأساسيات لإجراء البحث الحقلي لعل أبرزها (اختيار الحالة أو الظاهرة المراد دراستها، طرح الأسئلة، جمع البيانات، طرح مخطط للبحث الحقلي، تحليل البيانات وكتابة تقرير النهائي البحث)، كما أن إجراء دراسة اثنوغرافية لموضوع معين تقتضي بعض الشروط **طرحها الباحث إيفن وينكن في كتابه أنثروبولوجيا التواصل في الفصل المعنون(بالممارسة الميدانية)**، حيث اقترح مجموعة من الشروط اعتبرها أساسية في إجراء البحث الاثنوغرافي لعل من ضمنها مسألة مجال البحث حيث يقول" كل ميدان مهم، إلا الميادين الخاصة. لا أريد أن تعودوا إلى منازلكم وسط عائلاتكم، إنه أمر دقيق جدا وحساس، فإذا بدأتم بموضعة العلاقات العائلية، لن تعرفوا كيف سينتهي الأمر. أريد منكم أن تختاروا ميادين تتمكنوا فيها من التحرك في وقت ذاته على مستوى العلاقات مع الآخرين(بشكل يوفر عنكم عناء تساؤل الآخرين، أما بالنسبة للفضاء مناسب للبحث، لابد من اختيار أماكن مريحة. يرتبط الشرط الثاني في نظره بمسألة الملاحظة، حيث يركز على أن تكون الملاحظات قابلة للتنسيق، فهذا التحكم في النظرة يرتكز على تنسيق أولي لأوقات الملاحظة، ما يعني تلازما بأن ما لاحظتموه ستحاولون تدوينه على بطاقات زمنية ومكانية في الوقت ذاته. أما الشرط الثالث فيكمن في رأيه، عند بداية العمل الميداني، حيث يؤكد على ضرورة أن يلزم الباحث نفسه بالتنقل باستمرار ذهابا وإيابا بين الممارسة التي تعيشونها والنظرية التي تقرؤونها بالموازاة." [22]

كغيرها من الظواهر الأخرى، فإن الظاهرة الاتصالية باعتبارها نتاج لعملية تفاعل بين الأفراد والجماعات عبر أساليب وتقنيات مختلفة التي تتوزع مضامينها بين الفضاء الاجتماعي والفضاء الافتراضي، فهي الأخرى تخضع للدراسة والتنقيب من قبل الباحثين الاثنوغرافيين الذي يسعون في هذا السياق دراسة الاتصال والتواصل عبر تبني أساليب وأدوات توضح الطرق والكيفيات التي تبني هذا النموذج العلائقي بين هؤلاء، سمات وخصائص هذه العملية في إطارها الاجتماعي والافتراضي بحكم أن الاتصال لا ينحصر في مجال معين، فالباحث الاثنوغرافي في دراسته للظاهرة الاتصالية يلجأ إلى الملاحظة بالمشاركة واستخدام تقنية المقابلة لتحقيق ذلك، (جمع المعطيات). فبالنسبة للاتصال في الفضاء الاجتماعي يلجأ الباحث إلى استخدام الملاحظة بالمشاركة في إطار يومي أين يسجل كل المظاهر الاتصالية لدى جماعة معينة داخل فضاء الحديقة، البيت،

المدرسة، المسجد، مقاهي كما يستخدم المقابلة عبر سؤال المبحوثين ومحاولة تسجيل آرائهم حول قضايا أثارت اهتمام الباحث، كما يحاول تسليط الضوء على كل العناصر التي لها دور في العملية الاتصالية بينهم(كممارسات الطقوسية، الاحتفاليات والمناسبات المختلفة).

أما بالنسبة لدراسة الاتصال والتواصل ضمن الفضاء الافتراضي وطبيعة التفاعلات بين الأفراد في ظل الاستخدام اليومي للتقنيات الحديثة، فالباحث الاثنوغرافي يلجأ إلى تسليط الضوء على مجموعة من العناصر من ضمنها(دراسة طريقة الاستخدام لهذه التقنيات، طريقة التفاعل أثناء استخدام تقنية معينة، تسجيل الملاحظات أثناء ولوج الأفراد للفضاء السيبراني، حيث أن الباحث في هذا السياق يشارك في وتيرة التفاعل والاتصال عبر المشاركة وحتى استخدام المقابلة عبر الخط لتحقيق أغراض المرجوة من دراسته." فقد استعار الباحث البريطاني دافيد **مورلي David Morley** المقترب الاثنوغرافي في دراسة التفاعلات بين مختلف أفراد العائلة أمام شاشة التلفزيون في السياق الطبيعي أو الفضاء المنزلي، حيث استجوب ولاحظ بالمشاركة ثمانية عشر عائلة بريطانية من الطبقة العاملة تتكون من شخصين بالغين وطفلين، وقد اهتم هذا الباحث بالاختلافات المتواجدة بين العائلات المبحوثة من جهة، وبين الأفراد داخل العائلة الواحدة من جهة ثانية مركزا على علاقة السلطة بين الجنسين وبين البالغين والقصر، دون أن يهمل إطار التحليل، وبنية الجمهور من منظور الطبقي والتربية والايدولوجيا... التي تحدد السياق الاجتماعي والثقافي الذي تحلل فيه تركيبة الجمهور، وواقعه وأنماط تفاعله، وطرح دافيد مورلي بعد هذه الدراسة مجموعة من المفاهيم الجديدة كسياق المشاهدة والديناميكية العائلية والتكنولوجية المنزلية."[23]يوفر المقترب الاثنوغرافي تقريرا وصفيا مستعملا مجموعة من الأدوات المنهجية في مقدمتها المقابلات الودية غير الرسمية والملاحظة بالمشاركة. ويستعين الباحثون في دراسة الجمهور بهذا المقترب في حالات يكون فيها موضوع الدراسة غير مألوفة لدى فريق التحقيق وحيث يعتقد أن السياق العام له تأثير مهم في مجريات الدراسة يتم التركيز عليه لفهم محيط الدراسة وتكون نظرة شاملة على مختلف المسائل المرتبطة بموضوع البحث الذي لا يتطلب بالضرورة معرفة قبلية له من طرف الباحث كما أن التحدي الذي يواجه الباحثين في مجال الجمهور والتلقي، يكمن في تحديد "تمثيل" مناسب للجمهور الذي يحيل تعريفه ثقافيا بالضرورة إلى نظرة معينة للعلاقة بين وسائل الإعلام والمجتمع، كما أن المقاربة التي تنزع عن الجمهور كل صفة فردية وتحيل إلى جماهير متنوعة محددة انطلاقا من ملاحظة الممارسات تقترح مفهوما جديدا في صيغة الجمع للتكنولوجيا الحديثة والمجتمع الإلكتروني معا.

وفي سياق ذاته اقترح مجموعة من الباحثين خطوات تمكن الباحث الاثنوغرافي من تشخيص عملية الاتصال والتواصل في إطارها الافتراضي وذلك عبر:1- عدم الاكتفاء بالبيانات على الخط، حيث يمكن للباحث إجراء مقابلات رسمية أو غير رسمية، مشاهدة المدونات، وكتابات المبحوثين، أو استخدام طريقة جلاسر وستراوس التي تعتمد أساسا على المقارنة المستمرة، حيث تعد مفيدة للغاية على الرغم من صعوبتها.

2- يجب أيضا التوازن بين التحليل الكمي والتحليل النوعي لتوضيح السياق. أخيرا يمكننا استخدام البرمجيات ما يعني ضرورة إتقان تقنيات تجميع البيانات لمعالجة العدد الكبير من المعلومات.

3- أما بخصوص دور الباحث في هذا البحث الاثنوغرافي الافتراضي فهو ليس مختلف عن دور الاثنوغرافي التقليدي حيث يمكن أن يكون مشارك، مراقب مشارك، مراقب فقط، حيث يبقى انغماس الباحث أمر ضروري لا مفر منه، فالسلوكيات الافتراضية لا تتشكل كمعنى إلا بواسطة المشاركة والتفاعل في الاتصال وتبادل الرسائل والرد عبر الشاشة، ولا يمكن الاكتفاء بتسجيل الملاحظات في دفتر في الركن، وحده التفاعل في المحيط الافتراضي ينتج ظواهر حقيقية ويعطي شعور بوجود العالم الافتراضي.

4- يبقى أن مسألة تحليل مناقشات المبحوثين في الانترنت دون سابق إنذار يطرح مسألة أخلاقية متعلقة بهل من الضروري طلب الإذن للمراقبة والتحليل، وهل تعتبر هذه المواد عامة أو خاصة؟."[24] من خلال ما تم طرحه يمكن القول، أن الدراسة الاثنوغرافية الحقلية للظاهرة الاتصالية في سياقها الافتراضي ساهمت في تشخيص طبيعة الأساليب والكيفيات التي يستخدمها الأفراد والجماعات في تفاعلهم اليومي ضمن مواقع التواصل الاجتماعي، وتكون بذلك هذه الإسهامات قد فتحت مجال لاجتهادات أخرى لبحث مضامين ودلالات الاتصال داخل البيئة الافتراضية رغم الصعوبات التي تواجه هذا النوع من البحوث.

خاتمة:

كإجابة على الأسئلة المطروحة، فإن الاثنوغرافيا اهتمت بدراسة الظاهرة الاتصالية دراسة شاملة ودقيقة عبر وصف ورصد مختلف الأساليب والوسائل داخل نسق ثقافي معين ودورها في إرساء معالم الاتصال والتواصل بين أفراد جماعة أو مجتمع معين في السياق اليومي، حيث خلصت نتائج الدراسات الاثنوغرافية الحقلية إلى أن الأساليب الاتصالية التي يتم توظيفها لتفعيل روابط العلائقية الاتصالية تتوزع بين(ما هو شفهي وغير شفهي عبر تموضعات الجسد، وأن الأفراد لا يتواصلون فقد عبر الكلام واللغة بل أيضا من خلال المشاركة الاجتماعية في العناصر الثقافية عبر ما يسمى بالممارسات الطقوسية التي تتخللها الحياة اليومية على مستوى العادات والتقاليد والمظاهر التدينية وجوانب أخرى)، وفي ظل التطور التقني والرقمنة اتجهت الاثنوغرافيا خصوصا اثنوغرافيا الاتصال إلى دراسة واقع الاتصال والتواصل داخل البيئة الافتراضية وتوضيح أبرز إيجابياتها وسلبياتها على مستوى العلاقات، استخدام اليومي، طرق التواصل(مرئي مسموع، مسموع فقط، أو كتابي عبر مواقع وحسابات الدردشة).

بالنسبة للأساليب البحثية فإن الباحث الاثنوغرافي في دراسته للظاهرة الاتصالية يعتمد على مجموعة من الأساليب والكيفيات لعل من ضمنها وأبرزها(الملاحظة بالمشاركة والمعايشة اليومية للأفراد الجماعة محل الدراسة، المقابلة الفردية والجماعة، استخدام اليوميات لتسجيل أدق التفاصيل حول ظروف عيش هؤلاء وطرق تواصلهم وتفاعلهم اليومي، استخدام التصوير الفوتوغرافي في إطار ما يسمى بتحليل السميولوجي لبعض العناصر الثقافية)، وهي نفس الطرق التي يستخدمها أثناء دراسته لنفس الظاهرة في إطارها الافتراضي الرقمي وهنا يصبح دور الباحث مراقب، مراقب مشارك عبر الخط أو وجها لوجه، هذه الأساليب تعتبر أساسية في هذا النوع من البحوث والدراسات، نظرا لأن قوامها يرتكز على التحليل النوعي الكيفي للمعطيات أكثر من التحليل الكمي، غير أنها في الآونة الأخيرة تتجه لتوظيف كلا الأسلوبين(كيفي/كمي)، لدراسة الظواهر الاتصالية الجديدة.

قائمة الهوامش:

[1]Steve Bruce and Steven yearly.(2006), the sage dictionary of sociology, sage publications, London, first published, p292. -

[2]- طريبه مأمون.(2011)، علم الاجتماع في الحياة اليومية- قراءة سوسيولوجية معاصرة لوقائع معاشة، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ص64.

[3]- معتوق جمال.(2016)، الأنثروبولوجيا- الفروع والمداخل النظرية، الجزائر: دار الكتاب الحديث، ط1، ص340.

[4]- **كنزة حاج**،2011

[5]- قاسمي ناصر.(2017)، مصطلحات أساسية في علم الاجتماع الإعلام والاتصال، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ص21.

[6]- وينكين إيف.(2018)، أنثروبولوجيا التواصل، ترجمة خالد عمراني، البحرين: هيئة البحرين للثقافة والآثار، ط1، ص153.

[7]- حامد خالد.(2012)، مدخل إلى علم الاجتماع، الجزائر، جسور للنشر والتوزيع، ط2، ص126.

[8]- بوجمعة رضوان.(2007)، أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل- محاولة تحليل أنثروبولوجي، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، ص101-102.

[9]- كرامش كلير.(2010)، اللغة والثقافة، ترجمة أحمد الشيمي، قطر: وزارة الثقافة والفنون والتراث، ط1، ص15.

[10]- يورجين هابرماس.(2012)، الأخلاق والتواصل، تقديم أبو النور حمدي أبو النور حسن، بيروت: التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، ص147.

[11]- يورجين هابرماس، المرجع السابق، ص152.

[12]- صبطي عبيدة و بخوش نجيب.(2009)، الدلالة والمعنى في الصورة، الجزائر: دار الخلدونية للنشر والتوزيع، ط1، ص106.

[13]- صبطي عبيدة و بخوش نجيب، نفس المرجع، ص107.

[14] -Roy a Rappaport,(1999).ritual and religion in the making of humanity, first published, united kingdom: press syndicate of the university of Cambridge, p28.

[15]- مأمون طربيه، المرجع السابق، ص29.

[16]- شهرزاد بن كحيل.(2015)، الممارسات اللغوية في مواقع التواصل الاجتماعي- الفايسبوك، جامعة وهران، ص95.

[17]- قرزيز محمود ومريم يحياوي.(2008)، البيئة الافتراضية والتعليم، مجلة البحوث والدراسات، العدد(06)، ص238.

[18]- مأمون طربيه، المرجع السابق، ص31.

[19]- بوعمامة العربي.(2020)، أنثروبولوجيا الاتصال- السياقات والمفاهيم، الجزائر: منشورات ألفا للوثائق، ص210.

[20]- دهان مريم.(2017)، المقاربة الاثنوغرافية، تعريفها، مميزاتها، تقنياتها وعلاقتها بدراسات الجمهور، مجلة تاريخ العلوم، العدد(08)، ص33.

[21]- الحميد محمد.(2004)، البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، القاهرة: عالم الكتب، ط3.

[22]- وينكين إيف، المرجع السابق، ص153.

[23]- حيزير رزيقة، المنهج الاثنوغرافي واستخداماته في علوم الإعلام والاتصال، مجلة العلوم القانونية والاجتماعية، جامعة زيان عاشور، الجلفة، المجلد04، العدد(02)، ص271.

[24]- العربي بوعمامة، المرجع السابق، ص222.

قائمة المراجع:

1- بوعمامة العربي.(2020)، أنثروبولوجيا الاتصال- السياقات والمفاهيم، الجزائر: منشورات ألفا للوثائق.

2- بوجمعة رضوان.(2007)، أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل- محاولة تحليل أنثروبولوجي، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر.

3- دهان مريم.(2017)، المقاربة الاثنوغرافية، تعريفها، مميزاتها، تقنياتها وعلاقتها بدراسات الجمهور، مجلة تاريخ العلوم، العدد(08).

4- وينكين إيف.(2018)، أنثروبولوجيا التواصل، ترجمة خالد عمراني، البحرين: هيئة البحرين للثقافة والآثار، ط1.

5- حامد خالد.(2012)، مدخل إلى علم الاجتماع، الجزائر، جسور للنشر والتوزيع، ط2.

6- حيزير رزيقة، المنهج الاثنوغرافي واستخداماته في علوم الإعلام والاتصال، مجلة العلوم القانونية والاجتماعية، جامعة زيان عاشور، الجلفة، المجلد04، العدد(02).

7- طربيه مأمون.(2011)، علم الاجتماع في الحياة اليومية- قراءة سوسيولوجية معاصرة لوقائع معاشة، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.

8- يورجين هابرماس.(2012)، الأخلاق والتواصل، تقديم أبو النور حمدي أبو النور حسن، بيروت: التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ط1.

19- كرامش كلير.(2010)، اللغة والثقافة، ترجمة أحمد الشيمي، قطر: وزارة الثقافة والفنون والتراث، ط1.

10- معتوق جمال.(2016)، الأنثروبولوجيا- الفروع والمداخل النظرية، الجزائر: دار الكتاب الحديث، ط1.

11- عبد الحميد محمد.(2004)، البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، القاهرة: عالم الكتب، ط3.

12- صبطي عبيدة و بخوش نجيب.(2009)، الدلالة والمعنى في الصورة، الجزائر: دار الخلدونية للنشر والتوزيع، ط1.

13- قرزيز محمود ومريم يحياوي.(2008)، البيئة الافتراضية والتعليم، مجلة البحوث والدراسات، العدد(06).

14- قاسمي ناصر.(2017)، مصطلحات أساسية في علم الاجتماع الإعلام والاتصال، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

15- شهرزاد بن كحيل.(2015)، الممارسات اللغوية في مواقع التواصل الاجتماعي- الفايسبوك، مذكرة الماجستير، جامعة وهران.

16- Steve Bruce and Steven yearly.(2006), the sage dictionary of sociology, sage publications, London, first published.

17- Roy a Rappaport,(1999).ritual and religion in the making of humanity, first published, united kingdom: press syndicate of the university of Cambridge.

الأبعاد الثقافية للظاهرة الاتصالية في ظل البيئة الرقمية: دراسة في تداعيات الإعلام الجديد على الثقافة وتجليات التغير الثقافي في المجتمعات العربية.

The cultural dimensions of the communication phenomenon in the light of the digital environment: a studyon the implications of the new media on culture and the manifestations of cultural change in Arab societies.

طالبة دكتوراه: خيرة العبدي.

جامعة وهران 1 (الجزائر).

البريد الإلكتروني:khaira.labdi31@gmail.com

ملخص البحث

لطالما شكلت الظاهرة الاتصالية والإعلامية قوة تتحكم في العالم المعاصر؛ تحاكي الواقع الاجتماعي والثقافي في تعقده وتجدده عبر الزمان والمكان، وتعمل على التحكم في معطيات البيئة الثقافية؛ محاولة تفسير تجلياتها ومعالمها من جهة، وإخضاعها إلى معايير وتنوعات جديدة من جهة أخرى، وتأتي هذه الدراسة لمساءلة الأبعاد الثقافية للظاهرة الاتصالية في ظل البيئة الرقمية، حيث تهدف إلى تفسير التغيرات الثقافية التي تفرزها الظاهرة الاتصالية الجديدة؛ التي مست النسق الثقافي والخصوصية الثقافية لطبيعة المجتمعات العربية، وذلك في ظل بروز الإعلام الجديد كظاهرة اتصالية لها دورها وحضورها وفعاليتها في العالم، حيث أفرز هذا الإعلام تداعيات مهيمنة على المشهد الثقافي المعاصر؛ كان من أبرز تجلياتها تحولات في النسق الثقافي؛ والبنية التقليدية للثقافة المحلية للمجتمعات العربية، ومن أبرز التغيرات الايجابية أن ساهم الإعلام الجديد في الانفتاح الثقافي على الشعوب، وتعزيز التنوع والتفاعل بين الثقافات العالمية، وتنمية قيم الحوار الحضاري العالمي، ولكن في المقابل أفرز تغيرات سلبية؛ حيث عمل على تفكيك البنية الثقافية، وزعزعة خصوصياتها ومقوماتها الأصيلة؛ دافعا بها نحو نمط عالمي نموذجي من الثقافة الكونية الرمزية، ومزيد من تسطيح الوعي، إضافة إلى اختراق القيم الثقافية، ونشر الثقافة الاستهلاكية واستلاب وتمييع الهوية وإفراغها من محتواها، وتكريس الاستتباع الحضاري، وتنميط السلوكيات والأذواق، كما عملت وسائط الإعلام الجديد على تراجع مستوى وجودة الإنتاج الثقافي الذي انتقل من ثقافة راقية أصيلة إلى ثقافة هجينة سطحية ومقلدة ومبتذلة.

كلمات مفتاحية: الأبعاد الثقافية؛ الظاهرة الاتصالية؛البيئة الرقمية؛ الإعلام الجديد؛ التغير الثقافي.

Abstract:

The phenomenon of communication and the media has always been a force dominating the contemporary world. It simulates the social and cultural reality in its complexities and renewal across time and space, and this study examines the cultural dimensions of the phenomenon of communication in the light of the digital environment, where it aims to know the cultural changes brought about by the communications that affect the cultural pattern and cultural specificity of the nature of Arab societies, in the light of the emergence of new media as a phenomenon Have a role and effectiveness in the world; Among the most notable transformations is that they have contributed to cultural openness to peoples, and to the promotion of diversity and interaction between the cultures of the world, but in return they have worked to dismantle the culture and undermine its peculiarities and original components; Increasing flat awareness, disseminating consumer culture, and mitigating and mitigating identity, stereotypical behavior, stereotypical tastes, and new media have declined from the level and quality of cultural

production that has moved from an upscale and authentic culture to a shallow, imitated and innovative hybrid of its civilization.
Keywords: Cultural dimensions, communicationPhenomenon, digital environ- nement, new media , cultural change.

مقدمة:

تعتبر وسائط الإعلام الجديد في المجتمعات المعاصرةظاهرة اتصالية متحكمة في الشعوب، تقود المشهد الثقافي إلى أهداف وغايات محددة؛ تستهدف تحقيق التغيير المجتمعي، وإحداث تحولات جذرية في علاقة المجتمع بالثقافة، وعلاقة الفرد بالمقومات الثقافية والحضارية؛ لاسيما في المجتمعات العربية، فلا يمكن إنكار الدور الذي تؤديه الوسائط الإعلامية الجديدة اليوم في نشر الثقافات والتعريف بخصوصياتها، وتحقيق التفاعل الفكري والتبادل الثقافي، وتشجيع الحوار الثقافي، وتقبل ثقافة وعادات وتقاليد الآخر، مما يجعل الإعلام الجديد من أهم فواعيل صياغة الوعي الفردي والجمعي لما يحمله من أفكار وتوجهات ومضامين؛ يصعب السيطرة على مداها، وهو الأمر الذي أعطى شعورا واضحا بقدراته على التأثير في الثقافة والهوية والقيم بأبعادها الروحية والنفسية والاجتماعية والثقافية والسياسية والجمالية، إضافة إلى قدرته على تحديد أنماط السلوك والتفكير والأذواق التي تسير عليها المجتمعات المعاصرة.

فقد أحدث الإعلام الجديد تجاذبات في العالم العربي على مستوى القيم الثقافية وانقسامها بين المحلي والعالمي، وبين المادي والروحي، وبين الرمزي والواقعي، وبين الأصيل والدخيل، لذلك كان من الضروري التركيز على دراسة الظاهرة الاتصالية الجديدة من منطلق المفاهيم الجديدة التي أفرزتها البيئة الرقمية التي أعطت للمستخدم فرصا كبرى لإنتاج ثقافته الخاصة، والتأثر بثقافات وعادات وتقاليد وافدة؛ حملت قيما وسلوكيات جديدة .

إذن؛ دخلت الظاهرة الاتصالية في عالمنا المعاصر مرحلة الكونية،حيث أخرجت المتلقي من الاستهلاك والجمود؛ إلى الاختيار والإنتاج، وصناعة المضمون دون حدود، ومن الأحادية في الطرح والتلقي إلى المشاركة والتفاعل والى أشكال جديدة من الإنتاج الثقافي الواسع الانتشار، وهنا وضعت بصمتها على جميع المقومات الثقافية للشعوب العربية.

إشكالية:

يشكل الإعلام الجديد؛ بأبعاده ورهاناته الثقافية؛ منطلق كل تغيير وتجديد في المشهد الثقافي، فقد أصاب عمق الثقافة وجذورها وأصولها، وعمل على إعادة بناءها وفق ما تقتضيه متطلبات الواقع الراهن، بل وما يتطلبه المد الإعلامي الجديد من أطر وتوجهات جديدة.

ونحن لا ننكر أن الإعلام الجديد يحمل فرصة لا تعوض للشعوب العربية؛ لتحقيق تفاعل وحوار ثقافي، وانفتاحواسععلى الشعوب، ولكنه في المقابل نزع الثقافة من محتواها الأصيل، حيث انسلخت الهوية العربية عن جذورها،وأصيبت القيم الثقافية العربية بالعقم والجمود، وأصبح مبدأ تقليد ثقافة الآخر والاحتذاء به هو سيد الموقف، مما أسهم بشكل كبير في تغيير أشكال الثقافات المحلية، وتفكيك روابط تميزها، وتحطيم بنيتها الخصوصية، وتفعيل سبل التعميم والتنميط لثقافة عالمية؛ تصبح نموذجا يحتدا به، لاسيما أن وسائط الإعلام الجديد تسعى للاستثمار في الرأسمال الثقافي؛ لاستلابه واختراقه، ونشر مزيد من السطحية والفقر الثقافي.

بالتالي أصبح التحول نحو بيئة إعلامية جديدة يفرض تغيرات ثقافيةتصب نحو القيم العالمية المسيطرة؛حيث يجرى للثقافة عملية تنميط على مستوى معالمها الحضارية، ودفعها نحو الانغلاق بدلا من الانفتاح، وتعرضها للاستلاب والاختراق، إضافة إلى تنميط

الأذواق، وخلق الامتثال، والتحكم في سلوكيات الأفراد، وتوجيههم وفق متطلباتها، وتشجيع قيم الاستهلاك على حساب القيم الثقافية الأصيلة،وإخراج الفرد من ذاتيته وكينونته، والنتيجة ثقافة هجينة متميزة بأنماط غير متكيفة مع طبيعة مجتمعاتنا العربية، وفرد عربي مسلول الهوية والثقافة والخصوصية.

وعليه نطرح تساؤلات الدراسة التالية:

1. ما هي الأبعاد الثقافية للظاهرة الاتصالية والإعلامية في ظل البيئة الرقمية ؟.
2. ما هي تداعيات الإعلام الجديد على المشهد الثقافي؟.
3. ما هي تجليات التغير الثقافي في المجتمعات العربية؛ التي أفرزها الإعلام الجديد على مستوى الثقافة والقيم والهوية وأنماط السلوك.

ونهدف من خلال هذه التساؤلات إلى تفكيك معالم الظاهرة الاتصالية الجديدة من خلال معرفة الأبعاد الثقافية التي أفرزتها هذه الظاهرة وذلك في ضوء الإعلام الجديد الذي أوجد تغيرات ثقافية متباينة، اختفت معها أي ثقافة أصيلة، على حساب الثقافة الاستهلاكية.

أولا/ الأبعاد الثقافية للظاهرة الاتصالية في ظل البيئة الرقمية:

1. الظاهرة الاتصالية والإعلامية التقليدية:

برزت الظاهرة الاتصالية إلى الوجود مع بداية الإنسان ممارسته الاتصال، وتطور هذا المفهوم عبر التاريخ نتيجة تطور وسائله، فبدأ الإنسان يمارس الاتصال عن طريق الإشارات والإيماءات والرموز، ثم مر إلى اختراع المطبعة التي كانت نقطة انعطاف في تحول تاريخ الاتصال من الاتصال التقليدي الشخصي إلى الاتصال الجماهيري،وتحويل المجتمع من مجتمع جمعي إلى مجتمع جماهيري[1].

ومن المعروف أن ظاهرة الإعلامية والاتصالية هي نشاط إنساني واسع المجال، وذلك بمختلف جوانب الحياة الخاصة، كما أنها حاضرة في كل النشاطات الإنسانية؛ بموجب علاقتها الوثيقة بكل العلوم التي تبحث هذه النشاطات، ولعل ارتباط ظاهرة الإعلام والاتصال بالنشاطات المتنوعة للإنسان والمجتمع؛ جعلها موضع العديد من الاهتمامات العلمية؛ أي أنها موزعة على أكثر من تخصص علمي، هذا الأمر يجعل أبحاث الإعلام والاتصال تواجه صعوبات كبيرة؛تتمثل في الغموض المنهجي والنظري، ما يسهمفي عدم إمكانية تحديد مفهوم علمي لها؛ على نحو يسمح للباحثين في تحديد موضوعاتها بصورة مستقلة، وإيجاد المناهج والأدوات الخاصة بها، ولعل تعقد الظاهرة الاتصالية أظهر الضرورة الملحة لميلاد أطر معرفية؛ تقوم على أدوات علمية جديدة تجعل من أبحاث العلوم والإعلام حقلا معرفيا مستقلا، وقد تعددت النقاشات في هذا المسار قصد بلورة ما يعرف بإبستمولوجيا الإعلام والاتصال، على اعتبار أن الإبستمولوجيا هي تلك الثورة العلمية التي تؤطر للعلوم وفق مناهج علمية صحيحة ومستقلة[2].

ولابد من الإشارة إلى أن مرجعية الأطر النظرية الاتصالية العامة التي تدرس مستويات الظاهرة الاتصالية والإعلامية الكبرى، أو الأطر النظرية الخاصة التي تدرس مواقف ومتغيرات بعينها؛ تقوم بشكل جوهري على تداخل معرفي عريض مع العديد من العلوم الاجتماعية، وهذه المرجعية الممتدة معرفيا؛ تكشف عن الطبيعة المحيرة للظاهرة الاتصالية لتعددية متغيراتها؛ والتي يأتي في مقدمتها الفرد والمجتمع والثقافة؛ بكل ما تحويه هذه النظم من تقاطعات لا يمكن إغفالها أو عزلها بأي حال من الأحوال، فهناك ارتباط وثيق وتلازم طبيعي بين الظاهرة الاتصالية والإعلامية والمجتمع؛لم يؤسس له الركام النظري، وإنما أسس له واقع الممارسة والحضور القوي للوسائل الاتصالية؛ الذي بإمكان أي متابع أن يرصد صوره وتجلياته في أي مجتمع؛ رغم أنه مجال شائك لا محالة؛ فليس من السهولة التعاطي معه نظريا ومنهجيا وإجرائيا، ونتيجة العديد من البحوث؛ وجد الباحثين المهتمين بالظاهرة الاتصالية في شكلها الجماهيري؛ ضالتهم في

النموذج الوظيفي البنيوي ونموذج التطور الاجتماعي والتفاعل الرمزي، والنموذج الإدراكي والتحليل النفساني ومباحث السلوك، وساهمت هذه النماذج في دراسات الجمهور والرسائل والمضامين الاتصالية، وتقديم تصورات للعلاقات التي تحكم الظاهرة الاتصالية والقضايا التي ترتبط بها واقعيا[3].

2. تعقد الظاهرة الإعلامية والاتصالية الجديدة وأبعادها الثقافية:

غدت الظاهرة الاتصالية والإعلامية ظاهرة اجتماعية؛ تتسم بالتعقد لاسيما أمام العدة التكنولوجية، حيث لم تنفصل الظاهرة الاتصالية والإعلامية عن الظاهرة الاجتماعية في تطورها وأساليبها أو وسائلها كثيرا، وإنما بقيت ملازمة للظاهرة الاجتماعية وشروطها الموضوعية: المكانية والزمانية، والسؤال الذي يطرح نفسه ما هي الأبعاد الثقافية التي أفرزتها الظاهرة الإعلامية والاتصالية في ظل البيئة الرقمية الجديدة؟.

بداية نشير إلى أنه وردت الكثير من المفاهيم المعبرة عن الظاهرة الاتصالية الجديدة في ظل البيئة الرقمية؛ كالإعلام الجديد والميديا الجديدة والفضاء الافتراضي،وعبرت هذه الظاهرة عن تواجدها في الواقع، وإتاحتها الكثير من التغيرات والممارسات الجديدة في المجتمعات العربية المعاصرة، فالنقلات التي وفرتها البيئة الرقمية جعلت الظاهرة الاتصالية تعرف تحولا مشهديا، فالتغلغل الكبير للبيئة الرقمية في حياة الأفراد، وارتباطها بكافة أوجه الحياة، وانخراط الجميع في تطبيقاتها؛ قد ساهم بشكل أو بآخر في إعادة رسم صورة جديدة لمفهوم الظاهرة الاتصالية والإعلامية، التي ظهرت في شكل أكثر تفاعلا وعالمية؛ من خلال تنوع الأفراد في طرق تمظهرها عبر وسائل وأدوات الوسائط الجديدة، فأصبحت لهذه الظاهرة أبعاد مختلفة في الكشف عن تنوعات ثقافية واجتماعية؛ انعكست على الفرد والمجتمع، وطرحت البعد الايجابي والبعد السلبي، فخلقت المزيد من التحديات والرهانات على الفرد وثقافته، فأصبح مفهوم الظاهرة الاتصالية يوحي بالديناميكية والتغير والاستمرار والتفاعل والحوار والإنتاج والمشاركة، والقدرة على التجاوب مع الثقافات، رغم أن الظواهر الاتصالية الجديدة؛ طرحت هي الأخرى العديد من الإشكاليات المنهجية والنظرية والقضايا الإنسانية، حيت برزت العديد من الأسئلة حول الدراسات التي تخص هذه الظاهرة، منها عدم وجود نماذج ومقولات ومفاهيم نظرية؛ مناسبة لتفسير الظواهر الإعلامية الجديدة في البيئة العربية، مما يدفع الباحثين إلى انجاز دراساتهم بدون الاستناد إلى قواعد نظرية تحكم خصوصية المجتمعات، والاعتماد على استعارة مقولات ونماذج تقليدية لا تتناسب مع طبيعة الظواهر الاتصالية الجديدة[4].

فأصبحت بذلك الظاهرة الاتصالية أكثر تراء وتعقيدا في عصر الميديا الجديدة، ورغم فعاليتها في المجتمع المعاصر؛ ما زالت من الناحية التنظيرية تائهة بين علوم الإنسانيات، ونظريات المعلومات والاتصالات، وعلى ما يبدوا أن معظم فروع الثقافة لغة وتربية وسلوكا وقيما، وحتى إنتاجا وإبداعا، محكوم عليها بأن تحمل في جوفها تناقضا جوهريا من نوع ما، فقد تغيرت الثقافة العالمية تغيرا جذريا في هذا العصر، وتمظهرت في مشروع ثقافي واسع، وأخذت تشكل نموذجا شموليا موزعا على العالم عبر تقنيات الاتصال المختلفة، فأصبحنا نعيش عالما ثقافيا جديدا، بحيث لا تعطي البيئة الرقمية للإنسان فرصة التفكير، بل تغرقه بفيض من الأفكار، مما أحدت تغيرا في الحساسيات الثقافية، وأثرت في الفرد وأعادت تشكيل ذائقته وسلوكياته وقيمه من جديد؛ لتتجاوب مع المستحدثات التي أفرزتها؛ والتي تسعى إلى توحيد الوعي وتوحيد القيم وطرائق السلوك وأنماط الإنتاج الفكري والثقافي[5].

وهذه الأبعاد الثقافية التي أفرزتها الظاهرة الاتصالية لا تترك للباحثين مجالا إلا للخوض فيها ومعرفة حيثياتها، لأننا نعيش كل إفرازاتها وتداعياتها في المجتمع، فالظاهرة هنا تتحكم في العالم المعاصر في مختلف تجلياته ومظاهره،ولعل هذا ما أثر بشكل واضح على كيفية تفاعل الثقافات، والتعبير الحر عن التنوعات الثقافية واللغوية، نحو مزيد من الاتساع والتقاطع، فمع جميع الفرص المتاحة أمام

مستخدمي الميديا الجديدة؛ انبثقت أسس فكرية جديدة في العلاقات المجتمعية؛ جعلت من مفهوم الحوار والتنوع والتبادل الثقافي؛ مبدأ ذي أولوية في العلاقات بين الثقافات والشعوب، فأصبحت البيئة الرقمية القاعدة الأساسية في إثراء المشهد الثقافي، وخدمة المجتمعات قصد تكريس التفاعل الايجابي، وساهمت في إحداث تغيرات شاملة في الحياة الثقافية، فقد أصبحت المادة الثقافية متاحة للجميع، وأزاحت بذلك الحدود والفواصل التي تعيق الاتصال الثقافي واللغوي، وأصبح الاختيار الحر هما طابع الثقافة المعاصرة، حيث تسود حرية الرأي والفكر، والتنوع الثقافي، مما أدى إلى تغيرات جذرية في ظروف التنمية الثقافية، وقدم لها إمكانيات كبيرة، فلم يعد هدف التغير الثقافي عبر البيئة الرقمية نقل الثقافة من جيل إلى آخر بعناصرها نفسها، بل نقل عصارة ثقافية جديدة، إذ أن الثقافة كمضمون لا يمكن أن تنفصل عن الوعاء الذي يحملها، والوعاء هنا هو الميديا الجديدة الذي تقع عليها مسؤولية تطوير الإنتاج الثقافي[6].

ومن التحولات الايجابية التي عرفها البعد الثقافي، أن ساهمت البيئة الاتصالية الرقمية في التعريف بالعديد من الثقافات في العالم، وإكسابها درجة كبيرة من التميز سواء من حيث التعرف على عاداتها وتقاليدها وأفكار أفرادها، أو اكتساب وتعلم لغاتها ولهجاتها المحلية، إضافة إلى فنونها، مما جعل الثقافات تستفيد من بعضها البعض؛ عن طريق الاطلاع على ثقافة الغير، حيث خلق التثاقف عبر الفضاء الافتراضي وعيا ثقافيا حيا وعقلا فعالا يسهم في الرفع من مستوى مجالات معرفية مختلفة، أو التأسيس لمجالات أخرى، والحوار الثقافي يجعل الثقافة الوطنية تبلور استراتيجيات فعالة في التعامل مع الآخر، مما يسمح لها بالاستمرار والمشاركة في الإبداع الحضاري، نظرا لكون الثقافات منظومات شديدة التركيب؛ قادرة على الحركة والتكيف والتأقلم والتجديد باستمرار[7].

ومن زاوية أخرى، فإن الحوار بين الثقافات والشعوب واحترام التنوع الثقافي باعتباره تراثا مشتركاللإنسانية، يقتضي زيادة التفاعل بين الثقافات، لأنه التحدي الكبير الذي تواجهه الثقافات المحلية في القدرة على التواصل مع المحيط بغض النظر عن الاختلافات الثقافية، وهنا يأتي دور وسائط الإعلام الجديد التي بإمكانها أن تضطلع بمهمة الوسيط في حفز التقارب بين الثقافات وتكاملها، عوض تناحرها أو هيمنة البعض منها على الآخر، ولا ريب أن استخدام الإعلام الجديد بهدف فسح المجال أمام مختلف الثقافات للتعبير عن نفسها بكل حرية؛ أمر حتمي لترسيخ أسس التفاهم بين الشعوب، والحوار بين الثقافات، لأنه يمتلك القدرة على تيسير هذا الحوار بين الثقافات وتجاوز التصورات النمطية الموروثة، وتبديد الجهل الذي يغذي سوء الظن بالآخرين، وينمي الحذر منهم، ومن ثم تعزيز روح التسامح والقبول بالاختلاف[8].

وفي مقابل ذلكتبرز التحولات السلبية للبعد الثقافي في ظل الظاهرة الإعلامية الجديدة، حيث غدت الثقافاتمن أهم القضايا التي يتم إثارتها وبحثها نتيجة إفرازات البيئة الجديدة، والتي انعكست على النسق الثقافي للأفراد والمجتمعات، حيث حدث تغير نوعي في العلاقة التي كانت تربط الفرد بمجتمعه وواقعه، فوقفت المجتمعات قلقة أمام المحافظة على الثقافة الموروثة، والتصدي للثقافات الوافدة الناجمة عن الثورة المعلوماتية التي أنتجت ثقافة جديدة، والتي يتم تحويلها وصياغتها وتأطيرها، وأكثر من ذلك توجيهها في اتجاه معين، لتحقيق أهداف محددة، نظرا لكون هذه الظاهرة بلغت مستويات من التعقيد يصعب معها متابعة والكشف عن آليات تعاملها مع المعايير الاجتماعية خاصة على مستوى الثقافة، حيث يرى العديد من الباحثين أن البيئة الجديدة قد عملت على زيادة الحاجات الاستهلاكية، والرغبات الفردية، الأمر الذي يؤدي إلى تلبية حاجات ذاتية لا تستقيم مع الخصوصية الحضارية والثقافية التي استقرت عليها المجتمعات العربية، فقد خلقت الظاهرة الاتصالية الجديدة؛ نمطا جديدا من المجتمع يتوافق معها، تخترقه الثقافة الافتراضية؛ فمثلت مجالا لتدفقات مستمرة حيث الفاعلين الخاضعين لعملية نمذجة، خاصة أن سياقات التبادل المعلوماتي المتسارع عبر الشبكات

الافتراضية تفتح الباب على مصراعيه لتداول عناصر بل نماذج ثقافية متنوعة، وعليه يجد المستخدمين أنفسهم محاصرين بنماذج ثقافية متنوعة تجعلهم في وضعية مسائلة دائمة بين ثقافة أصلية؛ يسعون إلى الحفاظ عليها، وأخرى وافدة قد تعزلهم أو تهيمن عليهم[9].

ثانيا/تداعيات الإعلام الجديد على المشهد الثقافي:

يكتسب الإعلام ضمن إطار ثقافي وتاريخي وحضاري سمات العصر الذي يولد فيه وخصائصه، وفي الواقع، أن عصر المعلومات أفرز نمطا إعلاميا جديدا؛ يختلف في مفهومه وسماته وخصائصه ووسائله عن الأنماط الإعلامية السابقة، كما يختلف في تأثيراته الإعلامية والسياسية والثقافية والتربوية الواسعة النطاق؛ لدرجة أطلق فيها بعضهم على عصرنا هذا اسم (عصر الإعلام)، ليس لأن الإعلام ظاهرة جديدة في تاريخ البشرية، بل لأن وسائله الحديثة قد بلغت غايات بعيدة في عمق الأثر وقوة التوجيه، وشدة الخطورة أدت إلى تغييرات جوهرية في دور الإعلام، وجعلت منه محورا أساسيا في منظومة المجتمع.

بالتالي تنبع أهمية دراسة الإعلام الجديد من مدى قوة تأثيره في الآونة الأخيرة على الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي، وأيضا لحداثة الظاهرة الاتصالية وتشعبها وتنوع رهاناتها، فنتيجة لذلك اتجهت الأدبيات النظرية والدراسات لتتناول هذا المجال الجديد الذي فرض نفسه على الواقع، وأصبح منافسا للوسائل الأخرى بجدارة مما يستدعي تحول الأنظار إليه.

بداية إذا أتينا لتعريف الإعلام الجديد؛ لابد من الاعتراف بصعوبة وضع تعريف لهذه الظاهرة الجديدة، فعلى الرغم من تطوراته التقنية وأهميته السياسية والاقتصادية والثقافية في المجتمعات المعاصرة، مازال تنظيره تائها بين علوم الإنسانيات ونظريات المعلومات والاتصالات، وما سنقدمه يعتبر محاولة متواضعة في هذا المجال، فوسائط الإعلام الجديدة هي مصطلح واسع في الدراسات الإعلامية التي ظهرت في الجزء الأخير من القرن العشرين، والتي أصبح من خلالها إمكانية الوصول إلى المحتوى في أي وقت وفي أي مكان، وعلى أي جهاز رقمي، فضلا عن ردود الفعل المتاحة للمستخدم من التفاعلية والمشاركة الخلاقة، إلى تشكيل المجتمع حول طبيعة هذه المحتويات[10].

وتظهر العديد من الدراسات تعدد وتنوع واضح لصور تطبيق مفهوم الإعلام الجديد؛حيث أطلقت مسميات كثيرة للإشارة إليه مثل: الإعلام الشبكي، الإعلام الإلكتروني، الإعلام الرقمي، الإعلام الاجتماعي والتفاعلي أو إعلام المجتمع، ولقد تعددت الدراسات التي تناولت مفهوم الإعلام الجديد؛ وانقسمت إلى محورين يركز أولهما على إدماج الإعلام التقليدي بالوسائل الحديثة (الكمبيوتر) والشبكة المعلوماتية، بينما ينصب الثاني على تقنيات الاتصال الرقمي بالأساس، والتي أدت حتما إلى ظهور أنماط جديدة من الاتصال الإعلامي والجماهيري[11].

وتشير العديد من التعريفات إلى أن الإعلام الجديد هو مجموعة الأساليب والأنشطة الرقمية الجديدة التي تمكننا من إنتاج ونشر المحتوى الإعلامي وتلقيه؛ بمختلف أشكاله من خلال الأجهزة الالكترونية (الوسائط) المتصلة بالشبكة في عملية تفاعلية[12]، تعتمد على اندماج النص والصورة والصوت والفيديو؛ فضلا عن سماته الفردية والتخصيص والشخصنه، وكلمة الجديد تشير إلى التنوع والتعدد في الأشكال والخصائص التي تحملها الوسائط المستحدثة[13].

ويمثل الإعلام الجديد مجال عام لا تحكمه أطر معينة، وهو فضاء للحوار والتبادل الثقافي بين مختلف المجتمعات؛ يعتمد على الاندماج بين عنصري الزمن والسرعة، وهو بسماته ووظائفه التفاعلية قادر على إحداث التغيير في مختلف المجالات وفي طبيعة المجتمعات[14]، رغم أن هذا التغيير يتطلب حدوث حالة من التوقف والاستمرارية للارتقاء بالأنماط الجديدة التي أفرزها هذا الإعلام للتنفيذ، من خلال دمج هذه الممارسات الجديدة بروتين حياة الأفراد اليومية لضمان الاستمرارية، بالتالي هذا التغيير التدريجي يعزز

عمليتي التوقف والاستمرارية؛ اللتين تتسببان في حدوثه، علاوة على ذلك فإن ديناميكية الإعلام الجديد تعتمد على التسليم والالتزام بالتغيير المتواصل والتطور الدائم[15].

بالتالي فالإعلام الجديد بوصفه ظاهرة اتصالية واجتماعية؛ أحدث تحولات جذرية في المناخ الثقافي عامة، حيث عمل على تغيير الأطر والأساليب الثقافية، وفرض على العديد من المجتمعات أن تستقبل هويات جديدة، وقيما ثقافية غريبة، والتأسيس لعلاقات اجتماعية غير متوازنة، لاسيما أن طبيعة العصر والوسيلة المستخدمة؛ فككت تلك الرقابة الاجتماعية، ولم تعد تلك الممارسات الاجتماعية أو النصوص القانونية تتحكم في عمليات العبور أو الاختراق؛ لما يملكه الإعلام الجديد من قوة تأثير عام، فكل الدلالات التي ظهر بها الإعلام الجديد؛ تسعى إلى إعادة تشكيل ثقافة المجتمعات العربية حسب أجندة ظاهرة وخفية[16].

ولا شك أن الثقافة والإعلام يشكلان موضوعين مكملان لبعضهما، فكلاهما يمثلان ظاهرة اجتماعية متطورة عبر العصور، وبينهما علاقة تفاعلية جدلية، فإذا كانت الثقافة هي الإبداع المستمر للذات والمجتمع، فان الميديا تشير إلى التداخل والاندماج بين وسائل الإعلام والتقنية الحديثة، والى تنوع وظائفهما وتنافسهما وثراء دلالة ظواهرهما الجديدة، رغم ذلك، عانى الفكر الاجتماعي بشكل عام في مجال الثقافة والميديا من سلبيات المعارضة الوهمية والخادعة الناتجة عن رفض الثقافة الجماهيرية التي حققت الصيغة الكاملة للصناعات الثقافية؛ بفضل منتوجاتها الثقافية والإعلامية؛ كمنتجات رمزية وتجارية تحولت من محيطها المعرفي والفني إلى أفاق المتعة والتسلية، وفق ما يتناسب مع المجتمع الاستهلاكي الحديث[17].

فقد أظهرت منصات الإعلام الجديدة فرصّا غير مسبوقة لتطوير ممارسات التبادل والتفاعل الثقافي بين الأفراد والمجتمعات، وأتاحت الفرصة أمام الأقليات للتعبير عن تراثها وهوياتها الثقافية، وأدت إلى بزوغ نمط عيش لا توافقي خصوصا في مجتمعاتنا العربية الإسلامية التي تتأسس على روافد الدين والثقافة والقيم، فظهر التغيير في المشهد الثقافي، ولم تعد الروافد الثقافية الأصيلة بتلك الوجاهة في التنظيم، وتدبير حياة الفرد العربي[18]،لاسيما أن الإعلام الجديد يحاول تأصيل فكرة ارتباط الإنسان، لا بالدولة القومية والمجتمع الوطني، بل بالعالم أجمع، إنه يدفع الإنسان إلى الخروج والانطلاق، والإفلات من فكرة المكان الضيق المحدود، والإفلات من فكرة المجتمع إلى آفاق (العالم الكوني) فتكتسب بذلك علاقاته مفهوما مختلفااختلافا جذريا عما هو معتاد عليه من قبل.

ثالثا/ دور الإعلام الجديد في التغير الثقافي:

1. في مفهوم الثقافة:

تشكل الثقافة الذاكرة الجمعية لأي مجتمع، كونها أساس قيمه وهويته وخصوصيته، حيث يشير المفهوم العام للثقافة إلى جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا ما بعينه أو فئة اجتماعية بعينها، كما تشمل الثقافة: الفنون والآداب وطرائق الحياة، وتتضمن الحقوق الأساسية للإنسان، ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات، والثقافة هي التي تمنح الإنسان قدرته على التفكير في ذاته وتجعل منه إنسانا يتميز بالإنسانية، والقدرة على النقد والالتزام الأخلاقي، وهي وسيلته للتعبير عن نفسه، والتعرف على ذاته، وإعادة النظر في انجازاته، وهي طريقة المجتمع الخاصة في الحياة وموقفه منها وآراءه فيها وفلسفته اتجاه مشاكلها ثم تصوره لوضعه في الحياة، وتشمل الثقافة مجموع النشاط الفكري والفني بمعناها الواسع، وما يتصل بهما من مهارات أو يعين عليهما من وسائل، فهي موصولة الروابط بجميع أوجه النشاط الاجتماعي الأخرى، متأثرة بها، معينة عليها، والثقافة تضم جميع السمات المميزة

للأمة من مادية وروحية وفكرية وفنية ووجدانية، وتشمل مجموع المعارف والقيم والالتزامات الأخلاقية المستقرة فيها وطرائق الفكر والإبداع الجمالي والفني والمعرفي والتقني، وسبل السلوك والتعبير وأنماط الحياة[19] .

2. في مفهوم التغير الثقافي:

يمثل التغير الثقافي مجموعة التحولات التي تصيب أي فرع من فروع الثقافة؛ بما في ذلك اللغات والفنون والعلوم والفلسفة، فهو عملية تحويل شامل يتناول طبيعة الثقافة في المجتمعات، ويعبر أساسا عن تغير نوعي وثورة مفاجئة وسريعة، وهو يمثل ذلك التحول الذي يحدث في أجزاء الثقافة؛ أي في بناءها وعناصرها ومضمونها، وهو يعني أيضا كل المتغيرات التي تحدث في كل عنصر من عناصر الثقافة مادية كانت أم غير مادية؛ بما في ذلك الفنون والقيم والعلوم والأدب واللغة، إضافة إلى السلوكيات والتقاليد والأخلاق والأذواق وغيرها، كما تشمل فوق كل ذلك التغيرات التي تحدث في النظام الاجتماعي وقواعده وأشكاله، والتغير الثقافي ليست ظاهرة منعزلة، وإنما ظاهرة عامة وشاملة في كل مجتمع وكل ثقافة؛ مهما اتصفت بالتبات أو الجمود، وأي مجتمع يخضع لتتغير الثقافي؛ يستقبل قيما وتقاليد وأنماط سلوكية وافدة، مما يؤدي إلى صيغة ثقافية جديدة؛ تدمج بين عناصر ثقافية تقليدية داخلية وعناصر حديثة خارجية، كما يشير هذا التغير الثقافي إلى أي تحول يمكن أن يؤثر في مضمون أو بناء ثقافة معينة، وهو يتضمن مجموعة مفاهيم منها التثاقف، التفكك، الإبداع، النقل، إعادة الإحياء، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن التغير في الحقيقة ظاهرة ثقافية عامة تشكل عملياته عبر الزمن؛ ما يسمى ديناميات الثقافة[20].

وقد عبر العديد من الباحثين عن التغير المصاحب للتحولات التكنولوجية في البيئة الإعلامية، حيث يرى **"مارشالماكلوهان"** في هذا الصدد **"**أن التحول الأساسي في الاتصال التكنولوجي يجعل سلسلة التحولات الكبرى تبدأ في المجتمعات، ليس فقط في التنظيم الاجتماعي ولكن أيضا في الحساسيات الإنسانية، فالنظام الاجتماعي تحدده تكنولوجيات الإعلام في الوقت الراهن، وبدون فهم الأسلوب الذي تعمل بمقتضاه تقنياتها لا نستطيع أن نفهم التغيرات التي تطرأ على المجتمع**"**[21]، ويعتبر **"انطوني جيدنز"** أن التغيرات الراهنة تضفي على العصر الحالي سمات تميزه عما سبقه من عصور، وهو يشدد على أن هده السمات ليست تغييرا مفاجأ في الفترة الحديثة، بل هي تكشف بعض أنماط التفكير والسلوك[22]، بالتالي فان التحولات الثقافية التي يتميز بها المجتمع المعاصر هي تحولات ذات قوة نابذة وطاردة للأفراد، وذات خصائص ثقافية مشوشة ومضطربة[23].

3. تجليات التغير الثقافي في ظل بيئة الإعلام الجديد: التحولات في الثقافة والهوية والقيم وأنماط السلوك في المجتمعات العربية:

أفرزت البيئة الإعلامية الجديدة نظاما ديناميا معقدا وسلوكيات غير منتظمة وغير مستقرة، بل إن عناصرها المادية والرمزية منتجة لمثل هذه السلوكيات، وتظل الفوضى خاصية من خصائص هذه البيئة الحتمية اللاخطية التي أصبح من العسير التحكم في ديناميكيتها والتنبؤ بحالتها المستقبلية [24]، حيث يؤكد **أمبرتو ايكو** في هذا الصدد **"**أنه في كل قرن تعكس الطريقة التي تقوم عليها الأشكال الإعلامية الطريقة التي يرى بها العالم والثقافة المعاصرة الواقع، وهذا يعني أن أشكال الإعلام الجديد؛ تعكس الشك والنسبية والأوصاف المشتركة للثقافة المعاصرة**"**[25].

ولعل من أخطر الانعكاسات المترتبة عن الإعلام الجديد هو اتصاله بالشخصية الثقافية، والهوية والانتماء للشعوب والأمم التي أصبحت مكشوفة أمام جميع المؤثرات والتحديات؛ التي لم تعد تنفع معها الدفاعات الثقافية التقليدية السابقة؛ للحفاظ على الخصوصيات والهويات المحلية، حيث نشهد اليوم تحولات جذرية في أدوات وتقنيات إدارة الصراع بسبب التطور الذي نشهده في ميدان إنتاج المعارف والأفكار والرموز والقيم، أي أن ميدان الثقافة انتقل من كونه عاملا مساعدا؛ ليصبح من أبرز حقول الصراع

المعاصرة، ومما لاشك فيه أن الفواصل تتجه نحو التآكل، ويصبح تدريجيا أقل حدة في المجالات والحقول التي تتقدم فيها تداعيات العولمة؛ خاصة في ظل تطور الظاهرة الاتصالية والإعلامية يوما بعد يوم، وطغيان الاستخدامات، مما أحدث في واقع الثقافة عدة تغيرات؛ ذلك أن مفاعيل هذه البيئة الاتصالية قد جعلت من محاولات الانغلاق والانكفاء الثقافي مجرد ردود فعل سلبية؛ لا تفي بغرض الحفاظ على الهوية؛ في ظل التفاوت في موازين القوى والفجوة الرقمية[26].

فثقافة اليوم في ظل الميديا الجديدة هي ثقافة ما بعد المكتوب، أخذت توطد حضورها بعد ضمور الثقافة المكتوبة؛ أمام هجمة ثقافة الصورة التي استطاعت أن تحطم جميع الحواجز، بهذا يصبح ثقافة العولمة فعل انتهاك ثقافي وعدواني رمزي؛ على سائر الثقافات، إنها رديف الاختراق الذي يجري بالعنف المسلح بالتقانة، ويهدد سيادة الثقافة ورقيها في جميع المجتمعات، حيث تبرز الثقافات الخاصة بالأمم أمام فيض هائل من المفاهيم والقيم الجديدة؛ التي تجوب العالم على مدار الساعة؛ حاملة لرموز تقتحم مخيلة الفرد، وتعمل على تغيير أنماط السلوك، لأنها تمكنت فعليا من اختراق الحدود الثقافية؛ انطلاقا من مراكز صناعة وترويج النماذج الثقافية؛ ذات الطابع الغربي والهوية الجديدة، بالتالي تلغي هذه الوسائط أصالة المثاقفة؛ كعملية تصب في إطار الانفتاح على مختلف المنظومات المعرفية؛ عبر آليات التأثر والتأثير والتفاعل، والاستفادة المتبادلة لصالح الاستباحة الكاملة للفضاء الثقافي؛ الذي يعزز قيم الغالب ويؤدي إلى استتباع المغلوب، واكتساح دفاعاته التقليدية، بالتالي لا تترك أمامه من خيارات خارج حدود الانعزال أو الذوبان؛ سوى هوامش محدودة في مواجهة تكنولوجيا الإخضاع، وصناعة العقول وهندسة الإدراك، لغرض الغلبة الحضارية، وكسر الممانعة الثقافية، ودفعها نحو الانكماش والتحول إلى طقوس وأشكال فلكلورية تدفعها إلى الغربة الحضارية [27].

أ. اختراق المقومات الثقافية الأصيلة:

إن الإعلام الجديد بعمل على ربط المكونات الثقافية القومية بالمكون العالمي المعولم، أي إيجاد نموذج تسير عليه جميع الثقافات، بحيث تتحول من موقع التماسك والتأصيل إلى موقع التابع والخاضع؛ بعد إفراغها من خصوصيتها الذاتية، وتفكيك هويتها القومية، قصد إيجاد هوية كونية موحدة، بالتالي إقصاء وقمع وسلب الخصوصي[28]، فالمثاقفة في زمن الإعلام الجديد ترتب عنها ثقافة سائدة عالميا ذات طابع رأسمالي، بحيث أن الخصوصيات المحلية أعيد تكوينها، فأصبحت لا معنى لها إلا من خلال فهم علاقتها بهذه الثقافة المعولمة[29]، الأمر الذي فتح الأبواب على مسرعيها أمام صراع الاستيعاب والإذابة من جانب الثقافة العالمية، والخصوصية والاستقلال من جانب الثقافة القومية[30].

بالتالي يدعو الإعلام الجديد إلى تغيرات ثقافية تقتضي إيجاد ثقافة كونية أو عالمية؛ تحوي منظومة من القيم والمعايير الموحدة؛ لفرضها على العالم أجمع، الأمر الذي يؤدي إلى الانقسام والتفكك، وإحداث شروخ في الأبنية الثقافية للشعوب، فضلا عن محاولة طمس معالم الثقافة الوطنية أو إظهارها بمظهر العاجز، حيث يفرض الإعلام الجديد فكرا يعتمد على ما أنتجته ثورة المعلومات والتكنولوجيا، من أجل إدارة لعبة الثقافة قصد الهيمنة والاحتواء والتأثير وغزو العقول واستباحة ثقافات الشعوب، وهي خطوة باتجاه تجنيدهم واندماجهم فيها، مما يبرز ثقافة جديدة يطلق عليها البعض ثقافة (القطيع الإلكتروني)حيث تبدأ الثقافة المحلية في التخلي تدريجيا عن خصائصها الثقافية لصالح الثقافة العالمية، مما يؤدي إلى (خلط الثقافات) أو محاولة إحلال مفاهيم الثقافة ومفاهيم الحضارة الغربية الحديثة؛ مكان مفاهيم الثقافة والحضارة الإسلامية في المجالات المختلفة، أو محاولة إيجاد ثقافة واحدة سائدة ومسيطرة على العالم بإبراز ما هو مشترك بين الثقافات المختلفة [31].

والإعلام الجديد بطبيعته وسماته يعمل على دعم الثقافة العالمية من خلال الكم الهائل من المعلومات التي تشكل رغبات وحاجات المستهلكين، وتشكل سلوكهم ومناهج تعليمهم، وأنماط حياتهم، مما يجعل هوياتهم الذاتية تذوب نتيجة سيطرة ثقافة رقمية؛ قائمة على معايير ومواصفات موحدة، مما يؤدي إلى التفكك والالتحاق بالآخر؛ دون شخصية ولا مشاركة ايجابية مع الثقافات الأخرى، إضافة إلى أن ثقافة الكثير من الفئات الاجتماعية؛ أصبحت تتشكل بعيدا عن الثقافة الأصلية والقيم الاجتماعية السائدة،بل خاضعة لهذا الوارد الذي يسعى بقوة لتغيير الثقافات المحلية وتعويضها بالثقافة الكوكبية، حيث يرى **"برهان غليون"** إن نمو الثقافة الغربية على حساب الثقافات المهمشة التي تحاول استدراك الوضع بالاندماج في حركة التاريخ الجديد،وعدم البقاء بمعزل عن التغيرات الكبرى[32].

بالتالي أصبح العالم يواجه الكثير من الإشكالات المعاصرة؛ نتيجة التطورات الهائلة في الإعلام الجديد، حيث حصل صدام بين الثقافات المحلية والثقافة العالمية (الثقافة الغربية على الخصوص)، وحصلت انعكاسات على منظومة القيم، وأنماط التفكير، وأساليب الحياة، في الوقت الذي يجب على الإعلام الرقمي المساهمة في نشر ودعم الموروث الثقافي للدول، نظرا للأدوار التي قد يلعبها الإعلام في تعزيز الاتصال الثقافي، و بناء علاقة تكامل و انسجام بين الثقافات المتعددة، رغم أن هذا لا يعني أن تبقى الثقافة المحلية (الثقافة العربية كمثال في هذا الخصوص) حبيسة الخصوصية الضيقة التي ترفض التفاعل والتلاقح مع الثقافات الأخرى، فالتخلف أو الانكماش الثقافي في بعض المجتمعات، سببه عدم مواكبة وسائل الاتصال الحديثة و التطور المعرفي والتقني، وتجاهل بناء ثقافة الإعلام الجديد المنفتحة والمتجددة و التي تتطور بشكل سريع.

فقد تمكنت وسائل الإعلام الجديدة من اختراق الحدود الثقافية انطلاقا من مراكز صناعة وترويج الثقافة السائدة ذات الطابع الغربي، عبر آليات التأثير الإلكتروني، مستخدمة الصورة بدل الكلمة، لصالح اكتساح الفضاء الثقافي الذي يغزوا بقيم الغالب الثقافية ونظرياته قيم الشعوب المغلوبة، مهددا إياها بالانزواء والاحتماء بالتاريخ والتراث، أو الذوبان في خضم الثقافة السائدة والضياع في تيارها الجارف.

ب. سلب القيم الثقافية:

أثر الإعلام الجديد بشكل كبير على القيم الثقافية، فأصبح الفرد متحررا من قيود الأسرة والدين والوطن بل والأخلاق عامة، وعندما تتجرد المجتمعات من ذاتيتها، تصبح مؤهلة لاكتساب قيم جديدة أكثر اتساعا، وأوسع مدى، فقيم الإعلام الجديد تمثل أداة سلب وعي البشرية وإرادتها لصالح قوى عظمى مهيمنة على الوعي، طوفان من المعقول واللامعقول، أو من السلوكيات والتصرفات الغربية الجديدة التي أصبحت بحكم انتشارها معتادة، بل وفي بعض الأحيان والبلدان، مألوفة، إضافة إلى تراجع دور العملية الثقافية وبخاصة في المجتمعات التقليدية والنامية، وذلك بسبب الاختراق الكاسح للعمليات الاقتصادية والإعلامية والثقافية،فبات واضحا أن الاختراق الثقافي يعمل على تهديد منظومة القيم الأصيلة، ويشكل نوعا من الازدواجية الثقافية التي تجتمع فيها تناقضات الأصالة والمعاصرة،مما يؤدي إلى تهميش أو تغيير ملامح الثقافة الوطنية، ففي ظل المتغيرات العصرية المفروضة على الإنسان في عصر الإعلام الجديد؛ نجد أن الاغتراب والفردية والمادية والاستهلاك الترفي هي سمات سائدة في مجتمعات هذا العصر، خصوصا في المجتمعات الإسلامية، حيث تحوّل جزء من الثقافة الإسلامية إلى ثقافة من نوع جديد؛ حيث ظهرت فلسفات متباينة من الفكر المتطرف والمتعصب؛ الذي يشكل خللا بالقيم والمثل العليا التي يقوم عليها المجتمع، والتي تعارف عليها الناس، وجرت عليها عاداتهم وتقاليدهم،

حتى غدت تشكل صراعات تؤرق المجتمع، وذلك لتناقضها مع القيم الإنسانية والدينية، وتؤدي إلى انهيار تلك القيم بل انهيار المجتمع نفسه، وقد بدأت بعض السلوكيات الغربية، في السنوات الأخيرة، تأخذ طابعا عالميا يتجاوز الحدود الجغرافية، ما يؤثر سلبا في المجتمعات الوطنية وفي تماسكها وتقاليدها [33].

وما يحدث اليوم من على الشاشات الإلكترونية الدائمة البث، بات يشكل تهديدا لمنظومات القيم والرموز، وتغييرا في المرجعيات الوجودية وأنماط الحياة، فباتت كثير من الثقافات والشعوب عارية أمام تدفق الرسائل والعلامات التي تحمل معها أبطالا ورموزا جديدة؛ تمتلئ بها مخيلة المشاهد؛ بدءا بعارضات الأزياء ونجوم الكرة، ووصولا إلى رموز الفن والسينما والأطعمة، وأنماط السلوك وموضات الأزياء، وكل هذا من أجل ضبط سلوك الدول والشعوب، وتهميش الثقافة القومية، وطمس سماتها، ثم إزاحتها بعد ذلك وتقديم الثقافة المعولمةبديلا، بوصفها تقدم لفقراء الجنوب صورة زاهية لـ"فردوس" الشمال المتقدم، على الرغم من أن أبرز مظاهر المسلسلات المتوحشةفيها؛ تتمثل في التركيز على الجسد، وتنشيط الغرائز وتحجيم النشاط العقلي، وتمجيد الفردانية، وإشاعة السلبية، والإغراق في التفاصيل اليومية، وتحويل الفن الراقي، وتجزئة الزمن وتفتيته لطمسالترابط التاريخي، والاستهانة بالثقافة الجادة وإبداعاتها وبالقيم النوعية، إضافة إلى أن من تجليات الإعلام الجديد وسلبياته القضاء على الخصوصية الثقافية والأخلاقية والدينية، حيث رفع شعار توحيد القيم والتصورات والرؤى والغايات والأهداف، وهو بذلك يختزل العالم إلى مفهوم، ويتخطى حقيقته باعتباره تشكيلا متنوعا من القوى والإرادات والانتماء والثقافات والتطلعات،ولا يقر بالتنوع الثقافي مما سيؤدي إلى عودة إحياء الخصوصيات الضيقة التي تتغذى من مرجعيات عرقية ودينية مغلقة، ويقود حتما إلى الارتماء في سجن الهويات الثابتة المغلقة[34].

ج. توحيد أنماط السلوك:

يعمل الإعلام الجديد علم مبدأ التوحيد والتماثل في السلوكيات والأخلاق والعادات، حيث يركز على تنميط الأذواق، وتعميم أنماط الحياة والتشجيع على التقليد الأعمى، مما أثر على قدرة الإنسان على الابتكار والإبداع والنقد والتحليل، كما ساهم الإعلام الجديد في تماثل أنماط المعيشة والسلوكيات وحتى المدركات الذاتية، والدفع نحو التخلي عن الخصوصيات والتمايزات الفردية للمجتمعات والثقافات العربية؛ لتلتقي جميعا تدريجيا حول قبول نمط واحد للمعيشة، أو بعبارة أخرى سوق كونية معولمة وانتشار تسليعي للعالم؛ ينهي كل وجود للأنظمة الثقافية المحلية، كما ينهي الفردية بوسيلة التثاقف والتواصل الافتراضي المعلوماتي[35]، مما جعل الإعلام الجديد ينعت بأنه من أكثر البيئات خصوبة على الإطلاق لممارسة الاختراق والانتهاكات لمعالم هوية الفرد وخصوصيته بوصفه كائنا اجتماعيا وثقافيا[36] .

وقد شجع الإعلام الجديد الجيل العربي على التأقلم السريع والفعال مع أنماط القيم الغربية في الفن والملبس والمأكل والتسلية، والترويج للثقافة الاستهلاكية عبر آلة تجارية وإعلامية رهيبة لا حدود لإمكاناتها، مما أدى إلى تشويه البناء التقليدي للأمم وتغريب الإنسان، وعزله عن قضاياه الحقيقية، وتشكيكه في جميع قناعاته الوطنية والقومية والدينية، من أجل إخضاعه نهائيا للقوى المسيطرة الغربية[37].

بالتالي ساهمت الميديا الجديدةفي صبغ الثقافة العربية بالثقافة الاستهلاكية، فأصبح مجتمعنا العربي تستهويه الثقافة الاستهلاكية، لذلك فهو حريص على أن تتحول حياته إلى رحلة لا يأخذ فيها كتابا ولا ورقة، بقدر ما يحرص على تعبئة عقلة ووجدانه بنزعة استهلاكية مدمرة، كي يصبح مجمل حديثه تعقب آخر ما نزل في الأسواق من الهواتف النقالة، والوسيلة التي تمكنه من اقتناء سيارة حديثة، وجهاز كمبيوترمتطوّر، أو أنه يقضي معظم حياته وهو يلعن الفقر الذي لم يتح له الفرصة في أن يكون كائنا استهلاكيا، يقتني

أحدث الماركات المعتمدة في عالم الساعات والعطور والملابس الجاهزة، الأمر الذي يحول الثقافة العربية تدريجيا إلى ثقافة مضمونها تفضيل الكسب السريع والإيقاع السريع والتسلية الوقتية، وإدخال السرور على النفس وملذات الحسّ وإثارة الغرائز، وهي ثقافةقمع وإقصاء للخاص بعد اختراقه، وهذا الاختراق إنما يستهدف العقل والنفس ووسيلتهما في التعامل مع العالم الذي هو الإدراك[38].

د. تفكك الهوية الثقافية :

لطالما كان ينظر إلى الهوية باعتبارها معطى سوسيولوجي غير قابل للتغير، وهي تقف بهذه الصورة في تضاد مع التغيرات الاجتماعية السريعة الإيقاع، ولكن ما يحدث على مستوى تأثير الإعلام الجديد؛ جعلها تتشكل بصورة جذرية وعميقة حيث يرى**مانويل كاستيلز Manuel Castells** في كتابه مجتمع الشبكة أن بناء الهوية في ذاته هو واقع ديناميكي؛ يتشكل في سياق علائقي، وهي عملية بناء المعنى على أساس سمة ثقافية مفردة أو منظومة من السمات الثقافية، والتي تعطي بها الأسبقية على باقي المصادر المنتجة للمعنى، فيرى أن المجتمع الشبكي أفقد الدولة القومية صفة الحامل أو المحرك الوحيد للهوية السياسية[39]، في حين يشير **انتوني غيدنز Anthony Giddens**إلى أن الذات تصبح مشروعا انعكاسيا مريرا عندما تتلاشى أهمية الهوية التقليدية، وتفسح المجال للناس لتنمية هويتهم بطريقة انعكاسية بدلا من قبول هويات قائمة بطريقة سليمة، ويؤكد انه بقدر تلاشي التقاليد واكتساب الحياة اليومية طابعا جدليا بين المحلي والعالمي يزداد تخطيط الحياة المنظمة على نحو انعكاسي مرن السمة المركزية في بناء الهوية الذاتية[40].

ولعل من أهم مظاهر التغيير الثقافي في زمن الإعلام الجديد؛ هو طبيعة التحولات التي مست الهوية سواء الفردية: الأنا، وكذلك الجماعية: النحن، حيث يحاول بناء نمط سلوكي نمطي واحد وتسويقه عبر العالم، وهو نموذج المواطن المستهلك الذي لا يملك إلا بعدا وحيدا هو الاستهلاك، إنها تعمل على تفكيك الهوية المحلية ذات الخصوصيات الثقافية والدينية والتي لها قيمها الخاصة، وإعادة تشكيل هوية جديدة تتم صناعتها وبناءها عبر البيئة الرقمية، فإذا كانت الهويات الصلبة مرتبطة بمكان وزمان، وشبكة تفاعلات، وقيم مشتركة، ومصالح ورهانات واقعية؛ تتسم بالديمومة وبالثبات، وهو ما يعني هوية حية مؤسسة على قيم التفاعل الواقعي وعلى العالم الاجتماعي، هو ما يجعل الهوية منتجا اجتماعيا خاضعا لتفاعلات التاريخ والجغرافية، وشبكة المصالح والتبادلات الاجتماعية، غير أن الهوية الافتراضية على خلاف ذلك تتأسس حين ينخرط الفرد في الشبكة ويذوب في عوالمها خارج حدود الجغرافية الثقافية المحددة في شخصيته الاجتماعية، وقد حددت خصوصية الهوية الافتراضية: "أنها مجموعة من الأفراد، الذين يتشاركون عبر شبكة الانترنت، لفترة زمنية لتحقيق غاية أو هدف أو هواية، من خلال علاقة اجتماعية–افتراضية تحددها منظومة تكنو–اجتماعية، وأشار إلى سمات المجتمع الافتراضية وتمتاز بخمس خصائص: الجاذبية – الافتراضية – الخيالية – اللامركزية والاختيارية، ولعل الهوية الافتراضية مؤسسة على حرية الإبحار في البيئة الافتراضية، فهذا يعني أنها هوية مشتتة داخل فضاء رقمي لا يعترف إلا بالتعدد والاختلاف والتشتت، وربط الناس فيما بينهم من أجل المتعة والتواصل خارج الحدود الجغرافية والثقافية والقيمية، وهو ما يجعل الهوية الافتراضية تعادي الوحدة والثبات، لأنها هوية مؤسسة على تفكيك الهويات الأصلية، وإعادة تشكيل هوية نمطية تعيش على نمط موحد للحياة ونظرة استهلاكية، مما يجعل الهوية الافتراضية متعدية على الهوية الأصلية ومفككة لها، تتميز بوجود حالة من التمزق بين الفعلي والافتراضي،وهي نتيجة منطقية للتواجد والإقامة بين عالمين مختلفين كليا ومتباعدين، وهو ما يزيد من حجم التوتر والقلق[41].

4.مظاهر التغير في الإنتاج الثقافي عبر بيئة الإعلام الجديد بين المضامين الأصيلة والمضامين المقلدة:

طالما أن الثقافة مرتبطة بوسائط الإعلام الجديدة باعتبارها المضمون الذي تقدمه، فإن أكبر التحديات التي تواجه الثقافة ليست عولمة الأدوات والوسائل، إنما تكمن في عولمة المضمون المقدم عبرها، والتي تحاول الدول المنتجة لهذه المضامين فرضه لصالح ثقافة عالمية

خاصة،فالواقع يقول بأن الدول التي تمتلك الوسائط الجديدة هي التي تتحكم في بناء الثقافات وفقا لقيمها وأفكارها، وبثها إلى الدول التي لا تمتلك هذه الوسائط، لتستهلك تلك القيم والأفكار دون أن تشارك بقيمها، ومع ضعف البنية الثقافية في منطقتنا العربية، سهل عملية التأثير الثقافي، وبالتالي الوقوع في وحل التغريب الثقافي، وتنامي الفردية وتراجع الجماعية، والتأثير على القيم والعادات والأفكار ووصول الفرد إلى الاغتراب عن مجتمعه وثقافته[42].

أصبح كل شخص في ظل الإعلام الجديد كاتبا وروائيا وشاعرا، مما أدى إلى تغير المشهد الثقافي بشكل كبير، ففي الواقع تعتمد صيانة وديمومة الثقافة على احتفاظ الأقلية من النخبة بأكثر الأذواق تميزا، ولكن في أعوام الثلاثينات من القرن الماضي أصبح ذوق هذه المجموعة تحت تهديد خطير، فالنخبة المثقفة تعرضت للتهديد من جانب المنتجات التي أفرزتها ثقافة الجماهير، وهذه المنتجات أصبحت متوفرة لكل شخص وبكميات كبيرة، مما أغرق الإحساس الجمالي لثقافة تلك النخبة، ونتيجة ذلك هو أن تقود ثقافة الجماهير إلى خلق ثقافة نمطية واحدة، والثقافة العليا سوف تبتذل وتندمج بشكل مبسط مع ثقافة الجماهير، لذلك يصبح التمييز بين الثقافة العليا والثقافة الجماهيرية أكثر صعوبة بعدما تحطمت الحدود بينهما[43].

ولعل المنتج الثقافي بطبيعته هو منتج فكري ذهني مكونه الأساسي هو المعلومات والبيانات والصور والإبداعات بشكل عام؛ التي تجسد فكرا مبدعا، والمجال الثقافي بكل أبعاده مجال خصب لتداعيات العولمة، وما أفرزته من ظواهر إعلامية واتصالية؛ غيرت أبعاد المشهد الثقافي؛ ليس فقط من حيث أنماط السلوك التي نتجت عنها، وتشكيل الهويات الافتراضية للأفراد، ومحاولة تشكيل قيمهم وأخلاقهم وأذواقهم فحسب، إنما أيضا من خلال المحتويات التي تظهر عبر هذه البيئة الرقمية؛ حيث تميل المضامين الرقمية إلى الانقسام بين الراقي الرفيع والجاد الأصيل، وبين الضعيف المقلد السطحي، المحاكي للنماذج الرفيعة، ومثل هذا التوجه نلمسه متجسدا أكثر في حالة الثقافة الجماهيرية، وثقافة النخبة؛ حيث تطغى المظاهر المادية في الأولى وتنحرف عن الإطار العام ليتمظهر العنصر الثقافي في الحياة الاجتماعية، وإبراز مختلف المضامين التي من الممكن أن يختزلها، بينما تفصح الثانية عن محتواها ومدلولاتها الثقافية التي ترتقي بها إلى مستوى أعلى يثمن منه المحتوى الثقافي بمدى التزامه بالتعبير عن أكبر قدر من المعاني والدلالات[44].

ومن خلال التدفق الهائل للصور والمعلومات من قبل العامة، تصبح الثقافة شيئا فشيئا سطحية هزيلة وفقيرة، ثقافة مفتوحة مجهولة الهوية تتكئ على جماهيرية زائفة، تعكس الغثوالسمين والرديء، ويكثر ترديدها، وهو ما يرغب فيه جمهور متابعيها ولاسيما منهم فئة الشباب، ومع ذلك فهي واسعة الانتشار وقادرة على الاختراق بقوة، لذا تستعمل في الإغراء ومخاطبة وإثارة العواطف، وهذا يزيد من مخاطرها، وأمام هذا المد الإعلامي الجديد أمست الوظيفة الثقافية العليا؛ تواجه تحديا كبيرا فرض عليها إعادة النظر في ميكانيزماتها وامتداداتها ومجالات نشاطها، والتكيف مع المعطى التكنولوجي الجديد حيث ظهرت منتجات ثقافية ذات طبيعة هجينة؛ لا تكاد تنضبط لمختلف المقومات السوسيولوجية،وباتت تزحف على المجال الثقافي،فأصبح معها جزء كبير من الإبداع الثقافي يمر عبر بوابة المجال الإعلامي الجديد، فعلى الجانب الأكثر تعبيرا ودلالة في سياق الإعلام الجديدوتأثيره على ممارساتنا الثقافية صارمقياس الحكم على قيمة أي منتج ثقافي هو القدرة على كسب أكبر نسبة من المشاهدات والإعجاب، فكلما ارتفعت نسبة مشاهدة ومتابعة أعمالك، كلما ازداد رأسمالك الثقافي، بمعنى آخرأن درجة الإبداع والجودة لم تعد أساسية في تحديد جودة الكاتب، بل المقياس هو الإعجاب والتفاعل ومزيد من التعليقات، كل ذلك في سياق سيرورة تهدف إلىإنتاج ثقافة عالمية لها قيمها ومعاييرها[45].

خاتمة:

في الأخير نستخلص أن الإعلام الجديد كظاهرة اتصالية وإعلامية جديدة؛يطرح أبعادا متغيرة ذات مستويين فيما يتعلق بالمشهد الثقافي وتجلياته المعاصرة، حيث يمثل من جهة فرصة للشعوب للانفتاح الثقافي والتفاعل والتنوع في العادات والثقافات، فمن المهم أن يحدث ذلك التفاعل والتبادل الثقافي بين الشعوب، ومن الضروري أن يحصل التلاقح الفكري والعلمي فيما بينها، وهذا تنشده كل هوية ثقافية فاعلة ومتفاعلة مع الخاص والكوني،لأن البعد الثقافي هو معيار أولي لتحديد طبيعة مجتمع ما، لكن بشرط الحفاظ على الهوية الوطنية والقومية والنمط السلوكي والفكري والثقافي الذي تأسست عليه مجتمعاتنا العربية، لأن الإعلام الجديد لن يتهاون مع الثقافات، بل يسير جنبا إلى جنب مع الثقافة الأقوى مما يجعله يشكل تحديا حقيقيا للثقافة والقيم والهوية الثقافية العربية، عن طريق انتشار الكثير من المظاهر المادية والمعنوية التي لا ترتبط بالثقافة العربية؛ لدى كثير من أبناء الشعب العربي، والعمل على اختراق هويتهم، وخصوصية ثقافتهم، والتحكم في أنماط سلوكياتهم، وفرض نموذج ذوقي معين؛ يسعى لتغليب الثقافة الاستهلاكية على القيم الثقافية الأصيلة، وتحويل الثقافة العربية إلى ثقافة مضمونها الكسب والإيقاع السريع والتسلية الوقتية، ممّا يؤدي إلى تراجع الثقافة الراقية، وتفكّك بنيتها.

بالتالي انتقلت الممارسات الثقافية وتقاليد المشهد الثقافي؛ من ثقافة الواقع العربي الفعلي إلى البيئة الإعلامية الجديدة، ولكن المجتمعات العربية أضاعت فرصة أتاحها لها الإعلام الجديد لتحقيق التبادل الثقافي الايجابي الحصيف، فبقيت معزولة تجتر وضعا قديما؛ توقف عن النمو منذ قرون، تجتر بصورة أو بأخرى ثقافة الجمود و التقليد، مما ينتج عنه استمرار إعادة إنتاج متواصلة ومتعاظمة للثنائية نفسها، ثنائية التقليدي والعصري، ثنائية الأصالة والمعاصرة، في الثقافة والهوية والفكر والسلوك والقيم، ولم تستطع المجتمعات تغيير هذا الواقع بل استرسلت في النقد والرفض والإدانة دون أي فعالية حقيقية، والتزمت هذه المجتمعات بثقافة القطيع والتسليم بكل ما هو قائم وعدم مناقشة الأسس والخصوصيات التي يقوم عليها المجتمع.

الهوامش:

[1] عبد الله الثاني محمد النذير، ابستومولوجيا علوم الإعلام والاتصال، مقاربة نسقيه مفاهيمية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع37، 2019، ص 67.

[2] مي العبد الله وآخرون، الفكر الاتصالي العربي : دراسات حول الأطر المعرفية والابستمولوجية، ط4، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص. ص 4-5.

[3] عبد الله الطويرقي، صحافة المجتمع الجماهيري: سوسيولوجيا الإعلام في مجتمعات الجماهير، مكتبة العكيبان، الرياض، 1997، ص. ص.70، 72.

[4] محمد البشير بن طبة، فاطمة نفناف، صلاحية البحوث الكيفية والبحوث الكمية في ظل الظاهرة الاتصالية الجديدة: قراءة نقدية، مجلة الدراسات الإعلامية، المركز الديمقراطي العربي، ع8، 2019، ص266.

[5] علي خذري ، مخاطر التثاقف ومكاسبه في زمن العولمة، من كتاب الاتصال والتثاقف، الدار البيضاء ، منشورات عالم التربية، ط1، 2010،ص 175.

[6] عبد الكريم علي الدبيسي، دور وسائل الاتصال الرقمي في تعزيز التنوع الثقافي، مجلة الاتصال والتنمية، دار النهضة العربية، بيروت، ع6، تشرين الاول 2012، ص10.

[7] علي الخذري، مرجع نفسه، ص 178.

[8] خالد الشرقاوي السموني، الإعلام الجديد وأثره على الخصوصية الثقافية، 11-04-2020، (تاريخ الاطلاع: 07-07-2020)، من الرابط التالي: https://aljarida24.ma/p/opinion/75743/

[9] عزام أبو الحمام، الإعلام الثقافي، دار أسامة، عمان، ط1، 2010، ص71.

[10] عبيدة صبطي، الإعلام الجديد والمجتمع، المركز العربي للنشر، مصر، دار الكتب المصرية، 2018، ص 22.

[11] أسماء عاصم أحمد، الإعلام الجديد: الإشكاليات وأنماط التغيير، 30-03-2020، (تاريخ الاطلاع: 08-07-2020)، من الرابط التالي: http://www.acrseg.org/41551

[12]ماهر عودة الشمايلة، وآخرون، الإعلام الرقمي الجديد، دار الإعصار العلمي، عمان، ط1، 2015، ص19.

[13] محمد محمود كالو، الإعلام الجديد في خدمة القرآن المجيد، دار النهضة العلمية، 2018، ص08.

[14] مؤيد السعدي، الاندماج الاتصالي في الإعلام الجديد، ألفا للوثائق، الجزائر، ط1، 2019، ص19.

[15] جون هارتلي وآخرون، تر: هدى عمر السباعي وآخرون، الإعلام الجديد وقضاياه، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، ط1، 2018، ص31.

[16]إبراهيم يحياوي، الإعلام الجديد وتشكيل ثقافة الشباب، مجلة العلوم الاجتماعي، ع25، 2017، ص90.

[17] فتيحة معتوق، الثقافة في الميديا أو ميديا الثقافات، مجلة الدراسات الإعلامية، المركز الديمقراطي العربي، ع2، 2018، ص303.

[18]أنور بلبهلول، التغير الاجتماعي: حقيقة موضوعية أم تغيير مُؤسس له، (تاريخ الاطلاع: 17-03-2020)، من الرابط التالي:
https://blogs.aljazeera.net/blogs/2019/12/15/

[19] عبد الرحمان بن زيد الزنيدي، المثقف العربي بين العصرانية والإسلامية، السعودية، دار كنوز اشبيليا، ط1، 2009، ص 14.

[20] دلال ملحس اسستية، التغير الاجتماعي والثقافي، الأردن، دار وائل، ط2، 2008، ص. ص 76-78.

[21]بوسعيد رندى، التغير الاجتماعي والحتمية التكنولوجية لوسائل الإعلام، قراءة في نظرية مارشال ماكلوهان، مجلة سوسيولوجيا، جامعة الجلفة، الجزائر، ع1، ص46.

[22] عماد عبد الغني، الثقافة وتكنولوجيا الاتصال: التغيرات والتحولات في عصر العولمة والربيع العربي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2012، ص24-25.

[23] آسيا شكيب، أثر شبكات التواصل الاجتماعي في تغيير أنماط العلاقات الأسرية، دراسة استقرائية ميدانية، مؤتمر ضوابط استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في الإسلام، 2016، ص97.

[24] عبد الله الزين الحيدري، الإعلام الجديد النظام والفوضى، أبحاث المؤتمر الدولي للإعلام الجديد تكنولوجيا جديدة لعالم جديد، البحرين، 2009، ص133.

[25]بشرى جميل الراوي، دور مواقع التواصل الاجتماعي في التغيير، مدخل نظري، مجلة الباحث الإعلامي، ع18، 2012، ص 103.

[26] عماد عبد الغني عماد، مرجع سابق، ص 16-17

[27] عبد الغني عماد، مرجع نفسه، ص16-17.

[28] محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، عشر أطروحات ، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ع228 ، 1998 ، ص 18.

[29] برهان غليون، سمير أمين، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2002 ، ص62 .

[30] حسين عليون، العولمة الثقافية والثقافة العربية، مجلة دراسات وبحوث الوطن العربي، ص 101.

[31] خالد حربي، الإعلام الجديد ..تحدي القيم، 14-08-2015، (تاريخ الاطلاع: 08-07-2020)، من الرابط التالي:
http://www.arabicmagazine.com/arabic/ArticleDetails.aspx?id=4502

[32] إبراهيم يحياوي، الآثار الثقافية والسلوكية للإعلام الجديد على المستخدمين، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع50، 2019، ص33،

[33] خالد حربي، مرجع نفسه.

[34] بركات محمد مراد، العولمة والصورة تعزيز الهوية واستلابها، مؤتمر فيلادلفيا الدولي الثاني عشر: ثقافة الصورة (الصورة في الإعلام والفنون) الدورة الثانية، 2007/11/1، ص. ص 10-30.

[35] العربي فرحات، هوية الإنسان في فضاء التثاقف المعلوماتي الالكتروني المعولم، من كتاب التواصل والتثاقف، الدار البيضاء، منشورات عالم التربية، ط1، 2010 ، ص103.

[36] حسن مظفر الزرو، الفضاء المعلوماتي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2007، ص ص 196،191.

[37] بركات محمد مراد، مرجع سابق.

[38] محمد صايل نصر الله الزيود، تأثير العولمة على الثقافة العربية، (تاريخ الاطلاع: 09-07-2020) من الرابط التالي:
https://sites.google.com/site/socioalger1/lm-alajtma/mwady-amte/tathyr-alwlmte-ly-althqafte-alrbyte

[39] دارن باربي، المجتمع الشبكي، تر: أنور الجمعاوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات، قطر، ط1، 2015، ص 187-188.

[40] عبد الغني عماد، سوسيولوجية الهوية: جدليات الوعي والتفكك وإعادة البناء، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2017، ص208.

[41] الفرفار العياشي، الهوية الافتراضية والإقامة خارج الذات، 29-05-2019، (تاريخ الاطلاع: 12-06-2020)، متاح على الرابط التالي: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=638829&r=0

[42] مقلاتي صحراوي، غالية غضبان، إشكالية تأثير الإعلام الجديد في الهوية الثقافية في ظل العولمة، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع12-13، 2014، ص228.

[43] حاتم حميد محسن، الثقافة والحضارة من ثقافة النخب إلى ثقافة الجماهير، 18-04-2018، (تاريخ الاطلاع: 09-07-2020)، من الرابط التالي: https://m.annabaa.org/arabic/authorsarticles/14948

[44] فوزي شريطي مراد، التدوين الالكتروني والإعلام الجديد، دار أسامة، الأردن، ط1، 2015، ص 16-17.

[45] نجاة الوافدي، وظيفة الثقافة في عالم متغير: عناصر للتفكير والتأمل، 14-04-2020، تاريخ الاطلاع:(08-07-2020)من الرابط التالي: www.mominoun.com

هوية الطالب الجامعي بين الواقع والافتراض

"دراسة ميدانية لعينة من طلبة جامعة بشار (أُنموذجًا)"

University student identity between reality and virtual

"A field study of a sample of Bechar University students (a model)"

ط/د جعطوط بوبكر[1]، ط/سالمي عبد الله[2]، د. خالدي سعاد[3]

[1] جامعة طاهري محمد بشار(الجزائر)

البريد الإلكتروني: djaatoutboubakar@yahoo.com

رقم الهاتف: 0663-88-17-80

[2] جامعة طاهري محمد بشار(الجزائر)

[3] مخبر الدراسات الصحراوية، جامعة طاهري محمد بشار، الجزائر

البريد الإلكتروني: khaldi_souad@yahoo.fr

الهاتف: 0553815251

مُلخّص البحث

نتناول في هذه الدراسة الهدف من استخدام المواقع الافتراضية في صنع الهوية وهذا من خلال دراسة عينة من مستخدمي هذه المواقع في ولاية بشار ولقد تم الاعتماد على أداة الاستبيان لجمع البيانات من المبحوثين، حيث تم تقسيم الاستمارة إلى محورين: المحور الأول احتكاك الفرد بالمجتمع الافتراضي و انتاجه لتفاعلات جديدة لدى الطلبة، والثاني تفاعل الفرد داخل المجتمع الافتراضي ودعم تصوراته القديمة، في محاولة منا لاستكشاف أثر استخدام المواقع الافتراضية على الهوية و العلاقات الاجتماعية، وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

النسبة الأكبر من المبحوثين تستخدم أكثر من مجتمعين افتراضيين، ويفضل أغلبهم المجتمعات ذات البعدين العربي والعالمي، يستخدم أغلب أفراد العينة هذه المواقع بدافع التواصل وتبادل الآراء إلى جانب التثقيف، وقد بينت النتائج أن هنالك فروق ذات دلالة إحصائية بين استخدام الذكور والإناث، وتبين أيضا أن المبحوثين يتعاملون بنوع من الوعي عند استخدامهم لها، كما أسفرت الدراسة أن استخدام هذه المواقع يؤثر في الاتصال الشخصي وجها لوجه، وفي تفاعل المستخدمين مع أسرهم واقاربهم واصدقائهم كما يؤدي الى الانسحاب الملحوظ للفرد من التفاعل الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: المجتمع الافتراضي، الهوية، التنشئة الاجتماعية.

Abstract:

In this study, we examine the objective of using the virtual sites in the manufacture of identity. This was done by studying a sample of the users of these sites in the state of Becher. The questionnaire was used to collect data from the respondents. The second interaction of the individual within the virtual society and support of his old perceptions, in an attempt to explore the impact of the use of virtual sites on identity and social relations. The study reached a number of results, the most important of which are:

The majority of the respondents use these sites for communication and exchange of opinions as well as education, and the results showed that there are statistically significant differences between the use of males and females. It was also found that the respondents The study also found that the use of these sites affects face-to-face contact, interaction of users with their families, relatives and friends, and a noticeable withdrawal of social interaction.

Keywords: Virtual Society, Identity, Socialization.

أولا: مقدمة:

يشهد العالم انتشار واسع لبيئة سياسية واجتماعية وتكنولوجية واقتصادية جديدة، ساهمت في احداث تغييرات هامة في شتى مجالات الحياة، كما أن التطورات البارزة في مجال تكنولوجيا الاتصالات والحواسيب جعلت من الممكن نشوء نظام اتصالي كوني تمثل فيه الاتصالات عن بعد اكثر وسيلة بث المعلومات، فهي توفر لمستخدمي المعلومات وسيلة للبحث والتفاعل مع المعلومات وبظهور الحاسبات الرقمية صارت المعلومات تتمثل في الشكل الرقمي بصفة متزايدة.

ومما لاشك أن ملامح الحياة البشرية قد تغيرت تغيرات جوهرية ملموسة مع تطور وسائل الاتصال الحديثة والمعاصرة، على سبيل المثال لا الحصر حلت الرسائل الإلكترونية محل الرسائل الخطية، وزاحمت ''غرف الدردشة'' الإلكترونية الجلسات والمجالس العائلية والاجتماعية، ولم يعد السفر شرطا لرؤية الأصدقاء أو سماع أصواتهم أو للبيع والشراء أو الدراسة، تهدمت أوصال الأسر واختفى الكثير من العادات والتقاليد، كما أنه لا سبيل إلى اختزال كل ما وقع من تغيرات تجاوزت البشرية من خلالها حدود الزمان والمكان والجغرافيا، ولا إلى الإسهاب في تناول وسائل الاتصال الحديثة، ولعل من أهم آثار تلك التقنيات والوسائل نشأة ما أصبح يعرف بالفضاء الإلكتروني أو الرمزي الذى يضم عددا كبيرا من المجتمعات الافتراضية بداية من غرف الدردشة والمجموعات البريدية وانتهاء بمواقع التواصل الاجتماعي وغيرها، ويبدو أن البشر طوال تاريخهم ظلوا يبحثون عن عالم مواز يعبرون فيه عما لا يستطيعون أن يعبروا عنه في عالمهم الواقعي، ويحققون من خلاله ما لا يستطيعون تحقيقه في حياتهم المحدودة بقيود الزمان والمكان والقواعد والتنظيمات الاجتماعية.

ولما أصبح العالم الافتراضي شديد الحضور في حياة الإنسان، وبات يشكل مجتمعا قائما بذاته يفرض قواعد اجتماعية خاصة وآدابا سلوكية تميزه عن المجتمع الواقعي، فإننا نحاول من خلال هذه الدراسة أن نسلط الضوء على ما اصبحت تلعبه المجتمعات الافتراضية في حياة الافراد الواقعية ونتعرف على دورها في تشكيل هويات جديدة والانعكاسات التي تخلفها على هؤلاء المستخدمين لوسائل الاتصال الحديثة و عليه تم انجاز هذا الدراسة تحت عنوان "هوية الطالب الجامعي بين الواقع و الافتراض، دراسة ميدانية لعينة من طلبة جامعة "ولاية بشار" أُنموذجًا.

ثانيا: الاشكالية:

تستمد الهوية الشخصية معناها من الوعي بالذات والتميز الفردي عن الآخرين، غير أن التواجد في الفضاء الافتراضي يجعل هوية الفرد محل بحث وسؤال، فبناء على ما نلاحظه في المجتمعات الرقمية من غياب لخصائص الحضور الفيزيائي وفقدان العناصر الظاهرية للفرد مثل المظهر واللباس واللون والهيئة والجنس وغيرها، ويصبح الفرد يعرف من خلال عنوان جهاز الحاسوب أو عنوان اسم المجال أو عنوان البريد الإلكتروني أو الاسم المستعار أو الصورة الرمزية التي يقدمها وغيرها من الأشياء التي قد لا تعكس هويته الحقيقية أو لا تقدم القدر الكافي من المعلومات لمعرفة حقيقته فمن جهة نجد أن الهوية الشخصية للأفراد في المجتمع الحقيقي تتأثر بالعناصر المعيارية الاجتماعية وكذا بالعناصر الفيزيولوجية مما يؤدي إلى كبت الذات الداخلية، أما العالم الافتراضي فإنه يتيح اتصالا قائما على التعبير عن الذات الداخلية وتحقيق الأنا الأعلى، ويتيح أيضا تثبيطا للعناصر المعيارية للآنا الاجتماعي أو الذات الاجتماعية، وهو ما قد يثري شخصية الفرد.

فيرى مجموعة من الباحثين أن المجتمعات الافتراضية تفسح المجال للفرد بأن يضع هويته محل استكشاف وتجريب، أي بإمكانه أن يقدم نفسه كما يشاء وعلى النحو الذي يريده وهو السلوك الذي قد يتعذر عليه في المجتمع الواقعي، حتى أن بعض العلماء أطلقوا على العوالم الافتراضية اسم "ورشات الهوية حيث يستطيع الفرد اكتشاف امكاناته وقدراته المختلفة[1].

ومن خلال الأطروحات السابقة تسعى هذه الدراسة إلى البحث في اشكالية: هل تفاعل الأفراد في المجال الافتراضي يؤدي الى دعم الهوية الحقيقية (المعاشة) أو إنتاج لهوية جديدة؟

وتنبثق عن هذه الاشكالية تساؤلات فرعية تتمثل في:

- هل أدى تفاعل الافراد داخل المجتمعات الافتراضية إلى دعم نفس التصورات و بالتالي هوية حقيقة؟
- هل أدى تفاعل الافراد داخل المجتمعات الافتراضية إلى إنتاج تصورات جديدة و بالتالي هوية افتراضية؟

ثالثا: الفرضيات:

- التفاعل داخل المجتمعات الافتراضية يؤدي إلى إدماج الافراد في مجالهم الاجتماعي الواقعي و دعم هويتهم الحقيقية (المعاشه).
- التفاعل داخل المجتمعات الافتراضية يؤدي بالأفراد إلى الانسحاب من مجالهم الاجتماعي الواقعي و بناء تصورات جديدة أي هوية افتراضية.

رابعا: أهداف الدراسة:

يعتبر مجال الدراسة العلمي مجالا واسعا تختلف أهدافه و تتعدد معطياته و يهدف تبني أي باحث لموضوع معين إلى سد الفضول المعرفي الذي يلازمه، و إزالة الغموض عن بعض القضايا، ولذلك تهدف دراستنا هذه إلى:

1- التعرف و التعريف بالمجتمع الافتراضي.

2-الاطلاع على بعض الدراسات والكتابات حول الموضوع.

3-الكشف عن بعض ملامح الهوية الافتراضية وأبعاد التفاعل في المجتمعات الافتراضية مقارنة بنظيرتها الواقعية.

4-محاولة تسليط الضوء على مستوى الانتقال من الهوية الحقيقية إلى الهوية الافتراضية.

خامسا: منهج الدراسة و ادواته:

1- منهج الدراسة:

المنهج هو عبارة عن مجموعة العمليات والخطوات التي يتبعها الباحث بغية تحقيق بحثه، وهناك العديد من المناهج البحثية والأساليب العملية التي يمكن اتباعها لإجراء بحوث بهدف استكشاف المجتمعات الافتراضية ودراستها وتحليلها بحسب البيانات والمعلومات ومختلف الحقائق الرقمية التي بالإمكان الحصول عليها من مستخدمي الأنترنت عبر مختلف قنواتها الاتصالية باعتبارهم أعضاء في المجتمع السيبري، وتندرج الدراسة ضمن البحوث الاستطلاعية التي تهدف إلى استكشاف الظروف المحيطة بالظاهرة والتعرف على أهم الفروض التي يمكن وضعها وإخضاعها للبحث العلمي، و بما انها تدور حول المتفاعلين في المجتمعات الافتراضية فقد اخترنا المنهج الوصفي باعتباره الطريقة المنظمة لدراسة حقائق راهنة متعلقة بظاهرة أو مواقف أو افراد أو حدث أو أوضاع معينة بهدف اكتشاف حقائق جديدة أو التحقق من صحة حقائق قديمة و آثارها و العلاقات التي تتصل بها و كشف الجوانب التي تحكمها.

تعريف المنهج الوصفي:

المنهج الوصفي هو المنهج المناسب في كشف حقيقة الظاهرة و إبراز خصائصها، فحين يريد الباحث ان يدرس ظاهرة ما، فإن من بين أول ما يقوم به هو وصف الظاهرة التي يريد دراستها، و جمع معطيات و معلومات دقيقة عنها فالمنهج الوصفي يقوم بدراسة الظاهرة كما توجد في الواقع ووصفها وصفا دقيقا و التعبير عنها تعبيرا كيفيا.

و نظرا لأهميته في الدراسات السوسيولوجية فقد تم اختياره منهجا للدراسة من بين المناهج العلمية الاخرى كما أدركنا أنه يستوفي التعبير عن المضامين الرئيسية للمشكلة القائمة في البحث و هذا باعتماد أسلوب التحليل الكمي و الكيفي، فالأول استخدم لتكميم البيانات و ذلك باستخدامنا بعض الاساليب الاحصائية لتحليل نتائج الدراسة الميدانية، أما الثاني فيتمثل استخدامه في تحليل المعلومات الكمية، علاوة على ربطها بالإطار النظري و الإجابة عن العلاقات التي تحكم فرضية الدراسة.

2- تحديد المفاهيم:

تحديد المفاهيم هي خطوة هامة يحتاجها الباحث في دراساته و بحوثه بهدف الاتفاق و طرح المحددات الخاصة لكل مفهوم، لذلك لدورها الفعال في تحديد المجال العلمي و النظري و التطبيقي للدراسة، ومن خلال موضوع هذا البحث نتطرق الى أهم المفاهيم التي تبنى عليها دراستنا و التي يمكن أن تؤثر بصفة مباشرة أو غير مباشرة في فهم الموضوع و تناوله، وهي كالآتي:

أ. المجتمع :

هو تلك الهيئة الإنسانية المكونة من أفراد تربط بينهم روابط عقيدية ومصالح حيوية محددة.

أضاف لندنبرغ معنى مهم للمجتمع المحلى عندما أشار إلى أنه ظاهرة ثقافية وأن المنطقة الجغرافية التي يعيشون فيها مشتركين من خلالها بحياة مستقلة لا يعنى خضوعهم لبيئتها مشيرا إلى أن تاريخ الانسان أثبت أنه استطاع من خلال التكنولوجيا إخضاع البيئة الجغرافية لمشيئته[2].

وبصورة عامة فإن المجتمع المحلي مهم للإنسان لأنه يعطى لفكره وعواطفه قيمتها فقد عرفه البعض على مجموعة من الناس يرتبطون معا بالعادات، والتقاليد، والأحكام الأخلاقية، ويحترمون بعضهم البعض، ويشكلون في الحي، أو القرية، أو المدينة التي يعيشون فيها جزءا من أجزاء الحياة الاجتماعية.

ب. المجتمع الافتراضي:

كتب الباحث (Rheingold Howard) كتابا كاملا حول هذه المجتمعات(1993) عنونه بـ "المجتمع الافتراضي"virtual community" و جاء فيه أن "المجتمع الافتراضي يجمع أشخاصا من كل أنحاء العالم، يقيمون فيما بينهم علاقات تعاون، تبادل معلومات و خبرات، و يجرون مناقشات ثرية (خاصة في المواضيع الفكرية و العاطفية)، أكثر مما هو عليه الحال في الحياة الواقعية[3].

التعريف الإجرائي: تعتبر المجتمعات الافتراضية شبكة اجتماعية لمجموعة من الأفراد يتفاعلون فيما بينهم باستخدام وسيلة تواصل ما، متجاوزين كل الحواجز الجغرافية و السياسية سعيا وراء الاهتمامات و الأهداف المشتركة.

ج. الهوية:

تعني الهوية الحقيقية الشيء المتضمنة صفاته الجوهرية و التي تميزه عن غيره و تجعل له ذات مستقلة[4].

يرى "جورج هربرت ميد" G.H.Mead" وهو من رواد التفاعلية الرمزية أن الهوية هي وحدة أو كتلة ذات علاقة ضيقة مع حالات اجتماعية حيث يجد الفرد نفسه في حالة اندماج وسط هذا المجتمع الذي ينتمي إليه، فبالنسبة لنفس الباحث فالفرد يؤثر في

نفسه بنفسه، ليس بطريقة مباشرة و لكن يؤخذ بعين الاعتبار وجهة نظر الآخرين- المجموعة الاجتماعية التي ينتمي اليها- وهو لا ينظر بنفسه إلى ذاته إلا و جرد نفسه و نظر اليها كأنها شيء معدوم القيمة مستندا في ذلك إلى تصرفات ومواقف الآخرين داخل اطار اجتماعي خاص بالفرد نفسه من جهة، و بتلك التصرفات اتجاهه من جهة اخرى، و هذا ما يساعده على ان يعرف نفسه أو يقيمها، وعلى هذا يولي ميد اهتماما كبيرا إلى التفاعل الاجتماعي في تكوين الهوية.

و انطلاقا من هذه النظرة للعلاقة بين الهوية و التفاعل الاجتماعي فالهوية من وجهة نظرنا هي تلك الوعاء الحامل المتضمن لنسق المعاني في لحظة معينة من تفاعلات الفرد التي تمكنه من ضبط علاقاته بذاته و بالموضوعات الخارجية، سواء كانت اجتماعية أو غير اجتماعية و هيكلتها على ضوء ذلك أو هي محصلة مختلف المعاني التي يكونها الفرد عن ذاته و عن الموضوعات الأخرى انطلاقا من خبراته التفاعلية[5].

و تذهب بعض التعريفات إلى أن الهوية الاجتماعية هي تلك السمات الخاصة بمفهوم الذات الفردية من خلال علاقتها بالجماعة التي يتعايش معها الفرد في ظل وجود ارتباطات عاطفية و تقييمية و غيرها من ارتباطات سلوكية تربط الفرد بجماعته، و تؤكد انتماء الفرد وولائه إلى الجماعة، و التي يعيش معها، أو هي الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها ان يعرف نفسه[6].

د. الهوية الافتراضية:

حسب موسوعة الويب "webopedia" تعرف الهوية الافتراضية بأنها الشخصية التي يتم انشاؤها من طرف المستخدم الانسان الذي يعمل كصلة وصل بين الشخص الطبيعي و الشخص الظاهري للمستخدمين، و حسب هذا التعريف فإن الهوية الافتراضية هي السمات و المواصفات التي يقدمها الفرد الطبيعي للآخرين عبر الانترنت، فتكون عملية الاتصال تتم بين ثلاثة أطراف و ليس طرفين وهي الشخص العادي و الهوية الافتراضية و الاشخاص الآخرين[7].

التعريف الاجرائي: يمكننا تعريف الهوية الافتراضية على أنها تلك المعلومات المخالفة للواقع يقدمها المستخدم في الملف الشخصي بحيث تتضمن الجنس، السن، الاسم المستعار، وهي لا تتطابق و هويته الحقيقية.

هـ. التنشئة الاجتماعية:

يعرف "فيليب ماير" التنشئة الاجتماعية بأنها عملية غرس المهارات و الاتجاهات الضرورية لدى النشء ليلعب الادوار الاجتماعية المطلوبة منه في جماعة أو مجتمع ما[8].

أما اليسون فيري فيقول: " التنشئة الاجتماعية هي مجموعة من العمليات التي تساعد على تنمية الشخصية الانسانية للفرد حيث يتعلم كيف يؤدي الادوار الاجتماعية"[9].

التعريف الاجرائي: إن التنشئة الاجتماعية عملية تحويل الفرد من كائن بيولوجي إلى فرد اجتماعي عن طريق التفاعل الاجتماعي ليكتسب بذلك سلوكا ومعايير و قيم واتجاهات تدخل في بناء شخصيته لتسهل له الاندماج في الحياة الاجتماعية وعي بذلك مستمرة تبدأ بالطفولة فالمراهقة فالرشد و تنتهي بالشيخوخة و تشتمل كل أساليب التنشئة التي تلعب دورا فعالا في بناء شخصية الفرد من جميع الجوانب الاجتماعية و النفسية.

سادسا : الجـانب التطبيقي:

1. الهوية المفهوم:

أ. مفهوم الهوية:

إن مسألة الهوية توحي وللوهلة الأولى، إلى المسألة الأوسع وهي مسألة الهوية الاجتماعية التي تعد الهوية إحدى مكوناتها، إذا لا يمكننا التطرق إلى مفهوم الهوية إلا إذا حددنا بعدها الاجتماعي.

وعليه تعبر الهوية الاجتماعية محصلة مختلف التفاعلات المتبادلة بين الفرد مع محيطه الاجتماعي القريب والبعيد، والهوية الاجتماعية للفرد تتميز بمجموع انتماءاته في المنظومة الاجتماعية، كالانتماء إلى طبقة جنسية أو عمرية أو اجتماعية أو مفاهيمية...الخ، وهي تتيح للفرد التعرف على نفسه في المنظومة الاجتماعية وتمكن المجتمع من التعرف عليه، غير أن الهوية الاجتماعية لا ترتبط بالأفراد فحسب، فكل جماعة تتمتع بهوية تتعلق بتعريفها الاجتماعي وهو تعريف يسمح بتحديد موقعها في المجموع الاجتماعي[10].

أما الهوية فلغويا هي مأخوذة من ''هُوَ.. هُوَ'' بمعنى أنها جوهر الشيء، وحقيقته، لذا نجد أن الجرجاني في كتابه الذائع الصيت ''التعريفات'' يقول عنها: بأنها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب.

فهوية الإنسان أو الثقافة أو الحضارة، هي جوهرها وحقيقتها، ولما كان في كل شيء من الأشياء – إنسانا أو ثقافة أو حضارة – الثوابت والمتغيرات، فإن هوية الشيء هي ثوابته، التي تتجدد لا تتغير، تتجلى وتفصح عن ذاتها دون أن تخلي مكانها لنقيضها طالما بقيت الذات على قيد الحياة.

وفي السياق نفسه يرى جاك بيرك أن الهوية تتحدد من خلال[11]:

- الاستمرارية و التحول لأنه لا توجد هوية دون تغير.
- في الهوية يلتحم الذاتي مع الموضوعي من خلال تبادل كل من الأنا والأخر النظرة إلى هويتهما.
- الهوية نشطة و حركية.
- الهوية كلية، أي مركبة تنقسم إلى عناصر وأجزاء مترابطة.

ب. المفهوم العلائقي والظرفي للهوية:

إن اعتماد مقاربة موضوعية بحتة أو ذاتية بحتة يعني أن نضع أنفسنا في طريق مسدودة والبرهنة بمعزل عن السياق العلائقي لبحث مسألة الهوية الذي يعتبر وحده هو القادر على تفسير السبب في ترسخ هوية معينة في فترة معينة وكبتها في فترة أخرى.

إذا كانت الهوية فعلا اجتماعيا بناء وناشئة عن التصور وليست معطى، فهي ليست وهما يتعلق بمجرد ذاتية الفاعلين الاجتماعيين، إن تكوين الهوية يتم داخل الأطر الاجتماعية التي تحدد موقع الفاعلين وتوجه تصوراتهم وخياراتهم، ومن جانب آخر فإن تكون الهوية ليس وهما لأنه يتمتع بفاعلية اجتماعية وله آثار اجتماعية حقيقية[12].

ليس هناك هوية في حد ذاتها ومن أجل ذاتها فقط، وبعبارة أخرى، الهوية والغيرية شريكان تربط بينهما علاقة جدلية، والتماثل يوازي الاختلاف، طالما أن الهوية هي محصلة عملية مطابقة في كنف حالة علائقية، وطالما أنها أيضاً نسبية لأنها تتطور بتطور الحالة العلائقية فلا شك أنه من الأفضل أن نأخذ بمفهوم التماثل باعتباره مفهوما عمليا للتحليل بدلا من مفهوم الهوية.

ومن هنا فإن الهوية تشكل رهان صراعات طبقية، إذ لا تملك المجموعات كلها قوة التماثل نفسها لأن قوة التماثل هذه ترتبط بالوضعية التي نحتلها في منظومة العلاقات التي تربط المجموعات فيما بينها ولا تملك المجموعات السلطة كلها لتسمي نفسها وتسمي غيرها.

هناك مقالة كلاسيكية لبورديو عنوانها "الهوية والتصور" يقول فيها إن من يملك السلطة الشرعية أي السلطة التي تمنحها القوة هو القادر على فرض تعريفه لنفسه ولغيره، ومجمل تعريفات الهوية تعمل كمنظومة تصنيف تحدد المواقع المتتالية لكل مجموعة، والسلطة الشرعية تملك القوة الرمزية لجعل الآخرين يعترفون بمقولاتها المتعلقة بتصور الواقع الاجتماعي وبمبادئها حول تقسيم العالم الاجتماعي على أنها مبررة، ومن هنا قدرتها على تشكيل الجماعات وتفكيكها[13].

وإذا ما فهمت الهوية على أنها رهان صراع فإنها تبدو قضية إشكالية، وبالتالي علينا ألا ننتظر من العلوم الاجتماعية أن تقدم تعريفا صحيحا غير قابل للنقد لهذه الهوية الثقافية أو تلك ولا يقع على عاتق علم الاجتماع أو علم الأناسة أو التاريخ أو أي فرع معرفي آخر أن يحدد التعريف الدقيق للهوية أو الهوية الثقافية، وليس من شأن العلوم الاجتماعية أن تقرر الطابع الأصيل أو غير الأصيل لهذه الهوية الثقافية أو تلك (باسم أي مبدأ من مبادئ الأصالة تقوم بهذا الأمر؟) إن دور رجل العلم يقع في موقع آخر هو تفسير عمليات التصنيف دون الحكم عليها، ومن واجبه توضيح المنطق الاجتماعي الذي يقود الأفراد والجماعات إلى تحديد (تصنيف، منح هوية) أو وضع جماعة في فئة معينة وتصنيفها بهذه الطريقة وليس بطريقة أخرى[14].

2. التنشئة الاجتماعية

أ. مفهوم التنشئة الاجتماعية:

حظي مفهوم التنشئة الاجتماعية باهتمام كبير في مختلف مجالات المعرفة (علم الاجتماع، الأنثروبولوجيا، علم النفس) وفي المعاجم والقواميس، فضلا عن الأبحاث والدراسات الاجتماعية والنفسية والتربوية، وعليه يمكن القول إنه لا يمكن استيعاب مفاهيم التنشئة الاجتماعية في مبحث أو في مقال، وما سنذكره هنا لا يعني سوى قليل من كثير وغيض من فيض.

و يلاحظ أنه لا يوجد تعريف جامع مانع لهذه العملية لأنها إحدى عمليات العلوم الاجتماعية التي تتسم بالنسبية والتغير عبر الزمان والمكان، فهي أصلا عملية تتعلق بالإنسان في سياقه الاجتماعي، وفيما يلي نماذج لبعض مفاهيم التنشئة الاجتماعية.

يرى زين العابدين، أن التنشئة الاجتماعية تعني عملية إكساب الفرد الخصائص الأساسية للمجتمع الذي يعيش فيه ممثله في القيم والاتجاهات والأعراف السائدة في مجتمعه ومعايير السلوك الاجتماعي المرغوب في هذا المجتمع، وهي عملية مستمرة عبر زمن متصل تبدأ من اللحظات الأولى من حياة الفرد إلى وفاته[15].

ويرى عالم الاجتماع الأمريكي (بارسونز) أن التنشئة الاجتماعية عملية تعلم تعتمد على التقليد والمحاكاة والتوحد مع الأنماط العقلية والعاطفية والأخلاقية عند الطفل والراشد، وهي عملية تهدف إلى إدماج عناصر الثقافة في النسق الشخصية، وهي عملية مستمرة تبدأ من الميلاد داخل لأسرة وتستمر في المدرسة وتتأثر بجماعات الرفاق[16]، كما يعرف قاموس علم الاجتماع التنشئة الاجتماعية بأنها "العملية التي يتعلم الطفل عن طريقها كيف يتكيف مع الجماعة عند اكتسابه السلوك الاجتماعي الذي توافق عليه هذه الجماعة"[17].

تتفق أغلب التعريفات حول الهدف الأساسي من التنشئة الاجتماعية والذي يتمثل في تشكيل الكائن البيولوجي وتحويله إلى كائن اجتماعي.

ب. خصائص التنشئة الاجتماعية:

ومن خلال ما سبق عرضه من مفاهيم التنشئة الاجتماعية يمكن استخلاص السمات التالية كخصائص تتسم بها التنشئة الاجتماعية[18]:

1- التنشئة الاجتماعية عملية تعلم اجتماعي يتعلم فيها الفرد عن طريق التفاعل الاجتماعي أدواره الاجتماعية والمعايير الاجتماعية التي تحدد هذه الأدوار، ويكتسب الاتجاهات والأنماط السلوكية التي ترتضيها الجماعة ويوافق عليها المجتمع.

2- يتحول الفرد عبرها من طفل يعتمد على غيره متمركز حول ذاته إلى فرد ناجح يقدر معنى المسؤولية الاجتماعية.

3- هي عملية مستمرة تبدأ بالحياة ولا تنتهي إلا بانتهائها.

4- تختلف من مجتمع إلى آخر بالدرجة ولكنها لا تختلف بالنوع.

5- هي عملية لا يقتصر القيام بها على الأسرة فقط، لكن لها وكلاء كثيرين مثل الأسرة والمدرسة وجماعة الرفاق والمؤسسات الدينية ووسائل الإعلام المختلفة.

6- التنشئة الاجتماعية ليست ذات قالب أو نمط واحد جامد وإنما يختلف نمطها من بيئة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر، ويرجع ذلك إلى أنها عملية تتأثر بالكثير من العوامل المجتمعة كثقافة المجتمع ونوعيته (ريف / حضر، بدو/ حضر...إلخ) والعوامل الأسرية كالوضع الاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي للأسرة...الخ[19].

7- التنشئة الاجتماعية لا تعني صب أفراد المجتمع في بوتقة واحدة بل تعني اكتساب كل فرد شخصية اجتماعية متميزة قادرة على التحرك والنمو الاجتماعي في إطار ثقافي معين.

8- هي عملية تلقائية، أي ليست من صنع فرد أو مجموعة من الأفراد بل هي من صنع المجتمع.

9- هي عملية عامة منتشرة في جميع المجتمعات البدائية منها و المتقدمة.

10- هي عملية نفسية واجتماعية في آن واحد، لا تقتصر على الجانب الاجتماعي فقط، وإنما هي عملية لها جوانب نفسية.

3. أهداف التنشئة الاجتماعية:

تعتبر التنشئة الاجتماعية بشكل عام من أهم المقدرات التي تعبر عن هوية المجتمعات ومستقبلها وحركتها وفاعليتها، بل هي الموجه الأكثر تعبيرا عن آفاقها، فعملية التنشئة الاجتماعية ليست ملء فراغ، بل تعد أهم العمليات المسؤولة عن الاستفادة من إمكانيات المجتمع وتلبية احتياجاته، وتهدف عملية التنشئة الاجتماعية إلى تحقيق مجموعة من الأهداف ومنها :

أ. أن الهدف من عملية التنشئة الاجتماعية هو إنتاج شخص ذي كفاية اجتماعية، بمعنى إعداد فرد لديه القدرة على التفاعل الاجتماعي الحقيقي مع كل من البيئة الطبيعية و الاجتماعية[20].

ب. تستهدف التنشئة الاجتماعية إلى إدماج القيم الاجتماعية والخلقية في شخصية الفرد، وتكوين ضوابط مانعة لممارسة السلوك اللامقبول اجتماعيا21.

ج. إكساب المرء نسقا من المعايير الأخلاقية التي تنظم العلاقات بين الفرد وأعضاء الجماعة.

د. تهدف عملية التنشئة الاجتماعية إلى تغيير الحاجات الفطرية إلى حاجات اجتماعية وتغيير السلوك الفطري ليصبح الفرد إنسانا اجتماعيا يتعلم أخلاقيات المجتمع الذي يعيش فيه ويتقبل المكانة الاجتماعية التي يحددها له المجتمع2.

هـ. تهدف التنشئة الاجتماعية إلى تحويل الطفل من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي قادر على التفاعل من خلال احتكاكه بالآخرين.

و. في المجتمعات التقليدية يكون أحد أهداف التنشئة الاجتماعية (تأديب) الأطفال، كضمان لازم لبقاء البناء الاجتماعي بنزعته التي تميل إلى الخط الأبوي وعلاقات الاحترام وخصوصا طاعة الأبناء للوالدين التي تندرج فيها معايير السلوك الواجب اتباعه

والرغبة الشديدة من جانب الكبار في خلق اتجاه طبع يتسم بدماثة الخلق في أطفالهم ومن ثم يجعلونهم يكتسبون الشعور بالطاعة والاحترام تجاههم22.

ز. تهدف التنشئة الاجتماعية إلى تحقيق عملية الضبط الاجتماعي بالنسبة للمجتمع بشكل عام والامتثال لقواعده وقيمه بشكل خاص، وهذا لا يتم إلا من خلال تبني الفرد لقيم الجماعة وثقافتها من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، والتي تتمثل في نقل ثقافة المجتمع إلى الأفراد.

ويمكن القول إذا بأن التنشئة الاجتماعية عملية معقدة متشعبة الأهداف والمرامي تستهدف مهام كثيرة وتحاول بمختلف الوسائل تحقيق ما تصبو إليه، ويرجع ذلك إلى أهمية تلك العملية ودورها الكبير في خلق مجتمع خال من الانحرافات الخلقية.

4. الفوارق بين المجتمع الطبيعي والمجتمع الافتراضي:

رغم محاكات المجتمع الافتراضي بشكل كبير للمجتمع الحقيقي إلا أن هناك العديد من الفوارق التي يمكن من خلالها التمييز بينهما[23]:

أ. من أهم صفات المجتمع الحقيقي أنه مجتمع يدوم لفترة طويلة في حين نجد بأن المجتمع الافتراضي مهدد بالزوال في أي لحظة مع مجرد انقطاع في الاتصال بالإنترنت او انقطاع في الكهرباء.

ب.التقارب الجغرافي في المجتمع الطبيعي يقابله غياب المكان في المجتمع الافتراضي.

ج. يتميز المجتمع الافتراضي بالعالمية و الكونية في حين يعتبر المجتمع الطبيعي محليا، ومن جانب آخر نجد أن الاشخاص في المجتمعات الافتراضية غالبا ما تجمعهم مصالح مشتركة عكس المجتمع الطبيعي فلا يشترط ذلك

د. الاتصال في المجتمع الطبيعي يكون مواجهي أما في المجتمع الافتراضي فهوم اتصال وسيطي.

5. أدوات جمع البيانات:

لفهم طبيعة الظاهرة الاجتماعية و اكتشافها لابد للباحث من استخدام مجموعة من التقنيات والأساليب، فخصوصية البحث و طبيعة التساؤلات و الفروض المطروحة و البيانات المراد الوصول إليها تفرض على الباحث انتقاء أداة ملائمة و قد يستخدم الباحث أكثر من أداة لجمع المعلومات والبيانات التي تخدم بحثه.

فالأداة هي الوسيلة المستخدمة في جمع البيانات و تصنيفها وجدولتها، فهناك كثير من الادوات التي تستخدم للحصول على البيانات، و يمكن استخدام عدد من هذه الوسائل معا في البحث الواحد لتجنب عيوب احداها و لدراسة الظاهرة من كافة الجوانب.

و نظرا لطبيعة الموضوع المراد دراسته قمنا باختيار استمارة الاستقصاء، لأنها تناسب غرض الدراسة أولا، ولما تتميز به من خصائص تسهل على الباحث والمبحوث اقتصاد الوقت والجهد ثانيا، وهي "عبارة عن شكل مطبوع، يحتوي على مجموعة من الأسئلة، موجهة إلى عينة من الأفراد، حول موضوع معين أو موضوعات ترتبط بموضوع الدراسة"[24]، ولقد تم تصميم الشكل النهائي للاستمارة من خلال المرور بعدة مراحل من الاستفادة من الدراسات السابقة، لتأتي مرحلة صيغة الاستمارة في مرحلتها النهائية مقسمة إلى محورين رئيسيين:

محور حول احتكاك الفرد بالمجتمع الافتراضي و انتاجه لتصورات جديدة، تضمن اسئلة فرعية من 4 الى 14.

و محور حول تفاعل الفرد داخل المجتمع الافتراضي و دعم تصوراته القديمة، تضمن اسئلة فرعية من 15 الى 24.

أ. **العينة:** يعالج موضوع دراستنا أثر انخراط الافراد في المجتمعات الافتراضية على هوياتهم ومستوى انتقال هذه الاخيرة من الحقيقي إلى الافتراضي في ظل ما أصبحت تلعبه وسائل التنشئة الحديثة من دور في حياة الافراد الاجتماعية، و هي دراسة ميدانية نعتمد فيها منهج المسح الذي يستخدم أسلوب العينة، إذ يتم اختيار افراد من مجتمع البحث و تعميم نتائجه عليه، و تعرف العينة على "أنها عبارة عن مجموعة جزئية من مجتمع البحث يتم اختيارها بطريقة معينة، واجراء الدراسة عليها ومن ثم استخدام تلك النتائج و تعميمها على كامل مجتمع الدراسة الاصلي[25]".

ومن المتعارف عليه في أوساط البحث العلمي السوسيولوجية أن طبيعة العينة تختلف باختلاف طبيعة ونوع الدراسة، حيث أن هناك العديد من أنواع العينات كالعشوائية والطبقية، والمقصودة...الخ،

ونظرا لطبيعة مجتمع البحث المتمثل في عدد كبير جدا من الأفراد بحيث يصعب نوعا ما معرفته وضبط مفرداته في أعداد وقوائم محددة فإن العينة التي اعتمدناها هي العينة العشوائية و التي تتيح لجميع افراد البحث فرصة متساوية ومستقلة لدخول العينة اي ان لكل فرد في المجتمع نفس الاحتمال في الاختيار و أن اختار أي فرد لا يؤثر في اختيار الفرد الآخر.

و لقد تم توزيع ثلاثمائة (300)استمارة على طلبة جامعة بشار "طاهري محمد" – بدون اعتماد محدد السن – أما الجنس فكان التوزيع مناصفة "150 مفردة ذكور و 150 اناث" في الفترة الممتدة بين 2014/02/01 و 2016/05/05 وثم استرجاع 263 استمارة.

ب. المجال الزماني والمكاني للدراسة:

تندرج هذه الدراسة في إطار الدراسات الميدانية، تهتم بموضوع المواقع الافتراضية وتحديد خاصيته، والتغير الذي يمكن أن تحدثه هذه الفضاءات على هذا النوع من الاتصال، ولهذا الغرض تم اختيار عينة من الطلبة المتراوحة أعمارهم بين الثمانية عشر وأكثر من خمسة وعشرون سنة من كلى الجنسين وبالتالي ينتمون إلى حالات اجتماعية مختلفة، وهم طلبة مناطق مختلفة من الجزائر، أما المجال الزماني للدراسة فاستغرقت حوالي أربعة أشهر من ينحصر في بداية شهر فيفري 2016 إلى غاية توزيع الاستمارة على عينة الدراسة وجمعها.

جدول (10): توزيع العينة حسب نوع الاسم المستخدم

الاسم المستخدم	العدد		النسبة		النسبة الكلية
	ذكور	اناث	ذكور	اناث	
اسمك الحقيقي أو جزء منه دائما	100	17	%75,19	%13,08	%44,49
اسم مستعار واحد دائما	14	113	%10,53	%86,92	%48,29
اسمك الحقيقي أحيانا والمستعار أحيانا	19	00	%14,28	%00	%7,22
المجموع	133	130	%100	%100	%100

تشير معطيات الجدول رقم (10): إلى أن أغلب الأفراد يستخدمون الاسم الحقيقي أو جزء منه في المجتمع الافتراضي بنسبة 44,49 % وتليه اسم مستعار واحد دائما بنسبة 48,29% ، بينما يستخدم 7,22 % اسما حقيقيا أومستعارا أحيانا.

جدول (13): توزيع العينة حسب التصريح بالنوع الجنس

التصريح بالجنس	العدد	النسبة	النسبة الكلية

	ذكور	اناث	ذكور	اناث	
جنسك الحقيقي	133	77	%100	%59,24	%79,85
تدعي أنك من الجنس الأخر	00	34	%00	%26,15	%12,93
تغير الجنس في كل مرة	00	19	%00	%14,61	%7,22
المجموع	133	130	%100	%100	%100

يتضح من خلال معطيات الجدول رقم (13) أن أكثرية الأفراد يصرحون بجنسهم الحقيقي بنسبة 79,85% ، بينما يأتي كل من الذين يغيرون في نوع الجنس كل مرة و الذين يدعون أنهم من الجنس الآخر على التوالي بنسبة 12,93% و7,22 %.

جدول (18) : توزيع العينة حسب النظرة للهوية الافتراضية

حسب النظرة	**العدد**		**النسبة**		**النسبة الكلية**
	ذكور	اناث	ذكور	اناث	
متطابقة مع أنت عليه في الواقع	101	37	%75,94	%28,46	%52,47
هي هويتك الحقيقية الخفية	10	62	%7,52	%47,69	%27,38
صورة لما تريد أن تكون عليه	22	31	%16,54	%23,85	%20,15
المجموع	133	130	%100	%100	%100

بتحليل معطيات الجدول رقم (18) يتبين أن أكثرية الأفراد المبحوثين يرون أن هوياتهم الافتراضية متطابقة مع هوياتهم الواقعية بنسبة 52,47 %، وأما الذين يرون أنها تمثل ما يريدون أن يكونوا عليه أي الذات المثالية أو الذين لهم نظرة أخرى فنسبتهم 20,15 %، والذين يرون أنها تمثل هوياتهم الحقيقية الخفية فنسبتهم 27,38 %، وربما يشير ذلك إلى أن الغالبية لهم نظرة إيجابية لهوياتهم الافتراضية، وأن هذه الأخيرة تتشابه في نواحي عدة مع الهوية الحقيقية أو تسعى لأن تكون انعكاسا للهوية الحقيقية إما الواقعية أو الخفية.

سابعا: الخاتمة

لقد أفضى التقدم الهائل في تكنولوجيا الاتصال إلى انتاج وسائل اتصال جديدة عملت على تغيير علاقات الناس الاجتماعية و أساليب التفاعل بينهم، فأصبح الفرد يستغني عن اللقاءات المباشرة وجها لوجه و يستسلم لشاشة فقط يقصي وقتا طويلا في التفاعل الافتراضي الذي من شأنه أن يختزل الوقت المخصص للأشخاص الواقعيين في حياته.

ولقد حاولنا في دراستنا هذه أن نتناول دور مشاركة الافراد في المجتمعات الافتراضية و انخراطهم داخلها من خلال استخدامهم لشبكات المجال الافتراضي و علاقة ذلك بتشكيل هويات افتراضية ساعينا بذلك إلى البحث ما إذا كان تفاعل الافراد داخل المجتمعات الافتراضية يؤدي إلى انتاج هوية جديدة أم يدعم الهوية المعاشة، حيث من خلال الدراسة توصلنا إلى أن غالبية الافراد المنضمين إلى مجتمعات افتراضية يعمدون إلى الانخراط في هذه المجتمعات بدافع الانفتاح على مجتمعات انسانية اخرى و تبادل المعارف و الحوار بغية إثبات الذات، كما أنه على الرغم من الوقت الطويل الذي يقضيه المستخدمين في الشبكات الافتراضية إلا أن ذلك لم يؤدي بهم الى تغيير هويتهم الحقيقية.

كما كشفت الدراسة كذلك عن تقارب ملامح الهوية الافتراضية من ملامح الهوية الشخصية الحقيقية للأفراد، لتثبت الأثر الإيجابي لها على تفاعل الأفراد وسلوكهم وبقاء ارتباطهم بالمجتمع الحقيقي ومعاييره، مما يشجع على زيادة الاهتمام بالمجتمعات الافتراضية واستثمارها في ميادين التعليم والتوعية والتنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها.

من خلال ما سبق، و بعد تحليلنا لنسب الجداول وتقييمنا لما توصلنا إليه و مجمل النتائج التي أسفرت عليها الفرضيتين والتين كانتا بمثابة أبعاد للتساؤلات الرئيسية للدراسة نستخلص ما يلي:

– يفضل الأفراد المبحوثين الانضمام إلى أكثر من مجتمع افتراضي كما أنهم يفضلون المجتمعات الافتراضية ذات البعدين العربي والعالمي وذات الطابعين الثقافي و العام، وهو ما يعكس سعي أفراد العينة للانفتاح على المجتمعات الانسانية الأخرى خارج الإطار المحلي أو الوطني مع تمسكهم بالهوية الدينية، كما يسعون للانخراط في مجتمعات افتراضية ذات هوية محددة تنعكس في الشعارات المشتركة بين الأعضاء.

– إن الانضمام إلى المجتمعات الافتراضية كان بدافع الحوار وتبادل الآراء بالدرجة الأولى ، مما يؤكد سعي الأفراد إلى إثبات الذات ونشر الأفكار ، كما أنه تحكمه الرغبة ووجود الراحة والتقبل والانسجام مع قيمه وأفكاره.

– تمثل الهوية الافتراضية عند غالبية الأفراد انعكاسا لهوياتهم الحقيقية وهو ما يفسر تصريحهم ببياناتهم الحقيقية حول السن والجنس والمواصفات ووضع صورهم الحقيقية، كما يحاول البعض ربطها بالهوية الحقيقية عن طريق الاسم المستعار الذي يكون له دلالات شخصية غالبا وكذا اتخاذ شعارات تحمل التوجه الفكري أو توجه آخر.

– هناك عوامل تزيد من فعالية الأفراد داخل المجتمعات الافتراضية وتزيد من تمسكهم بها، كما تعمل على إثبات هوية الأفراد و إظهار قدراتهم منها تقلدهم منصب في هذه المجتمعات.

– يرى الغالبية أنهم عن طريق الهوية الافتراضية يكونون أكثر تفاعلا ونشاطا ومشاركة وأحسن تصرفا في المجتمع الافتراضي عنه في المجتمع الحقيقي، وذلك لخصائص المجتمع الافتراضي الذي يرتكز على التواصل الفكري وليس على المظهر والانطباعات الأولى مثلما هو موجود في المجتمع الواقعي، كما أنه أكثر حرية وصراحة لانعدام تعقيدات الاتصال المباشر الاجتماعية كالقيام ببعض الترتيبات أو العادات والمراسيم أو النفسية كالشعور بالخجل أو الارتباك وغيرها، إلا أن القدرة على إخفاء الهوية يعتبره الأفراد أمرا سلبيا ينقص من مصداقية الهويات الافتراضية ويشجع على اختراق الحدود الدينية والأخلاقية.

– يساهم التفاعل داخل المجتمعات الافتراضية في إدماج الافراد في مجالهم الاجتماعي الواقعي و يدعم هويتهم الحقيقية.

في النهاية لا يمكننا القول بأن المجتمع الافتراضي بعيد كل البعد عن تشكيل هوية افتراضية لدى الأفراد رغم كثرة التفاعلات داخله، تبقى هذه الدراسة في الأخير حلقة من حلقات البحث المتواصلة لاستكشاف العلاقة بين المجتمع الافتراضي و الهوية الافتراضية، لا ندعي بأننا بلغنا نتائج تعبر عن كل ما يتعلق بالمنخرطين في المجتمعات الافتراضية كما لا يمكننا القول بأننا كشفنا عن كل الجوانب الخاصة بالبحث فقد حاولنا فقط استجلاء بعض جوانب البحث ممهدين السبيل إن صح التعبير لباحثين آخرين لاستكشاف مقاربات أخرى لم نتناولها في دراستنا.

ثامنا: قائمة المراجع والمصادر:

[1] – حسيبة قيدوم، الانترنت و استعمالاتها في الجزائر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإعلام و الاتصال، 2001-2002، الجزائر، كلية العلوم السياسية و الاعلام، قسم علوم، ص73

[2] – منى محمود علي، من ثورة الاتصال الى ثور التغيير، رؤية تكنو-اجتماعية لأحداث مصر، 2011، تم استرجاعها من: http://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=27056 بتاريخ: 2016/04/30، 10:00

[3] – إبراهيم بعزيز، الاستخدام المفرط لوسائل الاتصال الحديثة من طرف الأفراد –الآثار و الانعكاسات، ورقة قدمت في الملتقى الوطني الأول ، تأثيرات وسائل الإعلام الجديدة على الأفراد والمجتمعات، جامعة فرحات عباس، سطيف، 2010 تم استرجاعها من: http://dspace.univ-ouargla.dz/jspui/bitstream/123456789/9354/1/S2018.pdf

بتاريخ: 2016/04/30

[4] – فرج عبد القادر طه و آخرون، موسوعة علم النفس و التحليل النفسي، دار سعاد صالح، القاهرة، 1993.

[5] – عبد الفتاح دوي احمد، ايكولوجية العلاقة بين مفهوم الذات و الاتجاهات، بيروت، دار النهضة العربية، 1992 ، ص13

[6] – جمال كانون، الانترنت مجال للتفاعل و تشكل الهوية، دراسة لعينة من مستخدمي الانترنت بمدينة و رقلة، 2011

[7] – ركبي أمال كريمة، الفيسبوك وعلاقته بتشكيل الهوية الافتراضية، دراسة ميدانية على عينة من مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي الفيسبوك بمدينة تقرت، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2014، ص13.

[8] – زكي محمد اسماعيل، انتربولوجية التربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، 1980، ص121

[9] – زكي محمد هاشم، الجوانب السلوكية في الادارة، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980، ص214.

[10] – دوني كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة قاسم المقداد، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 2002، ص 22.

[11]– عبد العزيز الدوري "الهوية الثقافية العربية والتحديات " مجلة المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،العدد 248 ، 1999/10 ، ص 6-15

[12] – شهيب عادل، الثقافة والهوية، مرجع سبق ذكره.

[13] – شهيب عادل، الثقافة والهوية، مرجع سبق ذكره.

[14]– محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهُوية الثقافية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، فبراير 1999م، ص6.

[15]– زين العابدين درويش، علم النفس الاجتماعي، أسسه وتطبيقاته، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999، ص 68.

[16]– نقلا عن عبد الفتاح تركي موسى، التنشئة الاجتماعية (منظور إسلامي)، المكتب العلمي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص21

[17]- محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979، ص449.

[18]- التنشئة الاجتماعية مفهومها وخصائها وأهدافها، تم استرجاعها من mogadishucenter.com بتاريخ 2016/03/10، 23:20.

[19] - التنشئة الاجتماعية مفهومها وخصائها وأهدافها، نقلا من mogadishucenter.com بتاريخ 2016/03/10

[20]- محمد يسري موسى، مصادر وآليات التنشئة الاجتماعية لدى لاعبي الفرق القومية في جمهورية مصر العربية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية الرياضية، جامعة حلوان 1999، ص35.

[23]- السيد عبد القادر شريف، التنشئة الاجتماعية للطفل العربي، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، القاهرة، 2004، ص13.

[22]- معن خليل العمر، التنشئة الاجتماعية ، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، 2004، ص 61، 62.

[23]– مريم ناريمان نورمار، مرجع سبق ذكره، ص95.

[24] – شون ماكبرايد و آخرون، أصوات متعددة و عالم واحد، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981م.

[25] - عبيدات محمد وآخرون، البحث العلمي، مفهومه- أدواته وأساليبه ،عمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1998، ص74.

واقع الهوية والقيم في الإعلام الجديد بين إشكالية التغيير و أخلاقيات الثبات

مقاربة نقدية

The reality of identity and values in the new media between the problem of change and the ethics of persistence :A critical approach

الدكتور سلامي اسعيداني[1]، الدكتورة ضيف نجية[2]

[1] جامعة محمد بوضياف المسيلة (الجزئر)

Salami.saidani@univ-msila.dz

00213770223786

[2] جامعة الجزائر 02 (الجزائر)

jena16.rajae@gmail.com

00213771964630

ملخص البحث

تعتبر قضيتي (الهوية والقيم) في الإعلام الجديد **إشكالية** كبيرة جدا، ويخضع هذان المصطلحان لمفاهيم عدة تعود إلى نظريات كبرى في التحليل الفلسفي والإنساني، الذان يربطان بين الحداثة والمعاصرة من جهة والأصالة من جهة أخرى، وعليه فمقاربتنا في هذا الموضوع ليس جديداً بقدر ما هو مهم وجاد، بالنظر إلى العديد من زوايا علاقات هذين المفهومين كعلاقتهما بالإعلام الجديد و مفاهيمه المشابهة كالعالم الرقمي ومواقع التواصل الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: الهوية ، القيمة، الإعلام الجديد، التغيير، الأخلاق.

Abstract :

The issues of (identity and values) in the new media are very big problematic, and these two terms are subject to several concepts that refer to major theories in philosophical and human analysis, which link modernity and contemporary on the one hand and originality on the other hand, and therefore our approach to this issue is not new as it is important And serious, given the many angles of relations between these two concepts, such as their relationship with the new media and similar concepts, such as the digital world and social media.

Key words: identity, value, new media, change, ethics.

مقدمة

حوت وسائل الإعلام الجديد في ثناياها العديد من الإشكاليات والتي إن كانت موجودة من قبل لكن هذه الوسائل حفزت من ظهورها بشكل واضح وزادت من اختناقاتها وتأزمها وتتعدد هذه الإشكاليات لكن سوف تركز هذه الدراسة على بعض منها كالهوية والأمن القومي والمعلوماتي إضافة للثقافة السياسية وسنتناول ذلك بشيء من التفصيل كل منهم على حدة.

1. الضوابط بين الاخلاق والقيم في بيئة الاعلام العادي

1.1. تعريف القيم الاخلاقية:

القيم هي ما قوم به الشيء بمنزلة المعيار من غير زيادة ولا نقصان، القيمة "هي واحدة القيم واصلة الواو لأنه يقوم مقام الشي ء، يقال قومت السلعة أي الاستقامة والاعتدال، وقومت الشيء فهو قويم أي مستقيم، والقوام العدل، قال تعالى "وكان بين ذلك قواما"، وقوام الرجل أيضا قامته وحسن طوله.[1]

وقيمة الشيء في اللغة العربية قدره وقيمة المتاع، ثمنه يقال قيمة المرء ما يحسنه، وما لفلان قيمة أي ماله ثبات ودوام على الأمر[2] .

–التعريف الاصطلاحي للقيم":

القيم هي عبارة عن جملة من الأوامر والنواهي المقررة عند مجتمع مخصوص وفي فترة مخصوصة." وهي أيضا الفضائل الدينية والخلقية والاجتماعية التي تقوم عليها حياة المجتمع الإنساني. فالقيم هي المبدأ أو المستوى أو الخاصية التي تعتبر ثمينة أو مرغوبة تساعد على تحديد ما إذا كانت بعض الموضوعات جيدة أو رديئة حسنة أم سيئة، خاطئة أم صحيحة، عديمة الفائدة، مهمة، هذه الموضوعات قد تكون أفكار أو قرارات أو أشخاص أو أفعال أو أشياء.[3]

2.1. أخلاقيات الممارسة الاعلامية

لقد عرف الباحثين أخلاقيات المهنة الإعلامية فكل واحد منهم ركز على زاوية معينة.فنجد أن ماهر عودة الشمايلة عرفها على أنها "العلم الذي يعالج الواجبات التي تفرض على الشخص بحكم ممارسته لمهنة معينة، ويقصد بتقنين الأخلاقيات مجموعة القواعد التي تحكم سلوك الأشخاص الذين ينتمون إلى مهن منتظمة في شكل نقابات مهنية في عبارة واحدة فإن قواعد أخلاقيات المهنة هي مجموعة القواعد التي تحدد الواجبات المهنية أي تحدد السلوك الذي يجب على المهني التزامه في ممارستها لأعمال مهنته" .[4]

ونجد أن هذا التعريف يعتبرها أنها بمثابة معايير أخلاقية ليست مثبتة قانونيا بعد لكن هذا لم يمنع المنتمون للمجال الإعلامي من العمل بها كمرجع مهني أخلاقي. كما تم التطرق إلى أخلاقيات الإعلام على أنها "وثيقة تضم مجموعة المبادئ والقيم والسلوكيات والتوجهات التي اتفق على الالتزام بها مجموعة من الصحفيين لتحكم سلوكهم أثناء ممارستهم لمهنية الصحافة في كافة تخصصاتها المكتوبة والمرئية والمسموعة اضافة إلى الإعلام الجديد.".[5]

3.1. الأخلاقيات المهنية:

نعني بالأخلاقيات المهنية، أن على العاملين في وسائل الاتصال الجماهيرية ومنها الصحافة ((أن يلتزموا في سلوكهم تجاه أنفسهم وتجاه الأخوين وتجاه جماهيرهم بمبادئ وقيم أساسية. والالتزام بهذه المبادئ والقيم الأساسية نوع من الواجبات الشخصية، أي أنه التزام شخصي يقع على كل واحد منهم بصفة شخصية ليكون سلوكاً سليماً وأخلاقياً.[6]

وتعرف الدكتورة سامية محمد أخلاقيات المهنة (قيم الممارسة) بأنها: ""مصطلح يشير إلى القواعد الواضحة للسلوك المهني في مؤسسات الوسائل الاتصالية، وكذلك الاتجاهات الفعالة والدعاوى المتصلة بكل ما هو ملائم في أسلوب العمل والإنجاز. ومن الأمثلة على قيم الممارسة: الفكرة النموذجية التي تتمثل في –الالتزام بالموضوعية–في أعداد الأنباء، والدعاوى المتصلة بأكثر الصور التكنولوجية ملائمة لتحقيق مهام اتصالية ذات نوعية خاصة، والدعاوى الخاصة بتحديد مقاييس المسلسلات التلفزيونية الجيدة"".[7]

أما الأخلاقيات المهنية فإن مواثيق الشرف أو مواثيق الأخلاق المهنية تعد مكملة للحقوق والضمانات المكفولة، إذ تعكس وتحدد الحقوق والضمانات التي يتعين توفيرها للمجتمع أو للبيئة التي تمارس فيها العملية الاتصالية ذاتها في مواجهة القائمين بالاتصال ومن ثم تبلور هذه المواثيق المسؤوليات الاجتماعية والأخلاقية لرجال الإعلام حيال المجتمع الذي يعملون فيه، وحيال المجتمع العربي ككل، وحيال المجتمع الدولي ذاته، وتبنى على أساس أن الإعلام وان كان حقاً للفرد، فهو أيضاً حق للمجتمع، وينبغي حماية حق المجتمع في الوقت الذي تحمي فيه حقوق الأفراد. وعلى ذلك فكلما نضج النظام الاتصالية والإعلامي، أرتفع المستوى المهني للعاملين فيه، وتزايدت الحاجة إلى تحديد هذه القواعد والالتزامات الاجتماعية لرجال الإعلام.[8]

وتعد التنظيمات المهنية الجهة المسؤولة عن تنفيذ هذه القواعد ومراقبة الالتزام بها، على الرغم من كونها قواعد اختيارية تمثل اختياراً ذاتياً لرجال الإعلام، وكما ضمنت هذه التنظيمات حقوقاً لهم فقد رتبت التزامات ومسؤوليات أيضاً حيال المجتمع ومن الطبيعي ان تكون مثل هذه الالتزامات هي مهنية وإخلافيه غالباً.

2. مدخل إلى الهوية:

1.2. تعريف الهوية:

فهوية الإنسان، هوية الثقافة أو هوية الحضارة، هي جوهرها وحقيقتها، ولما كان في كل شيء من الأشياء: إنساناً أو ثقافة أو حضارة أو الثوابت والمتغيرات ...الخ [9] ، فإن هوية الشيء هي ثوابته، التي تتجدد لا تتغير، تتجلى وتفصح عن ذاتها، دون أن تخلي مكانها لنقيضها، طالما بقيت الذات على قيد الحياة.

والهوية دائماً تجمع بين ثلاثة عناصر أساسية هي:

- العقيدة: التي توفر رؤية للوجود.
- اللسان: الذي يجري التعبير به.
- والتراث الثقافي الطويل المدى.[10]

2.2. الهوية بين النوع والتصنيف

ظاهرة الهوية بمختلف أصنافها، أصبحت الآن متداولة من طرف الكثير من التخصصات العلمية وخاصة منها (الجغرافية الإنسانية، العلوم السياسية، والأنثروبولوجيا وفروعها كالاثنولوجيا، وعلم الاجتماع وعلم النفس) نظراً لتزايد وتكاثر المجتمعات المختلفة جراء النمو الديموغرافي حيث بدأت تظهر الكثير من المشاكل الاجتماعية والخلقية والتي أصبحت تنسب إلى التمسك أو فقدان الهوية. وبهذا بدأت الأبحاث تتناول صفات من أنواع الهوية، لتبرير أسباب الأزمات وأصولها (انحراف، إجرام، حروب أهلية، أزمات سياسية وقيام حركات تطالب بحقها في خصوصياتها وهويتها.).

أ- الهوية الاجتماعية Identité Sociale:

إن ظاهرة الهوية الثقافية تشير منطقاً الى ظاهرة الهوية الاجتماعية التي هي احدى مكوناتها. ففي نظر علم النفس الاجتماعي، تُعتبر الهوية كوسيلة للتفكير في الارتباط، عند الفرد بينما ما هو نفسي وما هو اجتماعي، فالهوية الاجتماعية تُعبر عن حصيلة مختلف التداخلات بين الفرد ومحيطه الاجتماعي سواء كان القريب أو البعيد.

والسوسيولوجي **دنيس (Denys Cuche)** بيّن بأن **الهوية الاجتماعية** عند الفرد تتميز، بمجموعة من الانتماءات داخل النظام الاجتماعي، مثلا: فهي تدل على انتماءه الى الفئة الجنسية، الفئة العمرية، الانتماء الى الوطن...فالهوية تُمكن الفرد من أن يُحدد نفسه داخل النظام الاجتماعي، وفي الوقت ذاته أن يكون هو معروفاً اجتماعياً. فلا يُمكن حصر الهوية الاجتماعية عند الأفراد فقط، فكل فئة تكتسب هوية التي تتماشى مع تعريفها الاجتماعي، وهذا التعريف يُمكننا من وضعها في المجموعة الاجتماعية.

فبهذا نستطيع أن نُعرف، بصفات الهوية الاجتماعية، فهي تعتبر في الوقت نفسه كوسيلة ادماج أو اقصاء، لأنها من جهة تُعرِف الفرد وانتماءه الى فئة نظراً لتشابهه مع أعضاء آخرين من هذه الفئة، ومن جهة أخرى فهي تُميزه عن الفئات الاخرى التي أعضاءها يختلفون عنه. وفي هذا السياق، تبرز **الهوية الثقافية** كوسيلة للتصنيف او التمييز بين "**نحن**" و"**هم**" المبنيتين على اساس التمييز الثقافي.[11]

ب–الهوية الاثنية:Identité Ethnique

الهوية الاثنية هي وعي مجموعة تتشارك في نفس الانتماء الجغرافي، والانحدار من نفس العرق، واللغة أو اللهجة الواحدة، والنمط المعيشي المشترك، لها موقعها الاقتصادي والسياسي والثقافي مقارنة مع مجموعات أخرى من نفس الدولة، وغالبا ما كانت هذه الهوية محظورة سياسيا في الكثير من الدول باسم الحفاظ على "الوحدة الوطنية".

ج–الهوية الوطنية :Identité Nationale

الهوية الوطنية لها علاقة بالهوية الاثنية والتي هي الوعي بالانتماء الى شعب يكون تحت راية الدولة الواحدة له واجب مراقبة أرض معينة الحدود والدفاع عنها ضد الأجنبيين ويساهم مواطنوه في مصير مشترك، وتاريخ واحد. الهوية الوطنية تسمح للحكومات بتوحيد الجماعات اجتماعيا وثقافيا وسياسيا، وكثيرا ما تتناسى الهوية الأثنية للأسباب سياسية. ويصف الدكتور **أحمد بن نعمان** الهوية الوطنية فيقول:" إن هوية أي أمة من الأمم هي مجموعة الصفات أو السمات الثقافية العامة التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الأفراد الذين ينتمون إليها، والتي تجعلهم يعرفون ويتميزون بصفاتهم تلك عما سواهم من أفراد الأمم الأخرى."[12]

د–الهوية الجماعية:Identité collective

أكد دورايس بأن كل فرد يُؤسس هويته الخاصة به ويضعها في خدمته بصفة شخصية. هذه الهوية تتكون من علاقات تُفسر تحاور الفرد مع محيطه كان امرأة، رجل غني، فقير، جامعي...والكائن البشري لا يعيش بعزله، فكل فرد يجب عليه الانتماء إلى مجتمع أو مجموعة أفراد التي يتبادلون ولو بصفة جزئية، في فهم العالم ويتعاونوا من أجل بلوغ أهداف جماعية، فالهويات هي أيضاً جماعية بها أنها متبادلة بين مجموع الأفراد.

هـ–الهوية الثقافية:Identité culturelle

تجمع الهوية الثقافية كل ما هو مشترك بين أفراد المجموعة كالقواعد والمعايير والقيم، فالانتماء لثقافة يعبر بالانتساب لقيم ومعايير هذه الثقافة. وشبه دورايس الهوية الثقافية بالصيرورة والتطور، أين تتشارك مجموعة من الأفراد طريقة معينة وموحدة لفهم الكون، ويتشاركون في الأفكار وأشكال السلوك، واعين باختلافهم مع مجموعة أفراد أخرى. فالهوية الثقافية تظهر جليا عندما يتفاعل ويتداخل الحاملين للهوية مع أفراد لهم ثقافة مختلفة عنهم.[13]

3. مدخل عام إلى الإعلام الجديد

1.3. مفهوم الإعلام الجديد

يعرف مصطلح الإعلام الجديد؛ (New Media) أو الإعلام الرقمي (Digital Media) :بأنه مجموعة من الأساليب والأنشطة الرقمية الجديدة التي مكنت من إنتاج ونشر واستهلاك المحتوى الإعلامي بمختلف أشكاله من خلال الأجهزة الإلكترونية(الوسائط)المتصلة أو الغير متصلة بالإنترنت. يعرفه قاموس التكنولوجيا الرفيعة "High-Tech dictionary بأنه إندماج الكمبيوتر والوسائط المتعددة".[14]

ويرى بعض الباحثين أن المصطلح يشير إلى المحتوى الإعلامي الذي يبث أو ينشر عبر الوسائط الإعلامية الجديدة التي يصعب إدراجها تحت أي من الوسائل التقليدية كالصحافة والراديو والتلفزيون، وذلك بفعل التطور التكنولوجي الكبير في إنتاج وتوزيع المضامين الإعلامية.[15]

وإذا قلنا بالإعلام الجديد يفهم بالمقابل أن هناك إعلام قديم غير أن مصطلح الإعلام الجديد لا يعني بالضرورة إعلام جديدا بما تحمله الكلمة من معنى بل يمكن عده في حالات كثيرة مجرد شكلا أو تطبيقا جديدا لإعلام التقليدي فمثلا : الصحافة الإلكترونية كنوع من أنواع الإعلام الجديد جاءت من خلال استفادة الصحافة الورقية من تطبيقات تكنولوجيا الاتصال وعلى رأسها شبكة الانترنت .[16]

ومن أجل الخروج من حالة التقابلية في تصنيف الإعلام الجديد، يضع ريتشارد ديفيز Richard Davis وديانا أوين Diana Owenفي كتابهما المشترك (الإعلام الجديد والسياسة الأمريكية)تصنيفات ثلاثة للإعلام الجديد وهي : الإعلام الجديد بتكنولوجيا قديمة، والإعلام الجديد بتكنولوجيا جديدة، الإعلام الجديد بتكنولوجيا مختلطة .

– **النوع الأول**: الإعلام الجديد بتكنولوجيا قديمة: يعود إلى مجموعة من الأشكال الصحفية في الإذاعة والتلفزيون والصحف، ويشيران إلى راديو وتلفزيون Talk Show والمجلات الإخبارية مثل 60 Minutes وبرامج الأخبار الحية Live Shows والبرامج المسائية، مثل Night Line وبرامج الصباح المعروفة، مثل صباح الخير أميركا Good Morning America وبرامج التابلويد، مثل Inside Edition الشبيهة بصحافة التابلويد الورقية .ويشمل التجديد، في حالات أخرى نموذج برنامج أوبرا Oprah Winfrey وقنوات مثل أم تي في MTV المتخصصة في الموسيقى.

– **النوع الثاني**: إعلام جديد بتكنولوجيا جديدة: تمثله جميع الوسائل التي نعايشها الآن التي تعمل على منصة الكومبيوتر، وهي الوسائل التي مكنت من إنفاذ حالة التبادل الحي والسريع للمعلومات.

– **النوع الثالث** :إعلام جديد بتكنولوجيا مختلطة : فيه تزول الفوارق بين القديم والجديد، فقد أصبحت الحدود الفاصلة بين أنواع الوسائل المختلفة حدودا اصطناعية Artificial وحدثت حالة تماهي وتبادل للمنافع بين الإعلام القديم والجديد.

في حين يعرفه آخرون على أنه: مجموع النشاطات التي تدمج بين التكنولوجيا الحديثة التفاعل الاجتماعي وصناعة المحتوى، والتي تستخدم الذكاء الجماعي في جو من التعاون على الشبكة حيث يقوم المستخدمون سواء كانوا أفرادا أو جماعات بصناعة محتويات الويب تنظيمها، فهرستها، تعديلها أو التعليق عليها أو دمجها مع إبداعاتهم الخاصة.[17]

كما يشير المفهوم أيضا إلى الطرق الجديدة في الاتصال في البيئة الرقمية بما يسمح للمجموعات الأصغر من الناس بإمكانية الالتقاء والتجمع على الإنترنت وتبادل المنافع والمعلومات، وهي بيئة تسمح للأفراد والمجموعات بإسماع صوتهم وصوت مجتمعاتهم إلى العالم أجمع.

2.3. مميزات وخصائص الإعلام الجديد :

هناك بالتأكيد مجموعة من الخصائص والمميزات التي يتمتع بها الإعلام الجديد عما سبقه وأهمها:[18]

– دمجه للوسائل المختلفة القديمة والمستحدثة في مكان واحد، على منصة الكومبيوتر وشبكاته، وما ينتج عن ذلك الاندماج من تغيير انقلابي للنموذج الاتصالي الموروث بما يسمح للفرد العادي إيصال رسالته إلى من يريد في الوقت الذي يريد بطريقة واسعة الاتجاهات وليس من أعلى إلى أسفل وفق النموذج الاتصالي التقليدي.

–كما أن الإعلام الجديد يتميز باعتماده على استخدام الكمبيوتر والاتصالات عن بعد في إنتاج المعلومات وتخزينها وتوزيعها، هذه الخاصية قد ساهمت في توفير مصادر المعلومات والتسلية لعموم الناس بشكل ميسر وبأسعار منخفضة .

– أن الإعلام الجديد قادر على إضافة خاصية جديدة لا يوفرها الإعلام القديم وهي التفاعلية Interactivité وهي قدرة وسيلة الاتصال الجديدة على الاستجابة لحديث المستخدم تماما كما يحدث في عملية المحادثة بين شخصين .وهي الخاصية التي أضافت بعدا جديدا مهما إلى أنماط وسائل الإعلام الجماهيري الحالية التي تتكون في العادة من منتجات ذات اتجاه واحد يتم إصدارها من مصدر مركزي مثل الصحيفة أو قناة التلفاز أو الراديو إلى المستهلك مع إمكانية اختيار مصادر المعلومات والتسلية متى أرادها وبالشكل الذي يريده.

كما يتميز الإعلام الجديد أيضا بأنه إعلام متعدد الوسائط Multimédia لأن المعلومات يتم عرضها في شكل مزيج من النص والصورة والفيديو؛ مما يجعل المعلومة أكثر قوة وتأثير.[19]

4. أهم إشكاليات الإعلام الجديد في ظل البيئة الاتصالية التفاعلية

1.4. إشكالية الهُوية

لفظ الهُوية ليس واضحًا فهو مفهوم أيديولوجي أكثر منه مستندًا على أسس علمية وإن كان التعبير عن الهُوية يتم من خلال خصائص تشترك فيها الجماعة الواحدة كالدين واللغة والتاريخ والمعتقدات والثقافة الواحدة, وقد أصبحت الهُوية في وضع بالغ الصعوبة اليوم نظرًا للتطور التكنولوجي الذي اختزل بشدة العلاقة بين المجتمعات وخلق لغة خاصة وهُوية مختلفة تسلك طريقًا آخر غير الذي اعتادت عليه ومن ثم أصبح من اليسير أن يخسر الفرد هُويته وشخصيته ويصبح الفرد في هذه البيئة الجديدة بدون هُوية أو ثقافة مميزة له بل أصبح يتحدث باللغة العالمية, وللهُوية مستويان الأول شخصي والآخر جماعي ويخلق الأول التنوع بين الأفراد داخل المجتمع الواحد أما الآخر فيخلق التنوع بين الجماعات والمجتمعات المتعددة.[20]

وكان للإعلام الجديد بصمته الواضحة على الهُوية حيث أدت هذه الوسائل التكنولوجية الحديثة إلى خلق مجتمعات افتراضية بشكل ضخم إلى حد لا يمكن الإلمام به وتقييده وبالتالي كان لذلك تداعيات واضحة على تغيير نمط تفكير الأفراد والجماعات وأصبحت المسافات والحدود الجغرافية أشكال وهمية لا تستطيع إيقاف هذا الغزو التكنولوجي الافتراضي وأضحت هذه المجتمعات الافتراضية هى الواقع الجديد الذي يُشكل حياة الأفراد وأصبحوا مرتبطين إلى حد كبير بالأجهزة الحديثة كالحاسوب والهاتف المحمول والأدوات الأخرى وذلك أنتج ما يُسمى " بالفرد الحاسوب" وذلك إشارة لكونه أصبح مبرمجًا وأفرز نوعًا جديدًا من الهُوية لم يكن

موجودًا ولا يتم تحديده فهو خليط ناتج عن مزيد من الانفتاحات والتداخل وتظهر الهُوية الافتراضية أو فضاء السايبر Cyber Space والذي يجعل الأفراد أشخاص " أنترنتية" تنزوي في ثقافات غيرها حتى وإن كان على حساب هُويتها وإن كان هذا قد يشبع رغبات وحاجات نفسية لدى الأفراد إلا أنه يخلق قلق الإنتماء لكونهم متشرذم في ثقافات وأفكار وهُويات مختلفة غير قادرين على تحديد ذاتهم الأصيلة التي يجب الإنتماء لها.[21]

والحديث عن إشكالية الهُوية لا ينفصل عن اللغة فلا نجد جماعة من البشر لها نفس الهُوية إلا ولها نفس اللغة وفي كثير من الأحيان تسعى لفرض لغتها هذه ولعل النموذج الشهير على ذلك الكرد فرغم أنهم يتوزعون على أكثر من دولة إلا أنهم ينتمون فقط لقوميتهم وهويتهم ويتحدثون لغة واحدة رغم اختلافها عن باقي أقاليم الدول المتواجدين فيها , فاللغة هى التي تصون وتحمي الهوية وهى تحيا بالاستعمال والتداول ونتيجة للوسائل التكنولوجية الحديثة هذه تبعثرت الهُويات ليسود نموذج ثقافي وحيد ويصبح هو المركز وهو ما يُعرف باسم المثاقفة حيث انحسار الهويات المختلفة في ثوب جدبد وهذا بالتأكيد سلبي حيث ما هو إلا قضاء على ثقافة لصالح أخرى ومثال على ذلك نجد ضعف اللغة العربية بسبب هيمنة اللغة الإنجليزية على الشبكة المعلوماتية (الإنترنت) .

وتعد الهيمنة اللغوية أمرًا في غاية الأهمية حيث بذلك الهيمنة يتم بث أفكار تسيطر على عقول الشعوب ليصبحوا أمام معضلة وهى طغيان اللغة الأجنبية على معاملاتهم اليومية.[22]

وهذا إضافة إلى انتشار ما يسمى باللغة الفيسبوكية على مواقع التواصل الاجتماعي بين الشباب على وجه التحديد وهو ما جعل الهُوية في وضع أكثر صعوبة , ولقد ارتبط ذلك بإشكاليات أخرى تداخلت مع بعضها البعض .

2.4. إشكالية الأمن المعلوماتي و الأمن القومي

سابقًا كان مفهوم الأمن القومي مرتبط بشكل كبير بمدى القدرة على السيطرة على حدود الدولة وامتلاك أجهزة استخبارات قوية وأدوات عسكرية كبيرة ولكن في الوقت الحاضر ظهر مصطلح الأمن المعلوماتي و الأمن السيبراني محوريًا في الدراسات الأمنية والاستراتيجية لما له من مركز ثقل وتأثير فأصبحت الوسائل التكنولوجية هى لغة الحرب المتعارف عليها وأصبحت حماية الأجهزة التكنولوجية ومعلومات الدولة أمرًا لا يقل شأنًا عن حماية الحدود الأرضية للدولة بل يعلوه خطورة.

أولاً– الأمن المعلوماتي

وفي ظل الإعلام التقليدي نستطيع أن نضع الحدود الفاصلة بين كل من المعلومات المتاحة والأمن القومي والأمن المعلوماتي للدولة وبالتالي إمكانية إحجام المخاطر المحيطة ولكن تحت مظلة الإعلام الجديد أو الرقمي يختلف الأمر جملة وتفصيلًا حيث تسقط كل الجدارات الأمنية وتتلاشى كل الحدود الفاصلة وتصبح المعلومات متاحة بشكل ضخم مع عدم القدرة لمعرفة منبعها الأصلي هذا جنبًا إلى سيطرة الميول والمعتقدات في الحكم على حيثيات الحوادث القائمة فهو إعلام للفرد لا للمؤسسات يغلبه الطابع الأيدولوجي والعقائدي مما يجعل لكل فرد حرية في أن يسلك طريقًا يختلف عن الباقية نتيجة لإتجاهاته وميوله وهنا نتنج مشكلة وهى أن وقت الأزمات لا تُتاح الصورة بشكل كامل للأفراد ولكنه بناء على الأجزاء التي يراها وميوله وأيديولوجيته يبدأ في تشكيل رأي ووجهة نظر ربما تكون صائبة وربما لا ويبدأ في التعبير عنها عبر وسائل مواقع التواصل الاجتماعي وتتداخل آراء الأفراد ويحدث جدال مما يسبب اختناقات اجتماعية وبالتالي يصبح الرأي العام الإلكتروني مكشوفًا للجميع ويتم استغلال ذلك وبالتالي هو إعلام رأي وأيدولوجيا.[23]

ثانيًا – الأمن القومي

يتم استغلال وسائل التواصل الاجتماعي في إجراء بعد العمليات المهددة لسلامة وأمن المواطنين كنشر صور مخيفة أو بث لأعمال إجرامية مما تثير القلق لدى الأفراد ومن هذه العمليات:

أ–انتشار الجرائم الإلكترونية : حيث تسنحدم وسائل التواصل الاجتماعي في التهديد والابتزاز الإلكتروني والقرصنة (الهاكر) والتهديد بإتاحة البيانات الشخصية للأفراد ونشرها وذلك للمساومة بمقابل مادي هذا إضافة إلى عمليات السرقة والقتل عن طريق الفيسبوك والإرهاب الإلكتروني .

ب– تهديد الأمن الاجتماعي : الأمن الاجتماعي جزء لا ينفصل عن الأمن القومي بشكل عام وكان لوسائل التواصل الاجتماعي الأثر الواضح على الأمن الاجتماعي حيث بث الأفكار التي تحفز على الرغبات الانفصالية وبث الكراهية بين الأفراد مما يهدد الانسجام والتواصل الاجتماعي.

وبالتالي يعد عامل التوعية الإلكترونية وآليات الاستخدام الصحيح هى الحل الأمثل للتعامل مع هذه الهجمات الثقافية ومؤخرًا اتجهت الكثير من الدول من إنشاء وحدات تُسمى (وحدات الأمن السيبراني) وذلك للتعامل بشكل سليم مع هذه العمليات الإلكترونية.[24]

3.4. إشكالية الوعي والثقافة

بداية لا ننكر أن الوعي لدى الأفراد ليس بنفس الدرجة بل مختلف من شخص لآخر نتيجة لعوامل عديدة وهذا الوعي هو الذي يُشكل ثقافته بشكل عام وثقافته السياسية بشكل خاص وهى عملية متداخلة فكما أن وسائل الإعلام تعمل على المتغيرات النفسية والاجتماعية والعمرية لدى الأفراد فإن في الوقت نفسه يتجه الأفراد للمادة الاتصالية التي تتناسب مع فكره واتجاهاته .

وتتعدد الوسائل التي تعمل عل تشكيل الوعي لدى الأفراد ويكون للإعلام الاستحواذ الأكبر لما يزوده من معلومات للأفراد وتشكيل الرأي العام وهنا تظهر إشكالية المعلومات المغلوطة التي يتم نشرها عن طريق وسائل الإعلام الجديد وهذا الغرق المعلوماتي التي لا نتستطيع التحقق بشكل قاطع من مصداقيته , ومن ضمن الأساليب المتاحة لتكوين الثقافة السياسية للأفراد الصحف الإلكترونية وما فيها من حرية الممارسات بمعنى تدفق الأخبار وفي الآونة الأخيرة ازداد عدد الأفراد المستخدمين لهذه المواقع.[25]

وفي هذا السياق نجد أن الإعلام الجديد قد جعل تشكيل الوعي والثقافة في أزمة فلا نعد نستطيع تحديد بشكل دقيق هل يكون الإغراق المعلوماتي على مواقع التواصل الاجتماعي وتعدد الآراء الدارجة يكون وعي الأفراد أم الاعتقادات والأيديولوجيات المعتنقة لدى الأفراد هى التي توجههم لإنتهاج اعتقاد فكري معين وبالتالي المشاركة بمواد اتصالية معينة وأطروحة أخرى وهى هل هذه الآراء المتعددة تخلق مزيدًا من التناقضات الفكرية وإثراء الحوار المجتمعي واستغلال هذه الوسائل على تدعيم احترام وجهات النظر وجعلها طريقًا ممهدًا للسلام الاجتماعي أم أنها ترسخ مفهوم عدم التقبل والنقد الهدام .

كل هذه العوامل والأطروحات تم طرحها ولم نصل بعد لإجابة جامعة شاملة وما تزال لها تداعيات على المجتمع ككل.

خاتمة:

لا يوجد تعريف جامع للإعلام الجديد ولكن المؤكد هو أن الإعلام الجديد أصبح له أثر بالغ الخطورة على المجتمعات في الآونة الأخيرةو أصبحت جماهيره تزداد يومًا بعد يوم وهذا ما يطرح العديد من الإشكاليات كالهوية والأمن القومي والمعلوماتي والوعي والثقافة

لدى الأفراد مما يستوجب بذل المزيد من الجهد لتشكيل وعي أكثر لصد المخاطر الناتجة عن الإغراق المعلوماتي المتمخض عن وسائل التواصل الاجتماعي . وكانت أنماط التغير من الإعلام القليدي إلى الإعلام الجديد بارزة , ولا نستطيع الإتيان بإجابات قاطعة بخصوص تلك الإشكاليات وكيفية المواجهة لها ولكن الذي بالإمكان هو التعامل بذكاء مع هذه الوسائل ولا نقع فرسية لها ومحاولة بقدر الإمكان عدم نشر المعلومات بشكل عشوائي .

المراجع:

[1]محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، دار الكتاب لعربي، (مصر)، 1981، ص103.

[2]محمد عمارة: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، (القاهرة)، 1999م، ص66.

[3]خليل مصطفى ابو العينين: القيم الإسلامية والتربية، مكتبة الحلبي ، (المدينة المنورة)، 1408هـ، ص 34 و35.

[4]محمد سعيد الحام: الممارسة الصحفية في ظل التشريعات، دار القارة للنشر والتوزيع، (بيروت)، 2009، ص211.

[5] نفس المرجع: ص212

[6]محمد عمارة: مرجع سابق، ص69.

[7]ساعد العرابي الحارثي: مسئولية الإعلام في تأكيد الهوية الثقافية، دار المعرفة العربية، (الأردن)، 2008، ص 30

[8]محمد قطب: المسلمون والعولمة، دار الشروق،2000، (القاهرة)، ص 49.

[9]محمود سمير المنير: العولمة وعالم بلا هوية، دار الكلمة للنشر والتوزيع، (مصر)، 2000، ص 146

[10]نفس المرجع، ص 146.

[11]Denys Cuche :La notion de culture dans les sciences sociales Repères , La Découverte, (France) 2010 , p1.8.

[12] أحمد بن نعمان: الهوية الوطنية، الحقائق والمغالطات، شركة دار الأمة.1996بدون طبعة الصفحة، (الجزائر)، ص21.

[13]Dorais,Louis-Jaques et Edmund Ned Searle, **Identités inuit/Inuit identities** ,Etudes/Inuit/Studies 2001 25 1-2p 35

[14]فضيل ديلو : الإتصال مفاهيمه نظرياته ووسائله دار الفجر ، (مصر)، 2003 ، ص 21

[15]حسنين شفيق: الإعلام الجديد، دار فكر وفن، (القاهرة)،2010،ص 67

[16]مصطفى عباس الصادق: الإعلام الجديد؛ دارسة في مداخله النظرية وخصائصه العامة، دار الشروق، (عمان)، 2008، ص ص 31-32

[17]سميرة شيخاني: الإعلام الجديد في عصر المعلومات، مجلة جامعة دمشق، المجلد 26، العدد الأول والثاني،2010، ص334

[18] مصطفى عباس الصادق: مرجع سابق، ص35.

[19] عبد المحسن حامد أحمد غفيل: الإعلام الجديد وعصر التدفق الاخبارية، المكتبة العصرية، (المنصورة)، 2015، ص ص 11و 52

[20] علي حجازي: التكامل بين الإعلام التقليدي والجديد، دار المعتز, (الاردن)، 2017، ص 17.

[21] اديس لونيس: الإعلام الجديد والهُوية دراسة نظرية في جدلية العلاقة والتأثير، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 31 ديسمبر 2014، ص ص 284 – 285

[22] علي حجازي: مرجع سابق، ص25.

[23] عبد المحسن حامد أحمد غفيل: مرجع سابق، ص55.

[24] محمد عمارة: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، (القاهرة) 1999، ، ص69.

[25] سميرة شيخاني: مرجع سابق، ص335.

الصحافة الالكترونية في الجزائر: بين الأطر القانونية وتحديات البيئة الاعلامية الجديدة

Online journalism in Algeria: between legal frameworks and the challenges of the new media environment

جاب الله حكيمة، أستاذة محاضرة أ[1] ، بن عمروش فريدة، أستاذة محاضرة أ[2]

[1] كلية علوم الاعلام و الاتصال، جامعة الجزائر 3، hchenit@yahoo.fr

[2] كلية علوم الاعلام و الاتصال، جامعة الجزائر 3، faridabenamrouche@yahoo.fr

ملخص البحث

تعتبر الصحافة الالكترونية ثمرة من ثمار التكنولوجيات الحديثة للاتصال التي فرضت نفسها في البيئة الاعلامية الجديدة نظرا للمكانة والأهمية التي أصبحت تحتلها مقارنة بوسائل الإعلام التقليدية، والجزائر كغيرها من الدول حاولت الالتحاق بهذا الركب محاولة ايجاد صحف الكترونية جزائرية متعددة الانواع والاشكال محاولة ايجاد مكان لها في هذه البيئة الافتراضية، خاصة في ظل المنافسة الشرسة بين دول العالم لاكتساح هذا المشهد الاعلامي الجديد خاصة في ظل غياب الحواجز. ولكن نجاح مثل هذه الصحافة يتطلب توفر مجموعة من الاطر القانونية الاعلامية التي تحدد آليات هذه الممارسة تفاديا لحدوث تجاوزات واختلالات يمكن ان تؤدي الى عواقب وخيمة خاصة مع توفر حرية التعبير وانعدام الرقابة. انطلاقا من اهمية الموضوع حاولنا من خلال هذا المقال معرفة طبيعة النصوص القانونية التي تؤطر الصحافة الالكترونية في الجزائر ومدى مسايرتها لتطور البيئة الاعلامية الجديدة. تحقيقا لذلك اعتمدنا على المنهج الوصفي باعتباره من المناهج الذي يعالج المشكلات الآنية كما استخدمنا كل من الملاحظة والوثائق والدراسات السابقة. ومن اهم النتائج التي توصلنا اليها ان القانون العضوي لا يمكن الاعتماد عليه في ضبط الصحافة الالكترونية ولا بد من توفر ترسانة جديدة من النصوص القانونية التي تتماشى مع تطور البيئة الإعلامية الجديدة.

الكلمات المفتاحية: صحافة الكترونية، الجزائر، قانون، تحديات، بيئة اعلامية جديدة.

Abstract:

communication technologies that have imposed themselves in the new media environment due to the position and importance that it has assumed compared to the traditional media, and Algeria, like other countries, has tried to join this legacy of trying to find Algerian electronic newspapers of various kinds and forms, trying to find a place for them in This virtual environment, especially in light of the fierce competition between countries of the world to overwhelm this new media scene, especially in the absence of barriers. However, the success of such journalism requires the availability of a set of media legal frameworks that define the mechanisms of this practice in order to avoid the occurrence of excesses and imbalances that could lead to serious consequences, especially with the availability of freedom of expression and the absence of censorship. Based on the importance of the topic, we tried through this article to know the nature of the legal texts that frame the electronic press in Algeria and the extent to which they keep pace with the development of the new media environment. To achieve this, we have relied on the descriptive approach as one of the approaches that deals with immediate problems. We also used all of the observations, documents and previous studies. One of the most important findings that we have reached is that organic law cannot be relied upon in controlling electronic journalism, and a new arsenal of legal texts must be available that is in line with the development of the new media environment .

Key words : Electronic journalism, Algeria, law, challenges, a new media environment .

مقدمة:

تعتبر الصحافة الالكترونية مظهرا من مظاهر البيئة الإعلامية الجديدة التي عرفت انتشارا كبيرا خاصة في البلدان المتطورة، حيث تتوفر مستلزمات اقامة هذا النوع من الاعلام الجديد سواء المادية منها او القانونية نتيجة توفر تطبيقات الانترنت المختلفة التي ساهمت في تسهيل اجراءات العمل الصحفي الالكتروني من حيث توفير المعلومات وتسهيل التحرير الصحفي. والجزائر كغيرها من الدول عرفت هذا النوع من الصحف ابتداء من مرحلة التعددية الاعلامية، حيث عرفت هذه الصحف نموا محتشما حيث كانت البداية بإنشاء نسخ الكترونية ترافق النسخة الورقية حتى تكسبها انتشارا أكبر، وقد ساهمت التفاعلية التي وفرتها التطبيقات المختلفة للأنترنت على انتشار هذه الصحافة نتيجة الاقبال على إنشاء وكذا قراءة هذه الصحف التي استفادت من خصائص البيئة الاعلامية الجديدة من انية وفورية وتفاعلية. مع الاشارة الى ان تنظيم البيئة الاعلامية الجديدة يتطلب توفر نصوص قانونية تساير مستجدات البيئة الافتراضية من اجل تنظيم الممارسة الاعلامية في هذا المجال خاصة مع الانتشار الكبير لهذا الاعلام مما يستدعي إيجاد آليات ضبط جديدة تنظم الممارسات الاعلامية. ونظرا لأهمية الموضوع سنحاول من خلال هذا المقال الاجابة على الاشكالية التالية: كيف أطرت قوانين الاعلام والاتصال الجزائرية للصحافة الالكترونية؟ وما هي التحديات التي تواجهها في البيئة الاعلامية الجيدة؟ وللإجابة على هذه الاشكالية طرحنا مجموعة من **التساؤلات**:

-ماهي خصائص الصحافة الالكترونية؟ -ما هو واقع الصحافة الالكترونية في الجزائر؟

-ما هي مكانة الصحافة الالكترونية في النصوص القانونية الخاصة بقطاع الاعلام والاتصال؟

-ماهي التحديات التي تفرضها البيئة الجديدة على الصحافة الالكترونية؟

أهمية الموضوع: يعتبر موضوع الصحافة الالكترونية أحد المواضيع الهامة نتيجة الاقبال الكبير على هذه الصحافة نتيجة توفرها على الكثير من الخصائص و المزايا من اخبار انية و امكانية التفاعل و المشاركة، مما جعلها تحتل الصدارة مقارنة بالصحافة الورقية. وبما أن الصحافة الالكترونية تعد أحد أشكال الاعلام الجديد فان ممارسة ذلك يتطلب توفر اطر قانونية تتماشى ومستجدات البيئة الاعلامية الجديدة.

أهداف البحث: نسعى من خلال هذا البحث تحقيق مجموعة من الأهداف من بينها:

-إبراز ماهية الصحافة الالكترونية.

– التعرف على نشأة وواقع الصحافة الالكترونية في الجزائر.

-التعرف على اهم النصوص القانونية التي تؤطر هذه الصحافة.

-تحديات الصحافة الالكترونية في الجزائر في ظل البيئة الاعلامية الجديدة.

منهج البحث وأدواته: إن البحوث العلمية بشكل عام تتطلب من الباحث الاستناد إلى منهج من المناهج، وفي بحثنا هذا سوف نعتمد على المنهج الوصفي التحليلي الذي يندرج ضمن الدراسات الوصفية التي تسعى لوصف المشكلات الآنية مثلما هي الوضع الطبيعي دون إدخال تعديلات وكذا دون البحث في الأسباب. وذلك من خلال البحث في واقع الصحافة الالكترونية في الجزائر وكذا

البحث في مضامين قوانين الاعلام والاتصال الصادرة ف الجزائر ذلك ان البيئة الاعلامية الجديدة تتطلب مسايرة النصوص القانونية لهذه المستجدات بالإضافة لتنظيم الممارسة الاعلامية في هذا المجال.

أولا–مدخل مفاهيمي ونظري:

سنحاول من خلال هذا المدخل شرح أهم المفاهيم التي سوف نتعرض لها في هذا المقال:

1–ماهية الصحافة الالكترونية: إن من أبرز معالم التطور الذي شهدته الصحافة المطبوعة، هو ظهور ما سمي بالصحافة الإلكترونية التي يتم نشرها على شبكة الأنترنت ،حيث يقوم القارئ باستدعائها وتصفحها والبحث داخلها بالإضافة إلى حفظ المادة التي يريدها منها وطبع ما يرغب في طباعته، وإذا كانت الصحيفة الإلكترونية هي نتاج للتطور الهائل الذي شهدته التكنولوجيا الرقمية، فإن الفضل في ظهورها يعود إلى محاولات الباحثين والصحفيين المتعددة لإنتاج صحيفة لا ورقية تستطيع أن تقوم بوظائف الصحف المطبوعة وتضيف إليها من خلال استغلال الإمكانيات الاتصالية لشبكة الانترنت. لقد اهتم الباحثون بتعريف الصحافة الالكترونية منذ نشأتها وظهورها في بداية التسعينات وإلى يومنا هذا، حيث تعددت التسميات لهذا النوع من الصحافة فمنهم من يسميها: الإعلام الإلكتروني، صحافة الأنترنت، صحافة على الخط، الصحافة الالكترونية، الصحافة الفورية، الصحافة الرقمية، وقد تعددت تعاريف المفكرين والباحثين باختلاف التخصصات والتوجهات من أهم التعاريف يمكن تقديم التعاريف التالية:

– عرفها محمد سعد إبراهيم" أنها الصحف التي يتم إصدارها ونشرها على شبكة الانترنت سواء كانت هذه الصحيف بمثابة نسخ أو إصدارات الكترونية لصحف ورقية مطبوعةElectronic Edition أو موجز لأهم المحتويات النسخ الورقية أو كجرائد الكترونية ليس ها إصدارات عادية مطبوعة على الورق Online news paper وهي تتضمن مزيجا من الرسائل الإخبارية والمقالات والتعليقات والصور والخدمات المرجعية".

– عرفت أيضا أنها "نوع من الاتصال بين البشر يتم عبر الفضاء الالكتروني–الانترنت وشبكة المعلومات والاتصالات الأخرى– تستخدم فيه فنون وآليات ومهارات العمل في الصحافة المطبوعة، مضافا إليها مهارات وآليات وتقنيات المعلومات التي تناسب استخدام الفضاء الالكتروني كوسيط لوسيلة الاتصال بما في ذلك استخدام الصورة والصوت والمستويات المختلفة من التفاعل مع المتلقي لاستقصاء الأنباء الآنية وغير الآنية ومعالجتها وتحليلها ونشرها على الجماهير عبر الفضاء الالكتروني"[1].

–كما عرفت أيضا أنها" مجموعة من الأخبار والكتابات المنشورة عبر الوسائل الالكترونية، في مقدمتها شبكة الانترنت كوسيلة لنشر الأخبار والأحداث والمعلومات المتعلقة بالموضوعات والتوجهات المختلفة التي تهم القارئ والمستفيد[2].

ويعرفها الباحث محمد منير حجاب: أنها منشور الكتروني دوري يحتوي على الأحداث الجارية سواء المرتبطة بموضوعات عامة أو بموضوعات ذات طبيعة خاصة، ويتم قراءتها من خلال جهاز كمبيوتر وغالبا ما تكون متاحة عبر شبكة الأنترنت، لذا فهذا المفهوم يدخل في إطار مفهوم استمرار الجريدة على الخط[3]. بينما يعرفها البعض: "بأنها الصحف التي يتم إصدارها ونشرها على شبكة الأنترنت سواء كانت هذه الصحف بمثابة نسخ أو إصدارات إلكترونية لصحف ورقية مطبوعة أو موجز لأهم محتويات النسخ الورقية، أو كجرائد ومجالات إلكترونية ليست لها إصدارات على الورق، وتضمن مزيجا من الرسائل الإخبارية والقصص والمقالات والتعليقات والصور والخدمات المرجعية، حيث يشير تعبير "online journalism" في معظم الكتابات إلى الأحداث مع مراجع وثائقية وإعلانا مبوبة، وأطلق على هذا المشروع اسم (الحبر الورقي)، والذي كان فاتحة لظهور جيل جديد من الصحف هي :الصحف الإلكترونية التي تخلت للمرة الأولى في تاريخها عن الورق والأحبار والنظام التقليدي للتحرير والقراءة للتحرير ،لتستخدم جهاز الحاسوب وإمكانيتها

الواسعة في التوزيع عبر القارات والدول بلا حواجز أو قيود[4].كما يعرف الباحث شريف درويش اللبان " الصحافة الإلكترونية بأنها تلك: "الصحافة كما يتم ممارستها على خط المباشر".[5]

2–تعريف البيئة الإعلامية الجديدة: ترتبط البيئة الإعلامية الجديدة بالتحولات التي طرأت على وسائل الإعلام والاتصال وبشكل خاص باستخدامات الأنترنت التي أدت لظهور بيئة إعلامية افتراضية نتيجة الاستخدام المكثف للإعلام الالكتروني، وتعرف أيضا بعصر المعلومات أو عصر ثورة المعلومات أو عصر الثورة الإعلامية والمعلوماتية. كما تعرف أيضا بالبيئة التكنولوجية الجديدة نتيجة التفاعل بين التكنولوجيات والعنصر البشري مما أدى لظهور إعلام جديد يتميز بخصائص البيئة الالكترونية من تفاعل وآنية وتوافر للمعلومات وتجاوز الحدود الزمانية والمكانية.

ثانيا–خلفية تاريخية ونظرية عن الصحافة الالكترونية:

1–نشأة وتطور الصحافة الالكترونية في العالم:

ظهرت صحافة الانترنت وتطورت كنتاج لشبكة الإنترنت العالمية التي جاءت أيضا نتيجة المزج بين ثورة تكنولوجيا الاتصالات وثورة تكنولوجيا الحاسبات بما يعرف بالتقنية الرقمية ،وكانت البدايات الفعلية نتيجة لما أحدثته ثورتا الاتصال والمعلومات ،وما نجم عنها من تقنيات وتطورات ألقت بظلالها على الصحافة المطبوعة كجزء من منظومة وسائل الإعلام التقليدية ، وبدأت تتكون حول نظم الحاسبات المرتبطة ببعضها البعض من خلال شبكة الكمبيوتر سواء المحلية أو الدولية وما تضمنته هذه الشبكات من بث إعلامي يعتمد على وسائل تعبير متعددة كالصوت والنص والصورة واللون وغيرها، فلم لم تكد تمضي سنوات على ظهور الانترنت حتى امتلأت الشبكة الدولية للمعلومات بالعشرات من المواقع التي تعتبر نسخا إلكترونية لصحف ورقية أو مواقع كبيرة تنشر المواد الإعلامية التي تقدمها الصحيفة الورقية.

وقد تطورت الصحافة الإلكترونية مع الاستخدام الاجتماعي للجيل الأول من الويب، ثم واكبت تطور جيله الثاني واستفادت من إمكانياته التقنية والاتصالية، وأصبح من الصعب الحديث عنها دون الأخذ بعض الاعتبار تداعيات استعانتها بالمنتديات الإلكترونية، ومواقع التواصل الاجتماعي، والمدونات الالكترونية. ورغم أهمية سمات الإعلام الأساسية التي تشخص الصحافة، أي إطلاع عدد من الأفراد على الأحداث الواقعية، إلا أن الجيل الثاني من الويب غير "الحامض النووي" للأخبار نظرا للخاصيتين الأساسيتين اللتين يتمتع بهما وهما: الآنية والتفاعلية، فلم يعد اهتمام الصحافة يرتكز على ما جرى فحسب، بل اتجه أيض إلى الانشغال بردود الفعل على ما جرى وتابعاته، فأصبح باستطاعة كل من يملك أدنى حد من الكفاءة التقنية والمهارات التكنولوجية المتصلة بشبكة الانترنت أن ينخرط في ديناميكية تحول الحامض النووي للأخبار.

إن الصحافة الإلكترونية إذن هي نتاج لامتزاج الإعلام بالتقنية الرقمية، وهي برغم عمرها القصير إلا أنها حققت في نحو عقد من الزمان ما حققته الصحافة المطبوعة في عشرات السنين، وتمكنت صحافة الانترنت من تقديم مكاسب عديدة للمهنة الإعلامية ولجمهور القراء وكذلك لمستويات أخرى من المستفيدين مثل المعلنين والطبقة السياسية ومروجي الأفكار والدعاة وسواهم، لكن هذه المكاسب ارتبطت ومازالت بتطور التقنية وانتشارها وفي طبيعة الجمهور الذي يستخدمها، و رغم أن المؤشرات حول ذلك لا تزال غير مشجعة، إلا أن كثيرا من الباحثين أسرعوا مبكرا للحديث عن هزيمة الصحافة التقليدية ونهاية عصرها، بل أن فيليب ميلر تنبأ بأن عام 2040 سيشهد هجرة آخر قراء الصحف الورقية المطبوعة إلى الصحافة الإلكترونية[6].

و تجدر الإشارة أن الصحافة الإلكترونية قد تطورت عبر تجارب التلتكست والفيدوتكس في هيئة الإذاعة البريطانية والتجارب التفاعلية الأخرى في مجالات نقل النصوص شبكيا، ومن تطور قواعد البيانات واستخدام الكمبيوتر في عمليات ما قبل الطباعة في بداية السبعينات من القرن الماضي، ويقول شيدين "إن عام1981 يمثل أول بداية حقيقية لظهور الصحافة الإلكترونية الشبكية عندما قدمت كومبيوسيرف خدمتها الهاتفية مع 11 صحفية مشتركة في الاسوسيتدبرس، إلا أن هذه الخدمة توقفت عام 1982 بعد انفضاض الشراكة"[7]، تبع ذلك ظهور الخدمات الصحفية في قوائم الأخبار الإلكترونية- Bulletin Board BBS في سنوات 1985-1986[8].

لقد كانت بداية ظهور الصحافة الإلكترونية كما يرجعها سيمون باينز S.Bains" كثمرة تعاون بين مؤسستي بي بي سي BBC الاخبارية وإندبندنت برود كاستينغ أوثوريتي IBA عام 1976 ضمن خدمة تلتكست، فالنظام الخاص بالمؤسسة الأولى ظهر تحت اسم سيفاكس، بينما عرف نظام المؤسسة الثانية باسم أوراكل، وفي عام1989 ظهرت في بريطانيا خدمة ثانية أكثر تفاعلية عرفت باسم خدمة الفيديو تكست مع نظام بريستل Prestel قدمتها مؤسسة بريتش تلفون أوثوريتي BTA"[9]. وعلى الرغم من أن محاولات هذه المؤسسات لم تلق النجاح الباهر، إلا أن الأمر تغير كليا مع بداية التسعينات ،الذي حمل معه تطورات هائلة على جميع المستويات، وإذا كان نجاح خدمة Tele Texte مرده الاعتماد على جهاز التلفزيون، فإن نجاح الصحفية الإلكترونية مرتبط بتوفير أجهزة الكمبيوتر وتطور البرامج التي تسهل الوصول إلى الأنترنت والتعامل معها، وفي مرحلة التسعينات أصبح للأنترنت دورا بارزا في نشر المواد الإعلامية بمختلف صورها وأشكالها وبلغات عديدة، واستفاد من ذلك العديد من وسائل الإعلام وعلى رأسها الصحف التي تزايد أعداد مواقعها على الأنترنت بشكل كبير خلال عقد التسعينات.

أما في عام 1992 فقد أنشأت شيكاغو أونلاين أول صحيفة إلكترونية على شبكة أمريكا أونلاين، وحسب الباحث كاوا موتو، فإن موقع الصحافة والإلكترونية الأول على الانترنت أنطلق عام 1993 في كلية الصحافة والاتصال الجماهيري في جامعة فلوريدا وهو موقع بالو ألتو أونلاين Palo Alto وألحق به موقع آخر في 19 يناير 1994 هو ألتو بالو ويلي، لتصبح الصحيفة الأولى التي تنشر بانتظام على الشبكة، كما تعد هذه الصحيفة أول النماذج التي دخلت صناعة الصحافة الإلكترونية بطريقة كبيرة ومتزايدة خاصة مع توفير خدمة الأنترنت مجانا في الولايات المتحدة وبلاد العالم المتقدم ،حيث أصبحت الصحافة جزءا من تطور وتوزيع شبكة الانترنت، وبدأت أغلب الصحف الأمريكية تتجه إلى النشر عبر الانترنت خلال عامي 1994-1995، وزاد عدد الصحف اليومية الامريكية التي أنشأت مواقع إلكترونية من 60 صحيفة نهاية عام 1994 إلى 115 صحيفة عام 1990 ثم إلى 368 في منتصف عام 1996[10].

وتعد صحيفة "الواشنطن بوست" أول صحيفة أمريكية حققت مشروعا كلف تنفيذه عشرات الملايين من الدولارات تضمن نشرة تعدها الصحيفة يعاد صياغتها في كل مرة تتغير فيها الأحداث مع مراجع وثائقية وإعلانات مبوبة، وأطلق على هذا المشروع "(الحبر الورقي) والذي كان مقدمة لظهور جيل جديد من الصحف هي :الصحف الإلكترونية التي تخلت للمرة الأولى في تاريخها عن الورق والأحبار والنظام التقليدي للتحرير و القراءة لتستخدم جهاز الحاسوب وإمكانيته الواسعة في التوزيع عبر القارات والدول بلا حواجز أو قيود، ولم يكن هذا المشروع الرائد سوى استجابة للتطورات المتسارعة في ربط تقنية الحاسوب مع تقنيات المعلومات وظهور نظم وسائط الإعلام المتعدد(MULTI MEDIA)، وما تحقق من تنام لشبكة الانترنت عموديا وأفقيا واتساع حجم المستخدمين و المشتركين فيها داخل الولايات المتحدة ودول أخرى عديدة خصوصا في الغرب والبدء قبل تأسيس مواقع خاصة للمعلومات ومنها

معلومات إخبارية متخصصة مثل الرياضة والعلوم[11]. أما بناء المحتوى الإخباري للصحافة الإلكترونية، فقد تطور حسب PAVLIK عبر ثلاثة مراحل: ففي المرحلة الأولى كانت صحيفة الإنترنت تعيد نشر معظم أو كل أو جزء من محتوى الصحيفة الأم وهذا النوع من الصحافة مازال سائدا ،و في المرحلة الثانية يقوم الصحافيون بإعادة إنتاج بعض النصوص للتوائم مع مميزات ما ينشر في الشبكة وذلك بتغذية النص بالروابط و الإشارات المرجعية وما إلى ذلك وهذا يمثل درجة متقدمة عن النوع الأول ،أما المرحلة الثالثة فيقوم الصحافيون بإنتاج محتوى خاص بصحيفة الإنترنت يستوعبون فيه تنظيمات النشر الشبكي ويطبقون فيه الأشكال الجديدة للتعبير عن الخبر[12].

ويشير الباحث محمد لعقاب، إلى أن هناك خلاف كبير بين الباحثين حول ظهور أول صحيفة على الانترنت، فحسب الباحث محمود علم الدين" والباحث "جواد الدلو" فإن صحيفة " هيلز نبورج داجبلاد" السويدية هي أول صحيفة تنشر بالكامل على الأنترنت، وحسب "حسني نصر" والأستاذ "جمال غيطاس"، تعتبر صحيفة "تريبيون" الأمريكية التي تصدر من ولاية نيو مكسيكو هي أول صحيفة ورقية تخرج على الأنترنت عندما أسست موقعا إلكترونيا عام 1992م[13]. كما أن صحيفة "إلكترونيك تلغراف" التي هي بمثابة نسخة إلكترونية من صحيفة "ديلي تلغراف" هي من الصحف الالكترونية الأولى الرائدة في بريطانيا والتي ظهرت سنة 1994م وتلتها صحيفة "التايمز" في سبتمبر 1994م حيث تضمنت ندوة نقاش تفاعله[14].

أما في فرنسا، وفي بداية عام1995، نشرت جريدة Liberation الفرنسية ملحقا أسبوعيا يهتم بشؤون الملتميديا، وبعد ذلك حذت حذوها العديد من الجرائد الجهوية والوطنية[15].

وقد ظهرت في جوان 1995م أول جريدة فرنسية على الخط وهي "sphere cyber" بعدما كانت " La vague interactive" أول صحيفة في عام 1994م تظهر الأقراص المضغوطة ولا تملك نسخة ورقية وتصدر أربع مرات في السنة ثم تنشر على الأنترنت[16]. والجدير بالذكر أن الصحف الالكترونية كانت سباقة إلى مرحلة الكل الرقمي حيث سارعت العديد من الصحف والمجلات إلى حجز مكان لها على شبكة الانترنت، وهذا بالتعاون مع الشبكة التجارية مثل أمريكا أونلاين وبرودي جي[17].

2 –خلفية نظرية عن الصحافة الإلكترونية:

إن الأسس النظرية للإعلام الإلكتروني مبنية على النظرية التي صاغها الفيلسوف الألماني المعاصر يورغن هابرماس والتي تسمى بنظرية المجال العام، حيث كثرت المناقشات العلمية حول مفهوم المجال العام منذ أن قام هابرماس بنشر كتابه التحول البنائي للمجال العام، عام 1989.

ويؤكد هابرماس على الدور الكبير لوسائل الإعلام في المجال العام، إذ تقوم وسائل الإعلام بدور مزدوج، فهي تقوم بإتاحة الفرصة للأفراد للتعبير عن الرأي والحوار، لكنها أيضا تنقل رأي السلطة وتوجهاتها للمواطنين، وقد قل دور وسائل الإعلام التقليدية خاصة في السياقات الديمقراطية الحديثة، وأثيرت تساؤلات هامة حول قدرتها كمواقع للنقد الإعلامي أو الجدال المنطقي. إن الديمقراطية أصبحت الأيديولوجية السائدة في الحياة الاعلامية الحديثة ومع ذلك فالفجوة بين الايديولوجية والممارسة ظاهرة مجسدة في الواقع، لأن دور وسائل الاتصال الجماهيرية في دعم النماذج الديمقراطية لم تلغ وجود المراكز القديمة للمجال العام، لكنها لم تعد أماكن للنقد السياسي أو الجدال المنطقي. فمثلا التليفزيون يبعد الأفراد عن بعضهم فالجدال العام في التليفزيون والصحف ينتج القليل من الجدال المنطقي الانتقادي حسب نظرية هابرماس. وبدلا من إعداد تقارير عن السياسات فإن وسائل الإعلام أصبحت مشاركا فعالا في العملية السياسية من خلال دورها في الانتشار، وأصبحت هامة للحياة السياسية والسياسيين[18]. فالأحداث التي يتم تناولها في التلفزيون يمكن أن تحدث قدرا من التأثير التليفزيوني، فالمجادلات والمناظرات التليفزيونية تسمح لوجهات النظر المختلفة أن تتصادم

فيحدث التأثير لكن يبقى دور التلفزيون في تشكيل الإرادة العامة أو الرأي العام دور بسيط، فاختيار الموضوعات في التلفزيون يعكس نفوذ المعلنين، حتى أن برامج الجمهور في التليفزيون التي تقدم منتدى للجماعات المهشمة تحكمها بعض القيود، رغم أن هذه البرامج يمكن أن تقدم فرص للمواطنين للمشاركة خاصة المواطنين الذين يشعرون بأن حقوقهم الديمقراطية مفقودة. أما بالنسبة للصحافة الالكترونية فإنها يمكن أن تلعب دورا في حفظ المجال العام، إلا أن ما يحد هذه القدرة هو الاتجاهات التجارية التي تسيطر على الصحافة ووسائل الإعلام والتي تهدد التوازن داخل هذه الوسائل بين الاهتمامات العامة للدولة والمواطنين وبين مصالح المعلنين[19].

يظهر جليا مما سبق أن نظرية هابرماس تقوم بشرح كيفية عمل الوسائل الإعلامية، بالإضافة إلى ذلك فقد قامت بعملية نقل النقاشات في المواضيع المطروحة من المجال العام إلى المجال الخاص. ولابد من الإشارة إلى أن الإعلام الإلكتروني تتم فيه صناعة المنتجات الإعلامية والتي تكون قادرة على اختراق العقول، مع أهمية التركيز على إبعادها عن الحقائق. وبالتالي فإن نظرية الإعلام الإلكتروني تؤكد على خلق حالة من الجدال ما بين الجمهور، وهو ما يساهم في التأثير عليهم، خاصة في القضايا العامة، التي تلعب دور في تأثيرها على النخبة الحاكمة والجمهور.

أ–خصائص ومميزات الصحافة الالكترونية:

إن الصحافة الإلكترونية هي نوع من أنواع الصحافة التي ترتبط ارتباطا وثيقا بشبكة الانترنت، وبالحاسوب أو الكمبيوتر كذلك فهي تحمل في طياتها، أحيانا، أنواعا أخرى من وسائل الإعلام مثل الراديو والتلفزيون، ومن هذه المنطلقات فإننا نستطيع أن نحدد خصائص الصحافة الإلكترونية التي تميزت بها بالآتي:

– خاصية المرونة: تبرز خاصية المرونة بشكل جيد بالنسبة للمتلقي مستخدم الأنترنت، إذ يمكن له إذا كان لديه الحد الأدنى من المعرفة بالأنترنت، أن يتجاوز عددا من المشكلات الإجرائية التي تعترضه، ويلعب الحاسوب ي ذلك دورا مزدوجا، فهو من جهة الوعاء المادي الذي يؤمن الاتصال بالأنترنت والتعامل معها، بالإضافة إلى وظيفته الأساسية المتمثلة في معالجة البيانات، وتخزين المعلومات بمختلف الأشكال والطرق، والجدير بالتذكير أنه كلما ازدادت قدرات الحاسوب، ازدادت مرونة التعامل مع الأنترنت من الناحية التقنية، أما على المستوى الإعلامي، فتبرز خاصية المرونة، من خلال قدرة المستخدم على الوصول إلى عدد كبير من الصحف، وإلى مصادر المعلومات الأخرى، والمواقع، وهذا ما يتيح له ، فرصة انتقاء المعلومات ذات مصداقية. وكذلك التمييز بينهما وبين المواقع التي تقدم معطيات مزيفة، علما أن القدرة على تزييف المعلومة قد ازدادت كثيرا مع ظهور الأنترنت التي سهلت من عمليات تركيب الصور، وتعديل الأصوات وغيرها[20].

– خاصية التحديث: من سمات الصحافة الالكترونية تحديث مستمر للأخبار والأحداث، وعلى مدار الساعة، ومن دون الحاجة إلى الانتظار إلى اليوم التالي لنشر الأحداث والتغييرات السريعة[21].

– ميزة التنويع: كان الصحفي التقليدي يواجه مشكلة المساحة المخصصة له، لغرض انجاز مقالة ما، على مستوى الصحافة الورقية التقليدية التي تعيش على التوازن بين المساحات والفضاءات المخصصة للتحرير، والمساحات الأخرى المطلوبة للموضوعات الأخرى، وعلى هذا الأساس فإنه مهمة الصحفي التقليدي كانت تتمثل في إنجاز عمله الصحفي الذي يوفق بين المساحة المخصصة للتحرير، وبين المساحات الأخرى، المتعلقة بتلبية حاجيات الجمهور، أما الصحافة الإلكترونية، فلها خاصية التنويع، تسمح بإنشاء صحف متعددة الأبعاد، وذات حجم غير محدد. يمكن من خلالها تأمين وإرضاء مستويات متعددة من الاهتمامات، وبطريقة النص الفالق، أو

النص المتشعب (Hyper Texte) ، الذي من خلاله يمكن إيجاد تنسيق إعلامي جديد ومتطور، يستخدم أنماطا مختلفة من الوسائل الإعلامية، التي ترتبط فيها بينها جميعا بشبكة.

– سهولة الوصول إلى نوعيات محددة من الأخبار، من خلال نظام ترتيب وتصنيف المعلومات والأخبار إلكترونيا. – ربط الأخبار المنشورة بالأخبار المشابهة لها، سواء داخل الموقع، أو في مواقع أخرى. وبهذه الطريقة يمكن تقديم إضافات أكثر، وخلفيات عن الأحداث، وعن الأشخاص، صانعي الأخبار، وعن الأماكن والمواقع الواردة في الخبر[22].

– تهيئ الصحافة الإلكترونية وتعطي مساحة أوسع للأقلام الشابة، وللهواة، وكافة شرائح المجتمع. حيث لا تقتصر الكتابة في الصحف الالكترونية على الكتاب المشهورين والمبدعين.

– استطاعت الصحافة الإلكترونية أن تتخطى الحدود المحلية، وكذلك الحدود الإقليمية، والدولية، وبشكل واضح للمستخدمين. – استطاعت الصحافة الإلكترونية أن تتخطى حدود القوانين، والرقابة، وخاصة الرقابة المحلية المفروضة عليها.

– ميزة التوفير: من خلال الاستخدام الفعال، فإن الصحافة الإلكترونية توفر الوقت والجهد والمال للمستخدمين، لمتابعتها[23].

ب–أنواع الصحف الالكترونية: تنقسم الصحف على شبكة الإنترنت إلى نوعين رئيسيين هما:

1- **الصحف الإلكترونية الكاملة**On-line newspaper**،** ويتميز هذا النوع من الصحف الإلكترونية بما يلي:

– تقدم نفس الخدمات الإعلامية الصحفية التي تقدمها الصحف الورقية من أخبار وتقارير وأحاديث وصور...الخ.

– تقديم خدمات صحفية وإعلامية إضافية لا تستطيع الصحيفة الورقية تقديمها، وتتيحها الطبيعة الخاصة بشبكة الإنترنت وتكنولوجيا النص ال فائقhyper Texte **مثل** خدمات البحث داخل الصحيفة أو في شبكة الويب كلها وخدمات الربط بالمواقع الأخرى وخدمات الرد الفوري والوصول إلى الأرشيف.

– تقديم خدمات الوسائط ال متعددة Multimediaالنصية والصوتية والمصورة[24].

2- **النسخ الإلكترونية من الصحف الورقية:** ونعني بها مواقع الصحف الورقية على الشبكة والتي تقتصر خدماتها على تقديم كل أو بعض مضمون الصحيفة الورقية مع بعض الخدمات المتصلة بالصحيفة الورقية مثل خدمة الاشتراك في الصحيفة الورقية وخدمة تقديم الإعلانات لها والربط بالمواقع الأخرى[25].

ج–الضوابط والمعايير التي تحكم الصحافة الإلكترونية:

إن وضع الضوابط والمعايير المحددة للصحافة الالكترونية والتي ترسم حدودها ومجالات عملها، ضرورة حتمية نظرا لأهمية الصحافة الإلكترونية وبالنظر للعدد المتزايد لمواقع الإنترنت، ومن أبرز هذه المعايير:

– معايير مهنية: ونطرح في هذا الإطار عددا من المعايير التي تميز الصحيفة الإلكترونية:

– استعمال قوالب العمل الصحفي، مثل الخبر والتحقيق والحوار، وهذا لا يعني عدم التعامل مع قوالب مغايرة تفرضها طبيعة الوسيلة الجديدة. – إنتاج موضوعات ميدانية، مثل تغطية المؤتمرات والندوات وغيرها. – الاحتراف بمعنى أن يكون الصحفيون العاملون في الموقع محترفين، ومن أبرز محددات الاحتراف: التفرغ، الكفاءة المهنية، الخبرة التراكمية، المؤسسية بمعنى أن يكون منتميا إلى مؤسسة صحفية على شبكة الإنترنت[26].

– معايير تتعلق بالمؤسسة أو الموقع: وتمثل في معايير فنية وتبرز في: وجود نظام بالموقع للأرشفة، وجود سيرفر (خادم) مستقل للموقع، وجود نظام تأميني محدد يمنع عمليات القرصنة والاختراق.

– معايير تتعلق بمعدل الزوار:

وهو ما يمكن تحديده من خلال مواقع متابعة التصفح العالمية مثل موقع ALEXA ومن خلاله يمكن التعرف على: عدد زوار الموقع، عدد الجلسات التي تمت على الموقع، معدل الزيارات "المرور" التي تمت للموقع، البلدان التي تمت زيارة الموقع منها[27].

–معايير مالية: وتتمثل في وجود نظام تمويلي واضح ومحدد للمؤسسة أو الموقع وقابل للمراجعة من قبل الجهات المختصة.

–معايير قانونية: تتعلق بالوضع القانوني للمؤسسة بالصورة التي تضمن الوفاء بالحقوق المالية والقانونية للعاملين فيها، ويكفي أن تصدر من خلال أي شكل يتبعه القانون، ويضمن محاسبة أصحاب المؤسسة ماديا وقانونيا عليه[28]. يتضح جليا مما سبق، أن الصحافة الالكترونية تتسم بالعديد من المميزات والخصائص، لكن أسلوبها واستمرار دورتها الإخبارية على مدار الساعة يطرحان تساؤلات حول كيفية تمكن الصحافة الإلكترونية من تقديم تقارير إخبارية تنسجم مع أعلى معايير الصحافة على العموم ،وتعمل المؤسسات الإخبارية لتتمكن من تطبيق معايير إخبارية تقليدية قديمة العهد على الانترنت، لكنها تكتشف أنه ليس من السهل نقل فضائل الدقة والتوازن والوضوح إلى وسيلة تقوم على أساس الإيصال السريع للأخبار، وفي نفس وقت حدوثها، وقد عززت تقنيات الانترنت عمل الصحفيين من خلال تزويدهم بأساليب فعالة لسبر المعلومات بعمق أكبر، وتأتي القدرة على التدقيق في الوثائق وجمع المعلومات ومضمونها التاريخي وتحديد المصادر الموثوق بها، من خلال تعدد الأدوات المتوفرة للصحفي، كما أنها أدخلت ثقافة مختلفة ،تقوم على التفاعل المتبادل وعلى عدد أقل من القواعد والقيود.

د–العراقيل والصعوبات التي تواجهها الصحافة الإلكترونية: رغم الخصائص والمميزات العديدة التي تميز الاعلام الإلكتروني إلّا أن هناك مجموعة من العقبات تواجه الصحافة الإلكترونية نذكر أهمها فيما يلي: –ندرة الإعلامي الإلكتروني، المزود بالمهارات والمعارف اللازمة لممارسة مهام عمل الصحفي الإلكتروني بشكل محترف. – المنافسة الشديدة بين المواقع الإعلامية الإلكترونية، إذ ترجح الكفة دوما إلى صالح المواقع الأكثر تطورا من الناحية التقنية والأكبر حجما على مستوى المضمون، مما قد تساهم في التخفيف من طموح وسائل الإعلام في احتلال جزء كبير على الأنترنت. – صعوبات الحصول على التمويل، إذ يعاني الإعلامي الإلكتروني من صعوبات مادية تتعلق بتمويله وتسديد مصاريفه، وإن عدم توفر الدخل من قبل المواقع الإعلامية الإلكترونية، فهذا يؤثر في عملية تمويله، فأغلب المواقع الالكترونية تعتمد على الإعلانات لتحقيق الربح، ولكن أغلب المؤسسات والشركات لا تؤمن بالإعلانات على المواقع الإلكترونية وتشعر بعدم الثقة في الإعلام الإلكتروني – غياب التخطيط للإعلام الإلكتروني وعدم وضوح الرؤية المستقبلية له.

– عدم توفر الإمكانيات التقنية في بعض الدول، مما أثر على عملية تقدم وتطور الإعلام الإلكتروني[29]. – انعدام القوانين والضوابط الخاصة بعمل الإعلام الإلكتروني، وعدم خضوعه للرقابة، وذلك مما أدى إلى الإساءة في استخدام تقنية الإعلام الإلكتروني واستغلالها لعرض مواد مشبوهة ومخالفة للقوانين والعادات والتقاليد الاجتماعية.

– صعوبة الوثوق والتحقق من صحة ومصداقية العديد من البيانات والمعلومات التي تحويها بعض المواقع الالكترونية في ظل الحاجة إلى التعزيز المتواصل للقدرات الثقافية والتعليمية للمتلقي، فليست كل المواقع والمدونات الالكترونية مصدرا للمعلومة، كما أنها يمكن أن تضعف من قوة وسائل الإعلام الحرفية، وأن تتسبب في ضعف أسلوب الكتابة واندثار أخلاقيات الاعلام.

– انتهاك حقوق النشر والملكية الفكرية وسهولة الترويج للمعلومات الزائفة من خلال الانترنت وظهور الأجيال الحديثة من أجهزة الكمبيوتر المتطورة القادرة على تغيير شكل المعطيات وخاصة على مستوى الصور. – التأثير سلبا في الحياة الأسرية والاجتماعية، من

خلال نشر الثقافة الالكترونية. – مؤسسات الإعلام الإلكتروني عملت على التناقص في عدد الموارد البشرية في المؤسسة الإعلامية، وبالتالي زادت في حجم البطالة وعدم توفر فرص العمل[30].

ثالثا –نشأة وتطور الصحافة الالكترونية في الجزائر:

1– ارتباط الجزائر بالأنترنت: يعود تاريخ ارتباط الجزائر بشبكة الإنترنت إلى سنة 1993 تحت وصاية مركز البحث العلمي والتقني (cerist) آنذاك، الذي كان الموزع المحتكر للنت أي الوسيط الوحيد على المستوى الوطني للهيئات الرسمية المختصة في ميدان البحث خاصة إلى غاية ديسمبر1993 تاريخ فتح المجال أمام المزودين الخواص الذي أعطى دفعا قويا لقطاع النت في الجزائر، و لقد الكان الهدف من وراء ربط الجزائر بالنت هو تجسيد فكرة مشروع إقامة شبكة معلوماتية في افريقيا و تكون الجزائر النقطة المحورية للشبكة في شمال افريقيا في اطار مشروع تعاون مع منظمة اليونسكو، مع الاشارة الى ان هذه العملية من شانها ان تكفل قاعدة و بنية هامة في عالم التكنولوجيات الحديثة[31]. هذا الوضع استدعى البحث عن صيغ قانونية تنظم بها الدولة الإنترنت، وبالفعل فقد صادقت الحكومة على المرسوم رقم98-257 الصادر في 25 أوت1998 والذي بموجبه تم إنشاء موزعين وسطاء للنت، إلا أنه لم يتم الاستغلال الحقيقي للشبكة إلا بعد 1999 حيث أصبح عددهم 18موزعا خاصا، ثم ليستمر في الارتفاع عام 2000 ليبلغ 65 موزعا أي ما يعادل 2 موزع لكل 100000نسمة. وخلال سنة 1996 ارتفع عدد الهيئات المشتركة بالشبكة حيث بلغت 130هيئة لتصل سنة 1999الى 800هيئةمنها 100في القطاع الجامعي و50 في القطاع الطبي و500في القطاع الاقتصادي و150 في القطاعات المختلفة، كما عرفت نفس السنة اشتراك وصل الى 3500مشتركعلى مستوى مركز البحث الوطني[32]. وإذا كان مجال النشر الالكتروني في البداية من احتكار مركز البحث العلمي والتقني Cerist للأنترنت أما المزودين الخواص حتى عام 2000، إلا أنه بعد هذا التاريخ لم يعد انشاء موقع صحافي على شبكة الانترنت أمرا صعبا، وأصبح من الممكن الحجز عند المركز باتباع الاجراءات التنظيمية اللازمة للاستفادة من موقع على الشبكة بالنسبة لأي جريدة وهذا استنادا الى ميثاق التسمية والانتساب تحت اسم الميدان الجزائري DZ ومن اهم مستلزمات الحجز: –سجل تجاري لكل هيئة ذات طابع تجاري. –وجود مقر مركزي أو مكتب تنسيق. –دفع مبلغ مالي كل سنة بقيمة 1000دج. – ان يخضع الموقع من الناحية الادارية الى طاقم صحفي وتقني وإداري متخصص ومتدرب[33].

و في اطار جهود الجزائر للارتقاء بمستوى خدمات الانترنت و تطبيقاتها سعت وزارة البريد و تكنولوجيات الاعلام و الاتصال الى إطلاق خدمة الجيل الثالث للأنترنت للهاتف المحمول، حيث عمدت سلطة ضبط البريد والاتصالات السلكية واللاسلكية الى التسليم النهائي للرخص في 3 ديسمبر من عام 2013، حيث يلزم دفتر الشروط المتعاملين الثلاث في الهاتف المعمول: موبيليس، أوريدو، جيزي بتغطية مجموع التراب الوطني في آجال زمنية لا تتعدى 7 سنوات، كما منحت الحكومة الجزائرية الضوء الاخضر للشروع في تسويق العروض الخاصة بتقنية الجيل الرابع ابتداء من شهر سبتمبر 2016، و ذلك بعدما فتحت سلطة ضبط البريد و المواصلات السلكية و اللاسلكية في 7جانفي 2016 المنافسة من الاقامة و استغلال الشبكات العمومية الخاصة بهذا الجيل من الانترنت امام الشركات العاملة في قطاع الاتصالات الخاضعة للقانون الجزائري[34]. يتضح مما سبق ان الجزائر على غرار دول العالم تسارعت الاستفادة من خدمات الأنترنت، ورغم تأخر عملية الارتباط بهذه الشبكة العالمية إلا انها تمكنت من الالتحاق بهذا الركب نتيجة الجهود الكبيرة التي بذلتها الدولة الجزائرية في هذا المجال مع الاشارة الى ان هناك الكثير من النقائص التي مازالت تعترض مجالات الاستفادة من هذا المجال.

2–نشأة الصحافة الالكترونية في الجزائر:

يعود تاريخ ظهور الصحافة الالكترونية في الجزائر الى نهاية سنة 1997 والتي كانت عبارة عن إصدارات لنسخ إلكترونية لبعض الصحف المكتوبة ذات الإصدار الورقي، وكانت جريدة "الوطن" باللغة الفرنسية السباقة إلى ذلك ثم تلتها مباشرة صحف أخرى ك "ليبرتي" و"اليوم" و"الخبر" ثم توالت بعد ذلك صحف أخرى. قد ساعد في ذلك تعديل مرسوم أوت 1998 بمرسوم ثاني صدر في أكتوبر 2000، والذي بموجبه تم الترخيص لعملية الشراكة بين شركات أجنبية وفتح المجال لاستثمارات خارجية في قطاع الانترنت، فكانت أول عملية جمعت مجموعة WANADOO بالشراكة مع الموزع EEPAD في مارس 2000. وكما سبق ذكره فإن إلغاء الاحتكار في مجال النشر الإلكتروني بعد عام 2000 سمح بانطلاق وانتشار الصحافة الالكترونية، إذ لم يعد إنشاء موقع صحافي على شبكة الانترنت أمرا صعبا وإنما مجرد إتباع إجراءات تنظيمية لدى مركز (cerist) للاستفادة من موقع على الشبكة لفائدة أي جريدة، والانتساب تحت اسم الميدان الجزائري "dz" مع الاستناد إلى ميثاق التسمية. وهذه المتطلبات تتمثل في سجل تجاري وتوفر مقر مركزي أو مكتب تنسيق بالجزائر مع دفع مبلغ مالي كل سنة بقيمة 1000دج، إضافة إلى الإجراء الإداري المتمثل في خضوع الموقع لتسيير طاقم صحفي وتقني وإداري متخصص[35]. "ان اصدار الصحف الالكترونية في الجزائر قد عرف نوع من النجاح و الذي يعبر عنه من خلال الاقبال المعقول و حتى المرتفع حيانا على تصفح هذه المواقع، إلا أن الكثير منها توقف عن الصدور لأسباب مالية بحتة، تتعلق بغياب النموذج الاقتصادي الواضح و سيادة منطق المجانية على شبكة الانترنت و غياب العائدات الاشهارية التي قد تشكل موردا يضمن بقاء الصحيفة الالكترونية، حيث قدر عددها في الفترة الممتدة من 1989 الى سنة 1999 حوالي 823 عنوانا لينخفض عددها عام 2001 الى 129 عنوانا"[36].

3-أنواع الصحف الإلكترونية في الجزائر:

أ-الصحف الالكترونية ذات الصبغة الورقية:

يعتبر الاستاذ فضيل دليو ان للصحافة الالكترونية من حيث الإصدار نوعان، الأول تمثل في نشر نسخ الكترونية للصحف الورقية منذ 1997، أو ما يسمى بالصحافة الإلكترونية المكملة للطبعة الورقية، فقد عمدت الكثير من الصحف الجزائرية إلى النشر الإلكتروني مع المحافظة على الطبعة الورقية للحفاظ على مكانتها في عالم النشر الإلكتروني وتحقيق مقروئية وانتشار أكبر للصحيفة،.كما تهدف بذلك التحرر من الضغوط السياسية على مجال الحريات وكذا اقتصاديا بالتحرر من كلفة الورق والطباعة والتوزيع بالإضافة الى رغبتها في إيجاد منفذ توزيعي جديد الكتروني الى جانب التوزيع الورقي. كما تستخدم بعض الصحف الالكترونية توفير محتوياتها على الشبكة تركيبة PDF وهي تركيبة تعطي نفس الشكل للنسخة الورقية في شكل الكتروني، وهذه التركيبة تسهل لقراء الذين تعودوا على قراءة النسخة الورقية من الاطلاع عليها في نسختها الالكترونية من خلال توفير نفس خصائص النسخة الورقية[37]. لهذا نجد أن معظم العناوين الإعلامية تعتمد في غالبيتها على النشر الإلكتروني كوسيلة لتوزيع مضمونها بدور تكميلي للنسخة المطبوعة، وسنحاول أن نقدم نماذج لبعض الصحف من هذا النوع من خلال ما يلي:

جدول يوضح إصدار النسخ الالكترونية لبعض أهم الصحف الورقية الجزائرية[38]:

اسم الصحيفة	الموقع الالكتروني	تاريخ الصدور	لغة الصدور	نوع الصحيفة
El Watan	El-watan.com	اكتوبر 1997	فرنسية	خاصة
الخبر	Elkhabar.com	أفريل 1998	عربية	خاصة
Horizons	Horizons-dz.com	أفريل 1998	فرنسية	عمومية

El Moudjahid	Elmoudjahid-dz.com	سبتمبر 1998	ع/ف/إ	عمومية
Liberté	Liberté-algérie.com	سبتمبر 1999	فرنسية	خاصة
الشروق	El-choroukonline.com	جويلية 2006	ع/ف/إ	خاصة
الشعب	Ech-chaab.net	جوان 2010	عربية	عمومية
البلاد	Elbilad.com	جويلية 2011	عربية	خاصة

في الواقع إن أغلب الصحف الورقية المنشورة إلكترونيا على النت لا تختلف كثيرا عن نسختها الورقية من ناحية المضمون، الفرق بينهما انها تنشر في البيئة الافتراضية بعيدا عن الرقابة كما انها قابلة للنشر والانتشار عابرة الحدود ومتجاوزة الحدود الجغرافية. فمن هذه المنطلقات العالمية نسجل تموضعا مشجعا لنماذج إعلامية ناجحة في البيئة الإلكترونية لهذه الصحف الجزائرية التي تمثل قاعدة جماهيرية لا بأس بها، إلا أنه لا تخلو في كثير من الأحيان من تعرضها لظروف ومعوقات خاصة المادية منها.

ب–الصحف الالكترونية المحضة: فإلى جانب الصحف الورقية ذات النسخة الإلكترونية ظهرت ايضا صحف أخرى الكترونية مستقلة عن الورقية وذلك ابتداء من عام 1996 وكانت أغلبيتها تصدر خارج الجزائر من اهمها يمكن ذكر الانواع التالية:

جدول يوضح أهم الصحف الالكترونية المحضة بالجزائر[39].

اسم الصحيفة الالكترونية	الموقع الالكتروني	ملاحظة
Algeria-interface	www.algeria-	توقفت عن الصدور لظروف مالية
Algeria-watch	www.algeria-watch.com	صدرت عام 1998
Le souk	www.lesouk.org	أصبحت ذات نسخة ورقية
Auto Algerie	www.auto-algerie.com	
La Grande Kechfa		أول صدور عام 2003.[40]
Planet DZ	WWW.planet-dz.com	الموقع المجمع لمواقع الجمعيات الجزائرية

كانت بشكل عام هذه اهم الصحف التي ظهرت في الجزائر وهي الكترونية ليس لها نسخة ورقية تنشر عبر الانترنت فقط.

رابعا –الصحافة الالكترونية في الجزائر من خلال النصوص القانونية الاعلامية وتحديات البيئة الاعلامية الجديدة:

أ–الصحافة الالكترونية من خلال النصوص القانونية:

إن تطور الصحافة الإلكترونية في الجزائر و التي فرضت نفسها على الساحة الاعلامية ألزم الدولة الجزائرية التفكير في إيجاد قانون ينظم هذه المرحلة الجديدة، مع الاشارة الى ان موضوع الاعلام الإلكتروني لم يطرح من قبل لذلك لم تظهر أي قوانين في هذا المجال باستثناء صدور قانونين صدرا من أجل ضبط نشر المعلومة عبر شبكة الانترنت، حيث يتعلق الامر بالمرسوم التنفيذي الخاص بتنظيم المتعاملين عبر الانترنت حيث صدر عام 1998 و قانون 0-3 الصادر في عام 2005 الذي اعترف لأول مرة في الجزائر بالوثيقة الالكترونية حيث يعادلها بالوثيقة الورقية[41]. لعل ما كان يميز النشر الالكتروني في المراحل الاولى من ظهوره انه كان ينشط في ظروف غامضة بسبب حداثة موضوع النشر الالكتروني، و غياب الاطر القانونية خاصة القوانين ذات العلاقة بقطاع الاعلام و الاتصال استمر الوضع كذلك إلى غاية سنة 2012 تاريخ صدور القانون العضوي رقم 12- 05 الموافق ل 12-01-2012 الذي تضمن بابا كاملا يوضح معالم النشر الالكتروني باعتبار ان الصحافة الالكترونية تعد موضوع جديد لم يسبق ان عولج من طرف

القوانين السابقة لكن الانتشار الكبير للصافة الالكترونية جعل من موضوع التأطير القانوني للنشاط الصحفي الالكتروني ضرورة. تضمن الباب الخامس من هذا القانون العضوي مجموعة من المواد توضح بشكل عام ماهية النشر الالكتروني و كذا معايير هذا النشر خاصة مع الفوضى التي أخذت تظهر في هذا المجال، يتكون هذا الباب من ستة 6 مواد (من المادة67 الى المادة رقم 72) كلها تسعى لتحديد و ضبط مفهوم وسائل الإعلام الإلكترونية وكذا أطر ممارسة نشاطاتها المختلفة، حيث تشير المادة 67 منه الى مفهوم الصحافة الالكترونية باعتبارها " يقصد بالصحافة الالكترونية في مفهوم هذا القانون العضوي كل خدمة اتصال مكتوب عبر الانترنت موجهة للجمهور أو فئة منه، وينشر بصفة مهنية من قبل شخص طبيعي أو معنوي يخضع للقانون الجزائري ويتحكم في محتواها الافتتاحي"[42]، فأي نشر في البيئة الاعلامية الجديدة يجب ان ينشر بطريق مهنية و ذلك من خلال احترام آداب المهنة و كذا الخضوع لمبادئ القانون الجزائري.

ثم تأتي المادة 68 لتوضح أكثر " يتمثل نشاط الصحافة المكتوبة عبر الانترنت، في انتاج مضمون أصلي موجه الى الصالح العام ويحدد بصفة منتظمة ويتكون من أخبار لها صلة بالأحداث وتكون موضوع معالجة ذات طابع صحفي. لا تدخل المطبوعات الورقية ضمن هذا الصنف عندما تكون النسخة عبر الانترنت والنسخة الأصلية متطابقتين". يتضح من خلال المواد السالفة الذكر انها لم تعالج جميع أشكال وعمليات النشر الإلكتروني كمسألة الاشهار مثلا لذلك بقي الكثير من الغموض يرافق هذا النشاط الاعلامي رغم انه قد فرض نفسه في الساحة الاعلامية وكذا البيئة الرقمية. كما اعتبر هذا القانون في مادته69" يقصد بخدمة السمعي البصري عبر الأنترنت في مفهوم ها القانون، كل خدمة اتصال سمعي بصري عبر الأنترنت موجه للجمهور أو فئة منه، تنتج وتبث بصفة مهنية من قبل شخص طبيعي أو معنوي يخضع للقانون الجزائري ويتحكم في محتواها الافتتاحي"[43]. الملاحظ ان هذه المادة خاصة بالنشاط السمعي البصري ؟؟؟؟أو تحديد المسؤوليات وأخلاقيات المهنة.

في حين تشير المادة رقم 70 الى ان "النشاط السمعي البصري عبر الانترنت يتمثل في انتاج مضمون أصلي موجه للصالح العام ويحدد بصفة منتظمة ويحتوي خصوصا على أخبار ذات صلة بالأحداث وتكون موضوع معالجة ذات طابع صحفي. لا تدخل ضمن هذا الصنف إلا خدمات السمعي البصري التي تمارس نشاطاتها حصريا عبر الانترنت". فهذه المادة ركزت على النشاط السمعي البصري مركزة على ضرورة احترام مبدأ الاصالة خدمة للصالح العام وان تتماشى مع الاحداث مع ضرورة احترام قواعد العمل الصحفي المختلفة مثل المهنية والاخلاقية.

أما المادة رقم 71" تؤكد على ممارسة نشاط الصحافة الالكترونية والنشاط السمعي البصري عبر الانترنت في ظل احترام أحكام المادة 2 من القانون العضوي." في حين تؤكد هذه المادة على ضرورة احترام أحكام الدستور وقوانين الجمهورية الجزائرية وتعاليم الدين الحنيف وباقي الاديان والهوية الوطنية والقيم الثقافية للمجتمع احتراما للسيادة الوطنية وامن الدولة.

في حين تشير المادة الاخيرة من الباب والتي تحمل رقم 72 "تستثني من هذه التعاريف الاخبار التي تشكل أداة للترويج أو فرعا لنشاط صناعي او تجاري". كما تشير المادة 115 من باب المسؤولية" يتحمل المدير او مسؤول النشرية أو مدير جهاز الصحافة الالكترونية، وكذا صاحب الكتابة او الرسم مسؤولية كل كتابة أو رسم يتم نشرها من طرف نشريه دورية أو صحافة الكترونية[44]" بالإضافة لبعض المواد الاخرى المتفرقة التي تشير في بعض الاحيان لموضوع الصحافة الالكترونية ولكن دون توضيح. نلاحظ من مختلف هذه المواد أنه تم طرح لأول مرة مسألة الاعلام الالكتروني باعتبار ان البيئة الاعلامية الجديدة تتطلب قوانين جديدة تتماشى مع هذه البيئة، مع ذلك فان هذا التأطير يبقى ضعيف وناقص ويحتاج لمزيد من المواد والقوانين تشرح أكثر قواعد العمل في البيئة الاعلامية

الجديدة. كما طرحت الحكومة الجزائرية مؤخرا ديسمبر 2020مرسوم تنفيذي جديدا لتنظيم الصحافة الالكترونية وخدمة المواقع الاخبارية وشروط اعتمادها في الجزائر، حيث صرح وزير الاتصال ان القانون التنظيمي للصحافة الالكترونية عبارة عن مرسوم تنفيذي يتضمن كيفية ممارسة نشاط الاعلام عبر الانترنت ونشر الرد أو التصحيح عبر الموقع الالكتروني. ويهدف المشروع التنفيذي حسب بيان مصالح الوزارة الاولى الى تطبيق الأحكام التشريعية للقانون رقم 12-05 المتعلق بالإعلام من خلال تأطير الصحافة الالكترونية وتوطين استضافتها على الصعيد القانوني وذلك بغرض مسايرة ها التطور الذي يشهده هذا القطاع. ويعتبر هذا النص التنظيمي امتدادا للمادتين 66 و113 المتعلقتين بالإعلام اذ يهدف الى وضع الصحافة الإلكترونية المكتوبة في مسار يتوافق واهداف هذا القانون. وأشار نص المرسوم الى انه يخضع نشاط الاعلام الى النشر عبر موقع الكتروني موطن حصريا من الناحية المادية والمنطقية بالجزائر ومسجل في نطاق+ .dz+ ويقصد بالتوطين الماي والمنطقي ان تكون كل الموارد الازمة لإيواء موقع بالجزائر ان يكون ضمن نطاق + .dz+ وان يحمل اجباريا نفس اللاحقة وهو يعني ان الحصول على النطاق يكون من طرف الدولة-مركز البحث في الاعلام الآلي والتقني[45].

ب-تحديات البيئة الاعلامية الجديدة:

تعتبر تجربة الجزار في مجال الصحافة الالكترونية أحد التجارب الفتية التي حاولت الالتحاق بهذا الركب التكنولوجي متجاوزة في ذلك الكثير من العقبات السياسية و الاقتصادية، و يمكن اعتبارها تجربة ناجحة إذا أخذنا بعين الاعتبار أوضاع الدولة الجزائرية و السياق العربي بشكل عام و لكن مع ذلك مازالت تحتاج لجهد كبير للارتقاء بهذه الصحافة من حيث المضمون ومن حيث الخبرة و الآليات الضرورية لذلك خاصة ما يتعلق بمشكلة تدفق الأنترنت التي تعد من المشكلات التي مازالت تعترض النشر الالكتروني بالإضافة للمنافسة الشرسة التي افرزتها البيئة الإعلامية الجديدة مما أدى لسيطرة الكثير من الصحف الإلكترونية الاجنبية على الساحة الاعلامية. انطلاقا من هذا الوضع فان الصحافة الالكترونية تحتاج للكثير من التحديات حتى تفرض نفسها في البيئة الاعلامية الجديدة لعل من أبرزها يمكن ذكر:

-نقص الخبرة الإعلامية والفنية: إذ أن أغلبية القائمين على هذه الصحف لا يملكون الخبرة الإعلامية والفنية للرقي بها، وتحويلها إلى صحف محترفة قادرة على فرض نفسها.

-فقدان المهنية: مضامين هذه الصحف بشكل عام تهتم بالأحداث المحلية وبما تنشره الصحف الورقية أكثر من اهتمامها بالأحداث العالمية التي تشغل الراي العام العالمي.

-انتشار الأمية الالكترونية: ذلك ان قراءة الصحف الالكترونية مازالت محتشمة مقارنة بالورقية نظرا لطغيان ثقافة قراءة الصحف الورقية التي تجذرت في سلوكات الافراد.

-ضعف التمويل: باعتبارها في أغلب الحالات تكون هذه الجرائد عبارة على مواقع شخصية ولا تنتمي إلى مؤسسات، مما يجعلها تفتقد للعوامل المادية للمواقع الإخبارية التي تعد أساس تطور الصحف الالكترونية.

_شركات الاتصالات: إذا كانت شعوب الدول المتقدمة تسعى للحصول على المعلومة في ظل الانخفاض القياسي في تكلفة نقلها وتداولها، في حين نجد أن الوضع يختلف في البلدان العربية نتيجة ضعف تدفق خدمات الانترنت وكذا غلاء أسعارها مما يؤثر عل الإقبال على مثل هذه الصحف التي انتشرت بشكل كبير.

-ذهنية النشر الورقي: يتجلى ذلك في كون أغلبية الصحف الالكترونية لا يتم تحديثها على مدار الساعة بل هي في أغلب الأحيان تكون نسخة الكترونية للصحيفة الورقية، مما يفقد هذه الصحافة قيمتها ومكانتها الإعلامية.

-إذا كانت المواقع الالكترونية والصحف الرقمية قد نجحت في بعض البلدان في تحريك الرأي العام العالمي، فن أغلبية المواقع الالكترونية العربية لا ترتقي لذلك مع اهتمامها بالقضايا الثانوية باستثناء القليل منها[46]. -ضعف عائدات السوق يعتبر من أبرز التحديات التي تواجه الصحافة العربية على شبكة الانترنت، سواء من القراء ام المعلنين و عدم وجود صحفيين مؤهلين لإدارة تحرير الطبعات الالكترونية، اضافة الى المنافسة الشرسة من مصادر الاخبار والمعلومات العربية الدولية و الاجنبية التي أصدرت مطبوعات الكترونية منافسة باللغة العربية بالإضافة الى عدم وضوح مستقبل النشر الالكتروني في ظل عدم وجود قاعدة مستخدمين جماهيرية واسعة[47].- المنافسة الشديدة على الانترنت نتيجة ظهور اشكال متعدة من الصحف الالكترونية بالإضافة لدور مواقع التواصل الاجتماعي على المستوى الشعبي حيث تمثل المنتديات الإخبارية والسياسية بيئة هامة للمنافسة، بالإضافة لسيطرة الصحف الرقمية التابعة للبلدان المتطورة على الفضاء الإعلامي نتيجة خبرتها و توفرها على الكثير من الوسائل و التطبيقات اللزمة لمثل هذه الصحافة.

وفي دراسة قام بها الباحث رابح عمار حول الصحافة الالكترونية وتحديات الفضاء الالكتروني توصل الباحث لمجموعة من النتائج تمثل تحديات الصحافة الالكترونية في الجزائر من بينها: -إن الصحف الالكترونية يطغى عليها منطق وذهنية النسخة الورقية نتيجة ارتباط الإداري بالتحريري والمالي للنسخة الالكترونية بنظيرتها الورقية، مع غياب تحديث الأخبار عكس ما نجده في الصحافة الورقية الغربية التي تساير المستجدات.

-إن الصحف الجزائرية لم تتأهل لتقديم نفسها كمنتج تجاري يحقق موارد مالية مغرية للقراء بالاشتراك والمعلنين بالإعلان عبرها. - تفتقد الصحافة الالكترونية لاستخدام الوسائط المتعددة بمفهومها الحديث والذي يقوم على ترميز رسالة تواصلية متعددة المنبهات تستثير أكثر من حاسة في سياق تكاملي[48]. بالإضافة لتحديات مهنية أخرى تتعلق بالاحترافية التي تميز بين الصحفي والمواطن وتمثل قيمة مضافة بالنسبة للصحفي خاصة في ظل العولمة الإعلامية مما يتطلب تحكم في التقنية والسرعة والاختصار والتحكم في اللغات والقدرة على إدارة واستعمال الشبكات الاجتماعية، مما يجعل البيئة الرقمية مخبرا للتجريب الدائم: لنماذج تحريرية، لنماذج اقتصادية جديدة، طرق تسويق جديدة، علاقات جديدة مع القراء. كما أكدت الدراسة السابقة الذكر أن إجابات المبحوثين على وعيهم بالتحديات المهنية حيث أكد 88.89 بالمائة من صحفيي عينة الدراسة إلى أن أهم تحدي هو العائدات المالية، يليه المتطلبات المهنية والمتمثلة في تعدد المهارات تليها التحديات القانونية والتي تعبر عن الفراغ القانوني والفجوة التشريعية بين الصحافة الالكترونية والانترنت كفضاء لممارسة الكثير من الأنشطة، كما تمثل صحافة المواطن تحد كبير أمام الممارسة المهنية[49]. يمكن القول ان التحديات التي فرضتها البيئة الاعلامية الجديدة على الصحافة الالكترونية في الجزائر بشكل خاص مازالت تحتاج لبذل مزيد من الجهد سواء من الناحية المادية ومن الناحية البشرية ذلك ان نجاح هذه الصحافة يتطلب توفر البيئة المناسبة التي تشجع على نمو وتطور الصحف بالإضافة لضرورة توفر الاطر القانونية التي تأطر هذا النوع من الممارسة الاعلامية.

نتائج وتوصيات: توصي الدراسة بما يلي:

-ضرورة توفير وتطوير القواعد والنصوص القانونية التي يمكن ان تساهم في تطوير هذا النوع من الصحافة وفقا لطبيعة البيئة التي تنشط فيها.

-توفير أجهزة لضبط ممارسات الصحافة الالكترونية الى جانب النصوص القانونية.

-مسايرة مستجدات البيئة الاعلامية الجديدة بأطر قانونية جديدة تتماشى مع مستجدات البيئة.

-ضرورة التخطيط لتطوير هذه الصحافة حتى تجد مكانا لها في البيئة الرقمية الجديدة.

-ضرورة الاهتمام بالتكوين في هذا المجال وكذا الاستفادة من التجارب الناجحة في هذا المجال.

-العناية بالمضامين التي تقدمها هذه الصحافة حتى تفرض نفسها في البيئة الاعلامية الجديدة.

-التعاون بين الدول العربية في وضع الخطط الكفيلة في مواجهة تداعيات الإعلام الجديد.

-ضرورة العناية بتطوير التكوين في هذا المجال من خلال تكوين خبراء في هذا المجال وفقا لمعايير العالم المتقدم تكنولوجيا واعلاميا حتى تتمكن هذه الصحافة من فرض نفسها في البيئة الجديدة.

خاتمة

يمكن القول ان الصحيفة الالكترونية تعد ثمرة لتطور تكنولوجيا الاتصال والاعلام حيث يعتبر قطاع الاعلام المستفيد الاول من هذه التطورات التي انعكست بتغيرات عميقة سواء في أساليب الممارسة الاعلامية أو من حيث أنواع وسائل الإعلام. والجزائر كغيرها من الدول عرفت هذا النوع من الصحافة التي فرضت نفسها في البيئة الاعلامية الجديدة ولكن في نفس الوقت مازالت تعاني من نقائص خاصة في الجانب القانوني الذي يوضح معالم هذه الممارسة خاصة في ظل المنافسة الشرسة في البيئة الاعلامية الجديدة، ذلك ان هذه البيئة في تغير مستمر مما يستدعي في كل مرة نصوص قانونية تساير تطورات هذه البيئة.

هوامش الدراسة:

[1] – علي خليل شقرة، **الاعلام الجديد (شبكات التواصل الاجتماعي)،ط1، دار اسامة، الاردن**، 2014، ص141-142.

[2] – عامر ابراهيم قندليجي، **الاعلام الالكتروني**، ط1، دار المسيرة للنشر و التوزيع، الاردن، 2015، ص149.

[3] – منير حجاب، وسائل الاتصال، **نشأتها وتطورها**، ط1، دار الفجر للنشر، 2008، ص133.

[4] – عبد الرزاق محمد الدليمي، **مدخل إلى وسائل الإعلام والاتصال**، الأردن، دار الثقافة للنشر،2011، ص132.

[5] – شريف درويش اللبان، **الصحافة الإلكترونية، دراسات في التفاعلية وتصميم المواقع**، ط2، مصر: الدار المصرية اللبنانية، 2007، ص 41.

[6] – فارس حسن الخطاب، **الفضائيات الرقمية وتطبيقاتها الاعلامية**، ط2، عمان الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2012، ص72.

[7]–Shed den، David، New media time line، Pointer institute, 2005,p 150.

[8] – لقاء ملكي، **المسؤولية الاجتماعية لصحافة الأنترنت**، كلية الإعلام، جامعة بغداد، 2004، ص220.

[9]-Gilmer، Dan، we the media، Grassroots journalism by the people، for the people’s Reilly opedia، usa, 2004, p150.

[10] – أحقر علي، **الصحافة الإلكترونية العربية كالواقع والآفاق**، الجزائر، دار الكتاب الجزائري، 2005، ص28.

[11] –Palvik، john v, the future of online journalism a gride to who’s doing what, 1997, p160.

[12] – محمد لعقاب، مهارات الكتابة للإعلام الجديد، ط1، الجزائر، دار هومة للنشر والتوزيع، 213، ص55.

[13] – شريف درويش اللبان، الصحافة الإلكترونية، دراسات في التفاعلية وتصميم المواقع، ط2، مصر، الدار المصرية اللبنانية، ص27.

[14] – بعزيز ابراهيم، الصحافة الإلكترونية والتطبيقات الإعلامية الحديثة، ط1، مصر، دار الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، 2011, ص63.

[15] – إلهام بوثلجي، **الصحافة الإلكترونية الجزائرية واتجاهات القراء**، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2010، 2011، ص43.

[16] – محمد لعقاب، **وسائل الاعلام والاتصال الرقمية**، ط1، الجزائر، دار هومة 2007، ص102.

[17] – صادق حمامي، **الميديا الجديدة، والمجال العمومي، الإحياء والانبعاث**، ط1، تونس، المنشورات الجامعية بمنوبة 2012، ص120.

[18] – صادق الحمامي، مرجع سبق ذكره، ص 122.

[19] – عامر ابراهيم قندليجي، **الاعلام الإلكتروني**، ط1، عمان الأردن؛ دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2015، ص151.

[20] – حسين شفيق، **الاعلام الإلكتروني**، ط1، القاهرة؛ دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، 2015، ص155.

[21] – عامر قنديلجي، وريحي عليان وايمان السامرائي، **مصادر المعلومات التقليدية والإلكترونية**، ط1، عمان، الأردن، دار البازوري، 2009، ص120.

[22] – حسني نصر، **التحرير الصحفي في عصر المعلومات**، ط2، العين؛ دار الكتاب الجامعي، 2004، ص290.

[23] – حسني محمد نصر، **الإنترنت والإعلام، الصحافة الإلكترونية**، ط1، بيروت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع 2004، ص 101.

[24] – فاروق حسين، **الإنترنت، الشبكة الدولية للمعلومات**، ط1، بيروت، دار الراتب الجامعية، 2005، ص 35.

[25] – عبد الرزاق محمد الدليمي، **الصحافة الإلكترونية، والتكنولوجيا الرقمية**، ط1، عمان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2011، ص 38.

[26] – شريف اللبان، **الصحافة الإلكترونية، دراسات في التفاعلية وتصميم المواقع**، ط1، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2005، ص140.

[27] – محمود خليل، **الصحافة الإلكترونية، أسس بناء الأنظمة في التحرير الصحفي**، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، 1998م، ص120.

[28] – علي كنعان، **الإعلام الإلكتروني**، ط1، عمان، دار الأيام للنشر والتوزيع، 2015، ص19.

[29] – محمود خليل، **مستقبل الصحافة الإلكترونية**، ط1، القاهرة، مكتبة مدبولي، 2004، ص95.

[30] – محمد الجاسم، **الاعلام العربي في عصر المعلومات**، ط1، أبو ظبي، مركز الإمارات الدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2005، ص 145.

[31] – سمية بورقعة، **الصحافة الالكترونية، الجزائر نموذجا، دار الفا دوك للنشر، قسنطينة،(الجزائر)**، 2019، ص 206.

[32]– سمية بورقعة، نفس المرجع السابق، ص 206–207.

[33] – فضيل دليو، **تاريخ الصحافة الجزائرية المكتوبة (1830–2013)،ط1، دار هومة، (الجزائر)**، 2014،ص 202.

[34] – رابح عمار، **الصحافة الالكترونية و تحديات الفضاء الالكتروني– دراسة ميدانية للصحافة الالكترونية الجزائرية**، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران1،كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية، قسم علوم الاعلام و الاتصال، وهران، (الجزائر)، 2016–2017، ص ص 306–307.

[35] – يمينة بلعاليا ، **الصحافة الإلكترونية في الجزائر بين تحدي الواقع والتطلع نحو المستقبل**، رسالة ماجستير ،كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر3 ، (الجزائر) 2006صص 150–151.

[36]– رابح عمار، مرجع سبق ذكره،ص310.

[37] – فضيل دليو، مرجع سبق ذكره، ص 203.

[38] – رابح عمار، مرجع سبق ذكره، ص 312.

[39]– فضيل دليو، نفس المرجع السابق، ص 303.

[40] – سمية بورقعة، مرجع سبق ذكره، ص 213.

[41] – سمية بورقعة، نفس المرجع السابق، ص 213.

[42] – الجمهوري الجزائرية الديمقراطية الشعبية، **الجريدة الرسمية**، العدد 02، قانون عضوي رقم 12–05 المؤرخ في 12صفر عام 1433الموافق ل 12يناير 2012 يتعلق بالإعلام، ص 21

[43] .نفس المرجع السابق.

[44]– المرجع نفسه.

[45]– وزارة الاتصال، **وسائل الإعلام عبر الانترنت: و اخيرا إطار قانوني للإعلام الالكتروني**، انظر ministercommunication.gov.dz زيارة الموقع بتاريخ 03.01.2021

[46]– محمد السعيد الفطيسي، الصحافة الالكترونية: الواقع و التحديات، التجربة العمانية نموذجا، زيارة الموقع بتاريخ 12–03–2019 Almothaqafnews papers ص 5–6.

[47]– باية سيفون، **الانترنت والصحافة الالكترونية، دراسة في طبيعة العلاقة و التأثير**، دار الخلدونية، الجزائر، 2016 ص 310.

[48]– رابح عمار، مرجع سبق ذكره، ص 415–416.

[49] – نفس المرجع السابق،405،403.

المصادر و المراجع:

أ– باللغة العربية:

1– الكتب:

1- أحقر علي، **الصحافة الإلكترونية العربية كالواقع والآفاق**، دار الكتاب الجزائري ، (الجزائر)2005.

2- بوثلجي إلهام، **الصحافة الإلكترونية الجزائرية واتجاهات القراء**، مذكرة ماجستير، (جامعة الجزائر)، 2010، 2011.

3- الدليمي عبد الرزاق محمد ، **الصحافة الإلكترونية، والتكنولوجيا الرقمية**، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع،(عمان)، 2011.

4- الجاسم محمد ، **الاعلام العربي في عصر المعلومات**، ط1، مركز الإمارات الدراسات والبحوث الاستراتيجية،(أبو ظبي)،2005.

5- الخطيب عبد الله ، **الصحافة الإلكترونية؛ المعايير والضوابط**، ط1، المكتبة الحديثة، (القاهرة)2005.

6- بعزيز ابراهيم، **الصحافة الإلكترونية والتطبيقات الإعلامية الحديثة**، ط1، دار الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، (مصر) 2011.

7- بورقعة سمية، **الصحافة الالكترونية، الجزائر نموذجا، دار الفا دوك للنشر، قسنطينة، (الجزائر)**، 2019.

8- حسني محمد نصر، **الإنترنت والإعلام، الصحافة الإلكترونية**، ط1،، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع (بيروت) 2004.

9- حسني محمد نصر، **التحرير الصحفي في عصر المعلومات**، ط2، العين؛ دار الكتاب الجامعي، 2004.

10- حسين شفيق، **الاعلام الإلكتروني**، ط1 دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، (القاهرة)2015.

11- خليل محمود ، **الصحافة الإلكترونية، أسس بناء الأنظمة في التحرير الصحفي**، ، العربي للنشر والتوزيع، (القاهرة)1998م.

12 - دليو فضيل ، **تاريخ الصحافة الجزائرية المكتوبة(1830–2013)،ط1، دار هومة، (الجزائر)**، 2014.

13- شريف اللبان، **الصحافة الإلكترونية، دراسات في التفاعلية وتصميم المواقع**، ط1، (القاهرة)، الدار المصرية اللبنانية، 2005.

14- صادق حمامي، **الميديا الجديدة، والمجال العمومي، الإحياء والانبعاث**، ط1،، المنشورات الجامعية بمنوبة (تونس)2012.

15- فاروق حسين، **الإنترنت، الشبكة الدولية للمعلومات**، ط1، دار الراتب الجامعية، (بيروت)،2005.

16- قنديلجي عامر ابراهيم ، **الاعلام الإلكتروني**، ط1، عمان؛ دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، (الأردن)2015.

17- قنديلجي عامر ابراهيم ، وربحي عليان وايمان السامرائي، **مصادر المعلومات التقليدية والإلكترونية**، ط1، عمان،،دار البازوري، (الأردن)2009.

18- كنعان علي ، **الإعلام الإلكتروني**، ط1، دار الأيام للنشر والتوزيع، (عمان)2015.

19- لعقاب محمد ، **مهارات الكتابة للإعلام الجديد**، ط1، دار هومة للنشر والتوزيع (الجزائر)، بدون سنة.

20 - لعقاب محمد ، **وسائل الاعلام والاتصال الرقمية**، ط1، ، دار هومة(الجزائر) 2007.

21 - لقاء ملكي، **المسؤولية الاجتماعية لصحافة الأنترنت**، كلية الإعلام، جامعة بغداد،(العراق)، 2004.

22- محمود خليل، **مستقبل الصحافة الإلكترونية**، ط1، القاهرة، مكتبة مدبولي، 2004.

23 -الخطاب فارس حسن ، **الفضائيات الرقمية وتطبيقاتها الاعلامية**، ط2، عمان ، دار أسامة للنشر والتوزيع،(الأردن) 2012.

24-الديلمي عبد الرزاق محمد ، **مدخل إلى وسائل الإعلام والاتصال**، ، دار الثقافة للنشر،2011(الأردن).

25 -حجاب منير ، **وسائل الاتصال، نشأتها وتطورها**، ط1، دار الفجر للنشر، 2008.

26-درويش اللبان شريف ، **الصحافة الإلكترونية، دراسات في التفاعلية وتصميم المواقع**، ط2: الدار المصرية اللبنانية، 2007.

27-سيفون باية ، **الانترنت والصحافة الالكترونية، دراسة في طبيعة العلاقة و التاثير**، دار الخلدونية، (الجزائر)، 2016

28-شقرة علي خليل ، **الاعلام الجديد(شبكات التواصل الاجتماعي)،ط1، دار اسامة، (الاردن)**، 2014.

2– القوانين:

29-الجمهوري الجزائرية الديمقراطية الشعبية، **الجريدة الرسمية**، العدد 02، **قانون عضوي رقم 12–05 المؤرخ في 12صفر عام 1433الموافق ل12يناير 2012 يتعلق بالإعلام.**

3–أطروحات ورسائل:

30-بلعاليا يمينة، **الصحافة الإلكترونية في الجزائر بين تحدي الواقع والتطلع نحو المستقبل**، رسالة ماجستير كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر3،(للجزائر) ، 2006 .

31-رابح عمار، **الصحافة الالكترونية وتحديات الفضاء الالكتروني-دراسة ميدانية للصحافة الالكترونية الجزائرية**، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران1، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية، قسم علوم الاعلام والاتصال، وهران، (الجزائر)، 2016-2017.

4-مواقع الكترونية:

32-وزارة الاتصال، **وسائل الإعلام عبر الانترنت: و أخيرا إطار قانوني للإعلام الالكتروني**، ministercommunication.gov.dz زيارة الموقع بتاريخ 03.01.2021

33-الفطيسي محمد السعيد، **الصحافة الالكترونية: الواقع والتحديات، التجربة العمانية نموذجا**، زيارة الموقع بتاريخ 12-03-Almothaqafnews papers2019

2-مراجع باللغة الاجنبية

34-Shed den، David، **New media time line**، Pointer institute, 2005.

35- Gilmer، Dan، we **the media، Grassroots journalism by the people، for the people's Reilly** opedia، USA, 2004.

36- Palvik، john v, **the future of online journalism a gride to who's doing what,** 1997.

تنشئة الطفل في ظل تحديات وسائل الاعلام

Raising a child in light of the media challenges.

ربيحة نبار ، أستاذ محاضر أ
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي(الجزائر)
nebbarrebih@gmail.com
0697725622

ملخص البحث

لقد كانت الأسرة هي المؤسسة المسؤولة عن تنشئة الأبناء والذين يحتاجون إلى الرعاية والاهتمام من قبل الوالدين، لكي يتمكنوا من النهوض بالمجتمع، وذلك بمساندة اطراف أخرى كدور الحضانة والمسجد والمدرسة..، ولكن مع تطوّر الحياة دخلت العديد المؤثرات في التنشئة ومن أهمّها وسائل الإعلام، اذ تعمد الى نقل الأخبار والمعلومات، والترفيه، والتعليم والإرشاد، وهي تؤثر على كافة فئات المجتمع خاصة الأطفال، لكثرة استخدامهم لهذه الوسائل وتمتع الاعلام بخصائص وبرامج تحاكي كل المستويات، فأصبحت وسائل الاعلام تشكل أب ثالث لهم خاصة عندما تقدم برامج تربوية وأخلاقية هادفة ،كما انها قد تكون معولا هداما لما تروج للبرامج العنيفة والجرائم وافلام الخيال مما يبعد الطفل عن واقعه المعاش.

الكلمات المفتاحية: تنشئة، طفل، اعلام.

Abstract:

The family was the institution responsible for the upbringing of children, who needed care and attention from parents, in order to be able to advance society, with the support of other parties such as the nursery, the mosque and the school .., but with the development of life many influences in the upbringing, the most important of which were the media, entered. It intends to transmit news and information, entertainment, education and guidance, and it affects all segments of society, especially children, due to the large use of these means and the media has enjoyed characteristics and programs that simulate all levels, so the media has become a third father for them, especially when it offers targeted educational and moral programs, as it may You are a destructive dependency when you promote violent programs, crime and fantasy films, which keeps the child from his living reality.

Keywords: nurture, child, media.

مقدمة:

إن الثورة التكنولوجية الهائلة التي مست وسائل الاعلام جعلت من العالم قرية كونية صغيرة على حد تعبير مارشال ماكلوهان، وتتعدد وسائل الإعلام من حيث طبيعتها وأهدافها وجمهورها، فهناك وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، والتي قد تختلف كل منها عن الأخرى من حيث قدرتها الاقناعية، ومن حيث طبيعة الفكرة المراد نقلها وكذا فئات الجمهور المستهدف و طبيعة ووسيلة الاتصال وخصائصها، فهي تشكل رابطا اجتماعيا بين الافراد كما تحيطهم بشتى المعلومات والمعارف والأفكار لكن كل وسائل الاعلام تلعب دوراً هاماً في تنشئة الأطفال، وبذلك فإن وسائل الاعلام تعتبر امتدادا لدور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية.

أولا– تحديد المفاهيم:

1–التنشئة:

يعرف بارسونز التنشئة الاجتماعية بأنها:«عبارة عن عملية تعليم تعتمد على التلقين والمحاكاة والتوحد مع الأنماط العقلية والعاطفية والأخلاقية عند الطفل والراشد، وهي عملية تهدف إلى إدماج عناصر الثقافة في نسق الشخصية، وهي عملية مستمرة ولا نهاية لها».

ويرى السيد بأنها: "العملية التي يصبح بها الفرد عضوا في مجتمع الكبار، يشاركهم نشاطهم ويمارس حقوقه وواجباته".[1]

2–الطفولة: يحمل مفهوم الطفولة معاني عدة منها:

" الفترة الممتدة من الولادة حتى سن الثانية عشرة". [2]

و الطفولة: "المرحلة التي تمتد من لحظة الميلاد حتى سن البلوغ الذي يحدث عادة في سن 12 أو 13 و تعتبر هذه المرحلة في نظر علماء النفس و الاجتماع من أهم المراحل في تكوين شخصية الفرد إشارة منهم إلى دور التنشئة الاجتماعية . [3]

3–الاعلام:

عرفه إبراهيم إمام بأنه: " تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة و الحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات بحيث يعبر تعبيرا موضوعيا عن عقلية الجماهير و اتجاهاتهم و ميولهم. [4]

و يذكر حسام رفقي أن الإعلام يعتبر بمثابة الاتصال بين مرسل (إعلامي) و بين مستقبل(جمهور) عن طريق وسيلة إعلامية (صحف، إذاعة، تلفزيون...) وتنتقل بواسطتها الرسالة الإعلامية من طرف لآخر. [5]

كما أن الاعلام: "منهج وعملية تقوم على هدف التنوير والتثقيف والإحاطة بالمعلومات الصادقة، التي تخاطب عقول الافراد لترفع من مستواهم وتدفعهم للعمل من اجل المصلحة العامة...، كما تخلق فيهم مناخا صحيا يمكنهم من التوافق مع المجتمع وأهدافه". [6]

ثانيا–أهمية الإعلام: يكتسي الإعلام أهمية بالغة تتجلى في:

- ✓ أقوى أدوات الاتصال العصرية التي تعين الفرد على معايشة العصر والتفاعل معه.
- ✓ ترجمة التوجهات الاجتماعية بمختلف المشارب الفكرية وتفعيل الحراك السياسي والمشهد الثقافي والنتاج الفكري والإبداعي.
- ✓ شرح القضايا وطرحها على الرأي العام من أجل تهيئة إعلامية.
- ✓ الإعلام بما يجري في العالم من أخبار وأحداث وتطورات والتفاعل معه.
- ✓ التبادل الثقافي والحضاري والمعرفي بين الدول والشعوب وبناء والاتجاهات والمعتقدات عند الأفراد والجماعات. [7]
- ✓ إدمان الأطفال على مشاهدة التلفاز أدى إلى تقليل فرص التفاعل بينهم وبين الآباء خصوصا لدى الأسر التي توفر أجهزة تلفاز في غرفة الأطفال، مما يزيد من العزلة. [8]

ثالثا–أشكال التنشئة الاجتماعية: تأخذ التنشئة الاجتماعية شكلين منها:

1–التنشئة الاجتماعية المقصودة:

ويتم هذا النوع من التنشئة في كل من الأسرة والمدرسة، فالأسرة تعلم أبناءها اللغة وآداب الحديث والسلوك، وتحدد لهم الطرق التي تتصل بتشرب هذه الثقافة وقيمها ومعاييرها. كما أن التعليم المدرسي في مراحله المختلفة يكون تعليما مقصودا له أهدافه وطرقه وأساليبه ونظمه ومناهجه التي تتصل بتربية الأفراد وتنشئتهم تنشئة اجتماعية معينة.

2–التنشئة الاجتماعية غير المقصودة:

ويتم هذا الشكل من التنشئة من خلال المسجد ووسائل الإعلام والإذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح، وغيرها من المؤسسات التي تسهم في التنشئة الاجتماعية من خلال الأدوار التالية:

أ- يتعلم فيها الفرد الآمال والمهارات والمعاني عن طريق اكتسابه المعايير الاجتماعية التي تختلف باختلاف هذه المؤسسات.

ب- تكسب الفرد الاتجاهات والعادات المتصلة بالحب والكره والجنس والنجاح والفشل واللعب والتعاون والواجب والمشاركة الوجدانية وتحمل المسؤولية.

ت-تكسب الفرد العادات المتصلة بالعمل والإنتاج والاستهلاك وغير ذلك من أنواع السلوك والاتجاهات والمعايير والمراكز والأدوار الاجتماعية.[9]

رابعا-العوامل المؤثرة في التنشئة الاجتماعية:

وهناك عدة عوامل تؤثر في عملية التنشئة منها الداخلية ومنها الخارجية:

1-العوامل الخارجية: وتتجلى فيما يلي:

دور العبادة (كالمساجد، والكنائس والزوايا)، وجماعة الرفاق(كأصدقاء المدرسة والشارع أو النادي والجيران) والمؤسسات التعليمية(كدور الحضانة والمدارس والجامعات) والثقافة السائدة في المجتمع، ايضا الوضع الاقتصادي والسياسي للمجتمع، بالإضافة لوسائل الاعلام. [10]

2-العوامل الداخلية: وتتمثل في:

الدين، نوع العلاقات الاسرية، حجم الاسرة. [11]

خامسا-شروط التنشئة الاجتماعية:

هناك ثلاثة شروط أساسية للتنشئة الاجتماعية المناسبة وهي:

1-**أن يكون هناك مجتمع قائم:** وهو العالم المحيط أو البيئة التي ينشأ فيها الطفل، وينقل من خلاله الثقافة والدافعية وأساليب إنشاء العلاقات الاجتماعية إلى الأطفال الجدد فيه، ليتحدد في ضوئها كيف سيسلك الأفراد وكيف يفكرون أو يشعرون، فلكل مجتمع معايير وقيم وعادات واتجاهات وأدوار ومكانات اجتماعية تمارس عملها في نظم ومؤسسات معروفة ومحددة.

2-توافر الشروط البيولوجية الوراثية الجوهرية لدى الطفل: لأن عملية التنشئة الاجتماعية المناسبة تصبح صعبة بل مستحيلة في بعض الأحيان إذا ما كان الطفل غير سليم البنية مغفلا، أو معتوها، أو به عيب بيولوجي أو خلقي آخر، فإصابة المخ أو الصمم، وكذلك الطول الشديد أو القصر الشديد، والتشوهات الخلقية في الوجه أو الأنف أو اليدين، وغيرها جميعها شروط جسمية قد تعوق أو تؤثر في عمليات التفاعل والتنشئة.

3- أن يكون الطفل ذا طبيعة إنسانية سوية: وهي ما ينفرد بها البشر دون غيرهم من المخلوقات، حيث يمثل الإنسان فئة سلوكية تختلف نوعيا عن الكائنات الأخرى، وتتضمن الطبيعة الإنسانية على سبيل المثال القدرة على القيام بدور الآخرين، والشعور مثلهم، والقدرة على الكلام (اللغة)، والتعامل مع الرموز، وهذا يعني إعطاء المعنى للأفكار المجردة ومعرفة الكلمات والأصوات والإيماءات كالغمز بالعين، والإيماء بالرأس، والمصافحة باليد، وكل هذه حركات طبيعية لها معان تبعا لقدرة الفرد على فهم ما ترمز إليه وتنفرد بها الطبيعة الإنسانية لدى البشر دون غيرهم من المخلوقات. [12]

سادسا–آليات التنشئة الاجتماعية:

تستخدم آليات متباينة وعديدة لتحقيق وظائف التنشئة الاجتماعية وهي خمس آليات:

1–التوحد: ويقصد به التقليد اللاشعوري وغير المقصود لسلوك النموذج.

2–التقليد: فالطفل يقلد والديه ومعلميه وبعض الشخصيات الإعلامية أو بعض رفاقه.

3–الملاحظة: ويتم فيها التعلم من خلال الملاحظة لنموذج سلوكي وتقليده حرفيا.

4–الضبط: أي تنظيم سلوك الفرد بما يتوافق مع ثقافة المجتمع ومعاييره.

5–الثواب والعقاب: أي استخدام الثواب في تعلم السلوك المرغوب والعقاب لكف السلوك الغير مرغوب. [13]

سابعا– أهمية وسائل الاعلام في عملية التنشئة الاجتماعية:

يتوقف تأثير وسائل الإعلام في عملية التنشئة الاجتماعية على:

- نوع وسيلة الإعلام المتاحة للفرد.
- ردود فعل الفرد لما يتعرض له من وسائل الإعلام.
- ردود الفعل المتوقعة من الآخرين إذا سلكوا ما تقدمه وسائل الإعلام.
- مدى توافر المجال الاجتماعي الذي يجرب فيه الفرد ما تعلمه من معايير وعلاقات اجتماعية. [14]
- ردود فعل الفرد لما يتعرض له من وسائل الإعلام حسب سنه.
- الإدراك الانتقائي حسب المستوى الاجتماعي والاقتصادي والثقافي الذي ينتمي اليها الفرد. [15]

وتعد العلاقة بين المنظومة الإعلامية ومنظومة القيم الاجتماعية والأخلاقية علاقة فاعلة ومتداخلة على اعتبار أن وسائل الإعلام في أي مجتمع هي الوسائل الناقلة لأنماط التفكير والمعرفة والقيم والإفهام، وبالتالي تسهم في خلق جزء كبير من لثقافة الاجتماعية وطريقة حياة أي شعب أو مجموعة سكانية معينة، إلا أن قدرة وسائل الإعلام هذه لا تعني أن وسائل الإعلام لها القدرة على حمل الجمهور لاعتناق وجهة نظر معينة ولكنها تنجح في حمل الجمهور على اعتبار بعض القضايا الأكثر أهمية من قضايا أخرى، أي أن أولويات الاهتمام لدى وسائل الإعلام تصبح هي ذاتها أولويات الجمهور نفسه. [16]

– مع التوسع الهائل لوسائل الإعلام تضاءل دور مؤسسات التنشئة الأساسية كالبيت والمدرسة وأصبحت وسائل الإعلام صاحبة الدور الأكبر المسيطر في عملية التنشئة الاجتماعية.

– إن الرسالة الإعلامية سواء كانت في شكل خبر أو فكاهة أو برنامج وثائقي فإنها تستطيع أن تعمل على إزالة القيم وتثبيت أخرى محلها، أو ترسيخ شيء قائم والتصدي لآخر قادم، وهذا بالضبط هو مفهوم التنشئة الاجتماعية في أبسط صورها.[17]

– إن تحدي الإعلام لوسائل التربية كبير فمن خلال الدراسات الاجتماعية والأبحاث ثبت أنَّ الإعلام له أثر فعال في تغيير الفكر، والتقاليد، والأعراف، ومن هنا نشأ الإعلام الموجه، واستخدم في التربية العسكرية للطفل حيث يتخرج الطفل بعد سنوات آلة مدمرة تخدم أهدافا معينة. [18]

و تعد وسائل الإعلام من بين المؤسسات الاجتماعية التي كشفت عن جدارتها في التأثير على تنشئة الأفراد ، إذ لم يعد للشك بمكان في التأثيرات العميقة التي باتت تتركها وتبصمها في حياة أفراد المجتمع، سيما على الأطفال منهم الذين يكونون محط استقبال

لكل ما تقدمه هذه الوسائل الإعلامية، وخاصة عندما زادت من فعاليتها وحِدَّة أثرها بشكل كبير نتيجة للتطورات التكنولوجية الحديثة.

وتختلف وتتفاوت تأثيرات وسائل الإعلام على الأفراد والجماعات باختلاف أنواعها و من حيث قدرتها على نقل الخبر في وقته و إشراك المتلقي في المضمون الإعلامي، واستقطاب عدد كبيرا من الجماهير، وللإعلام عموما أهمية كبيرة لا يمكننا أن ننكرها، وهي ما جعلته يصنف من بين المؤسسات الفاعلة والمدعمة لدور الأسرة في التنشئة ويتضح ذلك من خلال الوظائف والأدوار المتعددة التي يقدمها للأفراد والجماعات والتي من أهمها: إفهام أفراد المجتمع لمهامهم واحتياجاتهم في التربية ، ومساهمته في تكوين الاتجاهات والترويح على النفس، وتنمية الخبرات والمعارف والمهارات، ونشر القضايا المهمة والقيم السائدة في المجتمع، والضبط الاجتماعي. [19]

وهناك عوامل متعددة تؤثر على فعالية وسائل الإعلام وقدرتها على التأثير والتغيير وقيادة المجتمعات وهذه العوامل يمكن التعبير عنها بالمتغيرات التالية:

1. متغيرات البيئة: وهي كافة الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية وهي قد تكون مساعدة لوسائل الإعلام على إحداث التأثير والتغيير أو تكون عوامل تضعف فعالية وسائل الإعلام.

2. متغيرات الوسيلة: وهي العوامل المتعلقة بوسائل الإعلام ومصداقيتها وتنوعها وشمولها وتجانسها، وهل هي متشابهة ومتسقة أم لديها تنوع وتعددية إعلامية.

3. متغيرات المحتوى: إذ يلعب المحتوى وقدرته على الاستمالة والإقناع والتنوع والتكرار والجاذبية وإشباع حاجات المتلقي، دورا مهما في فعالية تأثير وسائل الإعلام.

4. متغيرات الجمهور: وهي ذات دلالة كبيرة في تأثير وسائل الإعلام حيث يختلف الأفراد في خبراتهم وثقافتهم وتعرضهم الانتقائي لوسائل الإعلام وقابليتهم للتأثر، بل أنه أحيانا يستجيب الشخص الواحد بشكل مختلف لنفس المحتوى وفقا لظروفه الصحية أو النفسية أو الاجتماعية.

5. متغيرات التفاعل: ان آلية التفاعل وطريقته وهل هو جماعي ام فردي كل ذلك يحدد فعالية تأثير وسائل الاعلام. [20]

ثامنا– الاثار الإيجابية والسلبية لوسائل الاعلام في التنشئة الاجتماعية

1–التلفزيون:

أ- تعريف التلفزيون:

يعرف التلفزيون بأنه: "وسيلة من وسائل الاتصال تعتمد على الصوت والصورة معا". [21]

ب–خصائص التلفزيون: يذكر خفاجي أن خصائص التلفزيون تتمثل فيما يلي:

- ✓ الامتداد اللانهائي: فمتى تم إنتاج البرامج التعليمية أو التربوية، أصبح بالإمكان بثها إلى أعداد كبيرة من الجماعات والأفراد والذين يوجدون في نطاق شبكة الإرسال.
- ✓ ينقل جهاز التلفزيون الصوت والصورة وبذلك يمكنه الوصول إلى المشاهدين عن طريق حاستي السمع والبصر.
- ✓ التلفزيون وسيلة جامعة بمعنى أنه عن طريقه يمكن عرض جميع المواد السمعية البصرية. [22]

ت–الآثار الإيجابية للتلفزيون في عملية التنشئة الاجتماعية:

- ✓ يعتبر التلفزيون من مصادر المعرفة التي توسع خبرات الطفل، بحيث ينمي الملكات العقلية والفكرية له.

- ✓ يشبع لديه حب الاستطلاع من خلال برامجه التثقيفية والتعليمية والتوجيهية.[23]
- ✓ تعليم الطفل المهارات المختلفة كالقراءة والحساب والتعرف على القيم والعادات والتقاليد وتاريخ الحضارة وأنماط السلوك.
- ✓ يساهم التلفزيون في بلورة وتغيير الاتجاهات والقيم وتنمية اتجاهات اجتماعية مرغوب فيها تتفق والقيم المقبولة في مجتمع الطفل.[24]
- ✓ تعميق انتماءه لمجتمعه ووطنه وتعليمه العادات الصحية السليمة والعناية الصحية بنظافة الأسنان والجسم والمكان وتعزيز مفهوم الوقاية من الأمراض.[25]
- ✓ تقوية اللغة وزيادة قاموس المفردات لديه.
- ✓ تعزيز القيم الإيجابية والإنسانية في بعض البرامج والتي تحمل القيم النبيلة.[26]

ث–الآثار السلبية للتلفزيون في عملية التنشئة الاجتماعية:

- ✓ يوقف جهاز التلفزيون تطور القدرات الذهنية والنشاط العقلي للأطفال.
- ✓ يلحق أضرار كبيرة بالمخيلة المبدعة للطفل ويعرقل قدرته على التحصيل المعرفي.[27]
- ✓ وقوع الطفل في الحيرة والخلط بين الوهم والحقيقة والواقع فيما يشاهده على الشاشة الصغيرة.
- ✓ تشويه القيم من خلال البرامج المقدمة بعرض نماذج الأشخاص يحتسون الخمر ويدخنون وهذا سيجعل الطفل يقلدها ويتقمص أدوارها.[28]
- ✓ تهديد صحة الطفل الجسمية والعقلية على السواء، وتؤثر حواسه السمعية والبصرية وميله إلى السلبية.
- ✓ حرمان الطفل من فترات اللعب إذ يفوق ساعات المشاهدة وقت لعب الأطفال والذي هو الشغل الشاغل للأطفال.
- ✓ توليد شعور بالتسامح تجاه العنف في الحياة لدى الطفل فيصبح أقل حساسية اتجاه آلام الآخرين.[29]
- ✓ تعود الخمول بسبب الجلوس لأوقات طويلة أمام التلفزيون دون حركة.
- ✓ إضعاف الروابط الاجتماعية في الأسرة وميل الطفل إلى العزلة. [30]

2–الصحافة:

أ–تعريف الصحافة:

الصحيفة: هي" مجموعة من الصفحات تصدر يوميا أو في مواعيد منتظمة وتتضمن أخبار السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة وما يتصل بها".

ب –خصائص الصحافة: تتميز الصحافة بمجموعة من الخصائص هي:

- ✓ تزويد القراء بالمعلومات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية.
- ✓ لها دور تثقيفي تعليمي ترفيهي في المجتمع.
- ✓ تعد وثيقة تاريخية نرجع إليها لدراسة وكتابة التاريخ.
- ✓ تشكيل الرأي العام المستنير، عن طريق العرض والتحليل والنقد حول المسائل والقضايا وكشف الحقائق للجمهور.[31]

ت–الآثار الإيجابية للصحافة في عملية التنشئة الاجتماعية:

- ✓ زيادة خبرات الطفل بصورة متدرجة واطلاعه على نماذج مختلفة للسلوك التي يحاول استدخالها في بنيته الشخصية وانتقاء الأفضل منها.
- ✓ إشباع حاجياته للتخيل والمعرفة والاطلاع.
- ✓ إثارة تفكير الطفل وتحفيزه على التأمل وطرح الأسئلة للوصول إلى ما يلبي حاجياته وفضوله إلى اكتشاف المجهول. [32]
- ✓ تنمية الطفل عقليا واجتماعيا وعاطفيا لأنها أداة توجيه وإعلام وإمتاع وترفيه.
- ✓ تنمية الذوق
- ✓ الفني للطفل من خلال تربية حواسه على توجيه تقدير مواطن الجمال وعناصر التجسيد الفني في الصورة والرسومات والألوان.
- ✓ تحقيق ذاتية الطفل وكينونته من خلال احترام فكره وحكمه على الأشياء. [33]
- ✓ تعمل الصحافة خاصة ما يعرف بالصحافة المدرسية على تشجيع المطالعة لدى النشء من خلال العديد من المسابقات التي تجريها بين التلاميذ لاختيار أوائل المطالعين وتكريمهم.

ث–الآثار السلبية للصحافة في عملية التنشئة الاجتماعية:

- ✓ تعرض الأطفال للصدمات النفسية بسبب عدم تمييزهم بين الواقع والخيال جراء مبالغة الصحف في نشر القصص القائمة على القوى الخارقة.
- ✓ تساهم الصحف خاصة المتخصصة في الإعلان والدعاية في خلق أنماط استهلاكية ترفيهية تشجع على استهلاك كل ما هو مستورد مما يشكل عبئا على الأسرة والمجتمع.
- ✓ تبالغ بعض الصحف في تناول الموضوعات العاطفية والجنسية مما يؤثر على سلوك وتصرفات الأطفال خاصة في سن المراهقة. [34]

3–الإذاعة:

أ–تعريف الإذاعة:

الإذاعة هي: "ما يبث عن طريق الأثير باستخدام موجات كهرومغناطيسية بإمكانها اجتياز الحواجز الجغرافية والسياسية وربط مستمعيها برباط مباشر وسريع". [35]

ب–الآثار الإيجابية للإذاعة في عملية التنشئة الاجتماعية

- ✓ تزويد المستمعين بالمعارف والخبرات المختلفة.
- ✓ تعزيز أنماط السلوك المرغوبة والقيم السائدة في المجتمع.
- ✓ تركيز انتباه الطفل على الكلمة وعلى النص المذاع مما يؤدي إلى زيادة استفادته وتعميق تحصيله في هذا المجال.
- ✓ إثراء مفردات الطفل بخبرات متنوعة وسلوكيات متعددة لشخصيات مختلفة إيجابية وسلبية تكون متناسبة مع سن الطفل ومع نضجه العقلي والنفسي. [36]

ت–الآثار السلبية للإذاعة في عملية التنشئة الاجتماعية:

- ✓ بتعدد المحطات الإذاعية وتعرض النشء لها لمدة زمنية طويلة فقد ساهم ذلك في تقاعس الأطفال لآداء واجباتهم وفقدان التركيز والانتباه.
- ✓ تساهم الدعاية والإعلان في نشر القيم الاستهلاكية والإسرافية لدى الأطفال.
- ✓ بث الإذاعة لبعض البرامج المعقدة الغير واضحة والتي لا تراعي الفروق الفردية ومستويات الذكاء بين الأطفال. [37]

4-السينما:

1-تعريف السينما:

السينما film أو **movie** أو **motion picture**, هي مصطلح يشار به إلى التصوير المتحرك الذي يعرض للجمهور إما في أبنية فيها شاشات كبيرة تسمى دور السينما ، أو على شاشات أصغر وخاصة كشاشات التلفزيون.

يعتبر التصوير السينمائي وتوابعه من إخراج وتمثيل واحد من أكثر انواع الفن شعبية ويسميه البعض الفن السابع.

ب-اثار السينما في التنشئة الاجتماعية للطفل:

تعد السينما وسيلة مهمة للترفيه وهي قوة مؤثرة بلا منازع في العادات والاتجاهات والأعراف وطرائق التفكير، ويتجلى أثر السينما على التنشئة الاجتماعية للطفل من خلال ما يلي:

- ✓ الإسهام في تنمية ثقافة الطفل بتزويده بالمعلومات والخبرات.
- ✓ تنمية قدرة الطفل على التأمل والتصور ودقة الملاحظة.
- ✓ مساعدة الطفل على توضيح المفاهيم والألفاظ المجردة والوسائل المحسوسة والخبرات الحية التي تربطه بواقع حياته.
- ✓ تنمية روح المشاركة الجماعية لدى الطفل وإبعاده عن العزلة والانطواء والاضطراب النفسي والخجل.[38]

5-الأنترنت:

أ-تعريف الأنترنت:

هي:" شبكة المعلومات المتفاهمة فيما بينها باستخدام البروتوكول (TCP/IP) وتخصص بتبادل المعلومات وإتمام الاتصالات الخارجية بين شبكات الكمبيوتر في العالم".[39]

ب-الآثار الإيجابية للأنترنت في التنشئة الاجتماعية:

- ✓ إمكانية الاستفادة من تلك الشبكات في إيجاد فرص العمل داخل البلد أو خارجه، كما يمكن الاستفادة منها في تسويق المنتجات والبضائع والبيع والشراء من خلالها.
- ✓ تقوية العلاقات الاجتماعية مع أصدقاء متجددين عبرها.
- ✓ متابعة آخر المستجدات في كل أنحاء العالم.
- ✓ الدعاية الفكرية والثقافية، حيث يجد أصحابها منابر سهلة لهم للتعبير عن أفكارهم والدعوة لثقافتهم.
- ✓ تبادل الخبرات العلمية والتعليمية مع أشخاص تجمعهم نفس الميول أو الشغف أو المستوى التعليمي.[40]

ت-الآثار السلبية للأنترنت في التنشئة الاجتماعية:

- ✓ القضاء على الكثير من النشاطات والفعاليات المهمة للنمو المتوازن كاللعب الحقيقي الجماعي المشترك وممارسة الرياضة والقراءة والهوايات.

- ✓ السهر وتغيير عادات النوم واعتياد سلوكيات غذائية غير صحيحة في الواجبات والأطعمة والمشروبات. [41]
- ✓ فساد الأسرة وأفرادها خلقيا وابتعادهم عن دينهم وعقيدتهم بسبب الأفلام الجنسية والعروض الأخلاقية.
- ✓ بلبلة أفكار النشء بأفكار وعقائد لا حصر لها خاصة ممن ليس لديهم حصانة كافية من العلم الشرعي والثقافة الإسلامية المتينة.[42]
- ✓ الإدمان عليها على حساب الواجبات اليومية في الحياة.
- ✓ العزلة عن المجتمع القريب كالأهل والجيران.
- ✓ انتهاك خصوصية الفرد وذلك بوسائل متعددة ومعظمها متوفر بسهولة.
- ✓ التعرض للنصب والاحتيال من قبل من يدعون الفضيلة والمساعدة في القيام بالأعمال الخيرية أو الشراء والبيع.
- ✓ تشجيع الكذب والنفاق من خلال ظاهرة الأسماء المستعارة والشخصيات الوهمية. [43]

خاتمة:

بتعدد وتنوع وسائل الاعلام فان قيمتها ودورها صار لا يقل قيمة ولا أهمية عن الاسرة ولا عن المؤسسات التربوية في التنشئة الاجتماعية خاصة وان الأوقات التي يقضيها الأطفال في استخدام وسائل الاعلام تعادل تقريبا الوقت الذي يقضونه في المدارس إذ أصبحت هذه الوسائل تشكل رافدا أساسيًا في بناء شخصيتهم وغرس القيم والمبادئ فيهم، لذلك فإن وسائل الإعلام مطالبة بالاضطلاع بدورها الإيجابي البناء لا الهدام في بناء الطفل وتنشئته تنشئة حقة لا خاطئة.

المراجع:

[1]- صالح خليل الصقور: الاعلام والتنشئة الاجتماعية، دار أسامة للنشر والتوزيع (عمان)،2012، ص99.

[2]- لمياء جابري: معجم مصطلحات علم النفس (فرنسي-عربي)، دار الخلدونية للنشر والتوزيع (الجزائر)،2006، ص67.

[3]- عبد الرحمان محمد أبو توته: علم الإجرام، المكتب الجامعي الحديث (الإسكندرية)،1998 ، ص205.

[4]- منى يونس بحري، نازك عبد الحليم القطيشات: مدخل إلى تربية الطفل، دار صفاء للنشر(عمان)،2008، ص25.

[5]- كامل محمد عويضة: سيكولوجية الطفولة، دار الكتب العلمية(بيروت)،1996، ص156-157.

[6]- منال محمود طلعت: مدخل الى علم الاتصال، ب.د(الإسكندرية) ،2001، ص173.

[7]- ابراهيم جبار السيد: الاعلام والمجتمع، دار التعليم الجامعي (الاسكندرية)،2015، ص142-143.

[8]- زينب حبيب: الاعلام وقضايا المرأة، دار أسامة للنشر والتوزيع(عمان)، 2011، ص 78.

[9]- وجيه الفرح: التنشئة الاجتماعية لطفل ما قبل المدرسة، الوراق للنشر والتوزيع(ب.ب)،2007 ،ص19.

[10]- احمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان (ب.ب)،1996،ص205.

[11]- محمد فتحي فرج الزليتي: أساليب التنشئة الاسرية ودوافع الإنجاز الدراسية، ب.د (ب.ب)،2008 ، ص 113.

[12]- عمر احمد همشري: التنشئة الاجتماعية للطفل، دار صفاء للنشر والتوزيع (ب.ب)،2003، ص ص 24-25.

[13]-http://www.swmsa.com/modules.php?mme=News@File=article@si بتاريخ 2020/7/1 23:28الساعة

[14]- رشاد صالح دمنهوري: التنشئة الاجتماعية والتأخر الدراسي -دراسة في علم النفس الاجتماعي التربوي-، دار المعرفة الجامعية(الاسكندرية)،2006، ص42.

[15]- محمد نعيمة محمد: التنشئة الاجتماعية وسمات الشخصية، دار الثقافة العلمية(الإسكندرية)،2002، ص30.

[16]- بدر حمد الصلال: دور الفضائيات الكويتية الرسمية والخاصة في تعزيز المواطنة لدى الشباب الكويتي، اشراف حميدة، سميسم ، رسالة ماجستير في الاعلام، جامعة الشرق الأوسط (الكويت)،2012، ،ص38-39.

[17]– معلوي بن عبد الله الشهراني" أثر الحراك المعرفي على الامن الفكري"، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، العدد535 ،2012، ص 535.

[18]– ثريا عدنان العوامي: الإعلام وأثره في التربية، مجلة الواحة، العدد60 ،2010، ص60.

[19]– حمد المستاري: الإعلام كمؤسسة تنشوية مدعمة ومنافسة لدور الأسرة في التنشئة الاجتماعية –التلفاز نموذجا–، الحوار المتمدن، العدد 3207، 2020، نقلا عن الموقع:

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=237313

بتاريخ 2020/7/1الساعة22:30

[20]- معلوي بن عبد الله الشهراني، مرجع سابق، ص 46.

[21]- محمد شطاح : الإعلام التلفزيوني–نشرات الاخبار–المحتوى – الجمهور، دار الكتاب الحديث، (الجزائر) ب.ت، ص 12.

[22]- صالح محمد أبو جادو: سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، ط7، دار المسيرة للنشر (عمان)،2010، ص ص235–236.

[23]- حمد منير سعد الدين: دراسات في التربية الإعلامية، المكتبة العصرية (بيروت)،1995، ص110.

[24]- علي عبد الفتاح كنعان: الاعلام والتنشئة الاجتماعية، ط4، دار الأيام للنشر والتوزيع(عمان)،2014، ص 66.

[25]- عمر احمد همشري، مرجع سابق، ص 357.

[26]- صالح بن علي الحاجي، هندة بلقاسم: علم اجتماع التربية، ب.د (ب.ب)،1999،ص 24.

[27]- خليفة قعيد: المطالعة العصرية–قواعد وطرائق، مطبعة سخري (الوادي) ،2012، ص 132.

[28]- عمر احمد همشري، مرجع سابق، ص 357.

[29]- كريم الشاذلي: الآن أنت أب، دار اليقين للنشر(مصر)،2009، ص ص 34–35.

[30]- صالح بن علي الحاجي، هندة بلقاسم ،مرجع سابق، ص 24.

[31]- جمال العيفة: مؤسسات الاعلام والاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية، (الجزائر)، ب.ت ،ص ص 90–92.

[32]- علي عبد الفتاح كنعان، مرجع سابق، ص 74.

[33]- عمر احمد همشري، مرجع سابق، ص358.

[34]- صالح خليل الصقور، مرجع سابق، ص ص 191–195.

[35]- فضيل دليو: مقدمة في وسائل الاتصال الجماهيري، ديوان المطبوعات الجامعية(الجزائر)، 1998، ص 135.

[36]- علي عبد الفتاح كنعان، مرجع سابق، ص 76.

[37]- صالح خليل الصقور، مرجع سابق، ص ص176–177.

[38]- عمر احمد همشري، مرجع سابق، ص 360.

[39]- علي عبد الله عسيري: الاثار الأمنية لاستخدام الشباب للأنترنت، مركز الدراسات البحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية (الرياض)،2004، ص 13.

[40]- إسماعيل السيد: مبادئ التسويق، المكتب الجامعي الحديث، (الإسكندرية)،1999، ص 244.

[41]- فهد بن عبد الرحمان الشميمري: التربية الإعلامية "كيف نتعامل مع الإعلام" (الرياض)، 2010، ص265

نقلا عن الموقع http://www.saudimediaeducation.org/index.php بتاريخ 2020/7/2الساعة15:25.

[42]– فهمي قطب الدين النجار: الاعلام وبيت المسلم، ط 2، مكتبة الملك فهد(الرياض)،2000، ص 101.

[43]– صالح خليل أبو اصبع: العلاقات العامة والاتصال الإنساني، دار الشروق(الأردن)،1998، ص 95.

أساليب الأسرة في تربية الطفل المراهق على استعمال التكنولوجيا الرقمية

The Family's Methods in electronic education for the teenager

حميدي حياة، أستاذ مساعد أ1،عمتوت كمال، طالب دكتوراه2

1جامعة حسيبة بن بوعلي –الشلف-(الجزائر) /h.hamidi@univ-chlef.dz، 06 56 92 53 53

2 جامعةطاهري محمد-بشار (الجزائر) amtout.kamel@univ-bechar.dz، 0672675367

ملخص البحث

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على الأسس والضوابط الصحيحة والسليمة التي يجب على الأسرة –الوالدين – تعليمها للأبناء المراهقين، حول قواعد التربية الرقمية التي ترافقهم أثناء استخدامهم وتلقيهم لمختلف مضامين ورسائل الوسائط التكنولوجية الاتصالية، وترتكز الدراسة حول جزيئات هامة تبدأ بالأسرة كمؤسسة تنشئة اجتماعية ودورها الوظيفي التفاعلي والرقابي والسلطوي عبر مختلف أساليب التنشئة الاجتماعية، وصور الرقابة والسلطة الأبوية التي توجّه العلاقة بين الوالدين والابن المراهق من جهة، ومدى تفاعل الخصائص العمرية والسيكولوجية للابن المراهق مع خصائص وميزات الوسائط التكنولوجية الاتصالية وكثافة استخدامها من جهة أخرى، وما تخلفه هذه الأخيرة من تأثيرات في اتجاهات واهتمامات المراهق وقيمه وعلاقاته الاجتماعية والإنسانية.

الدراسة تهدف إلى تقديم وتوضيح آليات وميكانيزمات الأسرة ودورها التربوي في ظل ثورة الوسائط التكنولوجية للإعلام والاتصال، وتجيب عن إشكالية:

ماهي الأساليب والضوابطالتي يجب على الأسرة استعمالها في ضبط استخدامات أبنائهم المراهقين لمختلف الوسائط التكنولوجية الاتصالية؟

الكمات المفتاحية: التربيةالرقمية، الأسرة والمراهق؛ التنشئة الاجتماعية؛ التكنولوجيا الرقمية

Abstract :

The study aims at highlighting the right and safe bases and rules that should be taught to the teenagers by their families – parents, concerning the electronic education rules, which accompany them while are using and receiving various content and communication technology messages .

Accordingly , this study bases on important particles that start from the family as asocialization institution and its functional role through the various upbringing methods , and the forms of parental control and authority that direct the relationship between them and the teenaged son from a side , and the interaction of his/her age – specific psychological characteristics with highlighting the advantages of the technological communication media and the intensity of their use on the other side, in addition to the impacts that this latter cause on the teenager's attitudes, interests , values and social and human relations .

Key words: The electronic education, the family and the Teenager,
Socialization; Technology Digitization.

أ– المقدمة:

شهدت المجتمعات العربية بصفة عامة في الآونة الأخيرة العديد من التغيرات على مستويات عدة، وخضعت إلى تأثير الانتشار الكبير لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات الحديثة وتطورها، إذ هذه الأخيرة التي أحدثت تغيرات قيمية وثقافية واجتماعية على نطاق واسع، منها ما هو إيجابي ومنها ما هو دون ذلك يعصف بالكثير من الجوانب المهمة في المجتمع ويزيل الكثير من الخصوصية له.

كما تعتبر الاسرة إحدى مؤسسات التنشئة الاجتماعية المسؤول عن الطفل وتتكفل بإعداده نفسيا واجتماعيا وجسميا، تزوده بالقيم والمعايير وتكون شخصيته وتحدد له الأدوار المخولة له، فتقوم بتبني مجموعة من الأساليب والطرق بتهيئتهم وتطبيعهم على ما اتفق عليه الجماعة وما هو مسموح به، والممنوع عن طريق الترغيب والترهيب والعقوبة.

بالمقابل، تعد فئة الاطفال المراهقين من بين الفئات ترددا على وسائل الاتصال الحديثة بما فيها شبكة الانترنت لما تمتاز به هذه الأخيرة من خصائص ومميزات متوافق والمرحلة العمرية، ولما توفره من مضامين تستهويكثير منهم، فتحت لهم مجال للتعبير عن أرائهم وإخراج المكبوتات والهروب من الواقع المليء بالضوابط الاجتماعية والأسرية والقيمية التي تؤول دون تحقيق رغباته المتعددة، إلى عالم افتراضي يضمن له سرية والخصوصية التي يرغبونها، وقد تساهم في ظهور العديد من السلوكيات الانحرافة كنتيجة لما تحتويه الشبكة من مواد إباحية، الشذوذ الجنسي ومضامين الإجرام والفساد الأخلاقي والتفكك القيمي.

ومن الملاحظ على ساحة البحث العلمي أن الدراساتالمعاصرة حاولت تناول موضوع المراهقة من جوانبه المتعددة، وسنتطرق في دراستنا هذه إلى إبراز أساليب التي تتبعها الأسرة في تربية الطفل المراهق على استعمال التكنولوجيا الرقمية.

وتأتي دراستنا من منظور محاولة فهمنا هذا التأثير بين أساليب التنشئة الأسرية للمراهق ودورها في تربية الطفل المراهق على استخدم تكنولوجيا المعاصرة في ظل التحولات الراهنة .

وعليه نتساءل: ما هي الأساليب والضوابط التي يجب على الأسرة استعمالها في ضبط استخدامات أبنائهم المراهقين لمختلف الوسائط التكنولوجية الاتصالية؟

ب– أهداف الدراسة:

نسعى من خلال الدراسة الوصول إلى الأهداف الآتية:

–إبراز ضرورة وأهمية الإشراف الأبوي على استخدامات أبنائهم المراهقين، خاصة في مرحلة المراهقة المبكرة.

–تسليط الضوء على الأساليب الواجب استعمالها من طرف الآباء لتصويب وتحسين استخدامات الابن المراهق لوسائط التكنولوجيةالحديثة.

– تأكيد أن مسؤولية الآباء لم تعد مقتصرة على التربية والتنشئة الاجتماعية فقط، وعلى ضرورية مواكبة التربية والتنشئة لاحتياجات واستخدامات الأبناء، بما فيها الوسائط التكنولوجية الجديدة.

ج– الإسهامات البحثية: قمنا باختيار بعض الدراسات السابقة كمرجعية نظرية معرفية ونقطة التقاء موضوع دراستنا مع بعض متغيراتها، وهي:

1–دراسة الباحثة"سحر أم الرتم" و"سامية عواج"تحت عنوان:"**التربية الإعلامية والرقمية ضمن متطلبات التنشئة الاجتماعية**"[1]

2–تناولتا إشكالية: ما دور مؤسسات التنشئة في التربية الإعلامية والرقمية، وهي دراسة نظرية تناولت من خلالها الباحثتان ماهية التربية

الإعلامية، والتربية الرقمية، المواطنة الرقمية، التنشئة الاجتماعية، دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية في التربية الإعلامية، وفي عنصر أساليب التنشئة الاجتماعية تناولتا دور كل من الأسرة، المدرسة، وسائل الإعلام والمسجد في التربية الإعلامية وفي تدعيمها، والحماية من الانترنت ومخاطرها، وعرضتا بعض أساليب التنشئة الاجتماعية التي تراعي مبادئ التربية الإعلامية وتكنولوجيات الإعلام والاتصال.

خلصت الدراسة إلى ضرورة تكاتف مؤسسات التنشئة الاجتماعية في ترسيخ قيم ومبادئ التربية الإعلامية والرقمية، وضرورة الاعتناء بالنشء وترشيدهم الحسن في استخدام مختلف تكنولوجيات الإعلام والاتصال والانترنت.

دراسة "رشا محمود سامي أحمد" الموسومة بعنوان: "مدى إدراك أولياء الأمور لأدوارهم الرامية إلى تعزيز سلامة الأطفال على شبكة الانترنت ومدى ممارستهم لها"[2] وهي دراسة استطلاعية حول ماهي المخاطر التي تصادف الأطفال أثناء استخدامهم لشبكة الانترنت كما يراها أولياء الأمور في المجتمع المصري؟ وكيف يمكن حصد منافع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات مع الحد من المخاطر التي يتعرض لها الأطفال؟ وتشخيص أسباب هذه السلبيات وطرق تفاديها كما يراها أولياء الأمور؟

الدراسة الميدانية انتهجت فيها الباحثة المنهج الوصفي على بعض المحافظات من جمهورية مصرالعربية،وبعينة عشوائية بلغت 456 مفردة، من سبتمبر 2012 إلى جويلية 2013.

توصلت الباحثة إلى نتائج مهمة نذكر الأهم منها:

- ليس هناك فرق بين وعي وإدراك الأمهات أو الآباء لخطورة استخدام أطفالهم للانترنت.

- يرتبط إدراك ووعي أولياء الأمور بمخاطر الانترنت بالمستوى التعليمي والإقامة والوظيفة، وأعظمهم لا يعطي اهتماما لأوقات استخدام أطفالهم للانترنت، ولا يراقبونهم، ويسعدون بأن أبناءهم يعرفون الانترنت أكثر منهم وهذا يدل على قلة وعيهم بالمخاطر والانعكاسات.

- أن معظم أولياء الأمور يقعون تحت نفس تأثير مخاطر وسلبيات تكنولوجيا المعلومات وشبكة الانترنت، ويتعرضون يوميا لهذه المشكلات أثناء تعاملهم مع الشبكة، مما يؤكد قلة مؤهلات أولياء الأمور في تنظيم وتسيير استخدامات أبنائهم.

- هناك درجة عالية تعبر عن ممارسة أولياء الأمور لإجراءات الضبط والوقاية لحماية الأطفال ومساعدتهم على فهم كيفية التمتع بمزايا تكنولوجيات المعلومات والاتصالات وشبكة الانترنت، وهذا يؤكد ارتفاع في اهتمام أولياء الأمور بحماية أبنائهم من مخاطر الانترنت.

3-دراسة أجراها **معهد حماية الأسرة من الإنترنت** حول: "**الإشراف الأبوي في العصر الرقمي**"[3] حول كيف يوازن ولي الأمر المنافع والأضرار المحتملة لاستخدام أطفالهم أجهزة التكنولوجيا؟

توصل التقرير إلى مايلي:

- أولياء الأمور أفهم من أطفالهم بشان استخدام التكنولوجيا، (27%) من مهنم يدركون ويفهمون أكثر، كذلك آباء الأطفال الأصغر سناً يدركون أكثر عن أنشطة الانترنت من أطفالهم بنسبة (80%) في حين أن (36%) من آباء الأطفال الذين تتراوح أعمارهم (14-17) سنة يدركون أنهم يعرفون أكثر من أطفالهم.
- (95%) من الأولياء يرصدون استخدام أطفالهم للإنترنت عن كثب، بينما آباء المراهقين(41%) أقل مراقبة لأطفالهم من آباء الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين (6-9) سنوات ب (68%) أنهم يرصدون أطفالهم عن كثب.
- يعتقد (93%) من الأولياء أن أطفالهم في أمان إلى حد ما عندما يتصفحون الانترنت ، بينما (37%) منهم أفادوا أنهم في مأمن

جداً، وتحدث بعض أولياء الأمور مع أطفالهم واتخذوا الإجراءات لمراقبتهم أنشطتهم وقليل منهم يستخدم أدوات الرقابة الأبوية، بينما من لا يستخدم هذه الأدوات يرغب في استخدامها.

- أفاد (65%) من الأولياء أنهم تحدثوا مع أطفالهم بصفة متكررة ومنتظمة بشأن المنافع والمخاطر المحتملة للإنترنت وقواعد استخدام الانترنت وتوقعاتهم، واستعرض معظم الأولياء تاريخ تصفح أطفالهم للإنترنت وبناء مجموعة من قواعد لكمية الوقت الذي يستغرقه الأطفال أمام شاشة الانترنت.

- أن (53%) من الأولياء استخدموا الرقابة الأبوية لمنع أطفالهم دخول بعض المواقع، (47%) استخدم بعض الضوابط لإيقاف شراء بعض التطبيقات، (31%) منهم استخدم بعض أنواع الرقابة مثل تطبيقات(GPS) التي تكشف المواقع التي يدخلها الأطفال باستخدام هواتفهم، في حين أشار البعض الآخر اهتمامهم في استخدام هذه التطبيقات.

أولا: الأسرة وأساليب التنشئة الاجتماعية:

1- الأسرة والضبط الاجتماعي:

إن اكتساب الأفراد في مختلف مراحل نموهم: طفولة، ومراهقة، رشد وشيخوخة أساليب سلوكية معينة تتفق مع معايير الجماعة وقيم المجتمع حتى يتحقق لهؤلاء التفاعل والتوافق في الحياة الاجتماعية في المجتمع الذي يعيشون فيه، وعملية التنشئة الاجتماعية تتم من خلال عمليات التفاعل الاجتماعية، فتحول الفرد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي، مكتسبا الكثير من الاتجاهات النفسية والاجتماعية عن طريق التعلم والتقليد، مما يطبع سلوكه بالطابع الاجتماعي، "ويقوم المجتمع في عملية التنشئة الاجتماعية بدور هام في تشجيع وتقوية بعض الأنماط السلوكية المرغوب فيها والتي تتوافق مع قيم المجتمع وحضارته، في حين يقاوم ويحبط أنماط أخرى من السلوك غير المرغوب فيه .

كما تلعب الأسرة باعتبارها من مؤسسات الضبط الاجتماعي دورا هاما في تقويم سلوكيات الأبناء وتلقين المبادئ والمعايير الاجتماعية من اجل تحقيق توافقهم الاجتماعي وتكيفهم، إلا إن أساليب الضبط تختلف من أسرة إلى أخرى أهمها[4]:

–الضبط العائلي العقلاني: القائم على الحب والمبرر بعقلانية واعية، واستنتاج سليم للمواقف ومتطلباته بشكل كبير، وهو ضبط على عقاب إعلامي في معناه البدني أو الجسماني، ببل يستبدل بالحرمان من بعض المكافآت والامتيازات(...)

–الضبط البدني: القائم على العقاب باستخدام العنف أو التهديد وهو أسلوب في الغالب ما يدفع بالمراهق إلىالانحراف.

–الضبط المتذبذب بين اللين والشدة: حيث يعمد احد الأبوين إلى أسلوب معين بينما يتخذ الثاني أسلوب مغاير للأخر(...)

–الضبط الغير المنظم أو غير المتناسق: الذي يعتمد على أساليب عدة تتأرجح بين الشدة واللين واللامبالاة ، وقد يستخدم احد الأبوين أكثر من أسلوب واحد في كل موقف، دون هدف مفيد ودون نسق محدد بين أسلوب وآخر.

إن اعتماد الأسرة على الأساليب غير سوية من الضبط يؤدي بالأبناء إلى السلوك الانحرافي وخاصة أسلوب الضبط غير المنتظم الذي يقوم على الشدة واللين اللامبالاة، ينجر عنه عدة مشاكل اجتماعية نأخذ منها على سبيل المثال لا الحصر من خلال استخدام السلبي لتكنولوجيا الحديثة كشبكة الانترنت وولوج المراهقين ومشاهدتهم للمواقع الإباحية وإدمانهم عليها في غياب سلطة الأبوية في مراقبة أبنائها وخاصة في مرحلة حساسة.

فغياب الضبط الاجتماعي داخل الأسرة يفتح المجال أكثر للمراهق في البحث عن ملذاته الشخصية التي تؤدي به إلى الانحراف بمختلف أنواعه وإشكاله، وعلى رأسها الانحرافات الجنسية بما فيها اللواط والسحاق نتيجة إدمانه على المواقع الإباحية (صورة إباحية وفيديوهات خادشة للحياء ...الخ)، وعلى هذا الأساس يجب مراقبة المراهق والتكلم معه بالاعتماد على سياسية الحوار البناء، وعليه يمكن القول أن الضبط الاجتماعي ضرورة اجتماعية للمراهق.

1- المراهق وخصائصه السيكولوجية والسوسيوثقافية:

تعتبر المراهقة الخط الفاصل بين الطفولة والرشد بالرغم مما تعتريها من اضطرابات وتوترات ومشاكل، أي إن المراهقة هي جسر الذي يربط الإنسان بين مرحلة طفولته ونضجه، وتتميز بجملة من التحولات والتغيرات الجسمية والعقلية والاجتماعية، في حين يعرفها أكرم رضا" هي مرحلة نمو (جسمي وعقلي ونفسي واجتماعي) تلاحق المراهق فيقع في مشكلات متعددة بسبب قلة خبرته في الحياة".[5]

بالرغم من التداخل بين مظاهر النمو المراهق إلا انه يمكن القول أن النمو النفسي والنمو الاجتماعي للمراهق يتأثر بالبيئة الاجتماعية والأسرية التي يعيش فيها، كما يوجد في البيئة الاجتماعية من ثقافة وتقاليد وعادات وعرف واتجاهات وميول يؤثر في المراهق ،ويوجه سلوكه، ويجعل عملية تكيفه مع نفسه ومع محيطه عملية سهلة أو صعبة، ومن ابرز مظاهر الحياة النفسية لدى المراهق رغبته الجامحة في الاستقلال عن الأسرة وميله للاعتماد على نفسه.

إن الحياة الاجتماعية في المراهقة تكون أكثر اتساعا وتمايزا من حياة الطفولة في إطار الأسرة أو المدرسة، لان المراهقة هي الدعامة الأساسية للحياة الإنسانية ،في سيرها واكتمال نضجها، وهمزة وصل وارتقاء بالمراهق من عالم الطفولة إلى سن الرشد ومن أهم مظاهرها الرغبة في إثبات الذات وزيادة الاهتمامات البدنية والثقافية والفنية،كما يلاحظ الإباء فجأة حالة من التمرد والعصيان ورفض النصائح والتشبث بالأفكار، ورغبة الشديدة في تغيير معاملة الإباء لهم ما يزيد من حدة صراع بينهم.[6]

ومن خصائص مراحل المراهق نجملها في هذه النقاط:

- انتقال المراهق إلى الثانوية، مما يؤدي إلى زيادة الثقة بالنفس والشعور قيمة حيث تتمون لديه اتجاهات مختلفة كالفرح للاقتراب من سن تمام النضج، والميل الواضح للألعاب الرياضية والهوايات...
-وكذا تتضح الرغبة في الميل إلى مسايرة الجماعة من الرفاق والجنس الأخر...[7]
- السعي للمنافسة وما تجره من مقارنة الذات بالآخرين ومحاولة التفوق عليهم.
- السعي لتحقيق الاستقلال الاقتصادي والرغبة في مقاومة السلطة وشدة انتقاد الوالدين والتحرر من سلطتهم وسلطة جميع الراشدين.
- تزداد الرغبة في مقاومة السلطة والثورة على كل ما هو بال وقديم وتفضيل الجديد على سخافته.

1- مخاطر استخدام التكنولوجيا الرقمية:

نتيجة للتطور العلمي والتكنولوجي الحديث وتزايدكم المعلومات وتغير القيم والعادات والتقاليد من مجتمع لأخر تزايدت خطورة وأهمية وسائل الإعلام بقدر ما تقدم من معلومات وما تساعد على نقل الثقافة عبر الأجيال، وهي وإن كان لها إيجابيات عديدة، إلا أن سلبياتها طغت على وايجابياتها؛ من خِلال عدم حسن تعامُل أفراد الأسرة مع هذه الخِدْمة، خصوصًا كثيرا من الأبناء المراهقين، حيث ظهر ما عرف بإدمان الإنترنت، حيث يقضي الكثيرُ منهم جلَّ وقته بعد المدْرسة أمام جهاز الحاسب أو هاتفه المحمول، مبحرا في عوالم هذه الشبكة.

ومع تزايد انتشار استخدام الانترنت والتي شملت كل الفئات العمرية، شكلت خطرا كبيرا على الأفراد، وخاصة المراهق منهم، فهذا الأخير يمتاز بحب الاطلاع والاستكشاف لخصوصية هذه المرحلة التي يمر بها، فقد يتطلع إلى المواد الإباحية ولغة التخاطب السيئة التي ترد في المراسلات بعض مجموعات النقاش،وازداد الوصول إلى المواقع السيئة سهولة بعد انتشار خدمة الشبكة العنكبوتية على الانترنت.

يمكن حصر هذه المخاطر على ثلاث مستويات:

أ- **مخاطر المحتوى**: الناتجة عن إتاحة محتوى لا يأخذ بعين الاعتبار خصوصية الأطفال المراهقين ومدى قدرتهم على استيعاب وتحمل محتويات رديئة(العنف، التحريض العنصري، التنمر،والتعرض لمواد إباحية،،،الخ التي تروج لها بعض المواقع بشكل قصدي، إذ يتم فرضها على المستخدم خاصة الأطفال المراهقين باعتبارهمأها لمستهدفين من لدن المجرمين الرقميين، أشدها خطورة المشاهدة الجنسية وما تغرسه من ثقافة جنسية غير سليمة، تنعكس على ميولات وشخصيات الطفل المراهق، وما تتركه من آثار نفسية وجسدية حددها "Wilson"في بعض الآثار كتالف شديد في الدماغ نتيجة للإفراز المفرط لهرمون الإكسيطوسين والدوبامين الناتج عن الاستثارة الشديدة، مما يؤدي إلى إصابتهبمتلازمة الفص الأمامي أي تلف المنطقة الأمامية من الدماغ المسؤولة عن اتخاذالقرار بسبب التكرار المفرط وغير المتحكم فيه مشاهدة هذه المواد الإباحية، إلى جانب الإرهاقالمفرط للدماغالذي يصعب على الطفل المراهق إعمال وظيفة التركيز والذاكرة، ويزدادا لوضع سوءا عندما يفقد الطفل عند بلوغه مرحلة الجنس الطبيعي مع شريك الحياة النشوة في ممارسة الجنس بالشكل الطبيعي لأن إفراز هرمون السعادة الإكسيطوسين والدوبامين... ارتبطت شرطيا بمشاهدة المواد الإباحية.[8]

ب- **مخاطر الاتصال**: إن الوظيفة الأساسية للتكنولوجيا الرقمية هي تسهيل وتوفير المعلومات والخدمات وتحقيق الاتصالات دون حدود الزمان والمكان، ولكن قد يتعرض الطفل المراهق إلى مخاطر اتصالية أي في العملية الاتصالية، وقد تجعل منه شخصا منعزلا منزويا، أو عدائيا لمجموعته الأسرية أو المدرسية أو الرفقة، فمن جانب كثرة استخدامه لهذه الوسيلة وإفراطه فيها قد يجعله منفصل عن بيئته الحقيقية، كما أن بناء العلاقات الافتراضية والتعلق الشديد بأصحابها يترك آثارا في معتقدات وقيم الطفل المراهق، تجعله يقلد ويتبنى ويتبع الأجانب، ويعامل الوالدين بغربة وفاء، ومن ثم تخلق أزمة تواصلية بينهم، ومن الاتصال إلى أزمة الاتصال.

أ- **مخاطر السلوك**: وتتعلق بمساهمة الطفل في إنتاج محتوى رقميأو اتصالات محفوفة بالمخاطر،تتسبب بأضرار نفسية أو الأخلاقية أو القيم الأطفال آخرين، فيتحول من ضحية إلى مجرم (التحريض على العنف والكراهية أو نشر محتويات سلبية،كإرسال المحتوى الجنسي بينالأطفال المراهقين والدردشة عنها عبر وسائل التواصل الاجتماعي وهو ما يسمى ب"sexting"، واعتبرها الباحثون أخطر السلوكيات التي يقوم بها الأطفال المراهقون عبر الانترنت، والتي تهدد سلامتهما لنفسية والأخلاقية والمعرفية في غياب التربية جنسية الصائبة من طرف الوالدين والضبط الذي تمارسه المراقبة الوالدية، وما ينجم عن هذه التصرفات من جرائم وجنح فيقع الطفل المراهق في فخ التشهير والابتزاز والاستغلال الالكتروني.

هذه الأخيرة تحولت إلى شبكة عالمية لممارسة الدعارة والفاحشة من خلال دعوتهم لبلا تكوين صداقات والدخول إلى مواقع محددة ليكشف انه أمام شبكة دعارة متعددة الجنسية، حيث يمكنه من اختيار أي فتاة من أي جنسية يريدها على خريطة ما تقدمه له الانترنت عروضا لممارسة الرذيلة مقابل دفع مبلغ مالي محدد عن طريق..."VISA CARD" هذه الشبكات في عديد من الدول العالم يتم عرض صورهن وأعمارهن وبعض المعلومات عنهن في هذه المواقع.[9]

ثانيا: التربية الرقمية وأساليبها:

قبل التطرق إلى مفهوم التربية الرقمية وتمييزها عن المفاهيم المتداخلة الأخرى (التربية الإعلامية والتربية الالكترونية)، نعرف أولا التكنولوجيات الرقمية وأهم خصائصها ووظائفها.

1- التكنولوجيا الرقمية:

هي مجموعة العناصر المادية والذهنية المبتكرة والمبرمجة بتقنية الرقمنة والالكترونات الحديثة، فالمادية تشمل كل ماهو تقني من: المعدات والأجهزة، والتحكم الأوتوماتيكي والاتصالات، أما الذهنية فهي شمل كل من: البرمجيات، الذكاء الاصطناعي وهندسة البرمجيات.

وهي ترتكز على مختلف التقنيات الرقمية التي تعمل على نقل المعلومات والبيانات وتحويلها ونقلها بشكل إلكتروني،فقد جاءت في المعجم الإعلامي على أنها " مجمل المعارف والخبرات المتراكمة والمتاحة والأدوات والوسائل المادية والإدارية والتنظيمية، المستخدمة في جمع المعلومات ومعالجتها وإنتاجها وتخزينها واسترجاعها ونشرها وتبادلها، وتوصيلها إلى الأفراد والجماعات".[10]

وهي تعتمد على وسائل أساسية تشمل كل من:

أ- **الانترنيت:** التي اعتبر اكتشافها بمثابة اكتشاف قارة سادسة أو ما يدعوه البعض بالقارة الالكترونية التي غيرت مفهوم الزمان والمكان، والثقافة والحدود الجغرافية والسياسية، ومفهوم التعلم والاكتساب، وكذا مفهوم التواصل بين الأفراد والمجتمعات والدول، ذلك بسبب سهولة انتقال المعلومات وتداول الخدمات فيأوقات قياسية.

ب- **الحواسيب والهواتف الذكية:** وهي أداة أساسية للتكنولوجيا الرقمية، التي عرفت تطورات كثيرة من شكلها اليدوي إلى شكلها الميكانيكي والكهرو ميكانيكي إلى أن وصلت إلى شكلها الإلكتروني ثم الرقمي،فأجهزة الحواسيب والهواتف عبارة عن نظام يشمل "مجموعة من المكونات إلكترونية المترابطة تقوم على أساس استقبال المعلومات وتخزينها ومعالجتها وإرسال البيانات بموجب تعليمات وأوامر تعمل على تنفيذ العمليات الحسابية والمنطقية تسمى بالبرمجيات"[11]

ت- **نظام المواصلات:** هي إحدى أهم المجالات الحيوية فيالتكنولوجيا الرقمية تقوم على تبادل البيانات والمعلومات المختلفة الوسائط كالنصوص والصور والفيديو وغيرها عبر الشبكات باختلاف أنواعها واعتمادا على برامج الاتصال وبروتوكولات معدة مسبقا.[12]

2- التربية الإعلامية أو التربية الرقمية: نريد من خلال هذا العنصر توضيح الفرق الشاسع بين المفهومين، ورفع أي لبس او تشابه بينهما.

أ-التربية الاعلامية

ضمن توصيات مؤتمر فيينا عام 1999 لمنظمة المتحدة للتربية والثقافة والعلوم-اليونسكو- فإن التربية الإعلامية هي:" تمكن أفراد المجتمع من الوصول إلى فهم لوسائل الإعلام الاتصالية التي تستخدم في المجتمع: الرسوم المطبوعة، الصوت، الصور الساكنة والمتحركة...الخ التي يتم تقديمها عن طريق أي نوع من أنواع التقنيات."[13]

وعرفها الاتحاد الأوروبي بأنها" القدرة على الوصول إلى وسائل الإعلام والفهم والتقييم الناقد للمضامين الإعلامية، بالإضافة إلى القدرة على إنتاج مجموعة متنوعة من الرسائل في العديد من السياقات."

وفي تعريف آخر فهي:. قدرة الأفراد على الاستخدام الواعي والآمن لوسائل الإعلام، من فهم وتفسير ونقد وتقييم المضامين الإعلامية بأشكالها المتنوعة، والإسهام في تطوير إدراكهم وتعاونهم في إنتاج مضامين إعلامية مسئولة وتخزينها والارتقاء باهتماماتهم،طبيعي للبيئة الإعلامية وهي تمثِّلُ ردّ فعلا لمعقدة، والمستحدثات التكنولوجية التي تحيط بهم".[14]

وتعرفها أنها:" تنمية مهارات وقدرات النشء على تحليل الرسائل ونقدها وتقويمها بالشكل الذي يمكنه من المشاركة الواعية والهادفة في إنتاج المضامين الإعلامية"[15]

التربية الإعلامية وفق هذا المنظور عملية لبناء الإنسان ومساعدته على استخدام وسائِل الإعلام بالشكل الصحيح وتشكيل ثقافة تهدف إلى التفاعُل الإيجابي مع هذه الوسائل والاستفادة منها في تنمية مهارات الفرد الاتصالية والتحليلية والتقييمية والابتكارية والنقدية للمضامين الإعلامية كافة، وتدريس صور التعبير كلها باستخدام تكنولوجيا وتقنيات الإعلام الحديث.

ومن ثم يمكن تحديد وضبط مفهوم التربية الإعلامية في توافر ثلاثة عناصر أساسية:

- الوعي بتأثير وسائل الإعلام على الفرد والمجتمع ودفع الأفراد لاتخاذ مواقف معينة بناءا على تجارب التأثر الإعلامي السلبية والإيجابية.
- استيعاب عملية الاتصال الجماهيري بشكل واع وشاملوربطها بمقومات التربية الإعلامية المختلفة.
- اعتماد استراتيجيات وأساليب متنوعة ومناسبة تقوم بدور تفسير وتنقيح المضامينالإعلاميةالمختلفة، وفهمالرسائل العميقة التي تقدمها للجماهير .
- مراعاة الجوانب الجمالية عند فهم واستيعاب المضامين الإعلامية المختلفة، وذلك تبعا لاختلاف أذواق الجماهير.[16]

ب–التربية الرقمية:

إذا كانت التربية الإعلامية مقترنة بوسائل الإعلام ومضامينها، فإن التربية الرقمية مقترنة بتطوير تقنيات الاتصال وتكنولوجيات الاتصال من التماثلية إلى الرقمية بعد ظهور لغة الرقمنة، وهي تسعى إلى تنمية قدرات ومهارات الفرد في كيفية التعامل مع مختلف التقنيات الرقمية تعاملا صحيحا وآمنا، وهي أسلوب من أساليب المواطنة الرقمية، التي تدمج المواطن من حياته الطبيعية اليومية إلى حياة يستعين بها بوسط رقمي، والتي تدخل في إطار التحول الرقمي.

فهي:" ثقافة وآداب التعامل المناسب والأمثل مع التقنيات الحديثة للإعلام والاتصال، حول ايجابياتها وسلبياتها من خلال دروس ندوات موجهة للشباب والأطفال، والاستخدام الرشيد والاستفادة منها دون التعدي على حريات الآخرين والحياة الشخصية."[17]

وهي أيضا:"مجموعة من المعارف والمهارات والقيم والعادات وقواعد السلوك المتعلقة باستخدام والتعامل مع التكنولوجيا الرقمية الافتراضية المختلفة، مما يجعل التربية على استعمال التكنولوجيا الرقمية توازي التربية الاجتماعية في العالم الحقيقي، فبما أنه لكل مجتمع أعرافه وقيمه فإن لمجتمع المعرفة والرقميات التي أصبح الكل مجبر على الانخراط فيه قيما وعادات وتقاليد."[18]

وهي أيضا "مجموع القواعد والضوابط والمعايير والأعراف والأفكار والمبادئ المتبعة في الاستخدام الأمثل والقويم للتكنولوجيا، والتي يحتاجها المواطنون صغارا وكبارا من أجل المساهمة في التنمية. فهي عبارة عن توجيه وحماية، توجيه نحو منافع التقنيات الحديثة، وحماية من أخطارها. أو باختصار أكبر هي التعامل الذكي مع التكنولوجي.[19]

وهي تهدف إلى جملة من الأهداف والغايات نذكرها في:

- تنمية القيم التي تتعلق باستخدام الأفراد للتكنولوجيا الرقمية مما يمكن الفرد من ينظم استخدامها في حياته العامة ويتعرف على حدوده

ويستفيد من الإمكانيات التي تتيحها هذه التكنولوجيا.

- تعزيز تعامل الأطفال المراهقين من خلال طرق المنهجية والبيداغوجية الصحيحة في التوجيه والحماية وتعزيز السلوك الرقمي الإيجابي ومحاربة السلوك الرقمي السلبي المؤذي.

- إعداد الطفل المراهق وتحضريه بأن الأسرة –الوالدين– هم سند ومصدر توجيه حتى بوجود حلول ونماذج عبر هذه التكنولوجيات، وأن العالم الافتراضي مهم وموجود لكن الأساس في عالمه الواقعي وعلاقاته الواقعية ومنها الأسرية.

وهذه التربية الرقمية ترتكز على ثلاث ركائز:

الجانب المعرفي: الذي يهتم بمجموع المعارف والمعلومات والتقنيات التي تتعلق بالعالم الرقمي.

الجانب المهاراتي: يتعلق هذا الجانب باكتساب الأطفال المراهقين المهارات الأساسية التي تتعلق بالعالم الرقمي وتجعلهم ينخرطون فيه بفعالية ويستعملونه في تنظيم حياتهما لعامة بشكل إيجابي.

الجانب السلبية: الذي يتعلق بتعزيز السلوكيات الرقمية الإيجابية المبنية على القيم الأخلاقية الرقمية (احترام البيانات الشخصية وحقوق المؤلف، الحق في الخصوصية، وبين القيم الأخلاقية والاجتماعية.[20]

2– أساليب الأسرة في التربية الرقمية:

إن الأساليب مجموعة قواعد أو ضوابط أو كيفيات أو إجراءاتحول طرق فهم أو استيعاب أو استعمال شيء معين، ونقصد به مجموعة الضوابط والطرق التي ينتهجها الآباء في توجيه أو تصحيح أو تعديل استخدامات الطفل المراهق لمختلف الوسائط الإعلامية الجديدة، فمنها ما هو مادي تقني أو معنوي اجتماعي، ومنها ما هو قبلي أي تحضري، وأخرى حينية أي أثناء استخدام هذه الوسائط.

تعمدنا تقسيم الأساليب التربية الرقمية التي يجب على الوالدين تدريب الطفل المراهق عليها فيما يأتي:

أ– من حيث مدة الاستخدام: تنقسم أساليب التربية الرقمية إلى ثلاثة:

أ–أ **الأساليب القبلية أو التحضيرية**: ولأن عملية التنشئة الاجتماعية عملية مستمرة لا انقطاع فيها، فإن الفترة الأولى لحياة الفرد تكون بمثابة القاعدة والمرحلة التحضيرية الأساسية، أين يلقن الآباء أطفالهم والمراهقين منهم أبجديات التربية عامة، والتي تندرج فيها التربية الرقمية، كتعريف الآباء للوسيلة أو التقنية وحدود استعمالها، وتحديد من يجب استخدامها، ومع من يتوجب للطفل المراهق استخدامها، يكون الهدف والغرض في هذه المرحلة هو تثقيف وتوعية المراهق وتعريفه بالوسيلة والتقنية، ايجابيتها وفوائدها، وسلبياتها وآثرها.

أ–**ب الأساليب الحينية**: وتكون أثناء استخدام الطفل المراهق لهذه الوسيلة، تكون بمرافقة اللآباء أو أحدهما، ولأن المراهق يحب فرض الذات والفضول لاكتشاف العالم والآخر، فإنه يميل إلى الاستقلالية في الاستخدام والتعرض والانتقاء، هنا يأتي دور الآباء في تعزيز ثقة المراهق وتخصيص وسيلة معينة، ووقت محدد، وبكل ذكاء وهدوء يتدخل الآباء أثناء هذا الاستخدام إما بالوسائل التقنية، أوالتنظيمية أو التواصلية التي سنعرضها في العنصر الموالي، ويكون الهدف في هذه المرحلة هو مرافقة المراهق أثناء استخدامه للوسيلة وإبعاد الخطر عنه(خطر المضمون وتأثيره على القيم وخطر الوسيلة وتأثيره على الصحة والسلوك).

أ–ج الأساليب البعدية: وتأتي بعد انتهاء استخدام الطفل المراهق من الوسيلة، هنا يكون تدخل الآباء أيضا بإحدى الطرق التقنية،التواصلية، كأن يعقبا على الموضوع المشاهد أو اللعبة المشارك فيها، أو إثراء النقاش بالتطبيقات الجديدة حول اللعبة أو

الوسيلة...الخ الغاية هنا هو إشعار المراهق بمسؤولية استخداماته ومشاهداته ووقته، وتعزيز الثقة بينه وبين الوالدين وتفادي الوقوع في أي مشكلة أو خطر الكتروني كالابتزاز، والتهديد، والاستغلال...الخ

ب– من حيث النوع: يقصد هنا بالنوع هو تحديد نمط التدخل مادي/معنوي، كما سنوضحه فيما يلي:

ب–أ أساليب تقنية: وتشمل الجانب المادي أو التقني أي مختلف التقنيات والوسائط التكنولوجية التي يستخدمها الآباء والأبناء، كالحاسوب، الهاتف الذكي، الحاسوب المحمول، واللوحة الالكترونية,,,

–اختيار البرامج والمواقع الالكترونية المناسبة لأعمار الطفل المراهق.

– استخدام برامج الحماية الشخصية التي تتضمن برامج الحماية من الفيروسات التي يمكن من خلالها منع الدخول للمواقع غير المرغوب فيها ومنع المخربين من التسلل الى الجهاز ومنع وصول معلومات شخصية، التي يرى الوالدين انه غير آمن للطفل وغير مسموح وعلى الآباء تحديد الوقت المسموح بقضائه في استخدام الانترنت.

–تطبيق إجراءات مراقبة المحتوى وتطبيقه والتأكد من أن الموقع تستخدم حلولا تقنية مثل ضوابط شخصية الإبقاء على حركة الاستخدام.

– قراءة شروط وأحكام استخدام أبنائهم للوسائط قبل إليها ومناقشة احتياطات الأمان ووضع بعض القواعد الأساسية ومراقبة استخداماتهم لضمان مراعاة القواعد الموضوعة.

ب–ب الأساليب التنظيمية: وهيتشمل العناصر التي من شأنها توجيه سلوكيات واتجاهات الطفل المراهق، ونذكرها على سبيل المثال لا الحصر في:

- السماح باستخدام وسيلة معينة، الأقل ضررا والأكثر نفعا (الحاسوب)
- تحديد الوقت والمكان المخصص في استخدام الوسيلة، وتنظيم الوقت(الدراسة، اللعب، الجلوس والرفقة، الرياضة، الانترنت)
- منع الطفل المراهق من استخدام الوسيلة رفقة جماعة المراهقين وبشكل منفرد ومتأخر من الليل.
- توجيه وإرشاد الأطفال إلى عدم الإطالة في الجلوس أمام الحاسوب والبحث في المواقع الالكترونية.
- تعويد الطفل المراهق طلب المساعدة والمشورة دون تردد ودون تصحيحهم الخلل بأنفسهم.
- تهيئة الطفل تهيئة اجتماعية من خلال نقل ثقافة المجتمع وتبسيطها وتفسيرها إليه بعد أن تعمل على تنقيحها
- التهيئة الاجتماعية تعليم الطفل منهج حل المشكلات وإكسابه المهارات والوسائل الفنية لحل المشكلات بعدها.

ب–ج أساليب تواصلية: ويقصد بها الطرق المرتكزة على الحوار والاتصال الأسري، من خلال: المناقشات،طرح الأسئلة، أو حل المشكلات، الاكتشاف والاستقصاء، مساعدة الاطفال على توسيع مداركهم بالانفتاح على العالم الخارجي، إضافة إلى التعرف على حضارة وثقافة الشعوب، ويمكن حصر أهم هذه الأساليب في:

- تعويد الأطفال بالاعتماد على الذات والعمل على محاولة تصحيح الخطأ.
- إكساب الاطفال مهارات التعليم الذاتي
- تعزيز ثقة الاطفال بأنفسهم وحسن اختيارهم للمواقع والبرامج الحاسوبية.
- عدم الصراخ في وجه الاطفال عند تعثرهم في العامل مع البرامج والمواقع الالكترونية.

- تزويد الطفل المراهق بالمعلومات والمعارف والخبرات والمهارات الآزمة له وتعليمه كيفية توظيفها فيحياته العملية وكيفية استخدامها في حل مشكلاته وتنمية نفسه وشخصيته ومجتمعه.
- توجيه وإرشاد الأطفال إلى عدم الإطالة في الجلوس أمام الحاسوب والبحث في المواقع الالكترونية
- تعويد الأطفال طلب المساعدة والمشورة دون تردد ودون تصحيحهم الخلل بأنفسهم.
- تنبيه الاطفال إلى ضرورة عدم المزاح بالأيدي والأرجل والأقدام عند الجلوس أمام الحاسوب واستخدام شبكة الانترنت لأن ذلك يؤدي إلى إحداث أضرار في الأجهزة ويؤذي الأطفال.

خاتمة

إن التربية الرقمية باتت ضرورة وحتمية على الأسرة الحديثة، فلم يعد دور الوالدين مقتصرا على الدور الوظيفي الاجتماعي الكلاسيكي، وعلى مبادئ وأساليب عملية التنشئة الاجتماعية، بل تجاوزها وتكيف مع التغير التكنولوجي والاتصالي الناتج عن الثورات التكنولوجية والتقنيات الحديثة للاتصالات.

ومع الانتشار السريع والاستخدام المكثف للتكنولوجيا الرقمية من طرف جميع الأفراد، أصبح ضروريا وإلزاميا تكييف هذا الأخير رقميا تحت ما يسمى بالمواطنة الرقمية، يستخدم ويتأثر بهذه التكنولوجيا ويتفاعل مع خصائصها وخدماتها؛ ولأن المراهق هو أيضا طرف هام في عملية التلقي والاستخدامات، ولأن خصائصه العمرية والسيكولوجية تجعله الأكثر تأثيرا، فإنه من الواجب على الوالدين تكييفه وتلقينه المبادئ الأساسية والأساليب السليمة لاستخدام هذه التكنولوجيا، والعمل على بناء ذهنية رقمية مستوعبة لإيجابيات وسلبيات الاستخدام والتعرض، لتحقيق الفائدة من جهة وتفادي المخاطر من جهة أخرى.

بناء على كل ما سبق ذكره فإننا نستوصي بما يلي:

– غرس النشء والطفل المراهق بمبادئ التربية السليمة المبنية على قواعد الدين الإسلامي والعرف والأخلاق، التي تجعل ضميره واعي ومسؤول اتجاه نفسه، أهله وغيره، وتعلمه التخلي عن العزلة والأنانية واغتنام أوقات الفراغ فيما يرضي الله وما يفيده دينا ودنيا.

– يجب على الوالدين مواكبة كل التغيرات الاجتماعية والتكنولوجية التي تدخل على الأسرة فردا وجماعة،بوعيها وفهمها والقدرة على معرفة استخدامها، لإدراك ايجابياتها وفوائدها، وتعليم الطفل المراهق مباشرة، ويكونا مصدر الثقة والأمن المعلوماتي والأخلاقي للطفل المراهق.

– وجوبتطوير المهارات التقنية والتكنولوجية للآباء والأبناء على حد سواء، حتى لا تحدث فجوة رقمية بينهما، ولا تتصارع القيم بينهما باعتبار العمر الرقمي للأبناء يكون أكبر من والديهم.

– اتباع أساليب التنشئة الاجتماعية الصحيحة والسليمة المعتدلة، وغرس مبادئ الاحترام والتشاور بين أفراد الأسرة.

– تعزيز الحوار الأسري بين أفراد الأسرة، وتفعيل العملية الاتصالية الأسرية، وتقوية العلاقات الأسرية والاجتماعية وإعطائها الأولوية في الاحترام والعناية والاهتمام.

– تعليم واقناع النشء وأحيانا الوالدين، أن التكنولوجيات الرقمية وسائل لتسهيل الحياة، وليست فردا من أفراد الأسرة أو الجماعة الاجتماعية، وتفادي الإدمان في الاستخدام أو التعرض الذي ينتج آفات وظواهر اجتماعية غير حميدة.

قائمة المراجع:

قائمة المراجع بالعربية

1- الكتب:

- أكرم رضا: مراهقة بلا أزمة ترويض عاصف، دار التوزيع و النشر الإسلامية، ط1، 2000.
- بشرى حسين الحمداني: التربية الإعلامية ومحو الأمية الرقمية، دار وائل للنشر،ط1، الأردن، 2005
- سناء الخولي: الأسرة والحياة العائلية، دار النهضة العربية، بيروت، (د س)
- عبد المنعم الميلادي: المراهقة سن التمرد والبلوغ، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2008.
- فهد بن عبد الرحمن الشميمري: التربية الإعلامية:كيف نتعامل مع الإعلام، مكتبة الملك فهد الوطنية،ط6، الرياض، 2010.
- مختار محي الدين: محاضرات في علم النفس الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982،
- ولعويدات حورية: استخدام تكنولوجيا الاتصال الحديثة في المؤسسات الاقتصادية الجزائرية. جامعة منتوري قسنطينة، 2008.

2- المجلات:

- رشا محمود سامي احمد،" مدى إدراك أولياء الأمور لأدوارهم الرامية إلى تعزيز سلامة الأطفال على شبكة الانترنت ومدى ممارستهم لها، مجلة العلوم التربوية، العدد1، جانفي 2014.
- سحر أم الرتم، سامية عواج،" التربية الإعلامية والرقمية ضمن متطلبات التنشئة الاجتماعية"، مجلة 01 ، عدد 01 ص ص 89- 103.
- عبد الكريم الرحيوي،" التربية الرقمية وتأهيل التعليم"، مجلة علوم التربية، العدد 57، المغرب، 2013، ص 43.

3- مواقع الانترنت:

https://www.ammonnews.net/article/34854

- **حيدر شاكر برزانجي: محمد، وآخرون: تكنولوجيا وأنظمة المعلومات في المنظمات، 2013، books.google.co.ma**
- سليمان الطعاني، التربية الإعلاميَّة ضرورة، كليةنومينوساالجامعية التقنية، الأردن،
- القايد مصطفى: مفهوم المواطنة الرقمية: https://www.new.educ.com/definition-of-digital-citizenship.
- معهد حماية الأسرة من الإنترنت: الإشراف الأبوي في العصر الرقمي، ترجمة عباس سبتي، منشور عبر صفحة شبكة الألوكة https://www.alukah.net/translations/0/104936

قائمة المراجع بالأجنبية:

Levers :

- Ben smaiel Citein : La psychiatrie aujourd'hui, office de la publication universitaire, Alger, 1994, p186
- WilsonGery:Your brain on porn: Internet pornography. Andthe emerging science of addiction. Commonwealth Publishing, USA.2015

الهوامش:

[1]- سحر أم الرتم، سامية عواج: التربية الإعلامية والرقمية ضمن متطلبات التنشئة الاجتماعية، مجلة مجلد 01 ، عدد 01 ص ص 89- 103.

[2]- رشا محمود سامي احمد: مدى إدراك أولياء الأمور لأدوارهم الرامية إلى تعزيز سلامة الأطفال على شبكة الانترنت ومدى ممارستهم لها، مجلة العلوم التربوية، العدد1 جانفي 2014.

[3]- معهد حماية الأسرة من الإنترنت: الإشراف الأبوي في العصر الرقمي، ترجمة عباس سبتي، منشور عبر صفحة شبكة الألوكة https://www.alukah.net/translations/0/104936 ، تاريخ الزيارة: 2020/12/25.

[4]- سناء الخولي: الأسرة والحياة العائلية ، دار النهضة العربية، بيروت، ص 86.

[5]- أكرم رضا: مراهقة بلا أزمة ترويض عاصف، ط1، دار التوزيع و النشر الإسلامية، 2000، ص 36.

[6] -Ben smaielCitein, La psychiatrie aujourd'hui, office de la publication universitaire, Alger, 1994, p186.

[7]- مختار محي الدين، محاضرات في علم النفس الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص197.

[8] -WilsonGery:Your brain on porn: Internet pornography. Andthe emerging science of addiction. Commonwealth Publishing.2015, USA.

[9]- عبد المنعم الميلادي، المراهقة سن التمرد والبلوغ، د.ط، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2008، ص 112.

[10]- بولعويدات حورية: استخدام تكنولوجيا الاتصال الحديثة في المؤسسات الاقتصادية الجزائرية. جامعة منتوري قسنطينة.، 2008، ص42.

[11]- حيدر شاكر برزانجي: محمد، وآخرون: تكنولوجيا وأنظمة المعلومات في المنظمات، 2013،ص96، books.google.co.ma تم الولوج يوم 2020/01/03.

[12]- نفس المرجع، ص 120.

[13]- فهد بن عبد الرحمن الشميمري : التربية الإعلامية:كيف نتعامل مع الإعلام، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط6، الرياض، 2010، ص 20.

[14]- نفس المرجع، ص21.

[15]- بشرى حسين الحمداني: التربية الإعلامية ومحو الأمية الرقمية،ط1، دار وائل للنشر، الأردن، 2005، ص 94.

[16]- احمد جمال حسن: التربية الإعلامية ،مفكر ناقد، متلقي رشيد، منتج فعال، ط 6، دار المعرفة، المنيا، مصر، 2015، ص21.

[17]- سليمان الطعاني، التربية الإعلاميَّة ضرورة، كلية نومينوس الجامعية التقنية، الأردن،

https://www.ammonnews.net/article/34854 (تاريخ الولوج 2020/12/31)

[18] - عبد الكريم الرحيوي: التربية الرقمية وتأهيل التعليم، مجلة علوم التربية، العدد 57، المغرب، 2013، ص 43.

[19]- القايد مصطفى: مفهوم المواطنة الرقمية، تم الولوج ب 2020/12/31 https://www.new.educ.com/definition-of-digital-citizenship –.

[20]- عبد الكريم الرحيوي، مرجع سابق، ص37

صفحات تعليم اللغات الأجنبية عبر المواقع الافتراضية ودورها في رفع مستوى العلمي للمستخدمين:

دراسة وصفية ميدانية

Foreign language teaching pages through virtual sites and their role in raising the level of knowledge for users as a descriptive field study

الدكتورة فوزية عبو [1]، الدكتور بوحلوان عبد الغني[2]

[1] جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة (الجزائر)

[2] جامعة مصطفى اسطنبولي معسكر (الجزائر).

البريد الإلكترونيnarimaneabbou@gmail.com

رقم الهاتف0772050502

مُلخص البحث

تتمحور اشكالية هذه الورقة البحثية في محاولة رصد و معرفة الدور الذي تلعبه مواقع التواصل الاجتماعي باختلافها في نشر ثقافة تعلم واكتساب لغات اجنبية ، بحيث اصبحت هذه المواقع منصة يتم من خلالها فتح صفحات خاصة بتعليم اللغات الاجنبية لمختلف المستخدمين الذين لديهم ميول لحب اكتشاف والتعرف على الثقافات الاخرى بحيث اضحت هذه المنصات الوجهة الاولى لتعلم عبر من خلال المختصين و الاساتذة الذين يديرون هذه الصفحات خاصة موقع الفايس بوك باعتباره اكثر المواقع التي تحوز على نسبة اشتراك في العالم حسب اخر الارقام و الاحصائيات .بحيث اجرينا في هذه الورقة البحثية دراسة ميدانية على عينة من المستخدمين الذين يشتركون في صفحات تعلم اللغات الاجنبية و توصلنا الى مجموعة من النتائج الهامة

الكلمات المفتاح : مواقع التواصل الاجتماعي ، الفايس بوك، التعليم الإلكتروني

Summary:

The problem of this research paper revolves around trying to monitor and know the role played by social networking sites in their variation in spreading a culture of learning and acquiring foreign languages, so that these sites have become a platform through which pages for teaching foreign languages are opened to different users who have a tendency to love discovery and recognition. Other cultures. So that these platforms have become the first destination for learning through the specialists and professors who run these pages, especially Facebook, as it is the most popular site in the world according to the latest figures and statistics. So that in this research paper we conducted a field study on a sample From users who subscribe to foreign language learning pages and we have reached a set of important results.

Keywords: social networking sites, Facebook, e-learning

مقدمة: يتميز العصر الحالي بالمتغيرات السريعة والتطورات التكنولوجية وثورة المعلومات والانفجار المعرفي ،لذا اصبح من الضروري مواكبة العملية التربوية لهذه التغييرات لمواجهة المشكلات التي قد تنجم عنها مثل كثرة المعلومات وزيادة عدد الطلبة ، مما كان له اثر كبير في دفع العديد من المجتمعات الى ادخال تغييرات في مخططاتها وطرق تعليمها وتعلمها من اجل مسايرة هذا التقدم التكنولوجي التربوي .ولم يكن هذا التغيير التكنولوجي مؤثرا في جانب دون غيره من جوانب العلوم التربوية والتطبيقية بل تعاظم اثره ليشمل مضمونها ومحتواها وأهدافها ونظمها الفرعية الممثلة في الطالب والمعلم والمنهاج والمرافق التعليمية وغيرها ففي جانب المفاهيم ظهرت مفاهيم تربوية تعليمية جديدة ذات

طابع تكنولوجي مثل: التعليم الالكتروني والمبرمج والتعليم عن بعد والمفتوح والافتراضي والتعليم بوسائط الحاسوب والانترنت والتعلم الذكي وغير ذلك من المفاهيم الحديثة التي فرضت حملة من التغييرات على دور الطالب والمعلم و طبيعة المنهاج ومواصفات القاعات التدريبية والتعليمية والمكتبة وغير ذلك من عناصر العملية التعليمية وتسهيلاتها .[1]

بحيث تؤكد الأبحاث التربوية ان التعليم الالكتروني وسيلة من الوسائل التي تدعم العملية التعليمية نحو الابداع والتفاعل و تنمية المهارات ،من اجل تحسين جودة التعليم و زيادة امكانية الاتصال بين افراد المحيط التربوي والتعليمي مع تحفيز المجموعة التعليمية على المشاركة والتفاعل والحوار، وقد عمد الكثير من الاساتذة والمختصين في اللغات الاجنبية ابرزها اللغة الفرنسية والانجليزية الى فتح صفحات عبر مواقع التواصل الاجتماعي و تقديم دروس يومية لتعليمها للمبتدئين حيث تلقى هذه الصفحات اقبالا واسعا من قبل المستخدمين ابرزهم الطلبة و الاساتذة الذين تختلف اسباب لجوئهم الى هذه المواقع الالكترونية و تعلم لغة جديدة ،فمن هنا نطرح التساؤل التالي :

إلى أي مدى تسهم صفحات تعليم اللغات الاجنبية عبر مواقع التواصل الاجتماعي في رفع من المستوى العلمي للمستخدمين؟

تساؤلات الدراسة:

- ما هي عادات وأنماط استخدام مواقع التواصل الاجتماعي من قبل المستخدمين ؟
- ما هي استخدامات عينة البحث لصفحات تعلم اللغات الأجنبية ؟
- ما هي الممارسات الافتراضية التعليمية التي يتعرض لها المستخدمون ؟

أهمية الدراسة:

محاولة تقديم قراءة وصفية لاستخدامات المتعلمين للصفحات الموجودة في المواقع الافتراضية ودور هذه الأخيرة في تحسين مستواهم العلمي.

الإجراءات المنهجية للدراسة:

منهج الدراسة: يعد المنهج عبارة عن جملة من الخطوات المنظمة التي على الباحث إتباعها في إطار الالتزام بتطبيق قواعد معينة تمكنه من الوصول إلى الأهداف المسطرة. ويعرفه " محمد طلعت" « بأنه وسيلة يمكن عن طريقها الوصول إلى الحقيقة. ويتم اختيار المنهج المتبع في الدراسة بناءا على الهدف منها والإشكالية التي تم تحديدها ،وبما أن2 هذه الدراسة تسعى إلى معرفة الدور الذي تقوم به مواقع التواصل الاجتماعي في تعليم المستخدمين اللغات الاجنبية سواء أكانت فرنسية او انجليزية ،فإن المنهج الانسب الذي نستخدمه هو منهج المسح الوصفي .

أداة الدراسة و عينتها: قد تم الاعتماد في بحثنا هذا على الاستبيان عن طريق موقع الفيس بوك ، ،حيث يمكننا من تصميم الاستبيان و نشره على شبكة الفيس بوك ، و هذا نظرا لان عينة البحث كلها من مستخدمي شبكة الفي سبوك و يمكننا هذا التطبيق من استخراج النسب المئوية ، و الرسومات البيانية. نظرا لصعوبة القيام بدراسة شاملة لجميع مفردات البحث ، قمنا باختيار أسلوب العينة ، و نظرا لاقتصار عينتنا على مستخدمي الفيس بوك ، تم الاعتماد على العينة العشوائية، و تتكون عينة بحثنا هذا من 100 مفردة من مستخدمي شبكة الفي سبوك تم توزيع الاستبيان عليهم الكترونيا.

المدخل المفاهيمي للدراسة:

مواقع التواصل الاجتماعي: يشير مصطلح التواصل الاجتماعي الى عملية التواصل مع عدد من الناس عن طريق مواقع وخدمات الكترونية توفر سرعة توصيل المعلومات على نطاق واصع ،في حين يشير مصطلح اجتماعي الى احدى الحاجات الاساسية التي تقوم عليها طبيعة الحياة البشرية والتي لا يمكن ان يستغنى عنها الناس في بناء حياتهم، اذن تعد فكرة التواصل هي القاعدة التي تقوم عليها مواقع التواصل الاجتماعي على اعتبارها انظمة مترابطة تتضمن مجموعة من القيم والآراء والأفكار المشتركة ،فهي مواقع لا تعطيك معلومات فقط بل تتزامن وتتفاعل معك اثناء امتدادك بتلك المعلومات عمن هم في نطاق شبكتك وبذلك تكون اسلوب لتبادل المعلومات بشكل فوري عن طريق شبكة الانترنت ،حيث غيرت شبكة التواصل الاجتماعي عبر وسائل الاتصال بين المستخدمين من انماط السلوكات الخاصة واستطاعت ان تؤسس لنظام اكثر قدرة على تنمية مشاركة المستخدم وبلوغ اعلى درجة من التحكم والفاعلية في الاتصال، وهو ما اتضح بشكل ظاهر جدا في وسائل التواصل الاجتماعي ،وبالتالي فإن اهم ما يميز الوسائل الاعلامية الجديدة مستفيدة من تكنولوجيات الاتصال المستحدثة هو تحقيق اكبر قدر من التفاعلية مع عناصر العملية الاتصالية و تأثيره فيها ، ويمكن قياس اثر ومكانة شبكات التواصل الاجتماعي بالمدة التي يقضيها المستخدم في تصفح الشبكات الاجتماعية وبنوعية المعلومات المتصفحة ونشرها وتبادلها ثم بنوع الوظيفة التي يستخدم من اجلها الموقع التواصلي .[3]

التويتر(Twitter) : هو أحد مواقع الشبكات الاجتماعية، وهو يسمح لمستخدميه بنشر رسائل قصيرة التي يمكن لمستخدمي التويتر الآخرين رؤيتها، وتُعرف هذه الرسائل بالتغريدات(tweets) ، ويمكن لهذه الرسائل أن تشمل حوالي 140 حرف، أو أقل، وتأسس موقع تويتر عام 2006، وكان عدد المشتركين بين مستخدمي تويتر اعتباراً من عام 2008 من 4 إلى 5 ملايين مستخدماً، وكان ثالث أكثر مواقع الشبكات الاجتماعية انتشاراً بعد موقعي فيس بوك (Facebook) ، وماي سبيس(MySpace) ، وقد استخدم مستخدمي التويتر التطبيق في التواصل الأساسي بين الأصدقاء والعائلة، أو كطريقة للتعريف بحدث معين، أو كأداة علاقات العملاء للشركات من أجل التواصل مع المستهلكين. تاريخ التويتر تم إنشاء تويتر باستخدام "روبي أون ريلز(Ruby on Rails) "، وهو إطار عمل متخصص في تطبيقات الويب خاص بلغة برمجةRuby ، حيث تسمح واجهته بالتكيف والتكامل المفتوح مع الخدمات الأخرى عبر الإنترنت، وتم تصميم الخدمة عام 2006 على يد إيفان وليامز، وبز ستون، وعمل كل منهما في جوجل قبل مغادرتهم لإنشاء مشروع أوديو(Odeo) ، فبدأ ويليامز بتجربة أحد المشاريع الجانبية في أوديو، وهي خدمة الرسائل القصيرة(SMS) ، والتي كانت تُسمى بتوتر(Twttr) ، فقام وليامز بشراء أوديو عند رؤيته إن هناك مستقبلاً مبهراً لهذه الخدمة، وأنشأ شركة Obvious) (Corp، ثم انضم المهندس جاك دورسي إلى فريق الإدارة، وبدأت النسخة الكاملة من تويتر في الجنوب من خلال مؤتمر الموسيقى الجنوبية الغربية في أوستن في تكساس، في آذار عام 2007، وتم إنشاء تويتر في الشهر التالي ككيان مؤسسي، وذلك بفضل رأس المال الاستثماري.كان تويتر في البداية عبارة عن رسالة نصية مجانية لغرض التواصل الاجتماعي، لذا كان يفتقر إلى عنصر تدفق الإيرادات الذي يمكن للمرء العثور عليه في المواقع التي تستمد الدخل من إعلانات البانر، أو رسوم العضوية، ومع زيادة عدد الزوار الفريدين الذي وصل لحوالي 1،300 بالمائة في عام 2009، توجهت الأنظار إليه، وفي نيسان عام 2010 ، كشفت تويتر النقاب عن "التغريدات المروجة"، وهي الإعلانات التي ستظهر في نتائج البحث، كمصدر مقصود ورئيسي لإيراداتها.[4]

الانستغرام : يعدّ الإنستغرام إحد شبكات التواصل الاجتماعي، أطلق في أكتوبر عام 2010 ويُستخدم لالتقاط الصور الفوتوغرافية والفيديو، وتعديلها، ثمّ مشاركتها، كما أنّه يعتبر من تطبيقات التواصل الاجتماعيّ؛ حيث إنّه مخصّص لمشاركة الصور ومقاطع الفيديو من الهواتف الذكية كغيره من مواقع التواصل، وعندما يُنشئ الشخص حساباً عليه فإنّه يظهر له الملف الشخصيّ الخاص به، كما سيتمكّن من نشر صورة أو مقطع فيديو، ثمّ يتمّ عرضها على ذلك الملف، ويستطيع المتابعون لهذا الشخص رؤية المنشور، وكذلك سيرى الشخص مشاركات الأخرين الذين يتابعهم، ومن الجدير بالذّكر أنّه يمكن التفاعل مع مستخدمي الإنستغرام عن طريق متابعتهم، والتعليق لهم، والإعجاب بمشاركاتهم، ويوجد أيضاً ميزة الرسائل الخاصة، وحفظ الصور الموجودة عليه.5

التعليم الالكتروني: يجدر الاشارة الى أن مصطلح التعليم الالكتروني يأتي بأشكال مختلفة في اللغة الانجليزية، حيث يعرف ب –e learning, Elarning/ electronic learning ومهما كان شكل كتابة المصطلح فان مفهوم التعليم الالكتروني في جوهره وأبعاده ومضامينه يعني عملية تحويل التعليم التقليدي الى شكل رقمي للاستخدام عن بعد[6].

مدخل الى التعليم الالكتروني :

ما نشهده اليوم من تحولات على المستوى التعليم والتقني غير من ملامح المجتمعات وطرق وأساليب تعليمها خاصة ونحن في فترة الاستخدام اللا متناهي لخدمات الانترنيت التي شكلت لنا واقع مفرطا جديد على حد تعبير جون بودريار حيث مست هذه العناصر التقنية أساليب التعليم في المجتمعات لينتج لنا مخرجات لنسق تعليمي مغاير تماما للتعليم التقليدي، ونقصد هنا ما يعرف بالتعليم الالكتروني الذي يعد " شكلا من أشكال التعليم عن بعد، فيمكن تعريفه بأنه طريقة للتعليم باستخدام آليات الاتصال الحديثة كالحاسب والشبكات والوسائط المتعددة وبوابات الانترنيت من اجل إيصال المعلومات للمتعلمين بأسرع وقت وأقل تكلفة وبصورة تمكن من إدارة العملية التعليمية"[7]، يختصر هذا التعريف فكرة نمو المعرفة العلمية وغيرها من المعارف التي كلما اقترنت باستخدام الفرد للوسائط الالكترونية.

كما ينظر الى التعليم الالكتروني من جانب استعمال الوسائل التكنولوجية فهو يعبر عن "الثورة الحديثة في أساليب وتقنيات التعليم والتي تسخر أحدث ما توصلت إليه التقنية من أجهزة وبرامج في عمليات التعليم بدأ من استخدام وساءل العرض الالكترونية واستخدام الوسائط المتعددة في عمليات التعليم الفصلي والتعلم الذاتي، وانتهاء ببناء المدارس الذكية والفصول الافتراضية التي تتيح للطلاب الحضور والتفاعل مع المحاضرات والندوات التي تقام في أماكن أخرى"[8].

استخدام المتعلم للوسائط الافتراضية يسمح له بتطوير وتنمية معارفه العلمية وتعزيز قدراته على التعامل مع المعلومة الكترونيا حيث يتجسد ذلك في نوعين، الأول يسمى بالتعليم الالكتروني المباشر أو المتزامن وفي هذا المستوى من الضروري أن يتواجد المعلم والمتعلم في الوقت نفسه ويتواصلان مباشرة، أما النوع الثاني فهو التعليم الالكتروني غير المتزامن حيث ليس من الضروري أن يتواجد المعلم والمتعلم في نفس الوقت أو نفس المكان ويحصل المتعلم على دروس مكثفة أو حصص وفق برنامج منظم وينتقى فيه الأماكن والأوقات التي تتناسب وظروف المتعلم.

التعليم الالكتروني مرحلة مهمة يجب أن يمر بها كل مجتمع يطمح لتطوير المعارف العلمية للمتعلمين لما له من أهمية منها ما يتعلق بتخفيض التكاليف لتحقيق التعلم كما أنه متاح لجميع الأفراد والفئات العمرية المختلفة بالاضافة الى المرونة التي يتميز بها حيث يستطيع

الفرد التعلم في أي وقت شاء وبالتالي توسيع فرص القبول في مجال التعليم وملائمة ظروف التعلم أكثر، ومع كل هذه المميزات فهو يوفر على تعليم منظم يهدف الى تطوير المعارف.[9]

الفايسبوك و اليوتيوب: الطّريق الصّحيح للتّعليم والتعلُّم عن بعد:

أ.دور الفايسبوك في تعزيز التعليم عن بعد:

لقد غيّر الفايسبوك قواعد الاتّصال في مُؤسّسات التّعليم العالي، و أصبح طُلاّب الجامعات يُشكّلون الكُتلة الديّمغرافية الأكثر استخداماً لمواقع التّواصُل الاجتماعي و على رأسها الفايسبوك، و ذلك نظراً للخصائص العديدة التي يتّسم بها، سواءً من الجانب التّواصُلي الاجتماعي، أو في المجال العلمي المعرفي.

لا ريب أنّ الخصائص المذكورة سابقاً، دفعت المتعلمين إلى استخدام الشّبكة الاجتماعية "فايس بوكFacebook"، لتُساهم بشكل أو بآخر في الحقل المعرفي لدى المتعلم، وهو ما تُؤكّده الإحصائيات الأخيرة، حيث بلغ عدد مُستخدمين موقع الفايسبوك Facebook 1.3مليار مُستخدم، و680 مليون مُستخدم على الهاتف النقّال في سنة 2014 [10].وهو الشّيء الذي يُؤكّد ضرورة استغلال موقع الفايسبوك في الدّور التّعليمي على النّحو التّالي:

- ✓ إنشاء الأُستاذ أو الطّالب مجموعة أو صفحة لمادّة أو لموضوع تعليمي، و دعوة الطُلاّب للمُشاركة فيه.
- ✓ نشر الصُّور و مقاطع الفيديو التّعليمية المناسبة للمادّة و تبادُلها بين الطّلبة، و المناقشة حولها.
- ✓ مُراجعة الكُتب و الأبحاث بشكل تعاوني.
- ✓ استطلاع الرّأي على الفايسبوك، و التي يستخدمُها الأُستاذ كأداة تعليمية فعّالة لزيادة التّواصُل بين الطّلبة.
- ✓ تعلُّم اللُّغات الأجنبية، بحيث يُتيح الفايسبوك الحوار مع مُختلف الأشخاص عبر العالم.
- ✓ تصميم و عرض تطبيقات جديدة تخدُم المادّة التّعليمية، والاستفادة منها.
- ✓ خلق تعليم تشارُكي عبر الفايسبوك من خلال مُطالبة بنشر مواضيع للحوار و النّقاش.

إنّ هذه الخصائص و الاستخدامات ليست إلاّ وصفاً للبيئة الإلكترونية و استغلالها كبيئة تعليمية، ورغم ما تُوفّره من مزايا، لا يستطيع التّعليم التّقليدي توفيرها. إلاّ أنّ أطراف العملية التّعليمية قد يُواجهون جُملة من العوائق ومنها:

- التأخُّر في ظُهور الرُّدود في بعض الأحيان، و كذلك انقطاع الشّبكة في أحيان أُخرى.
- الحُريّة المطلقة، و التي تُؤدّي إلى الانزعاج من رسائل لأشخاص مجهولين.
- تلقّي الفيروسات و الأكواد الخبيثة، و التي تُؤدّي إلى غلق الحساب أو سرقة المعلومات... الخ.

ب.دور اليوتيوب في تعزيز التعليم عن بعد:

لقد أصبح اليوتيوب بمُميّزاته الجمّة، منفذاً إعلاميا للكثير من الطّلبة و الأساتذة، باعتباره الوسيلة الإعلامية التي تُتيح لأيّ كان الظُّهور، وتمنحُ الفُرصة للوصول إلى الملايين، من خلال خدماتها التّعليمية و مُحتوياتها، التي يُضفيها أو يستفيد منها المتعلّمون عبر العالم[11] ومن هذا الباب نذكُر بعض استخدامات اليوتيوب في التّعليم، و هي:

- إمكانية تضمين فيديو يوتيوب في العُروض التّقديمية الخاصّة ببرنامج باوربوينت."Powerpoint"

- توفير بعض مزايا التّرجمة، حيث يُمكن ترجمة مقاطع الفيديو التي تحتوي على عناوين Captions إلى العديد من اللُّغات و من بينها العربية.

- يُمكن تضمين الفيديو في كافة مواقع التّواصُل الاجتماعي التي تتّبع تقنية الويب0، مثل الفايسبوك"Facebook"، المنتديات التّعليمية، أنظمة إدارة التعلُّم LMS للاستفادة منها تعليمياً من خلال رابط"Embed" ، الذي يُوجد في كُلّ مقطع فيديو.

- تخصيص قنوات Channels وفق السّمات الخاصّة وحسب الحاجة.

- يسمح اليوتيوب في نقل المحاضرات و المؤتمرات.

- كُلّ مُتعلم يُنشئ له قناة يُعرض فيه ما أنتجه أو أعجبه من المقاطع المتّصلة بالمادّة.

إنّ العدد الكبير لمستخدمي اليوتيوب لسنة 2014، و الذي بلغ حوالي 900 مليون زائر كُلّ شهر، و4.2 مليار مُشاهد يومياً، حسب إحصائيات موقع"StaticBrain" ، لا يدُلّ بالضّرورة على أنّ كُلّها استخدامات تعليمية، فهُناك بعض المخاوف من استخدام اليوتيوب في العملية التّعليمية، وذلك بسبب ملفّات فيديو على اليوتيوب، و التي قد تكون غير مُناسبة من النّاحية التّربوية أو الأخلاقية أو الدّينية.

وفي هذا الصّدد، بيّنت جريدة الأنباء الكويتية في استطلاع رأي قامت به في 30-09-2013 مع بعض المختصّين حول أخطار مواقع التّواصُل الاجتماعي، أنّها تُؤثّر بأفكار و قيم غير أفكار المجتمع و تعاليم الدّين ،و لكنّ هذه السّلبيات لن تُؤثّر بشكل كبير إذا كان الاستخدام مُوجّهاً على نحو إيجابي، و بشكل عقلاني، مع المتابعة و التأطير من طرف الأساتذة. باعتبار اليوتيوب أحد أهمّ وسائل الاتّصال و التّواصُل بالملفّات المصوّرة بالفيديو بين فئات المجتمع، فإنّ التّفكير في توظيف هذه الوسيلة في التّعليم أصبح مطلباً بحثياً حقيقيا.[12]

الجانب التطبيقي للدراسة :

توصلت نتائج الدراسة الى ان :

- عدد المبحوثين المتمثلين في الاناث بلغت 54 مفردة بنسبة 54 % في حين بلغ عدد الذكور 46 مفردة بنسبة 46%.

- توصلت نتائج الدراسة الى ان عدد المبحوثين الذين بلغ سنهم من 22/18 الى 23% في حين نجد من 27/23 بلغت 30% تلتها من سن 32/28 بلغت 23 % واخر فئة تمثلت في سن من 33 فما فوق وصلت 24 %.

- بالنسبة للمستوى العلمي لعينة الدراسة فقد بلغت اعلى نسبة 42% تمثلت في الحاملين لشهادة الماستر تلتها نسبة 40 % تمثلت في شهادة الليسانس في حين بلغت نسبة 12 % متمثلة في الحاملين للدكتوراه.

- بالنسبة لمعيار الاقامة نجد ان 68% من المبحوثين يقيمون في مناطق حضرية ،تلتها نسبة 26 % يقيمون في مناطق شبه حضرية في حين جاءت اقل نسبة 6 % متمثلة في المقيمون في الارياف.

- بالنسبة لاستخدامات الفايس بوك فإن كل المبحوثين يملكون حساب عبر الفايس بوك بنسبة 100 %.

- بالنسبة لمدة الاستخدام فإن 87 % من المبحوثين يستخدمونه اكثر من 3 سنوات تلتها نسبة 7 % يستخدمونه منذ سنتين ، في حين لايوجد من المبحوثين الذن يستخدمونه اقل من سنة و ثلاث سنوات.

❖ **بالنسبة لسؤال من اسباب ودوافع استخدام الفايس بوك فقد اجاب المبحوثين ان :**

– التواصل ،التعارف / التعليم / توسيع دائرة معارفي / العمل ،بالاضافة الى استخدم الفيسبوك في عدة مجالات نذكر منها على سبيل الحصر – :التواصل، التعلم(يوجد تطبيقات مثل تعلم اللغات الاجنبية)، الترويح عن النفس(الترفيه)، اكتساب ثقافات جديدة من اجل مواكبة العصر مثل الموضة، بالاضافة الى القيام بالتسوق من خلاله والمنتوجات تصلني حتى باب البيت مثلا مؤخرا قمت بشراء بعض الكتب.

– بالنسبة لسؤال هل لديكم حساب عبر التويتر فقد اجاب 67 % من المبحوثين انهم يملكون حساب في حين لايملكه 33 % مبحوث.

– بالنسبة لسؤال منذ متى تستخدم موقع التويتر فقد اجاب 47.7 % يستخدمونه اكثر من 3 سنوات في حين ان 36.3 % يستخدمونه منذ سنة الا ان 9.1 % يستخدمونه منذ سنيتين في حين كانت ادنى نسبة 6.8 % يستخدمونه من ثلاث سنوات.

❖ **بالنسبة لسؤال اسباب ودوافع استخدام التويتر فإن الاجابات تمثلت في :**

– التواصل والاطلاع على مستجدات السوشل ميديا / متابعة مشاهير العالم / العمل ومحاولة تعلم اللغة الإنجليزية.

– متابعة اخبار سياسية و متابعة مشاهير و الاطلاع على المستجدات الحاصلة في مختلف المجالات بالاضافة الى تقديم اراء واتجاهات.

– بالنسبة لسؤال هل تملك حساب على الانستغرام فإن حوالي 63 % لديهم حساب و 37 % لا يملكون حساب .

– بالنسبة لسؤال مدة امتلاك حساب على الانسغرام فإن 43.1 % يستخدمون الانستغرام اكثر من 3 سنوات في حين 23.1 يستخدمونه منذ سنة تلتها نسبة 21.5 يستخدمونه منذ سنتين اما نسبة 12.3 % يستخدمونه منذ 3 سنوات.

❖ **بالنسبة لأسباب ودوافع استخدام الانستغرام فقد تمثلت في :**

– التواصل و متابعة المشاهير و الاطلاع على اخبارهم اليومية والنشر يومياتي و التفاعل مع اكبر عدد ممكن من المتابعين بالاضافة الى تعلم لغات اجنبية و تصفح الصفحات الخاصة بالمشاهير والفنانين سواء عالم السنما او الموسيقى او الرياضة و الموضى وغيرها و الاطلاع على كل ما هو جديد بالاضافة الى التعرف على ثقافات جديدة حيث اجاب الكثير من المبحوثين انهم ينضرون صورهم بكل اريحية نتيجة لميزة التي يتمتع بها الموقع وهي عدم المقدرة على اخذ الصور الغير .

– بالنسبة لسؤال اوقت استخدام هذه المواقع فقد اجاب 59% من المبحوثين انهم يستخدمونه في السهرة في حين اجاب 29 % يستخدمونه في فترة المساء تلتها نسبة 6 % في فترة الصبيحة في حين انعدمت النسبة في استخدامه اثناء الظهيرة .

– بالنسبة للاوقات التي يقضيها افراد العينة في استخدام هذه المواقع فإن 46 % من المبحوثين يستخدمونها اكثر من 3 ساعات في اليوم تلتها نسبة 26 % مدة ساعتين ، تليها نسبة 14 % تمثلت في ساعة و ثلاث ساعات استخدام.

– بالنسبة لسؤال انواع الصفحات التي تتصفحها فإن 29 % هي صفحات ثقافية تليها 21 % تعليمية تليها 16 % صفحات اجتماعية تليها 9 % سياسية تليها 8 % فنية في حين انعدمت النسب حول الصفحات الاقتصادية والدينية.

❖ **بخصوص ما هي الصفحات التي تتصفحها بكثرة نجد :**

– صفحه أكبر تجمع للاساتذة الجزائريين ،سياسية / اجتماعية / فنية / اقتصادية / ديثنية / ثقافية / رياضية ...الخ ،ثقف نفسك ،الجزائري يقرأ ،اخبار الفنانين ،تعلم الانجليزية يوميا ،صدى الجزائر ،الجزائر و ما ادراك ما الجزائر ،كل صفحات السياسية جزائرية و

دولية ،موضة ،اقرا ،فلسفة الشوارع ،الاخبار اليومية ،وكالات الانباء.. صفحات التلفزيون.. صفحات ولايات.. ،صفحة العلاقات العامةRelation puplic ،الصفحات الخاصة بالقنوات الخاصة ،متابعة الحصص الاجتماعية بكثرة كتحريات ،خط احمر... ،مشاهير ،بسيكولوجيا ،الهداف الدولي ،كل يوم معلومة، 1 2 3 viva l'Algérie ،طبخ.مكياج. ،كل ماهو مختص بالاوضاع الاجتماعية والسياسية والدينية والرياضية ،اخبار غليزان، + Aj ،صفحة تعلم اللغة الانجليزية، صفحة حول التنمية وتطوير الذات، market place ،تعلم الانجليزية ،صفحات المؤسسات و الهيئات المهتمة بالفن و الثقافة ،اقرأ بتلعربية و الفرنسية.و ايضا صفحات ثقافية.المسرح ،صفحة Article ثقافية تعليمية تخص طلبة الدكتوراه ،Dziar tube ،شوت ،Dz reporters ، Femme algeriene ،صفحة النهارtv ،فن ومجتمع ، مختلف صفحات من دينية تعليمية ثقافية اجتماعية ،حفريات، صفحة جاسم المطوع، صفحة عمر عبد الكافي، صفحة الجوائز الأدبية، مؤمنون بلا حدود، شبكة ضياء للملتقيات والمؤتمرات، صفحة Art ، هل تعلم. مركز دراسات الوحدة العربية، محاربة الجريمة ،توظيف ،مسابقات ، تعلم اللغة الاجنبية ،قارءة الفنجان ،صفحة تعلم اللغة الانجليزية ،ميم، لوحات فنية عالمية، محمود درويش، .. بالإضافة إلى بعض الصفحات الخاصة بميادين الفكر والعلوم الإنسانية والاجتماعية. غرفة التحقيق .

- بالنسبة لسؤال هل انت مهتم بتعلم اللغات الاجنبية فقد اجاب 93 % انهم مهتمون في حين ان 7 % غير مهتمون.
- بالنسبة لسؤال هل تتبع صفحات تعلم اللغات الاجنبية عبر مواقع التواصل الاجتماعية فقد اجاب 80 % انهم متتبعون في حين نجد 20 % لا يتتبعون هذه الصفحات.
- بالنسبة لسؤال اكثر اللغات تتابعها بشغف فقد اجاب 67 % مهتمون باللغة الانجليزية في حين نجد 33 % يهتمون باللغة الفرنسية .
- بالنسبة لسؤال هل اختيارك للغة أجنبية لتتعلمها عبر صفحات الافتراضية له علاقة بطبيعة تخصصك الجامعي ؟ فقد اجاب 56 % ب لا في حين اجاب 44 % بنعم.
- بالنسبة لسؤال تعلم لغات أجنبية قصد تحسين مستواك الدراسي فضول فقط فقد اجاب 65 % بنعم و نسبة 35 % ب لا .
- بالنسبة لسؤال كيف ترى مستوى صفحات تعلم اللغات الأجنبية؟ فقد اجاب 56 % بانها صفحات تعليم متوسطة في حين جاءت نسبة 34 % متمثلة في انها جيدة، تلتها ادنى نسبة 10 % تمثلت في انها صفحات ضعيفة.
- بالنسبة لسؤال هل ترى بأن مستواك في استعمال لغة أجنبية تحسن من خلال صفحات تعليم اللغات الأجنبية على مواقع التواصل الاجتماعي؟ فقد اجاب 53 % انها ب نوعا ما تلتها نسبة 27 % تمثلت في نعم ونسبة 20 % اجابوا ب لا اظن.

❖ **استنتاجات عامة :**

1.مسألة استخدام الميديا الاجتماعية بأنواعها ملاحظة جدا من طرف الباحثين في الحقل الإعلامي وذلك لما يعكسه اليومي المعاش.

2.نجد أن الفئة الأكثر استخداما وولوجا لصفحات تعلم اللغات الأجنبية من مستوى الماستر حيث يحتاجون في هذه المرحلة الإلمام بكل أنواع المعلومات حول مذكرة تخرجهم المكتوبة بلغات أجنبية وكذا تعلم أساسيات هذه اللغات.

3.يتابع مستخدمي العينة صفحات لتعلم اللغات الأجنبية بشكل مستمر ودوري خاصة ما تعلق بتعلم اللغة الانجليزية.

4.طبيعة اختيار المستخدم لتعلم اللغة الأجنبية يكون حسب تخصصه الجامعي ونوع الكتابات المتوفرة حوله حيث تهدف هذه العملية إلى تطوير معارف المستخدم.

5.ما نعيشه اليوم من تحولات تقنية أدت الى ضرورة تغير إلي في ملامح التكوينات التعليمية لدى الفاعلين في المنظومة التربوية حيث تم الانتقال من التعليم التقليدي الى التعليم الالكتروني.

خاتمة :

إنّ الاعتماد على مواقع التّواصُل الاجتماعي لها دور كبير وفعّال أثّرت في طُرق ممارسة العملية التّعليمية عن بعد، وغيّرت في ديناميكية عملها، لما تُقدّمه من أدوات خلقت ردهة علمية يتعاون ويُشارك فيها أطرافها على التبادل والحوار العلمي، وتُعتبر أدوات التّواصُل الاجتماعي التحدّي الذي على دول العالم العربي استغلاله للارتقاء بمُستوى أفضل للتعليم عن بعد وتماشياً مع موجة التطوُّرات، والتحاقاً بالرّكب الحضاري للدُّول المتقدّمة، فهذه التّفاعُلات الجديدة التي تخلقُها هذه المواقع، خاصة الفايسبوك Facebook واليوتيوبYouTube ، أصبحت ضرورة حتمية لا مفرّ منها، ويقول فيليب كيو أنّه "علينا أن نتقبّل العلاقة الجديدة التي تربطُنا بالعالم الجديد الذي يستقبلُنا... إنّها طريقة بيداغوجية للتعوُّد على تغيير النّظام والرُّؤية والفهم.[13] وبالتالي اضحت الشبكات الاجتماعية جزءاً من الروتين الدراسي، كما هي جزءٌ من حياة الناس اليومية. .

قائمة الهوامش:

[1] احمد الزبون: درجة توافر متطلبات تطبيق التعليم الالكتروني في الاردن من جهة نظر عينه من معلمي التربية الاسلامية في محافظتي جرش وعجلون، الاردن، مجلة العلوم التربوية ،2016، ص 513.

[2] محمد عبيدات و آخرون ، **منهجية البحث العلمي** ، ط1 ، دار وائل ، عمان ،1997،ص 321.

[3] بن شرقي عبد الله واخرون: واقع الجريمة الالكترونية بين مبادئ الحرية وضوابط المسؤولية، منشورات مخبر الدراسات النفسية والاجتماعية والانثربولوجية ، جامعة غليزان ، جويلية 2019، ص 301.

[4]https://mawdoo3.com/%D9%85%D8%A7_%D9%87%D9%88_%D8%AA%D9%88%D9%8A%D8%AA%D8%B1#cite_note-CGCEwFFuCq-1 2020/02/11 ساعة 20:59

[5]: https://mawdoo3.com/%D9%85%D8%A7_%D9%87%D9%88_%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%AA%D8%BA%D8%B1%D8%A7%D9%85 يوم 13 فيفري 2020 ساعة 18:13

[6] شريف غياط وعبد المالك مهري، التعليم الالكتورني في الجزائر: صعوبات وعقبات، المجلة الدولية للدراسات الاقتصادية، مجلد 2، عدد 7، أوت 2019، ص 85.

[7] كباهم خميسة ونادية طيابية، التعليم الالكتروني وتقنياته التكنولوجية المعاصرة، مجلة البيداعوجيا، مجلد 1، عدد 1، جانفي 2019، ص 62

[8] الماسة بنت مساعد، التعليم الالكتروني توظيفه و استخداماته و سواته و تطبيقاته و معوقاته، المجلة الالكتورنية الشاملة، عدد 10، 2019، ص 07.

[9] بتصرف.

[10] سامية عواج، تبري سامية: دور مواقع التواصل الاجتماعي في دعم التعليم عن بعد لدى الطلبة الجامعيون، ورقة بحثية مقدمة في المؤتمر الدولي الحادي عشر لمركز جيل البحث العلمي حول التعلم بعصر التكنولوجية الرقمية ، لبنان ، ايان 22.23.24 افريل 2016.

[11] سامية عواج، تبري سامية: دور مواقع التواصل الاجتماعي في دعم التعليم عن بعد لدى الطلبة الجامعيون، مرجع سبق ذكره.

[12] نفس المرجع السابق.

[13] حسينة قيدوم: الأبعاد النفسية و الاجتماعية للعالم الافتراضي، المجلّة العربية للعُلوم و المعلومات، ع7، ص 14.

مسألة الضبط الاجتماعي للأسرة من خلال استخدامات شبكات الاتصال الرقمي

د. بَعلي محـــــمد
أستاذ بشعبة علوم الإعلام و الاتصـال
جامعـــــــــــة عبد الحـميد بن باديس
مستغـانـــــــــــم – الجزائـــــر

د. بن دنيا فطيمة
أستاذ مشارك بقسم العلاقات العامة
جـــــــــــامعة الملك عبد العزيز
جدة– المملكة العربية السعودية

baali_isic@yahoo.fr
00966545303220

مقدمة :

إن مسألة الضبط الاجتماعي اليوم من أهم المسائل السوسيولوجية التي شغلت بال الباحثين والأكاديميين بالدراسة والتحليل لمختلف مقاربتها المرتسمة في تمثلات الأفراد اليومية ، وهذا اعتباراً لما أصبح يعيشه الفرد من تأثير تقنيات الاتصال الحديثة على مختلف مناحي حياته الاجتماعية والاقتصادية. وبتغير الرؤية الحقيقية لمنظومة قيمه و التي تعتبر من أهم ثوابت بناء الأمة. فمن المؤكد أن تكنولوجيا الإعلام والاتصال و نتاجها المتنوع أضحت جزء حساس في تصورات الإدراك العقلي لمستخدميها في الأسرة، بحيث نتج عنها جملة من التساؤلات في تشخيص بعض الصور لإيجاد سبل التكيف والتصدي لها .مادام أنها لا تصطدم بأي عائق سياسي أو جغرافي، فهي تجتاز الحدود و تقطع القارات والمحيطات في لحظة و من دون عقبة .

فالمقاربة الأكاديمية اليوم أصبحت من بين أهم الطرائق و الأبواب المعرفية في الإدراك العقلي لهذه المتغيرات وما جرته من خروقات للمفاهيم و الأفكار ، التي نتج عنها جملة من الافتراضات يتحتم علينا كباحثين تفسيرها. ذلك من خلال فهم جدلية الأسرة و تكنولوجيا المعلومات ، لأجل مستقبل الهوية . وحول كيفية الحفاظ على المكسب الايجابي لهذه التكنولوجيا لنصل إلى الغاية من التعامل بها و استخدامها على مختلف أفراد أسرنا. و عليه ما دور الأسرة في ضبط متغيرات القيم الحاصلة من خلال الممارسة للفضاء الافتراضي الرقمي ؟

الكلمات المفتاحية : الأسرة ، القيم ، المتغيرات ، المستخدم ، الافتراضي.

Introduction :

The issue of social control today is one of the most important sociological issues that concerned researchers and academics with the study and analysis of its various approaches in the daily representations of individuals, and this is in view of the impact of modern communication techniques on various aspects of his social and economic life. By changing the true vision of its value system, which is one of the most important principles of nation-building. It is certain that Information and Communication Technology

and its diverse product has become a sensitive part in the perceptions of the mental awareness of its users in the family, so that it resulted in a number of questions in the diagnosis of some images to find ways of adapting and to respond to them as long as they do not encounter any political or geographical barrier, they cross the borders and cut off continents and oceans in an instant and without obstacle

Today's academic approach has become among the most important methods and cognitive sections in the mental awareness of these variables and the resulted breaches of concepts and ideas, which ledto a number of assumptions that we, as researchers, must interpret. This is through understanding the dialectic of family and information technology, for the future of identity. And about how to maintain the positive benefit of this technology to reach the goal of dealing with it and using it on different family members. So what is the role of the family in controlling the variables of values that occur through the practice of digital virtual space?

Keywords: family, values, variables, user, default.

1- الاتصال الرقمي و مسألة الجمهور:

يجدر بنا الإشارة في المستهل إلى وجود لبس و غموض لدى المهتمين بالاتصال، إذ أن الكثير منهم لا يتفقون على معنى محدد و مضمون واضح لهذا المفهوم، و ذلك عند تساؤلهم عن الفرق بين الإعلام و الاتصالinformation et communication فلتوضيح الارتباك نقول أن الاتصال هو نقل المعلومة من طرف إلى آخر، بغض النظر عن ما يثيره ذلك الفعل من استجابة أو عدمها. أما الإعلام فهو الجوهر الذي يحويه الاتصال. و الذي يستخلصه الملتقي بعد أن تمكن المرسل من تبليغه إلى الملتقى.و يطلق البعض على هذا الجوهر تسمية الإعلام الكامن. و هكذا فكل عملية نقل للمعلومات تنطوي على إعلام كامن و إعلام حقيقي، يقصد به ذلك الذي يصل فعلا إلى الملتقي.

يُعّرف هربت سيمون الحاصل على جائزة نوبل في علم الاقتصاد، تكنولوجيا الإعلام والاتصال على أنّها ما يُساعد على جعل المعلومات مسموعة، ومرئية ومقروءة وتُقرأ على حاسب أو كتاب إلكتروني وتُخزّن في الذاكرة الإلكترونية، أمّا البنك الدولي لتكنولوجيا المعلومات فعرّفها بأنّها الأنشطة التي تسهّل من عمليات تجهيز المعلومات ونقلها عبر الوسائط الإلكترونية، ويمكن تعريف تكنولوجيا الإعلام والاتصال بشكل إجمالي بأنها مختلف الوسائل التكنولوجية المستخدمة في نقل المعلومات وتخزينها بشكل إلكتروني والتي تشتمل على أجهزة الحاسوب وأجهزة الفاكس وغيرها من الوسائل المستخدمة في الاتصالات(**mawdoo3, 2020**) ويسلم هذا التحليل بصعوبة الاتصال مع الآخر، رغم تحول العالم بفضل تقنيات الإتصال اليوم إلى قرية، تلك التي تنبأ بها "ماك لوهان" في الستينيات.و لعل الصعوبة في الاتصال بين البشر تعود لأسباب بسيكولوجية و أخرى سوسيولوجية "التصادم الثقافي ، عدم تقبل ثقافة الغير". وقد لخص هذه الصعوبات جون بول سارتر في عبارة نارية، عندما قال:" الآخر هو جهنم " l'autre c'est l'enfer.و رغم هذا الحظر فإن العلاقة في محيط اجتماعي معين. أرى أنها تمر عبر فك الرموز التي يجري تداولها بشكل دائم بين الأفراد و الجماعات (**اخرون، 2012**).

يمكننا أن نشير هنا فقط إلى بعض الآليات الإعلامية والتلفزيون هنا كمثال نموذج، من خلالها وسائل الإعلام تحقق آثارها الأيديولوجية على الجمهور فهي أجهزة منظمة اجتماعياً واقتصادياً وتقنياً لإنتاج الرسائل(**Hall**) فعندما تم إطلاق الكمبيوتر أخيراً في نهاية عام 1981 كان نجاحاً مباشراً، ببساطة التجمع كان أحد الأسباب التي تمكنهم من تحويل أكثر من مليون آلة. و جعلت من السهل على أي شخص آخر الإنتاج معهم(**lipman, 1988**) .كما لاحظ خبراء الإعلام من أمثال جوزيف تورو Joseph Turrow (1997-2006) جيمس ويبستر James Webster وباتريشيا فالن Patricia Phalen (1997)، أن التغيرات في تكنولوجيا الاتصالات قد عدلت العديد من التوقعات الأساسية حول جمهور الإعلام ومحتوى الإعلام.

إن الانطباع العام لقطاع كبير من المشاهدين، كما تم تعريفه على الأقل، في المنتصف الأخير من القرن العشرين قد تم التخلي عنه مع تنافس الشبكات ومنافسيها للحصول على نصيب من الجمهور عن طريق التسويق لقطاعات مختلفة من السكان. ونتيجة لذلك سعت الشبكات مثل MCNBC , ABC, FOX, WB ولايف تايم Lifetime (ووكالات دعاياتها) إلى تعميق الاختلافات إلى أقصى درجة في محاولة لتكوين هوية منفردة ومتميزة ووفاء "للعلامة التجارية".فالتنمية والتطوير داخل الوعي الأكبر للهويات الثقافية المختلفة القائم على فكرة السلالة، العرقية، الجنس (الرجل والمرأة)، السن، الأفضلية الجنسية، المعتقدات الدينية

والأيديولوجية، وما تلاه من تغيير في تكنولوجيا الاتصالات ورد فعل وسائل الإعلام أدى إلى المزيد من شرذمة الجمهور والمشاهدين وتنوع أكبر في المذاهب والمحتوى (**زكي، 2012**).

فالثورة التي تشهدها التكنولوجيات الجديدة للإعلام ذات الحركية التقنية باتجاه تصاعدي، قد قلبت ليس فقط علاقة الإنسان بالزمان و المكان، و لكن غيرت أيضا من رؤيته للعالم. فهذه الرؤية التي كانت "فلسفة تأملية" أصبحت "تكنولوجية تقنية مؤثرة "، بكل ما يعني ذلك من انحصار بعض الأبعاد المكونة لكل رؤية و ظهور بعض الأبعاد الأخرى. فوسائل الإعلام المهنية والممثلين الرئيسيين الذين كثيراً ما يتجاوزون وظيفتهم البسيطة .كالوسيط بين وسائل الإعلام والجمهور(**Rieffel, 2001**) .

لقد شحنت هذه التكنولوجيات الكثير من الوسائل الإعلامية ذات التركيبة الهرمية التقليدية، فأعادت بعثها من جديد لتتوافق مع متطلبات الألفية القادمة في مجال الأدائية و الفاعلية. و قد مس هذا "التثوير" أحد الوسائل الإعلامية الجماهيرية، التي تربعت و منذ ظهورها على عرش الإعلام، و التي يبدو أنها ستواصل دور "الملك" في الألفية القادمة، و نعني بذلك التليفزيون. فهل سنشهد خلال السنوات القادمة "الثورة التليفزيونية الثانية" مع ميلاد التلفيزيون الرقمي عالي الأداء؟ لقد غدا اليوم معروفاً أن تلفيزيون الغد سيكون تليفزيوناً رقمياً بحتاً معتمداً في ذلك على أحدث التجديدات التي تتسابق إلى خلفتها خاصة مؤسسات المعلوماتية.فالاعتماد على تقنية "Zapping" قد أصبح اليوم أمراً مألوفاً. ففي الولايات المتحدة،استطاعت ال.T.C.I (Télécommunication Inc توفير 450 قناة لزبائنها. من ناحيتها، استطاعت المؤسسة الأمريكية Hogs، بالتعاون مع TV Direct، بعد إطلاقها لقمر صناعي، بعث 164 قناة، و ذلك بفضل اللجوء إلى تقنية تضغيط الصور. أما في أوروبا، فإن حركية الرقميات التليفزيونية تتقدم بنفس الوتيرة، حيث قامت القناة الفرنسية Cannel Plus، بالتعاون مع البريطانيين News Corp و BskyB، بوضع برنامج عملي مستقبلي للبحث في كيفيات توظيف الرقميات في مجال البرامج و تقنية التفاعل التي ترتبط خاصة بما يسمى بالتلفيزيون "حسب الطلب" (**رابح، 2004**). مهما يكن فقد ألقى التطور التقني وخاصة ثورة الاتصال الرقمي بظلاله وتأثيراته الإيجابية والسلبية على جميع أنماط حياة الإنسان بما في ذلك تربيته وتنشئته الاجتماعية وعلاقاته الاجتماعية مع الآخرين، وبالرغم من أنَ تنشئة الفرد وتربيته موكولة للآباء إلاَ أنّ مصادر التنشئة والتربية تعددت في ظل فضاء الإعلام الاجتماعي المفتوح الذي أصبح له دور فاعل في صياغة أنماط جديدة من السلوك (**الكيلاني، 2019**) .

2- توصيف ثروة الاتصال على منظومة القيم :

احتلت القراءات الأولية للعديد من الباحثين في علم الإعلام و الاتصال في عدد من الجماعات العالمية و مراكز البحث العلمي حول الواقع الذي أفرزه الالتقاء التاريخي بين التكنولوجيا و الإعلام و ما خلفه من مقولات كبرى حول دور الإعلام في اندماج العالم و في خلف الوعاء الثقافي و الحضاري المشترك بين الشعوب ، بدأت تظهر أصوات جديدة تحت مسميات عديدة منها مكافحة الإرهاب في العديد من المراكز الحية للإنتاج الإعلام و المحتكرة له أحياناً تتحدث عن انتكاسة ثورة الاتصال و عن الدور الذي لم ينتبه إليه الكثيرون من المعنيين و هم يخططون لأسس قرية الإعلام العالمية و هو الدور الذي بدأت أخيرا تمارسه تكنولوجيا الاتصال لتفتيت الجماهير و تشتيت المتلقي و فرض المزيد من الفردية و العزلة و إيجاد نماذج لآحاد الناس الذين يغايرون في طبيعة حياتهم الكثير من الأسس و أنماط الاجتماع البشرية القطري (**الجبور**).

فنظرية الإعلام حسب كلود شانون تعتبر مقياس بين جهاز الإرسال و جهاز الاستقبال التي تستجيب أساسا الى سؤالين ، الأول كيف يمكن للمرء أن ينقل المعلومة بأسرع وقت ممكن و اقل تكلفة و الثاني تكون المعلومة المستقبلة مطابقة للمعلومة المرسلة (**Bouadjimi, 2009**) بحيث شغلت عدت مفاهيم مثل الثقافة و الحضارة ، و المثقف ، و الانتلجنسيا ، اهتمام نفر غير قليل من المثقفي العالم شرقه و غربه ، شماله و جنوبه ، ودون الخوض في اختلاف الآراء بين المفكرين و العلماء في هذا الشأن، و ما طرح خلال مناقشاتهم و أعمالهم حول هذا الموضوع من إشكاليات لغوية و اجتماعية و سياسية . يمكن رصد حد أدنى من الاتفاق حول تحديد مفهومي الثقافة و المثقف . فالثقافة تعني ذلك " النسق من المعرفة العامة و المتخصصة " ويصبح المثقف هنا هو ذلك الشخص الذي نال قدراً من هذه المعرفة و اهتم بأمورها في مجالات الفكر و العلم و الأدب (**حجازي، 2008**) فتعايش الأنماط التقليدية مع الأنماط المستجدة يؤدي ليس فقط إلى ازدواجية و تشوه الأبنية الاقتصادية و الاجتماعية في الدولة التابعة ، بل يعمل على نمو التخلف و ظهور ما يسمى بالتمفصل Disarticulationو التداخل بين الأنماط المتباينة ، و تصبح القطاعات الاقتصادية في هذه الحالة غير متكافئة وغير متجانسة لا تقيم فيما بينها علاقات تبادلية كاملة ، و في الوقت نفسه فالقسم الأساسي من التبادل يتم بين الشركات الاستثمارية و الخارج (المركز الرأسمالية).و من ثم يتشكل "خليط غريب غير متناسق أو متناعم من المكونات تنتمي كل طائفة منه لعصر مختلف من العصور التاريخ و لقسم مختلف من الأقسام البشرية ومع هذا، فالكل منفصل سوياً في كيان واحد بحيث تتحقق الغاية النهائية: استمرارية نهب الثروات العربية و نزح أكبر قدر ممكن من فائض قيمة الجهد العربي و دوام إعادة إنتاج التخلف و التبعية (**حجازي، المرجع نفسه**).

وعليه، فإن هدف الفضاء العام الرقمي هو زيادة ثقافة الفرد بواسطة وسائل الإعلام و ليس بالطرق و الوسائل الأكاديمية و التعليمية، و التثقيف العام يحدث في الإطار الاجتماعي الإعلامي للفرد أكان ذلك بشكل عفوي و عارض أو بشكل مخطط و مبرمج و مقصود.و التثقيف العفوي هو مواجهة دائمة من جانب وسائل الإعلام للفرد ، هذه المواجهة تقدم له – بدون أن يكون هو المقصود بالذات – معلومات و أفكار و صور و أراء ، وهذا يحدث عندما يتجول الطالب في ساحة ملعب جامعته فيفاجأ بجريدة حائط أو بتليفزيون نادي الجامعة أو باللافتات المرفوعة في أماكن من الجامعة ، و كلها تحمل عبارات تلفت نظرة ، فيندفع في قراءاتها أو متابعاتها فتعلق بعض الكلمات في ذهنه و يأخذ ببعض الآراء (**الحسنات**).

في هذا الصدد، يمكن لنا تبيان دور الإعلام في التحديث و التطوير (**الحسنات، المرجع نفسه**):

- دور اجتماعي من خلال تحويل و تعديل موقف الناس و تصرفاتهم إزاء مسائل و مواضيع التحديث والتطوير لاسيما إصلاح الإدارة و إصلاح القضاء و تطوير التشريعات و محاربة الفساد و المشاركة بالرأي و بالعمل بكل ما يخدم و يؤدي الى نجاح المشروع التطويري و التحديثي للبلد.

- توسع الأفاق الفكرية عند الناس من خلال منظور جديد يتطلب منهم اعتماد وسائل جديدة أكثر عصرية و اعتماد أنماط سلوكية و أساليب عمل أكثر تطورا ، و إشعارهم بأن التحديث و التطوير و ما يتضمنه من أهداف و مبادئ هو الكفيل لتلبية حاجاتهم ، حيث توجد بعض الفئات التي تقاوم التحديث من حيث لا تدري.

- ترويج الأساليب و المواقف و الأنماط السلوكية العصرية التي تلائم حاجات التطوير و التحديث كالمشاركة و الحوار و قبول الأخر و الانفتاح على التجارب المهمة و تجنب البدء من الصفر في أي مجال من المجالات الحياة.

- تلعب وسائل الإعلام دورا تثقيفيا كبيرا من خلال رفع مستوى الثقافي للناس و تعليمهم لكي يتمكنوا من المساهمة الجادة في تطوير و تحديث مجتمعهم ، و من الواضح و المعروف إن التحديث و التطوير لا ينجح في ظل مجتمع تصل فيه نسبة الأمية إلى 50% حيث لا يبدع الأمي في عصر العلم و التقنية و كذلك لا تستطيع إدارة تأهيلها منخفض مستوى أن تحقق التطوير و التحديث ، لذا لابد من أحداث تغيير نوعي في بنية الإدارة و القوى العاملة بحيث يوظف كل المؤهلين تأهيلاً جامعياً عالياً و يتخلص من منخفضي التأهيل حتى نستطيع أن ننافس في العالم اليوم.

- تستطيع وسائل الإعلام أن تقوم بدور سياسي مهم و ذلك من خلال تقويم الأواصر بين القيادة و الناس، و من خلال توسيع الحوار بين جميع أفراد المجتمع و بين المجتمع و الدولة. فالرسالة هي الوسيط كما يكتب مارشال ماكلوهان و هي أداة التواصل في بلدها نفسه بغض النظر عن المحتوى ونظرية ... بالتالي فإنه يأخذ موقف حاسم وسيكون للرسالة تأثير كبير على الطريقة التي يمكن للمستخدمين استيعاب المعلومات الواردة على المواقع الحكومية(**Mermier, 2001**) .

3-التحولات البنائية و الاستهلاك الترفي :

لقد شهدت بلدان العالم الثالث أو الأقل تطوراً تحولات كبرى في العصر الراهن ، و أدى الانفتاح الفكري و الثقافي المتسارع إلى انتشار ظاهرة الاستهلاك وبروز مظاهر ثقافية مرتبطة بالسلع الاستهلاكية و لم تستطع تلك البلدان مجاراة المنافسة المفروضة في ظل الانفتاح و العولمة، مما جعلها تستسلم لقوة و إبهار التيارات الثقافية الاستهلاكية الكونية المتدفقة ، القادرة على تشكيل العقول و صياغة الفكر و الوجدان ، و ظهر ذلك بجلاء في انتشار الثقافة الاستهلاكية للأطعمة السريعة مثل الهمبورجر و البيتزا و كنتاكي ... و شيوع الموسيقى الغربية و فرق الغناء الأجنبية و الموضوعات الأمريكية و الأوربية ، و قد ساعد على تحقيق و تنامي و انتشار تلك الثقافة.قيام الشركات العملاقة متعدية الجنسية بمقابلة الاحتياجات الاستهلاكية لكل قطاعات و شرائح المجتمع من خلال فروعها المنتشرة في أنحاء العالم ، و من خلال وسائل عدة و استخدام تكنولوجيا المعلومات و الاتصالات (**حجازي، المرجع سبق ذكره**) ورافق عقلنة العالم الاجتماعي حسب ديلون غابرييل ليس فقط في توحيد الآراء ولكن أيضا تلعب الصحافة دور التهدئة بطريقة معينة (**Rieffel, Sociologie des medias, 2001**). كما أن عملية الاتصال التلفزي يشمل الحالات إنتاج المرئي والاستقبال ،وهو ما يعني كلا من المنتجين من جهة المخرجين ، المصممين ، الكتاب ، الأزياء .... و هو أيضا يتمثل في بناء البرنامج على شاشة التلفزيون منذ بداية شعور للتبديل من طرف المستخدم (**Francois Eliwabeth, 2011**). و الخطير أن هذا النوع من الثقافة الغازية يدفعنا إلى المزيد من العزلة ، و مزيد من العيش في عالم افتراضي، يتم فيه غسل الأدمغة ، تحت تأثير ثقافة تافهة جوفاء ، تجعل المرء يعيش الحياة لحظة بلحظة ، و كل لحظة تنتهي إلى لا شيء ، لأنها لا جذور لها ، مستقلة عما قبلها و ما بعدها ! ... وبالتدريج نتخلى عن ذواتنا و عن مسؤولياتنا الاجتماعية التي هي هدف وجودنا.لكننا إذا مددنا الأمور على استقامتها فسندرك أن هذه الرغبة في التخلي عن الذات وعن المسئولية هي شرط لا غني عنه لتحقيق الاستبداد،أي أننا نحن أنفسنا من نصنع طغاتنا،وتحولنا المعلومات العارية من المعرفة و الحكمة إلى "قطيع". و يؤكد المتحمسين إلى تكنولوجيا الاتصال إلى انه قد حصل فعلاً خلط بين الفضاء الخاص و الفضاء العام ، أو كما قالت **كارولين مارفا** (CAROLIN Marffa)لما تولد التكنولوجيا نَتجدد(**Flichy, 2001**) " فالتغيرات التي نشاهد نتائجها بعد مدة طويلة في عالم الاقتصاد ، أحيانا هي في جوهرها تغيرات حضارية تعتري القيم و الأذواق و الأخلاق في منعطفات التاريخ ، فتتغير معالم الحياة بتحول الإنسان نفسه في إرادته و اتجاهه عندما يدرك معنى جديداً لوجوده في الكون (**نبي**).

إن التصدع الفكري والثقافي الذي تعانيه معظم المجتمعات العربية ، و انسحاب الدولة تدريجيا – تحت دعوى الخصخصة أو الديمقراطية – اقتصادياً و اجتماعياً و ثقافياً،وعدم وضعها للضوابط التي توجه السلوكيات و الأذواق و العادات و القيم،في الصحافة و الفنون و الأدب و الإعلام و الإعلان قد فتح الطريق أمام بعض هذه المؤسسات في أن تقيم اتفاق عدم اعتداء غير معلن مع السلطة الحاكمة ، و هو الذي مكنها من أن تختلي بالجماهير،و تملأ الجو الثقافي – أدبياً و فنياً ، و إعلامياً ، – بكل ما هو رخيص و تافه و هابط (**مذكور، 2004**) و يمثل الوعي في الاسرة (Consciousness) إدراكاً و معرفة و مهارة و توجهاً بشأن موضوع أو قضية و يرتبط به كل من السلوك الفردي و الاجتماعي.

و من بين الدواعي الاجتماعية أن كثيراً من المؤسسات التي يبنيها المجتمع العربي لأداء وظائفها إزاء الطفولة بما فيها الأسرة ما تزال في حاجة إلى تطوير كفاءتها في هذا المجال ، مما يقتضي النظر علمياً إلى هذه المسألة بقصد تحقيق حصائل عملية على الصعيد الاجتماعي (**الهيتي، 2008**). و يكاد أن يكون موضوع الطفولة في مقدمة الموضوعات الإستراتيجية الأساسية في المجتمعات عموماً، و تبدو لتناول الوعي الأسري بها أهميته بسبب عوامل وطنية و قومية و أخرى خارجية . فالمجتمع العربي يعاني من مشكلات اقتصادية و اجتماعية و نفسية كالفقر، و الأمية، و انخفاض المستوى الصحي، و البطالة . و هذه بدورها تظهر واضحة على الصعيد الأسري .إذ تبدو عليها مشكلات وافرة ناجمة عن التغيرات الاجتماعية و التكنولوجية و السياسية و الاتصالية الواسعة ، و تمر الأسرة العربية بتحديات متعددة الأمر الذي يتطلب التعامل مع المتغيرات الجديدة مع الحفاظ على أساليب معاملة الأطفال بصورة صحيحة و تحسين تلك الأساليب وفقا لمنظور التفكير العلمي . خاصة و أن الاطفال في النصف الثاني من القرن العشرين يمضون وقتًا أطول في غرف نومهم. ففي السنوات الأخيرة ظهرت "ثقافة غرف النوم" التي تعني أن الأطفال والشباب ينفقون "نسبًا كبيرة من أوقات فراغهم في المنزل مع وسائل العالم ، بدلا من قضاء وقتهم في "الفضاء المشترك أو العائلي أصبحت غرف النوم الآن غنية بالوسائط ويقضي الشباب وقتًا أطول في غرف نومهم (**الشمري، 2018**).

بالإضافة إلى هذا فإن عمليات معاملة الطفل هي الأخرى في تغير مستمر ، حيث تنتهي حركة البحث العلمي باستمرار إلى نتائج جديدة تتطلب أن تأخذ الأسرة بمعطياتها الأساسية في تعاملها مع الطفولة ، خاصة و أن الأسرة العربية كثيراً ما يبدو عليها التمسك بالأساليب التقليدية في هذا الميدان في الوقت الذي يتطلب ذلك التعامل عملية تجديد مستمرة ما دامت الأساليب التقليدية عاجزة عن تكييف طرق معاملة الأطفال وفق المتطلبات المتغيرة . و على ذلك ينبغي أن نتصور المشكلة بوجه عام ، و ان نصوغها بلغة التربية الاجتماعية ، فليس الأمر أن نتصور حلولا جزئية أثبتت التجربة بعد فوات الأوان عدم جدواها ، و أنها ضرب من ضروب العبث و السخرية، فليس الأمر إذن أن نقول : إن الثقافة تحتوي بصفة عامة عدداً من الفصول هي : الأخلاق ،و الجمال و المنطق العلمي ، و الصناعة الفنية .و لكن الأمر يقتضينا أن نتساءل : كيف ينبغي أن ندركها في صورة برنامج تربوي يصلح لتغيير الإنسان الذي لم يحتضر بعد ، في ظروف نفسية زمنية معينة ، أو لإبقاء الإنسان المتحضر في مستوى وظيفته الاجتماعية ، و في مستوى أهداف الإنسانية (**نبي، ميلاد مجتمع ،مشكلات حضارة ،الجزء الاول شبكة العلاقات الاجتماعية،ترجمة عبد الصبور شاهين**).

و الأسرة باعتبارها جماعة اجتماعية هي في تغير مستمر، غير أن سرعة التغيير الحاصل فيها اقل بكثير من سرعة تغير الأفراد، و أحياناً أقل بكثير من سرعة تغير المجتمع .و من هنا تبدو كأنها لا تواكب حركة التغيير في عصر سريع التغيير . كما أن لها بعض اتجاهات تغيرها التي تنفرد بها إزاء كثير من القيم و الموضوعات و المواقف و العلاقات . و لهذا قيل (إن الأسرة مرتبطة بالمجتمع. فهي تدعم

المجتمع و تناهضه في آن واحد (**الهيتي، مرجع سبق ذكره**) و من أولى حلقات هذا المحيط الذي يتفاعل فيه الفرد ويكتسب عن طريق هذا التفاعل كثيراً من مقومات شخصيته وكثيراً من اتجاهاته وعاداته النفسية والاجتماعية هي الأسرة. فإذا كانت صالحة يتلقى دروسه الأولى في الثقة بالنفس والاعتماد عليها والشجاعة والإقبال والتسامح والتضحية والاهتمام بشؤون الغير واحترام الآخرين والتعاون معهم...الخ. أما إذا كانت الأسرة غير صالحة في جوها وعلاقتها وأساليب تربيتها فإنها لا تنتج عادة إلا شخصاً مضطرباً في نفسيته وشاذاً في سلوكه وتصرفاته.و يتضح لنا كذلك أن الشاب لا يتأثر في سلوكه الاجتماعي بخبراته الحاضرة في العائلة، بل يتأثر أيضا بخبرات طفولته الماضية. فالفرد المدلل والمبالغ في رعايته في عهد الطفولة يظل عادة طفل غير ناضج في مراهقته وشبابه، فيعجز عن الاعتماد على نفسه ويتقهقر أو ينهار أمام كل أزمة تواجهه ويشعر بالنقص عندما لا توجب له رغباته، ويسفر ذلك كله عن تكيف اجتماعي خاطئ مريض.

كما يتأثر النمو الاجتماعي للشباب بالأسلوب الذي كان يعامل به من قبل أسرته في عهد طفولته فإنه يتأثر أيضا بالجو النفسي المهيمن على أسرته وبالعلاقات القائمة بين أهله. فالبيوت التي يغشاها الود والتفاهم والقائمين على الثقة والتقدير والمحبة التي تحتفظ بتوازن جيد بين الحرية والقيد هي البيوت التي يتمخض عنها الأسوياء والمقبولون. أما البيوت التي تبث في نفوس الصغار عواطف النقمة القائمة على الخوف والغيظ فهي التي تخرج للحياة قوافل المنحرفين والمشكلين والجانحين والمجرمين. فمن نشأ في بيئة عدائية لا يشعر بالصداقة في كبره بأي طريقة أو ثمن. و من شب على الهرب من المشكلات والصعوبات استقبل عهد الرجولة خائفاً خانعاً. والشخصية السوية لا تنشأ إلا في جو تشيع فيه الثقة والوفاء والحب والتآلف.

و الأسرة التي تحترم فردية الشخص تدربه على احترام نفسه وتساعده على أن يكون محترماً بين الناس وتوحي إليه بالثقة اللازمة لنموه. فهنا يمكن مثلاً أنه تكون نظرية انتشار المبتكرات القريبة لتدفق المعلومات، تسمح بمزيد من الاحتمالات المعقدة لتدفق الاتصال ...الذي يناسب الأفراد العاديين بالتركيز على تفصيلات قادة الرأي (**صلوي**) و هكذا يتأثر الفرد في مراهقته بالجو الديمقراطي السائد في أسرته فينمو ويتطور في إطار مجتمع سوي يعده إعداداً صالحاً للمجتمع الكبير الذي يتفاعل معه في رشده وشيخوخته. أما الأسرة التي تثور لأبسط الأسباب وتبغض الناس وتميل إلى الانتقام والغيرة فلا تنشئ إلا أفراداً مرضى و جانحين يعيشون في حياتهم المقبلة تحت وطأة الصراع الحاد والاضطراب الشاذ. فتترك الأسرة آثارها العميقة على حياة المراهق والراشد وتصبغها بصبغتها الهادئة السوية أو المضطربة أو الشاذة (**الحسن، 2005**) و لا يتأثر نمو الشباب الاجتماعي فقط بخبراته بالبيت والمدرسة بل يتأثر أيضاً بعادات وتقاليد وقيم ومواقف واتجاهات وميول رفقائه في السن الذين يتفاعل معهم كأفراد أو شلل وجماعات في الشارع وفي مؤسسات الوسط الثالث من نادي ومركز للشباب وملعب ومخيم صيفي ومعسكر عمل وبيت للشباب وأثناء أسفاره ورحلاته، فرفاق السن وجماعات اللعب لهم تأثيرهم البالغ في نمو الشاب وسلوكه الاجتماعي لاسيما في الفترة الأولى من مرحلة الشباب التي تكثر وتسرع فيها التغييرات الجسمية وتقرن عادة ببعض صعوبات التكيف النفسي والاجتماعي، مما يضطر الشاب إلى أن يلجأ في كثير من الأحيان إلى رفقائه وجماعة نظائره لإيجاد التفسيرات للتغيرات والظواهر التي تطرأ عليه في هذه الفترة والتي قد يجد حرجاً في مناقشتها مع والديه ومدرسيه والكبار والراشدين المحيطين به، وقد يفوق تأثير جماعة اللعب أو رفاق السن تأثير البيت والمدرسة في سلوك الشاب الاجتماعي في الفترة الأولى من المراهقة، إلا أن هذا التأثير يقل شيئا فشيئا كلما اقترب المراهق من الرشد واكتمال النضج.بالإشارة إلى أن النظام الإعلامي العربي المتكون من السمعي البصري و الرقمي قد تطور بشكل سريع جدا في العقدين الماضيين، وكانت تغييرات عميقة بحسب كل دولة التي تأثرت بدرجات متفاوتة

(**complexité, 2011**)فالتلفزيون قدرة على أن يصدم المشاهدين بما يرونه على الرغم من معرفتهم المسبقة بالظروف والأحداث التي تم تصويرها وعرضها للمشاهدة ، كما أنه يملك سياقات اجتماعية ومكانية تتم المشاهدة من خلالها وهو في ذلك يتميز عن الوسائل الاتصالية الأخرى ، وهذا التميز يتيح له أن يكون ذا تأثير أكبر على المتلقين الذين يجمع بينهم المكان والنطاق الأسري الواحد بما يحقق فهماً أكبر لما يريد أن يقوله مضمون الرسالة التلفزيونية الذي يحقق غالباً إشباعا لدى المتلقين. وقد تناولت عدة دراسات وبحوث التأثير الذي يحدثه التلفزيون في جمهور المتلقين واتخذت من موضوعي التأثير والاعتماد كإطار نظري لها، حيث استخدمت هذا الإطار (عزة عبد العظيم) في دراستها (حول اعتماد البالغين على التلفزيون كمصدر للمعلومات حول المخدرات(**Aza, 1993**) و لم يعد يخلو منها بلد على الكرة الأرضية مع تعدد شركات وجهات الإنتاج الإعلامي البرنامجي و الدرامي و الفني، مما أوجد ما يعرف بالصناعات الثقافية و صناعة الترفيه، و جعل الساحة الإعلامية – أو بمعنى أدق البيئة الاتصالية للفرد – غير محدودة و تتيح له فرص الاختيار بلا حدود، و تضاعف من المنافسة بين الوسائل بعضها و بعض، بل و بين الوسيلة الواحدة من خلال مخرجاتها (**معه، 2004**).

ففي العصر الراهن أصبحت وسائل الإعلام من مؤسسات التربية التي من غير الممكن ضبطها وتوجيهها ذلك لأن غالبية هذه الوسائل تنقل ثقافات من خارج المجتمع،كما يسعى عدد كبير منها لتحقيق أهداف ومصالح تجارية لأفراد ومؤسسات لا تعير اهتماماً لمختلف المعايير والقيم الأخلاقية التي تميز ليس فقط ثقافة المجتمع بل عناصر مشتركة في أديان وثقافات مختلف المجتمعات الإنسانية (**القرشي، 2008**).

فمواقع التواصل الاجتماعي إذاً حسب Michel forsé et Armand degenneبأنها تنظيم لتعبئة السياسية و التبادل ...باعتبارها تولد كميات كبيرة من الخطابات من جميع الأنواع والكثير منها ذو طبعة مجازية (**سامية، 2016**).و في هذا الصدد فالفكر العربي لحق الاتصال لم يتميز بشيء وكل ما حواه هو تكرار للأفكار و المعالجات الشائعة في الأدبيات الغربية... فهو أقل نضجاً و تجربة من الفكر السياسي و القانوني العربي (**الجمال، 2001–1991**) .

الخـاتمة :

إن الاتصال الأسري عامل مهم و أساسي في توجيه استخدامات تكنولوجيا الإعلام و الاتصال التي أصبحت متوفرة لجميع أفراد الأسرة . بحيث أضحى من الواجب ضبط ممارسات هذه الأداة و إلا فإنه يستحيل تكوين مجتمع قادر على مواجهة هذا التحول الاجتماعي . فموضوع بحثنا أراد فهم هذه البيئة الإعلامية الجديدة السريعة التغير ، محاولين إدراك كيفية عمل توجيه الاتصالي الأسري من خلال جملة من النظريات و الراى المعاصرة . كما لا يخفى بأن ثورة تكنولوجيا الإعلام و الاتصال و ما أفرزته من حراك في معالم القيم فرضت على الآباء حتمية مواجهة هذا التغير و لاشك في خلفية ما تخفيه هذه التقنية على السلوك اليومي للفرد باعتبار لها تأثير لا يُرى و يُفهم إلا بعد ارتكاب الخطأ في غالب الأحيان . و عليه ، يجدر بنا الإيمان بأنه أصبح للآباء مسؤولية عميقة وأكثر من أي وقت مضى في إيجاد سُبل التصدي لهذا الواقع الإعلامي ، بطرق تجعل من المتلقي يدرك آليات الاستخدام و الاستعمال في إشباع رغباته و حوائجه تبعاً لمنظومة قيم معينة .تكون قد غُرست فيه بأساليب علمية و تربوية رشيدة تعكس مكانة الاتصال الأبوي في الأسرة .

فحسب محمد الشمري منذ ظهور تقنيات التواصل الاجتماعي أثرت بالسلوك البشري و الفكر و العلاقة و أساليب الحياة، بحيث جذبت هذه الشبكات الاجتماعية الناس في جميع أنحاء العالم لأنهم تمنحهم الفرصة التواصل مع بالأخريين . كما انه أفضل مصدر لمتابعة الأخبار و إبداء الرأي و مشاركة اللحظات و التعرف على أصدقاء جدد و توفير الرفاهية . و تؤكد دراسة صاحب ويس أسعد

الشامري في هذا الصدد أن فيه علاقة ارتباطية بين أنماط القيم على اختلاف أنواعها و المؤسسات التنشئة الاجتماعية و منها وسائل الإعلام، إذا كلما كانت هذه المؤسسات قادرة أو مهيأة و تسير في الاتجاه المرسوم لها من أجل نقل القيم الأصيلة من جيل إلى أخر، كانت تنمية للقيم تتماشى و معطيات العصر (**الشامري، 2017**) .

المراجع باللغة العربية و الأجنبية:

1. Aza, A. A. (1993). *Television Dependency and Inowledge of drug abuse among Egyptian adults* . journalism and mass communication departement.
2. Bouadjimi, D. (2009). *Societe et l'information et son impact sur les pays en développement.* Alger: presses de l'imrimerie Hasnaoui.
3. complexité, C. M. (2011). *les Médias arabes.* paris: CNRS.
4. Flichy, P. (2001). *Une Histoire de la communication Moderne ,Espace public et vie Privée.* Alger: Edition Casbah.
5. Francois Eliwabeth, B. D. (2011). *Convergence Médiatique.* paris: CNRS editions.
6. Hall, S. *Culture ,the Media and the Ideological effech,by janes curran ,Michoel gurevith , janet woollacott ,Mass communication and society ,printe in great britain . ,London .* London: by offset lithograohy by billing sons LTD.
7. lipman, J. C. (1988). *ekectronic pirates.* comedia book published by koutledge.
8. mawdoo3. (2020, 04 17). www.mawdoo3.com.
9. Mermier, F. (2001). *Mondialisation et Nouveaux medias dans l'espace arabe.* paris: Maison de l'orient et de la méditerrannée.
10. Rieffel, R. (2001). *Sociologie des medias.* paris: Ellipses edition marketing.
11. Rieffel, R. (2001). *Sociologie des medias.* paris: Ellipses.
12. الجبور ,س .الاعلام و الرى العام العربي و العالمي .عمان ، الاردن :دار اسامة للنشر و التوزيع.
13. الجمال ,ر .م .(1991-2001) .الاتصال و الاعلام في الوطن العربي .بيروت :مركز دراسات الوحدة العربية ط1،ط.2
14. الحسن ,ا .م .(2005) .علم الاجتماع العائلة .عمان ، الاردن :دار وائل للنشر،ط.1
15. الحسنات ,ف .خ .الاعلام و التنمية المعاصرة .عمان :دار أسامة للنشر و التوزيع.
16. الحسنات ,ف .خ .المرجع نفسه .
17. الشامري ,ص .أ ,2017) .جوان .(05تاير وسائل الاعلام الجديدة على الشباب الجامعي Consulté sur le . ماي ,2020 06, https://www.researchgate.net/publication/: https://www.researchgate.net/publication/
18. الشمري ,م .(12 ,2018) .تأثير الاعلام الجديد على الامن الاسري .المجلة الالكترونية .
19. الهيتي ,ه .ن .(2008) .الاعلام و الطفل .عمان ن الاردن :دار أسامة للنشر و التوزيع،ط.1
20. الهيتي ,ه .ن .مرجع سبق ذكره .
21. آمنة حسين إبراهيم محاميد زيد الكيلاني. (08 Janvier, 2019). مركز جيل البحث العلمي،مؤسسة علمية خاصة و مستقلة. تاريخ الاسترداد 03 Mais, 2020، من الاعلام الاجتماعي و اثره على الاسرة العربية من منظور اجتماعي و ثقافي: http://jilrc.com
22. بلقاسم سلاطنية و اخرون. (2012). علم الاجتماع الاعلامي. الجزائر: دار الفجر للنشر و التوزيع.
23. حجازي ,أ .م .(2008) .إشكاليات الثقافة و المثقف في عصر العولمة .القاهرة :دار قباء الحديثة.
24. حجازي ,أ .م .المرجع سبق ذكره .
25. حجازي ,أ .م .المرجع نفسه .
26. رابح ,ا .(2004) .الاعلام و التكنولوجيا الحديثة .الامارت العربية المتحدة :دار الكتاب الجامعي ، ط.1
27. كي ,أ .ب .(2012) .البيئة الاعلامية الجديدة .الجزائر :دار الفجر للنشر و التوزيع ،القاهرة /الدار الجزائرية للنشر و التوزيع ،الجزائر.
28. سامية ,م .(2016) .مواقع الشبكات الاجتماعية،قراءة في سوسيولوجيا الاستخدام .الوادي ،الجزائر :مجلة الدراسات و البحوث الاجتماعية ، جامعة الشهيد حمة لخضر،العدد 20ديسمبر.
29. صلوي ,ع .ا .نظريات التأثير الاعلامية ، جمع و تنسيق ،أسامة بن مساعد المحيا .

30. فتحية بنت حسين القرشي. (17 Mars, 2008) .Media Information LITERACY. تاريخ الاسترداد 03 Mai, 2020، من https://milunesco.unaoc.org/mil-articles: https://milunesco.unaoc.org/mil-articles

31. مذكور ,ع .أ .(2004) .التربية و ثقافة التكنولوجيا .القاهرة :دار الفمر العربي ،ط.1

32. معه ,م .س .(2004) .الاعلام و المجتمع .مصر –لبنان :الدار المصرية اللبنانية.

33. نبي ,م .ب .مشكلات حضارة ،المسلم في عالم الاقتصاد .دمشق :دار الفكر.

34. نبي ,م .ب .ميلاد مجتمع ،مشكلات حضارة ،الجزء الاول شبكة العلاقات الاجتماعية،ترجمة عبد الصبور شاهين .سوريا :دار الفكر.

35. هادج.

مظاهر التغير الاجتماعي في المجتمع الجزائري.

Aspects of social change in Algerian society.

طالبة دكتوراه نعيمة موهوبي

[1]جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)

Mouhoubinaima901@gmail.com

0669755896

ملخص البحث

نظرا للتحولات التي عرفها المجتمع الجزائري في الحقبة الاخيرة من هذا الزمن ومالها من أثر على هويته وبناءه الاجتماعي وما أحدث من تغيرات مست مختلف الميادين الحياتية ،ولهذا سنحاول من خلال هذاالمقال أن نبين مفهوم التغير والتغير الاجتماعي وخصائصه وأهم النظريات المفسرة لظاهرة له وأهم العوامل المؤدية له،ومظاهره.كما سنعمل على ايضاح تأثيراته على قيم المجتمع الجزائري، وما هي النتائج المترتبة على ظاهرة التغير.

الكلمات المفتاح : التغير الاجتماعي ؛ المجتمع الجزائري ؛ عوامل التغير.

Abstract:

In view of the transformations that Algerian society has experienced in the last era of this time and its money, it has an impact on its identity and social structure and the latest changes that have touched various fields of life, and for this we will try through this article to show the concept of change and social change and its characteristics and the most important theories explaining to it a phenomenon and the most important factors leading to it We will also work to clarify its effects on the values of Algerian society, and what are the consequences of the phenomenon of change.

Key words: social change; Algerian society; Factors of change.

تمهيد : زاد اهتمام العلماء بمختلف تخصصاتهم بظاهرة التغير الاجتماعي التي باتت حتمية واقعية، نظرا لتغيرات التي شهدها العالم في شتى الميادين، وكون التغير سمة من سمات الكون تخضع لها جميع مظاهر الحياة المختلفة الذي يحدث اثرا عميقا في قيم المجتمع الدينية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تضفى على المجتمع تغيرات في مسار الحياة مما يتوافق وحداثة وتطور مكانزميات الحياة العصرية والمناسبة لذالك الزمن، اذ نجد العديد من علماء خاضوا في هذا الموضوع منهم **صمونيل كيوبنج** الى "أن التغير هو في حد ذاته ظاهرة طبيعية تخضع لها ظواهر الكون وشؤون الحياة بالاجمال،وهم من أكثر مظاهر الحياة الاجتماعية وضوحا، فالتغير يشمل البيئتين الخارجية والداخلية على السواء "[1]ونظر لأهمية الموضوع وماله من أثر على المجتمع أردنا معرفة ماهي العوامل المؤدية الى التغير الاجتماعي في المجتمع الجزائري ؟

يعرف التغير الاجتماعي : على أنه مجموعة الاختلافات التي قد تحدث للظواهر الاجتماعية بفعل عامل أو مجموعة من العوامل الخارجية خلال فترة معينة. يعتبر التغير الاجتماعي انتقالاً للمجتمع من حالة إلى حالة أخرى، ولا يشترط في هذا الانتقال أن يكون تطوراً، وإنما قد يكون تخلفاً وانحداراً، كما أن هذا التحول قد يأتي بغرض الحفاظ على تماسك النظام الاجتماعي، أو مجموعة العادات والتقاليد والقيم التي تنتشر في المجتمع.

التغيير الاجتماعي: هو التحول النابع من وجود ضرورة لإحداث تغيير معين في بيئة اجتماعية معينة أو في ناحية من نواحيها، بما يؤدي في نهاية المطاف إلى حدوث تغيير واضح لا يحيد عن النتائج المرجوة إلا بنسب قليلة جداً. قد يقوم فرد معين أو مجموعة من الأفراد بالدور الفاعل والأكبر في إحداث التغيير المنشود والتخطيط له، غير أن الفرد وحده لا يمكنه أن ينهض بالجزء الأكبر من المهام، لذا فإن أية عملية تغيير بشكل عام، أو تغيير اجتماعي بشكل خاص تحتاج دائماً إلى تضافر المجموع من أجل تحقيق النتائج المرجوة.[2]

1 مفهوم التغير الاجتماعي :

من الثابت أن دلالة الاصطلاح لا تبتعد عن الدلالة اللغوية له أو لأصله،ولذ لاغرو في أن ننطلق من المعجم اللغوي في اي لغة،من لسان العرب معجمنا اللغوي الذي جاء فيه:"تغير الشيء عن حاله.وغير الشيء:حوله وبدله،و كأنه جعله غير ما كان عليه.وغير الأمر:حوله.وتغايرت الأشياء:اختلفت".وفي هذا التعريف اللغوي الذي قدمه **ابن المنظور** في لسان العرب اختصار وتكثيف لدلالة اللغوية له،فقوله:"وكأنه جعله على غير مكانه " اظهار لحقيقة أن التغير والتغيير ليسا تبديلا بالمطلق وإنما نقله في الحال،والحال متغير أصلا.وقوله:"غير الأمر علي:حول" اختصار لمفهوم التغيير الذي تدخل فيه الارادة.فاذا أضفنا الجزء الثاني من الاصطلاح وهو الاجتماعي الى مفردة التغير" أصبحت الاشارة هنا التحولات أو ذبذبات متصلة بالمجتمع ;عناصره، بناه، نظمه، عملياته العلاقات بين عناصره...وبذالك يكون للتغير الاجتماعي صلة وثيقة بالتحولات العديدة التي تحدث في مختلف أنماط الحياة الإنسانية[3].

وبصفة عامة نقصد بالتغير الاجتماعي"نوع من التباين والاختلاف الذي يحدث على مكونات البناء الاجتماعي والنظم والظواهر الاجتماعية، والذي يؤدي الى حدوث تغير انساق التفاعل والعلاقات وأنماط السلوك والنشاط الانساني ويعد السمة المميزة لطبيعة الحياة الاجتماعية في المجتمعات الحديثة[4]

ويعرفه جيرروشي"Guy rocher" التغير بانه : كل تحول في البناء الاجتماعي يلاحظ في الزمن لايكون مؤقتا سريع الزوال لدى فئات واسعة من المجتمع ويغير مسار حياته[5]

2 خصائص التغير الاجتماعي من خلال التعاريف السابقة نستخلص لخصائص التالية:

- التغير ظاهرة طبيعية تخضع لها ظاهر الكون وشؤون الحياة بالإجمال.
- التغير يتميز بالديمومة والاستمرار.
- يشمل التغير جميع الأنظمة :الاجتماعية: السياسية، الدينية، الثقافية، الاقتصادية، التعليمية, التربوية.
- يحدث التغير نتيجة عوامل داخلية وخارجية.
- التغير يكون في المعتقدات والمواقف.

3 نظريات المعاصرة والمفسرة للتغير الاجتماعي والثقافي:

أولا:النظريات الحتمية:

نقصد بالنظريات الحتمية تلك النظريات التي تركز في دراستها للتغير الاجتماعي على عامل واحد فحسب،وتفترض كل نظرية من هذه النظريات أن عاملا واحدا كالاقتصاد أو المناخ أو غيرها هو العامل الوحيد الذي يحرك كل العوامل الأخرى،ولذاك فان هذه النظريات توصف بأنها نظريات اختزالية (Reductionism) أي أنها تختزل كل العوامل في عامل واحد، وتعتبر أن هذا العامل هو

العامل الكافي وحده لحدوث التغير.ويكمن هذا المعنى في مفهوم الحتمية (Decteminism) فهذا المفهوم يشتق من الكلمة اللاتنية (Dertminant).

ولذالك فان الحتمية تفترض أن الأمور محددة سلفا،وأن المهمة الملقاة على عاتق الباحث هي اكتشاف جملة الشروط المسبقة التي تعين حدوث ظاهرة من الظواهر ،وعندما استعملت الكلمة في الفكر الاجتماعي، فانها أصبحت تعني البحث عن السبب الوحيد،الأصل الكامن خلف حدوث كل الظواهر،أو الذي ترتبط به كل المتغيرات كمتغيرات تابعة بالضرورة.[6]

أ–الحتمية الجغرافية: هناك اعتقاد قديم بأن ثمة علاقة بين طبيعة الطقس الذي يعيش فيه الانسان باردا أم حارا أم معتدلا وبين طابعه الاجتماعي(من حدة المزاج أو أريحية ومن حيث لانبساط أو الانطواء وغير ذلك من سمات الطابع الاجتماعي) ولقد تأثر المنظرون الاجتماعيون الأوائل بهذا الاعتقاد، وحاولوا من خلال أن يميزوا أوجه التشابه والاختلاف بين البشر.وكانت انتيجة نظرية شاملة في الحتمية الجغرافية.وبالرغم منأن فكرة الحتمية الجغرافية فكرة قديمة إلا أنها شاعت من خلال استخدام عدد من المفكرين لها في تفسير نشأة المجتمعات وتغييرها.[7]

ب– الحتمية البيولوجية: تتأسس الحتمية البيولوجية على فرضية مؤداها أن الناس في العالم ينقسمون الى أجناس، ومجتمعات متميزة بيولوجيا, وأن الاجناس تختلف في قدرتها على تطوير الحياة الاجتماعية وتنميتها،وأن نوع الحياة لدى الشعب من الشعوب هي مؤشر عللى قدراته البيولوجية–العرقية. وفي ضوء ذلك تتبلور الفروق بين الشعوب كما تفسر التغيرات الاجتماعية التي تظهر لدى هذه الشعوب ، سواء التغيرات السلبية (المرتبطة بالتخلف أو تقهقر الحضاري)، أو التغيرات الايجابية التي تفسر بظهور أشكال من التفوق الكامن في شعب من الشعوب. وتقوم الحتمية البيولوجية على فرضية سادت في مجتمعات قديمة منذ القدم،وهي تلك الخاصة بتفوق طبقات–داخل المجتمع، على طبقات أخرى، وارتباط هذا التفوق بالخصائص البيولوجية...ومن المتغيرات البيولوجية التي يتم التركيز عليها في هذا الصدد المتغيرات التالية:

– أثر التفاوت الوراثي على التغير الاجتماعي.

–أثر التفاوت بين الأفراد في الذكاء والإمكانيات الجسمية والنفسية المختلفة(دور الزعامة الكاريزمية).

–أثر البيئة الصحية العامة لشعب من الشعوب على تطوره ونموه الاقتصادي والاجتماعي.

– أثر الانتخاب الطبيعي واصطناعي على أشكال المختلفة لهرم السكان(نسبة عدد الذكور الى عدد الاناث،نسبة المواليد الى الوفيات،نسبة الكبار الى الصغار).[8]

وبالرغم من من أن النظريات الحتمية قق سادت في مرحلة من مراحل تطور التفكير العلمي وعلى الرغم من ظهور أنصارها في العصر الحديث ،لا ان التفكير العلمي المعاصر يميل إلى رفض هذه الحتميات للأسباب التالية:

–أنها نظريات اختزالية ذات نظرة أحادية.

–أنها نظريات متحيزة تميل الى تبري أفكار بعينها كتفوق شعب من الشعوب أو سيطرة من شعب من الشعوب عل شعب آخر.

–أنها نظريات غير علمية لأنها تؤكد سببا واحدا دون تمحيص علمي دقيق في الأسباب الأخرى.

–أنها أدت الى كثير من الصراعات بين الشعوب،فويلات الحرب العالمية الثانية لم تنتج إلا من لإحساس بالتفوق العرقي من جانب الألمان.

-أنها ولدت أشكال من من العنصرية السياسية التي يعاني منها عالمنا المعاصر كالعنصرية الصهيونية والعنصرية ضد السود في جنوب افريقا ومن قبلها في أمريكيا.وفي ضوء هذه الانتقادات وغيرها أصبح المجال مفتوحا نحو صياغات أفضل لنظريات في التغير الاجتماعي.[9]

ثانيا: النظرية التطورية:

انتشرت النظريات التطورية في القرن التاسع عشر ، وكانت متوازية الى حد ما مع النظريات الحتمية وان كانت تستمد جذورها من الفلسفات القديمة ولقد ظهرت النظريات التطورية من خلال الاعتقاد بأن المجتمعات تسير في مسار واحد محدد سلفا عبر مراحل يمكن التعرف عليها.ويتفق التطوريون على هذه القضية،ولكنهم يختلفون حول قضايا ثلاث:الأولى ،تتصل بمراحل التطور أي عدد المراحل التي يمرها مسلك التطور الاجتماعي،والثانية تتصل حول العامل الرئيسي المحرك للتطور،هل يظهر التطور نتيجة لتغير في الأفكار والمعتقدات أم يظهر نتيجة لتغير في التكنولوجيا والعناصر المادية؟ والثالثة تتصل بوجع التطور،هل التطور يسير في مسلك خطي تقدمي أم يسير في مسلك دائري بحيث يعود من حيث بدأ؟ ويمكن أن نعرض للنظريات التطورية وفقا لأي بعد من هذه الأبعاد الخلافية. والواقع أن الاعتماد في التصنيف هذه النظريات على البعد الأول والثاني (نعني عدد مراحل التطور وعوامله) يضعف هذه النظريات بل ويخلق تشتتا واختلافا مع دراسة عوامل التغير الاجتماعي مثلا.ولذالك وهو المتصل بوجهة التطور ونقسم في ضوئه هذه نظريات التطور النوعين : نظريات التطور الخطي ونظريات التطور الدائري، ثم ننوه في النهاية ببعض الصور المستحدثة من التطورية.[10]

أ-النظريات الخطية: توصف النظريات الخطية بأنها تهتم بالتحولات التقدمية المستمرة أو المطردة الموصلة في النهاية اللى هدف محدد ، ويمر المجتمع في حالة تحوله نحو تحقيق هذا الهدف بمراحل أو خطوات ثابتة.وتعتبر هذه الفكرة قديمة ظهرت في الفلسفة الاغريقية القديمة،وأعيد احيائها في عصر التنوير على يد فيكو Vico الذي حدد مسار المجتمعات في ثلاث مراحل أساسية في ضوء علاقة الانسانية بقوى ما فوقالطبيعة،وقويت هذه الفكرة في القرن التاسع عشر عندما انشغل المفكرون الاجتماعيون بالبحث عن الأصول الأولى لمجتماعتهم ومحاولة تحديد المرحلة التاريخية التي وصلت اليها هذه المجتمعات. حيث تم التركيز على عنصر واحد من عناصر الحياة الاجتماعية أو الثقافية وتحديد المراحل الزمنية التي سارت فيها المجتمعات وفقا لهذا العنصر.وهكذا مال بعض التطوريين الى التركيز على الجوانب الاقتصادية كالقول بأن المجتمعات مرت بمرحلة الصيد ثم مرحلة الرعي،ثم مرحلة الزراعة.ومال بعضهم الأخر الى التركيز على الأسرة كمؤسسة اجتماعية فقالوا بتحول الأسرة من الأسرة المشاعبة الى الأسرة ذات النسب اللأمومي الى الأسرة ذات النسب الأبوي، أن المراحل التطورية تلتف حول عنصر ثقافي واحد كالأقتصاد أو الأسرة،ومنه تتحدد طبيعة المراحل التي يمر بها التطور.[11]

إلا هناك بعض من التطوريين الذين ركزوا على التطور الكلي في البناء الاجتماعي أو الثقافي، وتحديد المراحل بشكل كلي دون التركيز عنصر بعينه من الإسهامات التطورية الشهيرة في القرن التاسع عشر نظرية أوجست كونت عن تطور المجتماعات المرحلة الوضعية ونظرية ماركس في التحول من المجتمع المشاعي إلى المجتمع الاقطاعي إلى المجتمع الرأسمالي إلى المجتمع الاشتراكي، ونظرية لويس مورجان عن التحول من المجتمع البدائي إلى المجتمع البربري إلى الحضارة ونظرية سبنسر في التحول من المجتمع العسكري الى المجتمع الصناعي، ذالك التحول الذي يصاحبه تحول من حالة التجانس المطلق إلى حالة اللاتجانس غير مستقر، وسوء ركزت النظرية التطورية على متغير واحد أو ركزت على لمجتمع ككل، فإن التطورية الخطية تتميز بتحديد مراحل تقدمية تسير نحو هدف محدد.ويكمن الخلاف بين المفكريين التطوريين في عنصريين أساسيين: الأول يرتبط بعدد مراحل التطور، والثاني يرتبط بطبيعة العامل المشترك المحرك للتغير[12]

ب–النظرية الدائرية:

يذهب أصحاب هذه النظرية الى أن التغير يتجه صعودا وهبوطا في تموجات على شكل أنصاف دوائر متابعة وبنظام مطرد،بحيث يعود المجتمع ظاهرة أو نظاما اجتماعيا واحدا.وبعضها الآخر يهدف الى تفسير المجرى العام للتاريخ،متناولا جميع الظواهر والنظم والأنساق الاجتماعية دون أن يركز على ظاهرة واحدة أنظام بذاته،ومن أصحاب هذه النظريات الدائرية: ابن خلدون، وفيكو، وشبنجلر، وتوينبي.[13]

4 عوامل التغير الاجتماعي:

هناك عدة عوامل تؤثر في عملية التغير الاجتماعي وتوجهه، وتختلف الآراء حول مدى فاعلية كل عامل منها في عملية التغير الاجتماعي وتوجيهه.فهناك من يعطي أهية كبرى لعامل دون آخر،وهناك من يقول بوحدانية العامل في التغير فيعتبره عاملا وحيدا أو حاسما، ومناك من يقول بتعددية العوامل فيركز على علاقة السبب بالنتيجة في تفسير التغير الاجتماعي وتحليله.[14]

4– 1 أهم العوامل التغير المادية وغير المادية:

أ – العامل الايديولوجي:

الأيديولوجية تعني:"نسق من المعتقدات والمفاهيم يسعى الى تفسير ظواهر اجتماعية معقدة من خلال منظور يوجه ويبسط الاختبارات السياسية والاجتماعية للأفراد والجماعات، ويرى أنصار العامل الأيديولوجي أن وجود أوظهور مذاهب فكرية متعددة في المجتمع تؤثر في أساليب حياة أفراده وفي عملية التغير الاجتماعي فيه. فالاديولوجية الدينية أو الرأسمالية أو اللاشتراكية مثلا تؤثر في توجيه نشاط الأفراد والجماعات، وتشمل أنماطا معينة من التفاعل والعلاقات، وبمعنى آخر يرى أنصار هذاالعامل أن الفكر يشكل البناء التحتي للمجتمع وسبب تغيره وتطوره.في حين تصبح العوامل الأخرى ثانوية[15]

ب – العامل الاقتصادي :

يقصد بالعامل الاقتصادي جميع النواحي المادة التي تحيط بالمجتمع،أي البناء الاقتصادي بوجه عام ، ويرى أنصار هذا العامل وفي مقدمتهم كارل ماركس أن البناء الاقتصادي مسؤول عن التطورات والأحداث التاريخية وعن توجيه عمليات التغير الاجتماعي في المجتمع كذالك يرى هؤلاء أن أي تغير في البناء الاقتصادي يؤدي الى تغير في البناء الاجتماعي،بمعنى أن أي تغير في شبكة العلاقات الاقتصادية يؤدي الى تغير في شبكة العلاقات الاجتماعية.وذالك انطلاقا من فكرة العلاقة بين البناء التحتي للمجتمع والبناءات الفوقية فيه.وهكذا البناء الاقتصادي للمجتمع لا يحدد فقط البناء الفوقي الكلي بل ويشكله أيضا،أي أنه يشكل التنظيم السياسي والقانوني والديني والفلسفة والعلم والأخلاق ذاتها.يعتبر أشيل لوريا الايطالي أحد أبرز مؤيدي فكرة تأثير العامل الاقتصادي في بناء الاجتماعي وقد حاول في دراسته الاقتصادية للمجتمع الايطالي عام 1881 أن يؤكد الفكرة التي مفادها: أن الانكماش التدريجي في الأرض الحرة هو الحكم في التطور الاجتماعي.[16]

ت – العامل التكنولوجي أو التقني :

يذهب انصار هذا العامل الى أن التكنولوجيا أو الوسائل التقنية تؤثر في عملية التغير الاجتماعي، إذ تؤدي الاختراعات التقنية مثلا إلى تغيرات اجتماعية تظهر في حياة الناس وعلاقتهم وأنماط سلوكهم، فظهور السيارة مثلا قرب المسافة بين الناس، ووظهور الطائرة شجع الاتصالات بين الشعوب وان كان قد مزق وحدة الأسر التي لأصبح أفرادها موزعين هنا وهناك نتيجة لاستخدامها.

ث العامل الديمغرافي أو السكاني:

يعتقد أنصار هذا العامل أن التغير يحدث نتيجة للحركة السكانية من زيادة أو نقصان ولكثافة السكان وتوزيعهم داخل المجتمع. وبذلك هم يربطون قضايا التقدم والتخلف بالحركة السكانية، ويعتبرون الخصائص السكانية عاملا حاسما في عملية التغير الاجتماعي، وعلى سبيل المثال:

يذكر **أولف كوست** (1842-1901) أن الزيادة الملحوظة في كثافة السكان هي المحدد الوحيد لتطور المجتمع. كذالك يذهب **امايل دوركايم** الى أن زيادة في عدد السكان تؤدي الى الزيادة في تقسيم العمل الاجتماعي وأن الانتقال من التضامن الآلي الى التضامن العضوي الناتج عن تقسيم العمل الاجتماعي إنما يرجع الاصلا إلى العامل الديمغرافي وبالمناسبة فقد سبق ابن خلدون كلا من هذيين العالمين في تأكيد أهمية العامل الديمغرافي بِعدَّة قرون حين ذهب إلى أنهُ "حينما يزداد عدد السكان كثيراً يبلغ تطوّر الدولة ذروتهِ ويبدأ الانحطاط.

ج – العامل الايكولوجي أو البيئي:

يُركّز أنصار هذا العامل على تأثير البيئة الطبيعية في الظواهر الاجتماعية والسلوك الاجتماعي داخل المجتمع، ويعتبرون العامل البيئي عاملاً حاسماً في إحداث التغيُّر الاجتماعي كذلك يرى هؤلاء أنَّ تأثير المناخ والموقع الجغرافي في تغيُّر الظواهر الاجتماعية أمر حتمي، وأنّ التغيُّر الذي يطرأ على البيئة الجغرافية ينعكس في تغيير الظواهر الاجتماعية عموماً.

وبذلك يربطون بين قيام الحضارات وتقدُّمها في مجتمعات دون أخرى وبين عوامل البيئة والمناخ ويأتي في مقدمة هؤلاء العلماء رائد علم الاجتماع العربي ابن خلدون.

ج–العامل البيولوجي أو العنصري:

يُشدّد آرثر جوبيتو الفرنسي باحث النظرية العنصرية في علم الاجتماع على أهمية العامل العنصري في التطور الاجتماعي من خلال استبعاده للعوامل الأُخرى استبعاداً تعسُّفياً وذلك في كتابة المعَنوَن " مقال في عدم تكافؤ الأجناس الإنسانية " في منتصف القرن التاسع عشر، وإضافةً إلى ذلك يقرّر جوبيتو أن انحلال المجتمعات لا يرجع إلى التصوّرات الدينية، أو التَّرَف أو الفساد أو الظلم...الخ. فقد بقيت كثير من الأمم مزدهرة رغم وجود واحد أو أكثر من العوامل والظروف وبذلك فالتكوين العنصري أو البيولوجي هو العامل الأساس في هذه العملية.[17]

5– مظاهر وملامح التغير الاجتماعي في الجزائر:

لا يوجد مجتمع لا يتغير ويبدو المجتمع مستقرا ساكنا سائرا في انجاز وظائفه في هدوء طوال أجيال متعاقبة، ولكنه حين يصل إلى درجة من التجمع الحضاري يبدأ في التغير بسبب وجود قوى تعمل لتأسيس نظم جديدة، من أهم مظاهر وملامح هذا التغير ما يلي:

-لكل شيء سلاح ذو حدين، كذلك الأمر بالنسبة للتغير، فهناك مظاهر إيجابية وأخرى سلبية.

مظاهر التغير الاجتماعي الإيجابية و تشتمل:

- التقدم العلمي و التكنولوجي أدى إلى رفاهية الفرد و المجتمع في مجالات عديدة.
- تحسين وسائل الاتصال وزيادة اعتماد الأفراد و الجماعات على بعضهم البعض، وسهولة التزاوج بين الثقافات.
- النمو الحضاري والتغير العمراني المصاحب للتغير السكاني.

-ظهور قوة للطبقة العاملة.

- الهجرة من الريف و القرى إلى المدن.

-التوسع في تعليم المرأة.

-إدراك أهمية التعليم في تحقيق الارتفاع على السلم الاجتماعي و الاقتصادي وبالتالي:

-زيادة الحاجة إلى إعداد صفوة ممتازة من العلماء لضمان المزيد من الرقي الاجتماعي و الاقتصادي.

- نمو وعي الأفراد بحقوقهم و واجباتهم الوطنية.

مظاهر التغير الاجتماعي السلبية و تشتمل:

-تغير بعض القيم الاجتماعية التقليدية التي كانت تسود المجتمع وتحكم سلوك أفراده، فأصبح مقبولا بعض ما كان مرفوضا و منبوذا من قبل ، و أصبح مرفوضا بعض ما كان مقبولا و شرعيا من قبل.

-خروج المرأة من دائرة البيت الضيقة إلى مجتمع العمل و الإنتاج، وما أدى إلى بلوغ تطورات خطيرة في حياة المجتمع وقيمه المختلفة، وذلك فيما يتصل بالعلاقات الزوجية و إضعاف لسلطة الزوج في المنزل وقضايا التنشئة الاجتماعية الأخرى.

-زيادة الضغوط و الصراعات النفسية كنتيجة حتمية للعولمة، وما ترتب عنه من آثار سلبية على الفرد والمجتمع.

-تغير الشكل الأسري من الأسرة الكبيرة إلى الأسرة الصغيرة المستقلة اقتصاديا ، وظهور مشكلات العنوسة و التأخر في الزواج.

-تركيز الأفراد على الناحية المادية و إهمال النواحي الروحانية و انتشار اللامبالاة و العبث و التمرد اللاواعي.[18]

الخلاصة:

نستخلص مما سبق ذكره أن التغير الاجتماعي ظاهرة طبيعية لا بد منها حتى تستمر الحياة بمختلف ميادينها،وأن هناك عوامل تساهم في تشجيع التغير من أجل ضمان الاستمرارية والبقاء وفق مايتطلبه الوضع الراهن،ورغم ما للتغير الاجتماعي من مظاهر ايجابية أوسلبية أصبح أمر حتمي في الواقع المعاش، وعليه على الشعوب أن تتكيف معه وتستفيد من الجوانب الايجابية والتقليل من الجوانب السلبية.

الهوامش:

[1]عبد العزيز جابر:**تاريخ علم الاجتماع**،الإسكندرية، دار المعرفة ين،2011، ص 23

[2] ممد مروان،**الفرق بين، التغير والتغيير**،على الرابط التالي /https://mawdoo3.comيوم 11-06-2020 على الساعة 10:40 .

[3]عزت السيد أحمد:**آفاق التغير الاجتماعي والقيمي– الثورة العلمية والمعلوماتية والتغير القيمي**،دمشق،دار الفكر الفلسفي،2005,ص23.

[4] رحالي حجيلة،**التغير الاجتماعيي في المجتمع الجزائري–المفهوم والنموذج**–،مجلة كلية اللآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية،جامعة بسكرة،العدد السابع.

[5] Guy,Rochar,**Le changement sociale,Introduction à la sociologie générale**,Ed H.M.H.paris 1968,p19.

[6]دلال ملحس استيتية: **التغير الاجتماعي والثقافي**،الأردن،دار وائل للنشر والتوزيع ،2010, ص119 .

[7]دلال ملحس استيتية,مرجع سابق,ص120.

[8] دلال ملحس استيتية,مرجع سابق, ص121-122.

[9] دلال ملحس استيتية,مرجع سابق, ص122-123.

[10]دلال ملحس استيتية,مرجع سابق ص 123.

[11] دلال ملحس استيتية,مرجع سابق ص 124.

[12]دلال ملحس استيتية,مرجع سابق ص -124-125 .

[13] ملحس استيتية,مرجع سابق ص 127.

[14]رفاح الصباح, **عوامل التغير الاجتماعي**. جامعة السربونن أبوظبي، 2019. تم الاسترجاع على الرابط التالي: :httpsK://e3arabi.com/%D8%B9%D9%84%D9%85- يوم08-06-2020 على الساعة11:30 .

[15] رفاح الصباح مرجع سابق.

[16]رفاح الصباح مرجع سابق.

[17]رفاح الصباح مرجع سابق.

[18] بوعطيط سفيان، **التغير الاجتماعي في الجزائرعلى القيم**،كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة 20 أوت 1955 – سكيكدة الجزائر،تم الاسترجاع على الرابط التالي:

https://sites.google.com/site/socioalger/ يوم 10-06 - 2020على الساعة 9:40.

دور إستراتيجية العلاقات العامة في التصدي للازمات الحديثة

– أزمة وباء كورونا نموذجا –

طالب دكتوراه بدر الدين زمور، طالب دكتوراه حمزة غندور
[1] جامعة البليدة 2 لونيسي علي (الجزائر)
[2]جامعة البليدة 2 لونيسي علي (الجزائر)
البريد الإلكتروني[1] :eb.zemmour@univ-blida2.dz
رقم الهاتف0550828615:
البريد الالكتروني [2] :hamzaghandour 23@gmail.com
رقم الهاتف [2] :0658348959

ملخص البحث

انتشرت مهنة العلاقات العامة على امتداد المجتمعات العالمية و تعددت الاستراتيجيات التي تتبعها كل مؤسسة حسب كل تخصصها ، ومع ذلك تطورت الازمات التي تهدد هذه المؤسسات وهو ما كان جليا خلال ازمة وباء كورونا الذي أصاب كل مجتمعات العالم ، لتتحرك إدارات العلاقات العامة داخل المؤسسات للتصدي او للتقليل من حدة هذه الازمة الخطيرة ، وهو ما سنتطرق له في هذه الوريقات العلمية من خلال الحديث عن مهن العلاقات العامة و كذا استراتيجياتها أثناء الازمات مع استعراض نموذجين واحد عربي و آخر جزائري لكيفية تعامل أجهزة العلاقات العامة أثناء اجتياح وباء كورونا لجميع المؤسسات و المنظمات.

الكلمات المفتاحية : علاقات عامة ؛ إستراتيجية ؛ أزمة ؛ مؤسسة ؛ وباء كورونا .

Summary:

The public relations profession spread throughout the world societies and the strategies followed by each institution are varied according to its specialization, yet the crises that threaten these institutions developed, which was clear during the crisis of Corona epidemic that hit all the world societies. To move public relations within institutions to deal with or reduce the severity of this serious crisis. This is what we will address in these scientific leaflets, through talking about the public relations professions and so on their strategies during crises, with a review of one Arab and another Algerian model of how the public relations systems deal during the invasion of Corona epidemic to all institutions and organizations.

Key words: Public Relations ; Strategy ; crisis ; Foundation ; Corona epidemic.

مقدمـــــــة :

منذ دخول المجتمعات في العقدين الأخيرين بدا جليا مدى تعاظم دور العلاقات العامة داخل المجتمعات نظرا للأهمية البالغة التي اكتسبتها نتيجة توالي نتائجها الايجابية و اعتماد العديد من المجتمعات بما تحمله من مؤسسات على مختصي العلاقات العامة ، كونها أصبحت ضرورية لنمو المجتمعات ، حيث تعتبر كحلقة وصل بين المجتمع و باقي المنظمات بداخله فما من منظمة إلا وكان عليها أن تعتمد على العلاقات العامة في تسييرها و خطتها المستقبلية بما يضمن نجاح المنظمة ككل في بيئتها الداخلية مع موظفيها او مع البيئة

الخارجية المتمثلة في المتعاملين الخارجين بكل أصنافهم ، و هذا من خلال بناء أساس مشترك ذو منفعة مزدوجة للمنظمة او للمتعامل الخارجي .

ومع تطور المنظمات تطورت معا التهديدات التي تلاحقها بين الحين و الآخر ، فأي مؤسسة ليست بعيدة عن الازمات التي قد تلحق بها نتيجة العديد من الاسباب سواء كانت ازمات مالية ، بشرية ، او حتى صحية مثلما حدث مؤخرا نتيجة ظهور وباء كورونا Covid -19 ازمة خطيرة جديدة على نشاط المؤسسات و هو ما دفع العديد من المؤسسات إلى الاستعانة بالعلاقات العامة من اجل تجاوز هذه الازمة الخطيرة التي ضربت جل المجتمعات ، فالعلاقات العامة لها دور مهم و بارز في الحد من مثل هكذا ازمات فاتكة بالمؤسسات مهما كانت قوتها ، حيث أننا من خلال هذه الدراسة النظرية سنحاول إبراز الاستراتيجيات التي يتبعها مختصوا العلاقات العامة في حدوث الازمات الخطيرة و كيفية تعاملهم معها من اجل تجاوزها او للحد من خطورتها و منه يمكن استخلاص تساؤل جوهري لبحثنا : ما هو دور استراتيجيات العلاقات العامة في التصدي للازمات المعاصرة ؟

أولا : العلاقات العامة و الازمات

1- مفهوم العلاقات العامة :

وضعت المئات من التعريفات لمفهوم العلاقات العامة في العديد من التخصصات المرتبطة بها وكذا نوعية ارتباطها بمكان تواجد المختصين فيها من شركات و وسائل إعلام وغيرها ، حتى أن هناك من ربطها بالدعاية والإعلان وكذا الاتصال و التخطيط الاستراتيجي ... ، إلا أن هناك تعريفات جاءت شاملة لهذا المفهوم المترابط حيث أردنا تحديد وتفصيل معنى العلاقات العامة من خلال تفكيك أجزاء المفهوم للوصول إلى المفهوم الشامل و المتعارف عليه تقريبا لدى غالبية المختصين في هذا المجال.

العلاقات : وتعني التواصل الناجم عن تفاعل فردين او أكثر وتتحقق هذه العلاقة بعد حدوث فعل ورد فعل ايجابيا وتكون حصيلة علاقات اجتماعية تعاونية او على العكس من ذلك يكون اتجاها سلبيا ويقود الى علاقات متوترة قد تؤدي الى التفكك والاختلاف بين الأفراد. (الدليمي عبد الرزاق ، 2005 ، ص 34)

العامة : وتعني الجمهور او الناس ويعد هذا المفهوم تحديدا لنطاق شمولية العلاقات أي أن العلاقات تشمل هنا كل عمليات التفاعل مع الجمهور او الناس في المجتمع ولذلك تصبح عمليات التفاعل هذه واسعة النطاق معقدة الأبعاد متنوعة الأهداف بتعدد حاجات الأفراد والجماعات وتنوع مصالحهم واتساع أهدافهم .(الدليمي عبد الرزاق ، 2005 ، ص 34)

هي الجهود الإدارية الخلاقة والمخططة والمدروسة والمستمرة والموجهة لبناء علاقات سليمة ومجدية قائمة على أساس التفاعل والإقناع والاتصال المتبادل بين المؤسسة وجمهورها لتحقيق أهداف ومصالح الأطراف المعنية ولتحقيق الانسجام الاجتماعي والبيئي بينهما عن طريق النشاط الداخلي القائم على النقد الذاتي لتصحيح الأوضاع والنشاط الخارجي الذي يستغل جميع وسائل النشر المتاحة لنشر الحقائق والمعلومات والأفكار وتفسيرها وتطبيق كافة الأساليب المؤدية لذلك بواسطة أفراد مؤهلين لممارسة أنشطتها المختلفة.(عبد النور هناء)

2- تعـــريف جمعـــية العـــلاقات الـعامـــة :

العلاقات العامة هي نشاط إداري و تسييري يتم بصورة دائمة و منظمة ، تسعى المؤسسة او أي تنظيم عمومي او خاص من خلالها لإيجاد جو من التفاهم و التقارب مع من تتعامل معهم " الجمهور" ، و لتحقيق هذا الهدف تسعى المؤسسة قدر الإمكان أن

تكيف نفسها مع اهتمامات الجمهور ، بحيث تطبق مبدأ الاعلام الواسع ، و تسعى لإيجاد تعاون فعال معهم ، و تأخذ بعين الاعتبار تحقيق مصلحة الجميع . (بودهان يامين ، 2006)

3- وظـــائـف العـــلاقات العـــامة:

تعتبر العلاقات العامة حلقة وصل بين المنظمة والمجتمع الذي يحيط بها فكل منظمة في المجتمع تقوم بتقديم خدمة معينة أو إنتاج معين الأفراد المجتمع، وهو ما يدعو إلى ضرورة تقوية علاقات عامة مع أولئك الأفراد بهدف إعلامهم وإقناعهم ، بحيث تتولى إدارة العلاقات العامة بالمنظمة القيام بعدة أنشطة ووظائف تهدف إلى تحسين علاقة المنظمة بجماهيرها المختلفة هي على الشكل التـــــالي: (طايبي رتيبة ، ص 39-40)

- إجراء البحوث والدراسات واستطلاع آراء ومواقف العاملين والجماهير الخارجية وتوصيلها للإدارة العليا.
- الإعلام والنشر عن المنظمة وموظفيها وأنشطتها وإنجازاتها وتاريخها وخططها المستقبلية باستخدام كافة وسائل الاتصال المتاحة.
- القيام بوظيفة الاستعلامات والإجابة على أسئلة جماهير المنظمة والرد على ما ينشر حولها.
- استقبال ضيوف المنظمة وإعداد برامج الضيافة والترتيب للقاءات مسؤولي المنظمة برجال الإعلام.
- تنفيذ البرامج الثقافية والترفيهية والاجتماعية للعاملين بالمنظمة وكذا القيام بتنظيم المؤتمرات المتخصصة والندوات والمحاضرات والمعارض والاشتراك بها.

4- مفـــهوم الأزمـــة:

هي عبارة عن خلل يؤثر تأثيرا ماديا على النظام كله كما انه يهدد الافتراضات الرئيسية التي يقوم عليها هذا النظام أو هي عبارة عن وجود مشكلة تتسع وتكبر وقد تنحرف عن مسارها الطبيعي وبذلك يصعب تلافيها.(الدليمي عبد الرزاق ، 2005 ، ص 110)

ويرى محمد رشاد الحملاوي أن الازمة عبارة عن خلل يؤثر تأثيرا شديدا على المؤسسة ، كما أنها تهدد الافتراضات و المسماة الرئيسية التي تقوم عليها المؤسسة. (رشاد الحملاوي محمد ، 1993 ، ص3)

في حين يرى إبراهيم العيسوي أن الازمة حدث يقع فجأة دون توقع او يكون توقعه قد تم قبل وقوعه بوقت قصير جدا الأمر الذي لا يسمح باتخاذ الإجراءات المناسبة لمواجهته و انه يتسبب في وقوع خسائر مالية مادية او بشرية ، كما يتسبب في خلق مشكلات جديدة لا تملك المؤسسة الخبرة الكافية لمواجهتها. (العيسوي إبراهيم ، 1993 ، ص ص 1 – 3)

5- سمـــات وخصـــائص الأزمة :

تتمثل سمات وخصائص الأزمة في الأتي: (محمد العربي عثمان، 1992، ص 93)

- أن الأزمة حدث مفاجئ.
- الأزمة عملية واضحة ينتج عنها توتر وقلق وضغوط تتطور بسرعة الزمن، ويحدث موقف الأزمة ارتباكا كبيرا في حلقات حياة المؤسسات والمنظمات وكثيرا من مشاعر الخوف والصدمة وتقود إلى حدوث مشكلات كبيرة.
- تسرع الأزمة في إحداث التغيير، حيث يكون هناك استعداد لقبوله أكثر من أي وقت مضى.
- آن حل الأزمة لا يعني تقديم ضمانات بعدم تكرارها مرة أخرى، فالأزمة يمكن أن تتكرر وتحدث أي وقت.

- لا يجب اعتبار الازمة على أنها تهديد للبقاء، فالبعض المؤسسات خرجت من الأزمات أكثر قوة فالأزمة يمكن أن تكون خبرة ايجابية لدى المؤسسة، كما أن التصرف السريع والسليم من قبل إدارة المؤسسة يحول الأزمة الى استثمار.

ثانيـا : إستراتيجيـــــة العـــــلاقات العامـــة

1- مفهـــوم الإستراتيجـــية :

الإستراتيجية أو علم التخطيط بصفة عامة هي مصطلح عسكري بالأساس وتعني الخطة الحربية ، أو هي فن التخطيط للعمليات العسكرية قبل نشوب الحروب، وفي نفس الوقت فن إدارة تلك العمليات عقب نشوب الحروب ، وتعكس الإستراتيجية الخطط المحددة مُسبقاً لتحقيق هدف معين على المدى البعيد في ضوء الإمكانيات المتاحة أو التي يمكن الحصول عليها. (أنظر المقال على الموقع)

كما أنَّ الإستراتيجية الإدارية تُعد وسيلة تنبع من تفكير خلاَّق وابتكار إبداعي ، وتختلف عن التكتيك – فن وضع الخطط – أو اتخاذ إجراءات فورية مع الموارد المتاحة في متناول اليد، فالإستراتيجية بطبيعتها مدروسة مُسبقاً بشكل شامل، وفي كثير من الأحيان مُتَمَرَّن عليها عملياً، كما تُستخدم الإستراتيجيات في تسهيل إدراك المشكلة وحلها، أضف إلى ذلك أنَّ الإستراتيجية تُبنى من جرَّاء تصنيف الأحداث والمتضادات بطريقة قيادية، فهي تتسم بالمخاطرة وعدم التأكد. (يونس حسين)

يعرفها BYARS: "هي عملية تحديد الأهداف والخطط والسياسات المناسبة للظروف البيئية التي تعمل في ظلها المنظمة، والتي تتضمن عملية تحديد البدائل المتوفرة ". (كوردي جيرمي ، 2011 ، ص 135)

2- إستراتيجـــية العـــلاقات العامـــة وتطـــورها :

المقصود باستراتيجيات العلاقات العامة حسب كتاب Publicitor، هي مجموع القرارات الهامة والمستقلة عن بعضها التي تتخذها مؤسسة ما، بغرض تحقيق أهداف معنية، وذلك باستعمال وسائل اتصال وتقنيات متعددة.

لذا نجد أن المؤسسة التي تؤمن بدور الاتصال والعلاقات العامة كوظيفة أساسية للتسيير الفعال تخصص مصلحة أو قسمًا خاصًا تطلق عليه عادة تسميات عدة، كمصلحة العلاقات العامة، قسم الاتصال، كما تكلف موظفا أو أكثر يقوم بمهام إعداد وتنفيذ برامج العلاقات العامة، وإعداد إستراتيجية عمل لتنفيذ هذه البرامج، وذلك بهدف تكوين وبناء صورة حسنة، وعلاقات ثقة مع الجماهير التي تتعامل مع هذه المؤسسة، وتطلق عليه هو أيضا عدة ألقاب ، كالمكلف بالعلاقات العامة عون العلاقات العامة ، مستشار العلاقات العامة ، ضابط العلاقات العامة، بالنسبة لمن يشتغل في السلك العسكري. (عبد المعز أحمد هبة)

3- خطـــوات بنـــاء إستراتيجـــية العـــلاقات العامـــة : حتى تتمكن المؤسسة من تخطيط وإعداد إستراتيجية فعالة للعلاقات العامة، و ضع خبراء التخصص استبيان يحوي مجموعة من الأسئلة، و كل سؤال يعد محورا أساسيا من محاور خطة إعداد الإستراتيجية الفعالة: (عبد المعز أحمد هبة)

- ما الأهداف الموجودة ؟
- من الجمهور المستهدف؟
- ما الأنظمة المتأثرة والمؤثرة في المؤسسة؟
- ما الوسائل والتقنيات التي يجب الاعتماد عليها؟

- ما العوائق المحتملة بخصوص الميزانية، الوقت اللازم؟

عند البدء في بناء وإعداد إستراتيجية للعلاقات العامة داخل مؤسسة المثال، لابد من إجراء عملية بحث واستكشاف عند كل خطوة من الخطوات السابقة، حتى نفهم بشكل أفضل مقتضيات كل خطوة، مستعينين في ذلك بالدراسات الاجتماعية والنفسية، علم .

4- أنـــواع استراتيجـــيات العلاقـــات العامـــة:

إن طبيعة الأنشطة في مجال العلاقات العامة التي تتميز بتنوع والتعدد جعل من الطبيعي أن يكون لكل ميدان إستراتيجية خاصة تلاؤم وتحقق أهدافه وفيما يلي الإستراتيجيات التي تستخدمها العلاقات العامة في تحقيق أهدافها ، وتوجد عدة استراتيجيات يمكن إتباعها وهي: (صبيح احمد ، 2012 ، ص 66)

أ- إستراتيجية التركيز: مثلا في حالات الطوارئ استخدام كل وسائل الاتصال للوصل لكافة الجماهير في أن واحد و توفير الإمكانيات.

ب- إستراتيجية التوقيت المناسب: تحديد الوقت المناسب لإذاعة أو نشر بيان أو لإعلان قرار أو لافتتاح مشروع وهكذا ويجب أن يراعى تحديد الوقت لكسب تأثير الجمهور الذي من أجله قمنا بالتوقيت.

ج- إستراتيجية المشاركة : من خلال تقديم الاقتراحات ، انتخابات ممثلين عن الجمهور الداخلي ، إعطاء الجمهور الداخلي فرصة التعبير عن رأيه في وسائل إعلان المؤسسة- صندوق شكاوي واقتراحات وكل ما سبق يعزز الشعور بالانتماء والمشاركة داخل المؤسسة.

د- إستراتيجية عدم التدخل: في حال إجراء المسابقات والمباريات وغيرها فإن المؤسسة لا تتدخل في نتائجها، بل الأفضل أن تسند أمرها للجان أو شخصيات محايدة، وذلك إعلاء لقيمة النزاهة والشفافية عند المؤسسة.

ي- إستراتيجية الاختفاء : وهي القاعدة الأساسية في عمل العلاقات العامة فلا يجب ظهور اسم ممارس العلاقات العامة على منشورات وإصدارات المؤسسة أو على مجموعة أوراقها.

5- خطـــوات بنـــاء إستراتيجيـــة العلاقـــات العامـــة :

استراتيجيات العلاقات العامة أمست مطلباً عالمياً، وهو إيصال المعلومة الصحيحة إلى الجمهور الصحيح في الوقت الصحيح، ومن هنا فإن طريق بناء إستراتيجية علاقات عامة مكللة بالنجاح تستند على **4** خطوات رئيسية: (الكيلاني مصطفى)

الخطوة الأولى: جهز نفسك، وابدأ بالبحث.

تقول مستشارة العلاقات العامة تانيا ريندرز " عند تطوير إستراتيجية علاقات عامة، استخدم علامات تنافسية للتأكد من عدم إعادة نفس الأفكار، واختراع الرسائل الجديدة والحصول على جمهور محدد لم يكتشفه أحد بعد"، ''التواصل الدائم مع بوابات الإعلام والإعلان التي تهتم وتختص بمجال عملك أو بمنتجاتك سيساعد في إبقائك في قمة النقاشات في هذا المجال''.

الخطوة الثانية : عـرّف هـدفك بدقـــة.

يجب أن نبتعد البعد الشديد عن التخطيط الاستراتيجي في حال أطلقنا حملة من أجل فقط إطلاق الحملة، ومن المتوقع الوقوع بهذا الفخ لأن الإدارة العليا تطلب خبر كل أسبوع أو حملة .

و تساعدنا الأسئلة التالية على تحديد هذا الهدف الذهبي :

- ✓ من هو زبوني تحديداً ؟

✓ ما هي الرسالة / الرسائل التي أريد إيصالها لهذا الزبون؟

✓ ماذا أريد أن أحقق؟

الخطوة الثالثة : رسـم رسائـل الإستراتيجية تبعاً للدراسـة.

بعد الخطوتين الأولتين، من المؤكد فنحن جاهزون كل لرسم وتشكيل رسائل الإستراتيجية فقد جمع ''د. يونغستورم'' العلاقات التي تربط بين البحوث والرسائل بطريقة جميلة جدا، ''في نهاية اليوم ، مؤشرات عظيمة توجد فرص لإخبار قصص فريدة من نوعها تتناغم مع جمهورنا المنشود''.

فإذا أردنا إيجاد حملة محكمة التفاصيل فيجب أن تكون موجزة وأن يسهل التفاعل معها، فتحث هذه الحملة الزبائن لأخذ الإجراء اللازم وهو ما نطمح له ، ولا ضير من مشاركتها مع الزملاء لأخذ التغذية الراجعة.

الخطوة الرابعة : افهـم وعـرِّف الأهـداف الإعلاميـة.

عندما يكتمل رسم وجه حملتك يبدأ تفكيرك بالتمحور حول القنوات التي يجب استخدامها لإطلاق الحملة من خلالها، للوصول إلى الزبون المنشود.

كل حملة تصاحبها كلمة ''إستراتيجية'' تحمل الكثير من الأهمية، فهي الطريق لحملة علاقات عامة مكللة بالنجاح، محترفو العلاقات العامة أوجدوا طريقة للتفكير الاستراتيجي للاتصال بين الشركات وزبائنها . ومن المهم المحافظة على هذه الطريقة حتى بأي مشروع نقوم به، كبر حجمه أم صغر. فبالخطوات الآنف ذكرها ، وبأدوات العلاقات العامة من برامج وبرمجيات أحداث الإستراتيجية سيصبح أمر بسيط وسريع، فعال ومريح.

ثالثا : إستراتيجية العلاقـات العامـة عبر مـراحل الأزمة .

1- العلاقات العامة في مرحلة ما قبل الازمة :

أحيانا يصبح الإعداد لمواجهة الازمة أكثر صعوبة من مواجهتها فعليا، حيث أن إدارة الأزمة تعني توقع حدوثها، والعمل على منع نشوبها، وترى أنه يجب الخروج بإدارة ناجحة للأزمة ويطرح (ريجسترولاركن) خطوات لمنع حدوث الأزمة: (يوسف محمد)

- ❖ وضع دليل إرشادي للأزمات المتوقعة.
- ❖ وضع سياسات تستهدف تجنب وقوع الأزمات.
- ❖ تحديد الجماهير القابلة للتأثر بالأزمة ووسائل الاتصال بها بالسرعة اللازمة.
- ❖ تدريب متحدثين رسميين على التعامل مع وسائل الإعلام.

ومن العوامل الإجرائية التي يجب إعدادها في هذه المرحلة:

- **إعداد ما يسمى بفريق الأزمـة:** و هو مجموعة الإدارة المسؤولة عن الاتصال بالجماهير الداخلية والعـالم الخارجـي، وينبغي أن يتضمن فريق الأزمة أعضاء أساسيين وأعضاء معاونين على النحو التالي : (Bland .M , 1998 , p36)

الفريق الأساسي : ويضم قائد الفريق،المتحدثون الرسميون، مراقب المعلومات، منسق وسائل الإعلام مسؤول تنفيذي، وفي بعض الأزمات الدولية، قد تحتاج المنظمة غلى الاستعانة بشركة متخصصة في العلاقات العامة.

الفريق المعاون: ممثل الشؤون القانونية، ممثل الأمن، ومستشار نفسي واجتماعي للتعامل مع الضحايا.

أ – رصيد بيئة عمل المنظمة: يستهدف رصد بيئة عمل المنظمة وضع تصور شامل عن تاريخ المنظمة ونشاطها ومركزها المالي والقانوني، والمشكلات التي تعرضت لها في السابق والمشكلات المتوقعة وعلاقات العمل في الداخل والخارج.

ب – تحديد الجماهير المستهدفة : الهدف من تحديد الجمهور هو سرعة التعامل مع قطاعات المجتمع ذات الصلة بالمؤسسة وهم عادة:

– الجمهور الذي تؤثر فيه الأزمة.

– الذي يؤثر في المنظمة .

– المتورط في الأزمة.

ج – بناء الرسائل الاتصالية واختيار طرق الاتصال :تعتمد صياغة الرسائل الاتصالية على طبيعة الأزمة والمرحلة التي تمر بها والجمهور المستهدف ومن المهم التفكير في صياغة هذه الرسائل وذلك لأنها تعتمد بالدرجة الأولى على خلفية المنظمة واستراتيجيات عديدة.

2– العلاقات العامة في مرحلـة الأزمـة:

تؤكد العديد من الدراسات و الأبحاث أن الأمر الذي يكون قيد الاهتمام أثناء الأزمة يتمثل في المعلومات، حيث أن قلتها تؤثر سلبا على مختلف الأطراف ، وبالتالي فإن قدرة أخصائي العلاقات العامة في المنظمة على إمداد وسائل الإعلام بالمعلومات الدقيقة والفورية لازمة لكي تعطي تأثيرا و ذلك من خلال : (Danielle Maisonneuve et Al , 1999 , p 227)

أ– وسائل الإعلام أثناء الأزمة: تتعرض منظمات كثيرة اليوم إلى أزمات نتيجة الرغبة الملحة لوسائل الإعلام في الحصول على معلومات عن تطورات هذه الأزمات، وتواجه تلك المنظمات مشكلة الرغبة في تلبية حاجة وسائل الإعلام في تزويدها بسرعة بالمعلومات، والحذر من تقديم معلومات مغلوطة أو غير متكاملة.

3– معايير عمل العلاقات العامة أثناء الأزمات: ويمكن حصرها في: (Danielle Maisonneuve et Al , 1999 , p 229)

❖ **سرعة الاستجابة للحدث** :حين تقع الأزمة لا بد أن تكون المنظمة مستعدة للاستجابة لها عمليا من خلال السبق في طرح المعلومات ، وتلبية اهتمام المتعاملين مع المنظمة،وسرعة التوجه إليهم بحقائق الحدث.

❖ **الصدق:** إذ هو السياسة الوحيدة التي تكسب المنظمة ثقة كافة الأطراف والمتعاملين معها.

❖ **إظهار الاهتمام** : حين تقع المشكلات لابد من إظهار الاهتمام بالمتأثرين بها في الداخل والخارج حتى يتم شرح جوانب الازمة.

❖ **التعاون** : وذلك مع وسائل الاعلام من خلال مندوبيها، و إمدادهم بكافة البيانات والإحصاءات.

4– إجراءات العلاقــات العامــة في مرحلة الأزمــة:

أحيانا تتخذ المنظمة بعض الإجراءات المفتعلة ليس لسبب سوى الإيحاء للجماهير بأنها ليست مستسلمة للازمة وإنما تقوم بعمل مهم حيالها، فمثلا حين يحدث تلوث في الهواء، قد تقوم المنظمة بإيقاف تشغيل احد المصانع حتى تبدي للجماهير أنها مهتمة بهم وحريصة على صحتهم، وبذلك تكون المنظمة قد ألمت بالأحداث وخاصة عندما تقوم وسائل الاعلام بإيداع أفعالها ومن بين الخطط التي تنتهجها المؤسسات أثناء الازمات نجد : (Dyer , 1995 , p 117)

أ– إصدار البيان : يجب أن تكون المنظمة متحمسة لإصدار بيان بالحدث خلال دقائق معدودة ، ويتم تمرير هذا البيان عبر قنوات وسائل الاعلام التي يتم اختيارها مسبقا، وينطوي البيان على بعض العناصر المهمة:

- تقديم أكبر قدر ممكن من المعلومات المرتبطة بالحدث .

- إظهار تعاطف إنساني، وذلك باستخدام عبارات مثل ": نحن نهتم" ، " نحن قلقون مما حدث " و " نحن نعتني" ، " نحن نتعاطف ..."

ب– اجتماع فريق الأزمة : ليس من الواجب أو المتوقع إلزاما تواجد جميع أعضاء الفريق واستعدادهم النفسي لمواجهة الحدث ومهما كان هيكل الفريق فلا بد أن يجتمع بالسرعة اللازمة، و يكون هذا الاجتماع بعيدا عن بؤرة الحدث بقدر الإمكان.

ج – عقد المقابلات الإعلامية : في الوقت الذي توصف فيه منشورات المنظمات بعدم المصداقية،و ذلك لغياب عنصر الإقناع بها لذلك ينصح الباحثون باستخدام وسيلة الانترنت كوسيلة تجمع العديد من المحاسن ،منها نقص التردد والخوف من أسئلة الصحفيين، المواجهة المباشرة التي تجعل الجماهير يطمئنون الى تفسيرات المتحدث الرسمي باسم المؤسسة.

5– أنشـطة العلاقـات العامـة في مرحلة ما بـعد الأزمـة:

بما أن الأزمة تحمل معها إرهاصات عميقة التأثير فيجب على المنظمات الاستمرار في جذب الجماهير نحو أنشطة المنظمة، وعدم إهمال المعالجات السلبية لما تنشره وسائل الاعلام وذلك عن طريق: (منير عبوي زيد ، 2006 ، ص 26)

- **بيئة عمل المنظمة** : يتوقف على فريق العلاقات العامة في هذه المرحلة النظر في إعادة هياكل التنظيم والإدارة بالمنظمة وإعادة تحليل صلات المنظمة مع مكوناتها المختلفة، والعمل على استكشاف مصادر التهديد، واستخدام نظام الاتصال الشبكي فيما بين مكونات المنظمة كبديل عن الاتصال الهابط.
- **دعم العلاقات بجماهير المنظمة** :وبالأخص التعامل مع شكاوي الجماهير بجدية، والتفهم الكامل لمدركات الجمهور وتبني قضاياه لاكتساب المصداقية، وذلك من خلال وضع خطط الاتصال الكفيلة بتلبية الحاجات.
- **دعم العلاقات مع وسائل الاعلام** : وذلك من خلال إقامة روابط اجتماعية وصلات قوية مع الإعلاميين تستند الى تبادل المصالح، واقتناص فرص التعاون، وإقناعهم بتبني مواقف المنظمة.

رابعا : إستراتيجيات العلاقات العامة خلال ازمة كورونا Covid- 19 :

1– الصفات التي يجب أن يتميز بها رجـال العلاقـات العامـة في مواجهة الازمات:

مهنة العلاقات العامة من أجمل و أحسن المهن لكن في نفس الوقت صعبة كونها تتعامل مع العديد من الأطراف في المجتمع من وسائل إعلام و متعاملين اقتصاديين و كذا أفراد عاديين متمثلين في الزبائن العاديين و لهذا وجب على المختصين في العلاقات العامة التحلي بمجموعة من الصفات و الـتي من بينها : (عبد الوهاب محمد السعيد ، 2006 ، ص154)

- ❖ رجال العلاقات العامة لديهم حلم، فالناجحون يتميزون بتحديد أهدافهم وغاياتهم بشكل جيد ودقيق ولا يتأثر بسهولة مما يودي الى تحقيق هذه الأهداف والغايات والنتائج.
- ❖ أن يكونوا على تركيز على أهدافهم وغاياتهم الرئيسية .
- ❖ يتحملون مسؤولية أفعالهم، فلا يقدمون الأعذار ولا يلومون الآخرين.
- ❖ بحث رجال العلاقات العامة الناجحين على حلول للازمة، فهم يركزون على انتهاز الفرصة عندما تحين لهم.
- ❖ لديهم الشجاعة للاعتراف بأخطائهم عندما ترتكب .

2– توظيف إستراتيجية العلاقات العامة خلال أزمة كورونا(السعودية):

بما أن الازمة هي عبارة عن خلل او خطر وقع او على وشك الحدوث داخل مجتمع ما أو أي مؤسسة ، وبما أن كل تلك المؤسسات و بطبيعة الحال ستجند كل إمكانياتها من اجل التصدي للازمات التي تهددها سواء داخليا او خارجيا ، لذلك و مع ظهور و انتشار فيروس كورونا COVID-19 بشكل رهيب داخل المجتمعات العالمية و من بينها العربية و حتى الجزائرية محليا ، كان على الدول و بالأخص المؤسسات المتواجدة في كل مجتمع ، أن تستعد لمواجهة هذا الوباء العالمي من خلال تفعيل كل السبل التي تساهم في الحد من تأثير هذا الوباء ، والتي من بينها أجهزة العلاقات العامة التي تم استنفارها من اجل التصدي لهذه الازمة حيث ، كشفت دراسة علمية حديثة عن مدى توظيف ممارسي العلاقات العامة في المستشفيات الحكومية والخاصة بمدينة الرياض لمواقع التواصل الاجتماعي في إدارة أزمة فيروس كورونا المستجد كوفيد 19 مبينة أهمية وسائل التواصل الاجتماعي لجمع المعلومات حول هذه الجائحة على وجه التحديد حيث احتلت مواقع الشبكات الاجتماعية المرتبة الأولى في الدراسة كمصدر مهم للمعلومات حول الأزمة.

وأكدت الدراسة التي أجرتها " الدكتورة صفية بنت إبراهيم العبد الكريم أستاذة العلاقات العامة بقسم الإعلام بجامعة الملك سعود بالرياض " (الحيدر محمد) ، على عينة من مسؤولي العلاقات العامة والإعلام بعدد من المستشفيات بمدينة الرياض أن القنوات الإخبارية العربية احتلت المرتبة الثانية من حيث اعتمادهم عليها كمصدر للمعلومات والمعرفة حول المرض مما يشير إلى أن القنوات الإخبارية العربية تحظى بمصداقية عالية خاصة خلال الأزمات وتحديداً خلال أزمة كورونا، مشيرة إلى أن وسائل الإعلام العالمية جاءت في المرتبة الثالثة حسب وجهة نظر المبحوثين.

وأوضحت الدراسة أن وسيلة التواصل الاجتماعي "تويتر" تصدرت قائمة المواقع التي اعتمد عليها ممارسو العلاقات العامة والإعلام في الحصول على معلومات أكثر حول فيروس كورونا حيث جاءت بنسبة 25,2 % وهذا يتسق مع الصدارة التي يحظى بها موقع تويتر بين الجمهور السعودي بشكل عام يليه موقع اليوتيوب بنسبة 22,4 % ثم موقع انستغرام بنسبة 18,6 % بينما جاء موقع الفيسبوك في الترتيب الرابع بنسبة 14,1 % ثم سناب شات بنسبة 9,8 %، يليه الواتس آب في الترتيب السادس بنسبة 2,8 %، بينما جاءت المدونات في الترتيب الأخير.

وأشارت الدراسة إلى أن المبحوثين أكدوا أن الخطوات التي يتم اتخاذها من خلال العلاقات العامة في أي قطاع يحتمل أن يتعرض لأزمة ما، يتمثل أبرزها في وجود فريق مدرب خاص بإدارة الأزمة إضافة إلى اختيار متحدث رسمي لإدارة الأزمة ضماناً لتوحيد التواصل الإعلامي وتحديد الإستراتيجية الإعلامية للتعامل مع الحدث يلي ذلك أهمية التواصل مع الجهات المسؤولة المرتبطة بموضوع الأزمة للحصول على المعلومات الدقيقة الواضحة والموثقة حول الأزمة ثم العمل على إعداد خطط بديلة للتعامل مع الأزمة محل المعالجة وتحديد الخسائر المتوقعة في وقت مبكر من حدوث الأزمة أو قبل حدوثها في حال إمكانية ذلك. (الحيدر محمد)

أما عن أشكال التواصل مع الجمهور للتوعية من مخاطر الأزمات فقد أشارت الدراسة إلى أن المبحوثين يرون مناسبة إعداد مقاطع الفيديو التي توضح حقيقة الأزمة وتطورها ويعتبرون ذلك في مقدمة أشكال التواصل مع الجمهور ثم يأتي بعد ذلك نشر المعلومات التوعوية الضرورية، يليها تخصيص فريق مدرب يتولى الرد على استفسارات الجمهور ثم العمل على تحسين صورة الجهة.

3- الإجراءات الإستراتيجية المتخذة من طرف مؤسسة اتصالات الجزائر أثناء أزمـــة وباء كورونا :

من خلال دراستنا الميدانية التي قمنا بها على مستوى مؤسسة اتصالات الجزائر ، في المقر الرئيس للمؤسسة المتواجد بالجزائر العاصمة ، توصلنا إلى أن تم وضع سياسات مخططة مسبقا و التي تهدف إلى تجنب و التحضير لأي ازمة قد تحدث للمؤسسة ، فمن خلال حديثنا مع السيد عبد الرؤوف حموش مستشار الرئيس المدير العام مكلف بالاتصال المؤسساتي بمقر المديرية العامة لاتصالات

الجزائر، ، تبين انه و مع ازمة وباء كورونا قد اتخذت المؤسسة مجموعة من الإجراءات الإستراتيجية لمحاولة التخفيف من اثر الازمة إلى غاية زوالها ، و هو ما سنتطرق له من خلال ذكر مجمل الإجراءات الإستراتيجية المتخذة من طرف مؤسسة اتصالات الجزائر أثناء أزمـــة وباء كورونا:

أ- تأكيد المؤسسة على عدم قطعها للانترنت لزبائنها خلال فترة الحجر الصحي، خاصة في الولايات التي فيها حجر صحي شامل كمدين البليدة.

ب- أعلمت مؤسسة اتصالات الجزائر زبائنها بأنها ستقوم بتمديد اعتماد كل التدابير المقررة في إطار مكافحة تفشي وباء كورونا Covid-19 وذلك إلى غاية انتهاء فترة الحجر حيث:

- يستفيد كافة الزبائن المشتركين في خدمتي Idoom ADSL و Idoom Fibre إلى غاية 06 أيام انترنت مجانية إضافية. هذا العرض صالح فيما يخص التعبئات :

* باستعمال الدفع الالكتروني عن طريق بطاقة "الذهبية" أو البطاقة البنكية "CIB" عبر فضاء الزبون https://ec.at.dz أو التطبيق المحمول.

* باستعمال بطاقات التعبئة عن طريق الاتصال بالرقم 1500 من أي خط هاتفي ثابت أو محمول.

* تجدد اتصالات الجزائر التزامها بضمان سلامة وراحة زبائنها.

ب- عروض ترويجية من خلال إرسال هدايا على التعبئات عن بعد لفائدة زبائن مدينة البليدة.

ج- عروض ترويجية من خلال التمتع بمجانية المكالمات غير المحدودة من الثابت نحو الثابت خلال يومي العيد.

علاوة على ذلك، أتاحت اتصالات الجزائر إمكانية تعبئة حسابات الأنترنت عن بعد وبكل أمان.

د- تقليص عدد العمال إلى النصف من خلال منح عطلة مدفوعة الأجر للعمال ذوي الأمراض المزمنة و كذا ربات البيوت و النساء الحوامل ، هذا إلى غاية الانتهاء من إجراءات الحجر الصحي الإجباري.

كما اعتمدت إدارة العلاقات العامة بهذه المؤسسة على مجموعة من الإجراءات في إطار تفعيل إستراتيجيتها خلال ازمة كورونا من خلال رسائل الدعم لأفراد المجتمع و مساندتهم وكذا الرسائل الإعلامية الوقائية لضمان الحفاظ على صحة زبائنها و كافة أفراد المجتمع ، مع اتخاذ قوانين داخلية خاصة لحماية موظفيها كإلزامية ارتداء الكمامات و ضرورة التباعد الاجتماعي ، ناهيك عن المنشورات الوقائية داخل مقراتها المنتشرة على كامل تراب الدولة الجزائرية.

خاتمـــــة:

يبدو أن المؤسسات و بكل تصنيفاتها في وقتنا الحالي بحاجة ماسة إلى استراتيجيات العلاقات العامة من اجل التصدي للازمات الخطيرة التي تهددها في كل وقت ، فتواجد مدراء للعلاقات العامة أصبح ضروريا او واجبا في كل مؤسسة ، فالمؤسسة ليست بمعزل عن الأخطار او الازمات التي تهددها و تشكل خطرا على صورتها أمام جماهيرها سواء الداخلية او الخارجية ، و هو ما تم ملاحظته نتيجة الازمات الأخيرة التي وقعت فيها المؤسسات من بينها ازمة فيروس كورونا و ما خلفه من آثار وخيمة على العديد من المؤسسات التي لم تولي اهتمام بتوفير الخطط و الاستراتيجيات اللازمة للتصدي لهذه الازمة الخطيرة ، بما فيها إعطاء الأهمية القصوى و البالغة لجهاز

العلاقات العامة و توفير كل الإمكانيات اللازمة له من اجل الخروج بأمان من مثل هكذا ازمات خطيرة تعصف بالمؤسسات مهما كانت قوتها.

المراجع و المصادر :

[1]– الدليمي ، عبد الرزاق (2005) . العلاقات العامة في التطبيق . عمان، الأردن: دار جرير للنشر و التوزيع.

[2]– الدليمي ، عبد الرزاق ، المرجع نفسه .

[3] – عبد النور ، هناء (2020/06/10) . العلاقات العامة الالكترونية .مقال الكتروني . متاح على الموقع https://books.google.dz/books?id

[4] – بودهان ، يامين (2006) . هل توجد إستراتيجية للعلاقات العامة في المؤسسات الجزائرية الخاصة ؟ . مجلة العلوم الانسانية ، العدد 29 ، جامعة بجاية ، الجزائر .

[5] – طابي ، رتيبة (د ت). دور العلاقات العامة في إدارة الازمات في المنظمات . مجلة التنمية و الموارد البشرية ، العدد 09 ، جامعة البليدة 02 ، الجزائر .

[6] – الدليمي ، عبد الرزاق ، مرجع سابق .

[7] – الحملاوي ، محمد رشاد (1993) إدارة الازمة ، تجارب محلية وعالمية . القاهرة ، مصر : مكتبة عـــين شمس..

[8] – العيسوي ، إبراهيم (1992). مناهج مواجهة الازمات . الكويت : المعهد العربي للتخطيط .

[9] – محمد العربي، عثمان (1992). اتصالات الازمة ، مسح للتطورات النظرية فيها . القاهرة : المجلة المصرية لبحوث الاعلام ،كلية الاعلام ، جامعة القاهرة .

[10] – مفهوم الإستراتيجية . (2020/06/14) . مقال الكتروني . متاح على https://ar.wikipedia.org/wiki/ .

[11] – مفهوم الإستراتيجية . (2020/06/14). مقال الكتروني . متاح على https://ar.wikipedia.org/wiki/ .

[12] – يونس ، حسن . (2020/06/14) . ما هي الإستراتيجية؟ . مقال الكتروني . متاح على الموقع https://husseinyounes.com/?p=54 .

[13]– كوردي ، جيرمي (2011). استراتيجيات إدارة الأعمال الدليل إلى اتخاذ قرارات فعالة، تر ممدوح الشامي ، سمية . د ب : دار الكلمات عربية.

[14] – عبد المعز احمد ، هبة (2020/06/14) . إستراتيجية العلاقات العامة . مقال الكتروني . متاح على الموقع http://www.alnoor.se/article.asp?id=49437

[15] – عبد المعز أحمد ، هبة ، المرجع نفسه.

[16]– صبيح ، أحمد (2012) . إستراتيجية العلاقات العامة والإعلام بمصلحة الجمارك . القاهرة ، مصر : دار النهضة العربية .

[17] – كيلاني ، مصطفى . (2020/06/14) . إستراتيجية العلاقات العامة . مقال الكتروني . متاح على الموقع https://jordanianeyespassion.wordpress.com/

[18]– يوسف ، محمد (2003) . تخطيط برامج الأزمات، مجلة كلية الدراسات العليا، كلية الدراسات العليا بأكاديمية مبارك للأمن، العدد التاسع ، القاهرة، مصر .

[19] -Bland, M(1998) . *Communicating Out of a crisis* . London: Macmillan Press.

[20] -Danielle Maisonneuve et Al (1999) . Communiquer en temps de crise . presses de l'université.

[21] -Danielle Maisonneuve et Al.

[22] - Dyer s getting (1995) . *People-into the crisis communication plan*. London : pulic relation quarterly.

[23]– عبوي ، زيد منير (2006). ادارة الأزمات. عمان ، الاردن : دار كنوز للنشر والتوزيع.

[24]– عبد الوهاب محمد ، السعيد (2006). إستراتيجية إدارة الازمات و الكوارث ، دور العلاقات العامة . القاهرة ، مصر : دار العلوم للنشر والتوزيع.

[25]– حيدر ، محمد (2020/06/15) . دراسة ترصد تعامل ممارس العلاقات العامة بمستشفيات الرياض مع جائحة كورونا . مقال الكتروني . متاح على الموقع http://www.alriyadh.com/ .

[26]– حيدر ، محمد ، المرجع نفسه .

ملاحق : دليل المقابلة

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة البليدة 2

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

دليل المقابلة

موضوع الدراسة :

دور إستراتيجية العلاقات العامة في التصدي للازمات الحديثة

- أزمة وباء كورونا نموذجا -

ملاحظة: ستبقى معلومات هذه المقابلة سرية ولا تستخدم إلا في الأغراض العلمية

من إعـــــداد :

زمور بدرالدين

غندور حمزة

السنة الجامعية: 2020/2019

المحور الأول:المعلومات الشخصية

س1: ما هو تكوينكم الأكاديمي؟

س2: منذ متى وانتم مستشار للرئيس المدير العام مكلف بالاتصال المؤسساتي؟

س3: ما هي المناصب التي تقلدتموها في المؤسسة؟

س4: ما هي خبرتكم في مجال الاتصال و العلاقات العامة؟

المحور الثاني: العلاقات العامة:المكانة والأدوار الرسمية داخل المؤسسة

س5:ما هو الموقع الذي تحتله إدارة العلاقات العامة في الهيكل التنظيمي للمؤسسة؟

- تابع لديوان الرئيس المدير العام ☐
- إدارة استراتيجية ☐
- مصلحة مشتركة ☐
- غير محدد ☐

س6:ما هي طبيعة المهام والأدوار الموكلة إلى إدارة العلاقات العامة لديكم؟

س7:ما هي الوظائف والأنشطة التي تقوم بها إدارة العلاقات العامة؟

المحور الثالث: استراتيجية العلاقات العامة داخل المؤسسة

س8:هل توجد إستراتيجية للعلاقات العامة في المؤسسة؟

س9:هل يتم تخطيط ورسم استراتيجيات للعلاقات العامة بصورة منهجية وعلمية مثال هل هناك دراسات لسبر أراء حول رأي الجمهور حول خدمة معينة؟

س10:ما هي أهداف التي سطرتموها في إطار استراتيجية العلاقات العامة أثناء الازمة الراهنة " ازمة وباء كورونا"؟

س11: فيما تمثلت الإجراءات الاستراتيجية التي اتخذتموها خلال ازمة وباء كورونا؟

شكرا على تعاونكم الصادق ومشاركتكم البناءة

تقنية سبر الآراء لصناعة الرأي العام: تحديات جديدة في العمل الصحفي الاحترافي

A sounding technique for the public opinion: New challenges in professional journalism

كمال مسعودي (محاضر ب)[1]، مزيان بيزان (محاضر أ)[2]

[1] جامعة محمد خيضر– بسكرة (الجزائر)

[2] المركز الجامعي تامنغست (الجزائر)

kimomessaoudi@yahoo.fr

0551530390

ملخص البحث

يعرف المجتمع الجزائري في الوقت الراهن تغييرات كبرى على مستوى الوعي السياسي والإجتماعي جعلت منه مثالا حير العالم وترك حوله إنطباعات واستفهامات غير مسبوقة، ولعل هذا يستدعي دراسة جديدة بتقنيات تساعد على فهم أراء وتوجهات المجتمع بعبارة أخرى دراسة الجمهور.

تقنية سبر الآراء (le sondage d'opinions) التي كثيرا ما يستعين بها الصحفي في مهامه للوصول إلى معرفة والتكنولوجيا عادت هذه الطريقة وأصبحت تقوم عليها بناء وتوجيه الرأي العام بطرق جديدة ومتطورة توجهات المجتمع حيال القضايا والظواهر الاجتماعية، تطورت كثيرا منذ إدراجها من قبل مفكرين كبار مثل: Stœtzel, Gallup,Lazarsfeld ، و رغم النقد الموجه لهذه التقنية بين رافضين وموافقين، لكن رغم تطور الإعلام يتم فيها استغلال أشخاص مكونين لهذا الغرض ينتمي أغلبهم لما يعرف في الدول المتقدمة بمهن المعلومات.

من هذا الطرح المقتضب سنعمل في هذه الورقة على دراسة تأثير توظيف تقنية سبر الآراء كسلاح ذو حدين في عمل الصحفي، إمّا لتوجيه الرأي العام حيال قضايا ، أو لمعرفة الرأي السائد وتوصيله لأصحاب القرار وحدود تدخل الصحفي النزيه في تطبيق هذه التقنية، كما يسكون هناك عرض لبعض مظاهر اعتماد هذه التقنية في وسائل الإعلام الجزائرية.

الكلمات المفتاح : سبر الأراء ؛ الرأي العام ؛ العمل الصحفي ؛ توجيه الجمهور.

Abstract :

Algerian society is currently experiencing major changes in the level of political and social awareness that made it an example that baffled the world and left unprecedented impressions and inquiries around it, perhaps this calls for a new study with techniques that help to understand the views and orientations of society in other words, studying the audience.

Sounding opinions that a journalist often uses in his tasks to gain access to knowledge and technology, this method has returned and has become based on building and guiding public opinion in new and evolving ways. Community attitudes towards social issues and phenomena, it has developed a lot since its inclusion by major thinkers such as: Stœtzel, Gallup, Lazarsfeld, and despite the criticism directed at this technology between rejecters and hypocrites, but despite the development of the media in which people are formed for this purpose, most of them belong to what is known in developed countries as information professions.

From this brief presentation, we will work in this paper to study the effect of employing the technique of seeking opinions as a double-edged weapon in a journalist's work, either to direct public opinion about issues, or to know the prevailing opinion and communicate it to decision-makers and the limits of an honest journalist's intervention in applying this technology, and there will also be a presentation of some Manifestations of adopting this technology in the Algerian media.

Keyword: Sounding opinions- general opinion - Journalistic work- audience

مقدمة:

تغير العالم كثيرا مع ولوج التكنولوجيا وتطورها وتحققت فكرة القرية الكونية التي نظر لها ماكلوهان، فالمجتمعات اليوم إنتقلت إلى ما يعرف بمجتمعات المعلومات ومجتمعات المعرفة، لكن الملاحظ خاصة أن هذه المجتمعات أصبحت تركز بصفة كلية على المعلومات،كما أصبح الفرد يتابع كل ما يدور في العالم خاصة الشق السياسي منه الذي أصبح في كثير من الأحيان موجه أو متحكم فيه من قبل دول أول منضمات معروفة وغير معروفة.

المؤسسة الإعلامية تدور في محور هذه القضايا التي نطرحها بعبارة أخرى بين المعلومة والمجتمع، وبين الوثيقة وما تحتويه من معلومات وعند ذكر هذا يتوضح جليا تأثير الصحافة في دراسة المجتمعات وتوجهاتها خاصة عندما يتعلق الأمر بالسياسات والقرارات التي تمس بصفة مباشرة الحياة اليومية والمادية للمواطنين لأن معرفة الآراء توجه صناعة القرارات وذلك بأدوات تقنية يستخدمها الإعلام منها سبر الآراء الذي يعرف الآن تحولات في التطبيق والتأثير على المجتمع من خلال ما يعرف بقادة الرأي، وطبعا العمل يبدأ بتحديد قادة الرأي وتجريب مكانتهم عبر إستقصاء ميداني ثم تنفيد تقنية سبر الآراء بطريقة قد تكون علمية وقد تخرج عن هذا الإطار، وبالتالي تصبح المسؤولية كبيرة على عاتق الصحفي والمسؤول في مؤسسات الإعلام.

هذا الطرح الذي نقدمه سيدرس تأثير توظيف تقنية سبر الآراء كسلاح ذو حدين في عمل الصحفي، إمّا لتوجيه الرأي العام حيال قضايا أو لصناعته، وذلك من خلال النظر إلى المستجدات الحاصلة في تقنية سبر الآراء ومايتم القيام به على مستوى المجتمعات، ثم التطرق للواقع الجزائري ولتوجيه دقيق لهذا الطرح يمكن تقديم بعض التساؤلات:

- هل تقنية سبر الآراء مجدية لتوجيه الرأي العام في المجتمعات الحديثة.
- ماهي التحولات الحاصلة على مستوى سبر الآراء.
- هل يمكن التحكم في العمل الصحفي من خلال القوانين فقط.
- هل توضع المؤسسة الإعلامية تحت تصرف رغبة الشعب أم العكس.

1. سبر الآراء: تعريفات والمصطلحات ذات العلاقة:

جاء مصطلح سبر الآراء في لغة العرب بمعنى معرفة المواقف والآراء، كما جاء بمعنى إستطلاع مواقف الناس في قضية معيّنة بالإعتماد على عينة منهم [1] فأصل الكلمة من بدايتها سبر الذي يقصد به سبر الشيء؛ إذا قاس عمقه ومقداره و سبر الشخص بمعني إختبره والكلمة فعل مفرد جمعها أسبار، أما في الإصطلاح فقد وردت عدد من التعريفات حول سبر الآراء حيث جاءت بمعنى قياس للموجات الصوتيه أو استبانة على موضوع محدد يجرى على عينه محدده وبتقنيات دقيقه، سبر الآراء يهدف الى تحديد وجهات نظر ومعتقدات المجتمع حول القضايا التي تتمحور حول سؤال ايديولوجي

2. أنواع سبر الاراء:

1.2 طريقه الكوطات: وهي طريقه تعتمد على عينة ممثله لخصائص مجتمع محدد وبالاعتماد على عدد من الخصائص مثل: الجنس، السن، الوظيفة، المنطقة، وغيرها ثم حساب هذه النسبة الممثلة لكل فئه استنادا لمعطيات الهيئة المشرفة على العملية وهذه الطريقه معتمدة بكثره في قضايا الانتخابات

2.2. الطريقه العشوائية: في هذه الطريقه يتم اختيار اشخاص بطريقه عشوائية ثم يكون هناك طرح أسئلة عليهم شريطه أن تكون هذه الاسئلة محدده مسبقا لتعاد في كل مرة على الأشخاص طبعا أشخاص مختلفين وقد يتم أحيانا الاعتماد على الهاتف للقيام بذلك.

3.طرائق استخدام سبر الآراء:

1.3 طريقة وجه لوجه: وهي أول الانواع في الظهور حيث بدأت بعد الحرب العالمية الثانية

2.3 سبر الاراء بالهاتف: بدا مع سنوات الثمانينات وتطور في التسعينيات

3.3 سبر الآراء بالانترنت: التي هي أحدث وسيلة وتعد حاليا أكثر وسيلة إستخداما خاصة في وسائل التواصل الإجتماعي ومواقع المؤسسات التجارية نظرا للسرعة الكبيرة لها .

4. لمحة تاريخية وتنظيرية عن تقنية سبر الآراء:

سبر الآراء هو شكل شفوي لإرادة الشعب، يتم جمعه من خلال عينة معبرة له وتمثله بكل خصائصه، و يتم من خلال تجميع واستغلال رأي الجمهور حول القضايا لتكوين خلفية واضحة عن الآراء وبالتحديد الآراء السائدة منها لتصبح مطلبا، لكن يجب التفريق بين الرأي العام والرأي الشخصي فالأشخاص كما هو معلوم عرفا يختلفون لكن في وسط هذا الإختلاف يوجد نقاط إتفاق بين الفرد والآخر وهذا تقريبا ما يتم البحث عنه في مثل هذه التقنيات.

تشير المصادر إلى كون منشأ تقنية سبر الآراء يرجع للصحفي g.h Gallup و Elmio Roper في الثلاثينيات اللذان قاما بدراسة حول الزيادة في الإستهلاك بالأسواق الأمريكية في 1936 في إطار التسويق، فبدايات هذه التقنية من علم التسويق ومن إبتكار الصحفي Gallup، الذي أسس معهد خاص بالدراسات حول سبر الآراء (المعهد الأمريكي للرأي العام)، كما يعد هارولد لازويل من الأوائل اللذين بينو دور وسائل الإتصال في تسيير الرأي العام وذلك من خلال كتابه "تقنيات البروبجندا في الحرب العالمية"، أما من جانب أوروبا أول من إستخدمة هذه التقنية هو الفرنسي Jean stotzel في أوت 1938 هذا العمل أحدث تغييرا في تاريخ علم السوسيولوجيا في فرنسا لكونه أول من أدرج مصطلح (sondage) في فرنسا [2] إلى جانب تأسيسه للمعهد الفرنسي للرأي العام في 1938، وفي عام 1943 قام stotzel في أطروحته حول موضوع الرأي العام بالتنبيه على الجانب السلبي الذي يمكن أن تقوم به عمليات سبر الآراء ي حال توظيفها بطريقة موجهة [3] .

توالت الدراسات بعد ذلك عن جدوى هذا النوع من الدراسات من عدمه؛ فطرح Herbert Blumer بأهمية هذه التقنية، وعارض المفكر بورديو في عام 1973 جدوى سبر الآراء في مقال بدورية "les temps modernes" وذكر أن سبر الآراء غير موجود.

ما يهمنا في هذا العرض الموجز عن التنظير في تقنية سبر الآراء والقضايا المرافقة لها هو ما يأتي:

- ✓ ركزت الدراسات الأولى التي جاءت بعد لازويل على مبدأ "الإبر المخدرة".
- ✓ راجت مع أعمال لازويل نظريات أخرى مثل علم نفس الحشود الذي جاء بها (Le Bon) ونظرية التوجه السلوكي (John. B. Watson) ونظرية بافلوف، إلى جانب (William, Mc dougall) الذي يشير إلى أن الدوافع الغريزية للإنسان تفسر سلوكياته.
- ✓ في سنوات الثلاثينيات مع إستلام روزفلت حكم أمريكا بدأت التعبئة لدعم برامج الدولة وظهرت تقنيات سبر الآراء.

✓ تنبأ غالوب وكروسلي بفوز روزفلت وتم إنشاء أول مجلة جامعية تهتم بالإتصال الجماهيري عام 1937 بعوان: "the public opignion quarterly"

✓ في 1935 إقترح لازويل دراسة محتوى وسائل الإعلام من خلال بناء مؤشرات.

✓ في عام 1948 توصل لازويل لتركيب سوسيولوجيا وظيفية للإعلام من خلال أسئلته الشهيرة: من؟ يقول ماذا؟ لمن؟ عبر أي قناة؟ بأي تأثير؟

✓ قام كل من لازارفيلد وكيرت لوين، وكارل هوفلند بتأسيس دراسات الجمهور في علم الإعلام والإتصال.

5. مقاربات دراسة الرأي العام عبر وسائل الإعلام:

هناك عدد من النظريات التي تهتم بدراسة الجمهور وكيفية تكوين الفكر الجماهيري لأن فهم الجمهور يؤدي لا محالة إلى حسن إستخدام وسائل الإعلام الجماهيري التي من بينها سبر الآراء، وفي ما يلي عرض لأشهر النظريات المرافقة لهذا التوجه:

1.5المقاربة الوظيفية:

البنائية الوظيفية قديمة من حيث الطرح وهي مسايرة لفكرة النظام ومكوناته في مجال المجتمع، نشر الفيلسوف العالمي إميل دوركايم في عام 1893 دراسة حول أسباب وشروط العمل ولمح إلى كيفية دراسة الظواهر الإجتماعية حيث ذكر أنه لابد من البحث عن الأسباب المباشرة لقيام العمل والوظيفة التي يؤديها؛ في عام 1920 برهن برونيسلاف مالينوسكي أن الوقائع الإجتماعية تفسر عبر وظائفها، وجاء بعد مالينوسكي الباحث براون رادكليف برأي مغاير حيث قال "كل عمل أو سلوك إجتماعي يوضح الدور الذي يقدمه"[4] وبدأت تظهر قواعد في الوظيفة الإجتماعية جاء بها روبرت مورتون حيث أدرج ما يسمى بالوظائف الظاهرة والوظائف المستترة (الخفية) وحدد له عناصر[5] :

- المجتمع مجموعة من الأنظمة المترابطة والمتكافئة.
- المجتمع يميل إلى التوازن.
- تكرار النشاط الإجتماعي يحقق الإستقرار.
- يجب التفريق بين الوظائف الظاهرة والمستترة في المجتمع.
- وقد ثبت أن الوظيفة الإعلامية الإتصالية تعتمد على تكرار النسق الإجتماعي، فحسب منظور مورتون أن دراسة المقاصد الواضحة عند المجتمع تبين أثر إستخدام وسائل الإتصال.

وجاء ذكر دراسة مورتون لسبب وجيه وهو استخدام هارولد لازويل لهذه التوجهات في عام 1948؛ حيث أكد على وجود ثلاثة وظائف بين الأنساق الإجتماعية ووسائل الإعلام وهي:

- مراقبة البيئة.
- الربط بين مكونات المجتمع.
- إنتقال المبادئ الإجتماعية بين الأجيال.

2.5 المقاربة النقدية:

هذه المقاربة لها رؤية مغايرة للنضرة الأولى فهي رؤية تقوم بصفة أساسية على الإيديولوجيا وهذا يعني أن الإيديولوجيا يمكن من خلالها السيطرة على الطبقات الإجتماعية[6] ، هذه الرؤية تعتمد فكر كارل ماركس وفرويد حيث لدينا مدارس عالمية تتبنى هذه المقاربة مثال ذلك مدرسة فرانكفورت التي تركز على تسيير المجتمع من خلال السلطوية (système autoritaire) وأعمال هذه المدرسة قوية ويمكن الإعتماد عليها لفهم المجتمعات خاصة من زاوية السيطرة على المجتمع عبر وسائل الإتصال، والسر في نجاح وشهرة هذه المدرسة التنوع الفكري الذي تعرفه؛ ففيها فلاسفة وأدباء وعلماء إجتماع ومؤرخين ومن أكبر رواد هذه المدرسة: هربرت ماركوس، تيودور أندورو، ماكس هوركيمر، قروسمان، إريك فروم، فرانز نيومن، يورقان هابرمارس، فالمدرسة الماركسية هي المادية التاريخية ومدرسة التحليل النفسي منبثقة عن مدرسة بالو ألتو (Palo Alto) والنظرية النقدية أصلها مدرسة فرانكفورت، وما يستفاد من هذا الكلام أن النسق الإتصالي وسيلة رقابة للمجتمع وهذا يبين المقصد الذي نرمي إليه[7] .

وللتدقيق أكثر هناك صناعة ثقافية نسجت من هذه التوجهات وأصبحت للأسف فعل ثقافي محوّل إلى قيمة تجارية.

3.5 المقاربة البنيوية:

اهتمت بالمجالات الثقافية من خلال طرح جملة من المبادئ الإجتماعية في شكل مفاهيم فكرية كالأسطورة والقرابة والتناص وغيرها، لكن هذه المدرسة تركز بشكل كبير على علوم اللسان (دفيرديناند وسوسير) فالبنيوية كما يقول المفكر الكبير رولان بارت "نشاط يتعدى الفلسفة من خلال عملية عقلية تحاول إعادة بناء الموضوع لفهم القواعد التي أدت إلى تكوين وتحقيق وظيفته [8] ، فالبنيوية تركز على اللسان في بث الأفكار بطريقة ماهرة جدا وهذا يمكن الإستفادة منه بل أصبح مستخدما على نطاق واسع في وسائل الإعلام والإتصال التي تقوم أصلا على التواصل والتواصل يكون باللغة، وبالتالي كل ما ينشر ويبث مدروس ومحضر ومن هنا نفهم أهمية هذه المقاربة وقوتها.

6. النظريات المؤثرة والمؤطرة لتكوين الرأي العام:

هناك عدد من النظريات الممكن ذكرها في تكوين الرأي العام والممكن إدراجها في تقنيات سبر الآراء وهذا هو الغرض من هذا العنصر، في البداية يجب ذكر أعمال لازارسفيلد الذي يعتبر من مؤسسي "إشكالات التلقي" وذلك من خلال فكرة إختيار الشعب "People's choise" الذي جاءت بعد دراسة قام بها مع hezel Goudet وBerelson وتوصل لتحقيق نموذج جيد في صناعة التلقي وهو نموذج شهير جدا يسمى نموذج التأثير في طبقتين " théorie des deux étapes de communication" حيث خلص إلى ما يلي:

- وسائل الإعلام لا تؤثر على الفرد أو المجتمع؛
- وسائل الإعلام مهيكلة حسب المجتمع وخصوصياته؛
- المتلقي وانتماؤه هو نقطة عمل وسائل الإتصال، وهذا بالتحديد معنى إختيار الشعب[9](Lazarsfeld, 1948)

1.6 نظرية الفروق المعرفية: فحوى هذه النظرية أن المجتمع بطبقاته مختلف عندما نتعامل مع وسائل الإعلام، فالطبقات الإجتماعية العليا تزيد من معارفها أكثر من غيرها وهذا يعني أن الفروق المعرفية تؤثر على المجتمع طبقيا.

2.6 نظرية إشباع الرغبات: فحوى النظرية أن المتلقي يريد أن يشبع رغباته لكن دون التأثر، فالأفراد يريدون التوصل إلى فهم القضايا وهذا يجر بهم إلى تقبل الرسائل التي يأتي بها الإعلام لكن إذا كانت هذه الرسائل تتماشى مع قيمهم والعكس إذا كانت لا تتماشى مع

قيمهم، وهنا أيضا يمكن تكوين فكرة عن كيفية تكوين المواد الإعلامية وهذا معنى مقولة Katz "البحث عن ما يفعل المتلقي بالرسالة أهم من مضمونها".

3.6 **نظرية لولب الصمت**: Neumann Elisabeth Noëlle spirale du silence

طورت هذه النظرية الباحثة الالمانية اليزابيث نيومان وفحوى هذه النظرية انطلقت من كون وسائل الاعلام هي التي تصنع الرأي العام بالاعتماد على نقد الافراد فاذا وجد الفرد ان آرائه لا تلقى تتبعا في وسائل الاعلام أو المحيط الذي يعيش فيه أو إلى مساندة العامة فانه يلتزم الصمت والانسحاب من المناقشة وهذا يعني ان الراي المهم هو المسيطر بالتالي فالأشخاص في الغالب يميلون الى الراي الغال ب ويصرحون بأفكارهم عندما يكون الراي الغالب موافق لأفكارهم ويلتزمون الصمت اذا كان الراي الغالب عكس التصورات وبالتالي بناء هذا النموذج يقوم على تتبع الراي الغالب والراي المسكوت والاستثمار في هذ ا وبالتالي يمكن الاست فاده من ه ذه في ح اله استخدام تقنيه سبر الآراء وهذا لأن الفرد يخشى من العزلة وبالتالي كثير من القضايا المسكوت عنها يمكن استغلالها بطريقه ايجابيه اذا عرف القائم بعمليه تحقيق في المجتمع كيف يستغل ظرف المواقف ووضعيتها في المجتمع

4.6 نظريه الاعتماد أو الإدمان:

هذه النظريه هي مقاربه فحواها ان يصبح الفرد تقريبا مدمنا على وسائل الاتصال وقد أكد الباحثون خلال سنوات طويله أن الفرد يعتمد باستمرار وبصفة متزايدة على وسائل الاعلام وقد تزيد الصراعات وتبادل المعلومات من حده هذا الإعتماد أو الإدمان وقد تبين أيضا أن الإدمان يؤثر على المعتقدات والتصورات ولذلك يصبحون اقل مقاومة في الحملات الاعلامية والدليل على ذلك إعتماد الأنظمة السياسية اليوم على وسائل الاعلام الجماهيري لتحقيق أهداف وإيديولوجيات تسطرها مسبقا لتحاول توجيه الرأي العام عبر تكوين صور نمطية أو تقنيات الإبر وغيرها، لكن هذه الإستراتيجيات تسترسل وتسبق بدراسة الجمهور من خلال القيام بسبر الآراء.

حوصلة عن القضايا المتداخلة مع تقنيات سبر الآراء:

تكلمنا عن بعض المقاربات والنظريات – وليس كلها- التي يمكن من خلالها صناعة وتكوين الرأي العام لتوصيل فكرة أن الإعلام لا يسمى السلطة الرابعة هكذا جزافا، **فيجب فهم أن قضية التحكم أو التلاعب مسألة مدروسة ومتحكم فيها منذ وقت طويل ولهذا تم سرد هذه المعطيات لهذا الغرض**، لكن الفكرة المحورية التي نريد طرحها ليس مجرد توصيل معلومات بل كيفية بناء سبر آراء قائم على هذه التقنيات، وقد جاء هذا التخمين نتيجة الجدل القائم بين من يرى بعدم جدوى الدراسات التي تعتمد على تقنية سبر الآراء وفي مقدمة هؤلاء الفرنسي بورديو ومن معه، ضد من يرى عكس ذلك من تيار قالوب وستوتزال ودوركايم.

يبدو أن قضية سبر الآراء يجب أن ترد إلى التأسيس الإبستمولوجي لها وبالنظر إلى الهدف من وراء تأسيس التقنية وليس الفلسفة السياسية والتسييس الفلسفي لها، بعبارة أبسط الطرائق التي يمكن بها توظيف مثل هذه الوسائل لأغراض غير نزيهة [10] ، فالأحداث التاريخية الماضية بينت نجاعة تقنية سبر الآراء في أكثر من مناسبة؛ مثال ذلك القانون ضد التدخين الذي حاول بيل كلينتون إدراجه عندما كان رئيسا لامريكا والذي جاء فيه نتيجة سبر الآراء ضده وكانت النتائج صحيحة، كذلك قضية جورج بوش في حرب العراق الذي عرف نفس المصير الذي ناله كلينتون، حيث تنبئت التحقيقات القائمة على سبر الآراء برفض مجلس الشيوخ مطلبه وتم ذلك.[11]

7. معطيات سبر الآراء في الجزائر:

المؤسسة الإعلامية في الجزائر تتبع نظام الدولة وهذا ما جعلها تصبح تحت السيطرة والتبعية الكاملة لها، وربما هذا نتيجة ما يسمى بالإستقلال بالسلطة وعدم ترك فراغ في الساحة السياسية، هذا حسب عدد من المتخصصين على كل حال[12] فيمكن القول أن الصحافة والتلفزيون عندنا مثلا حتى لا نذكر كل وسائل الإتصال؛ فيها توجهين: عام أو عمومي، وخاص ونحن مع إستخدام مصطلح عمومي بالنسبة للقطاع التابع للدولة والمستقل بالنسبة للقطاع الخاص، كل قطاع تحت الهيمنة الكاملة للسلطة وبآليات معروفة لكن ليس بنفس الوتيرة[13] : الإشهار، التوزيع والطبع، الرقابة فمن لا ينطوي للأهداف المسطرة يعاقب، والقرائن في هذا كثير، فقد تم فرض عدة مضايقات على الجرائد والقنوات التلفزيونية : جريدة الخبر في 1992، صحيفة الشروق في 1992 أين علقت 22 يوم، صحيفة el watan في 1993 بعدما إنتقدت السلطة وغيرها من العقوبات التي تبين هذه الهيمنة [14] ونضيف لهذا القنوات والصحف التي منعت وعلقت كجريدة "le matin" و"المنشار" قناة "الخبر" والقائمة مفتوحة حتى لا ندخل في سياسية تتجاوزنا.

بالنسبة لعمليات سبر الآراء التي تتم في الجزائر يمكن وصفها بالظرفية؛ بمعنى تمارس بالأوامر وفي توقيت معين، كما أن جل المواضيع التي تكون فيها إعتماد التقنية ثقافية وترفيهية وهذا تقليل من الفكرة الإبستمولوجية التي ترافق منشأ سبر الآراء؛

✓ عمليات سبر الآراء في الجزائر عشوائية أكثرها في الشارع (حصص جانبية) مثل: بكل صراحة- راديو طريتوار- صوت المواطن- صدى الشارع) وأما سبر الآراء بالكوطات فنادر جدا وفي غير محله في الغالب وهذا يطرح بالنسبة لنا أسئلة كثيرة خاصة وأننا على يقين أن الصحفيين لهم معرفة دقيقة وتكوين مناسب في هذا المجال فأين المشكل؟ لعل الجواب معروف لكنه في حدود المسموح به.

✓ الدراسات الموسعة التي تغطي هذه التقنية منعدمة لعدم وجود مركز أو هيئة تختص بذلك، خاصة إذا علمنا أننا في عصر التحول إلى مجتمع المعلومات و مستقبلا مجتمع المعرفة أين يكون لرأي الجمهور شأن وأين يصبح سبر الآراء شكلا من أشكال اليقظة.

✓ أكد العديد من خبراء علم الإجتماع ووسائل الثقافة الجماهيرية إمكانية تشكيل الرأي العام عبر الإعلام خاصة عندما يكون في الأنظمة السلطوية والشمولية، وهذا يعني صناعة الرأي العام عبر أداة معروفة كسبر الآراء لكن من خلال التفكير بكيفيات جديدة وهذا يحدث الآن.

خاتمة:

تقنية سبر الآراء كما تم تقديمه تطورت كثيرا مع ولوج التكنولوجيا الحديثة وأصبحت ورقة قوية توجه الرأي العام بل تصنع الرأي العام عند وجود قضايا فيها تضارب رؤى وتصادم الأفكار، لكن يبقى إستخدام هذه التقنية رهينة من يستخدمها ولأي غرض وبالتالي على الدارسين والمهتمين بدراسات الجمهور تقديم التوجيهات الصائبة التي بموجبها يكون إستخدام هذه التقنية على أصلها دون التعدي على إرادة الجمهور فحق الرأي والتعبير لا يعلى عليه وإلا نصبح في فوضى قد تؤدي إلى ما لا يحمد عقباه.

كنتائج عامة يمكننا تقديمها كحوصلة لهذه الدراسة:

✓ يجب إستخدام تقنية سبر الآراء بطريقة صحيحة وفي القضايا التي تتناسب معها.

✓ إحترام رأي الجمهور يستلزم محاولة معرفة التوجهات وليس التحكم في التوجهات عبر مثل هذه التقنية.

✓ يجب توسيع تقنية سبر الآراء عند دراسة القضايا التي تهم كل الفئات لأن مجتمع اليوم يختلف عن ما سبق.

✓ مجتمع المعرفة ومجتمع المعلومات من المجتمعات التي تعتمد بصفة كبيرة على مشاركة الفرد في صناعة القرار وبالتالي معرفة كيفية هذه المشاركة مرهون بسبر الآراء.

✓ تعدد الرؤى ليس ضعفا ولا إختلافا وإنما مسار لتصحيح الأخطاء والتفكير في أخذ القرارات السليمة حيال القضايا الواسعة التداول.

ويبقى موصلة البحث عن الجديد في طرائق إستخدام سبر الآراء ضروري نظرا بما يعرفة العالم الآن من تقلبات ومن يدري أين تستقر الأمور.

قائمة المراجع:

باللغة العربية

- دليو، فضيل. الصحافة المكتوبة في الجزائر بين الأصالة والإغتراب.. المستقبل العربي، ع. 255، 200. ص 52.

- رزاق، لحسن. الحملة الإنتخابية لرئاسيات 2009 من خلال الصحافة الجزائرية الخاصة: دراسة في تحليل مضمون صحيفتي الخبر والشروق اليومي. مذكرة ماجستير، علوم الإعلام والإتصال: تخصص صحافة: جامعة منتوري، قسنطينة، 2010. ص 73.

- زرتوقة، صلاح سالم. أنماط الإستيلاء على السلطة في الدول العربية. القاهرة: مكتبة مدبولي، 1992.ص59.

- معجم المعاني الجامع [على الخط] إطلع عليه في (20-3-2020) متاح على:

https://www.almaany.com/ar/dict/ar-%

باللغة الأجنبية:

- **Akroun, andré.** *sociologie des communication de masse.* paris : Hachette, 1997. p. 108.
- **Barthes, Roland.** *Essais critiques.* Paris : seuil, 1964. p. 213.
- **Jayet, cyril**. "Faut-il passer l'opinion publique au rasoir d'Occam: une analyse épistémologique de la critique des données d'opinion" [en ligne]. **L'année sociologique**, vol. 67, N° 1,2017. P.189-218. (consulté en mars 2020). Disponible sur: cairn.org/ doi 10.3917/asmo.171.0189
- **Petry, François**. La Gouvernance, les sondages et l'opinion publique[en ligne] (consulté en mars 2020). Disponible sur: https:// www.reserchegate.net/publication/321242067.
- **lazar, judith.** *sociologie de la communication de masse.* Paris: Hachette, 2003.p. 42.
- **Lazarsfeld, Paul et al.** *the people's choise.* new york : colombia university press, 1948.
- **Marcel, jean cristophe.** le premier sondage d'opignon. *revue d'histoire des sciences humaines.* Vol. 1, n°6, 2002. p. 145-153.
- **Radclife, brawn, lazarsfeld paul.** *qu'est ce que la sociologie?* France : col.idée, 1974. p. 106.
- **stotzel, jean.** *théorie des opignions.* Paris : Puf, 1943.

قائمة الهوامش:

[1] معجم المعاني الجامع [على الخط] إطلع عليه في (20-3-2020) متاح على:
https://www.almaany.com/ar/dict/ar-%

[2] **Marcel, jean cristophe.** le premier sondage d'opignon. *revue d'histoire des sciences humaines.* Vol. 1, n°6, 2002. p. 145-153.

[3] **stotzel, jean.** *théorie des opignions.* Paris : Puf, 1943.

[4] **Radclife, brawn, lazarsfeld paul.** *qu'est ce que la sociologie?* France : col.idée, 1974. p. 106.

[5] **Rocher, Guy.** *inroduction à la sociologie générale.* paris : H.M.H, 1968. p. 173.

[6] **lazar, judith.** *sociologie de la communication de masse.* Paris: Hachette, 2003.p. 42.

[7] **Akroun, andré.** *sociologie des communication de masse.* paris : Hachette, 1997. p. 108.

[8] **Barthes, Roland.** *Essais critiques.* Paris : seuil, 1964. p. 213.

[9] **Lazarsfeld, Paul et al.** *the people's choise.* new york : colombia university press, 1948.

[10] Jayet, cyril. "Faut-il passer l'opinion publique au rasoir d'Occam: une analyse épistémologique de la critique des données d'opinion" [en ligne]. **L'année sociologique**, vol. 67, N° 1,2017. P.189-218. (consulté en mars 2020). Disponible sur: cairn.org/ doi 10.3917/asmo.171.0189

[11] Petry, François. La Gouvernance, les sondages et l'opinion publique[en ligne] (consulté en mars 2020). Disponible sur:
https:// www.reserchegate.net/publication/321242067.

[12] زرتوقة، صلاح سالم. أنماط الإستيلاء على السلطة في الدول العربية. القاهرة: مكتبة مدبولي، 1992.ص.59

[13] دليو، فضيل. الصحافة المكتوبة في الجزائر بين الأصالة والإغتراب.. المستقبل العربي، ع. 255، 200. ص. 52

[14] رزاق، لحسن. الحملة الإنتخابية لرئاسيات 2009 من خلال الصحافة الجزائرية الخاصة: دراسة في تحليل مضمون صحيفتي الخبر والشروق اليومي. مذكرة ماجستير، علوم الإعلام والإتصال: تخصص صحافة: جامعة منتوري، قسنطينة، 2010. ص. 73

واقع الجريمة المعلوماتية في التشريع الجزائري

د – فاطيمة غزيل
جامعة حسيبة بن بوعلي (الجزائر)
f.ghezil@univ-chlef
0675804644

ملخص البحث

في إطار الاستكتاب المعنون ب"الظاهرة الاتصالية و الاعلامية في العلوم الاجتماعية بين التنظير و أزمة المنهج في فهم تجليات وآثار وسائل الاتصال الجماهيري و الاعلام الجديد"عالجنا ضمن المحور السابع موضوع "واقع الجريمة المعلوماتية في التشريع الجزائري"،حيث تطرقنا إلى أهم خصائص الجريمة المعلوماتية من حيث صعوبة اكتشافها و اثباتها و ارتباطها بالأجهزة التقنية اضافة الى أهم أشكالها كاختراق المواقع الحساسة و قرصنة المعلومات وممارسة الابتزاز الالكتروني والتشهير و السطو على أموال البنوك و نشر الفيروسات ،كما أشرنا الى أهم الدوافع الذاتية والاجتماعية التي تدفع الأفراد الى الاجرام المعلوماتي ،ثم عرضنا موقف المشرع الجزائري من الجريمة المعلوماتية وأساليب مكافحتها.

Abstract :

In the context of the book entiteled the phenomen of communication and media in the social science between theoretical and crisis methods in understanding to the effects of news mass media; we addressed in the seventhe axis the topic of **"The reality of cybercrime in Algeria legislation"** where we addressed the most important characteristics of cybercrime in terms of difficultly of detecting and proving it and its association with the technical devices in addition to the most important forms and we presented the law to compating this crime.

أولا– تمهيد: تعتبر الجريمة المعلوماتية " cybercrime "من بين الجرائم المستحدثة لارتباطها بالوسائل التكنولوجية الحديثة،وهي تختلف عن الجريمة التقليدية من حيث الوسائل و الأهداف ومن الصعب مكافحتها لعدم القدرة على اثبات الأدلة وكشف هوية المجرمين خاصة ذوي الخبرة العالية بمجال تكنولوجيا المعلومات وسهولة إخفاء الأدلة وتطور الأنظمة و البرامج المعلوماتية،كما أنها جريمة تتجاوز حدود الدولة الواحدة بسبب ارتباطها بالشبكة المعلوماتية العالمية (Internet) وعليه فان هذا النوع من الاجرام المستحدث يستوجب جهودا وطنية و دولية لحماية الأفراد والمؤسسات والحكومات من اختراق وقرصنة المواقع أو تخريب وتحويل البيانات والمعلومات.

ثانيا– الإشكالية: بناءا على خصائص ومميزات الجريمة المعلوماتية والقدرات العقلية العالية التي يتميز بها المجرم المعلوماتي اضافة الى خبرته في مجال تقنيات المعلومات وانتشار أنواع كثيرة من الاجرام المعلوماتي فإننا نطرح الإشكال الآتي:ما هو موقف المشرع الجزائري من الجريمة المعلوماتية؟ وما هي الأساليب التي اعتمدتها الدولة لحماية المعطيات و البيانات الالكترونية؟

ثالثا– الأهمية:تتجلى أهمية هذه الورقة البحثية في ان الجريمة المعلوماتية من بين أشكال الاجرام المعاصر لارتباطها بالتطور التكنولوجي والتقنيات المعلوماتية الحديثة،كما تنعكس آثار الجريمة المعلوماتية على الأفراد و المؤسسات المالية و كذلك الحكوما ، مما جعلنا نولي أهمية كبيرة بدراسة هذه الظاهرة و تداعياتها اضافة الى عرض لأهم التشريعات و القوانين التي نصت على مكافحتها في القانون الجزائري.

رابعا– الأهداف:نهدف من خلال عرض هذه الورقة البحثية حول واقع الجريمة المعلوماتية في التشريع الجزائري الى:–تحديد أهم خصائص الجريمة المعلوماتية.

- تحديد أهم تصنيفات و أشكال الجريمة المعلوماتية.
- دوافع وأسباب انتشار الجريمة المعلوماتية.
- موقف المشرع الجزائري من الجريمة المعلوماتية و أساليب مكافحتها.

خامسا– تحديد المفاهيم: 1 –مفهوم الجريمة

أ–لغة :من جرم–جرما و يقال أذنب نفسه و قومه وجرم عليهم و إليهم جنى جناية، و جرم فلان لأهله–كسب، وجرم الرجل أي أكسبه جرما[1].

ب–اصطلاحا:تعرف الجريمة في علم الاجتماع بأنها السلوك المخالف لما ترتضيه الجماعة، أو هي نوع من الخروج عن قواعد السلوك التي يضعها المجتمع لأفراده.[2]

وتعرف في علم النفس بأنها حالة نفسية آثمة لدى المجرم انتهك بها سلام المجتمع وأمنه، وهي ممنوعة ومعاقب عليها قانونا وللجريمة جانبان: الجانب الداخلي المتعلق بالحالة الشعورية التي يعيشها الفرد عند ارتكابها للجريمة وتأثيرها على المحيط الخارجي كالأسرة و المجتمع بينما يتعلق الجانب الخارجي بالأبعاد التي تدفع المجرم الى مخالفة القيم و المعايير الاجتماعية،حيث يصبح لديه سلوكا عدوانيا اتجاه المجتمع و الجماعة التي ينتمي اليها و يندمج مع جماعة أخرى ويشترك معها في الانحراف و الاجرام. [3]

وتعرف الجريمة في القانون بأنها ارتكاب commission أو امتناع omission لأي فعل يستوجب العقاب وبصورة أدق يعتمد رجال القانون في تعريفهم للجريمة على الركنيين الأساسيين في القانون الجنائي هما الركن المادي و المعنوي في تحديد العقوبة المترتبة عن الفعل الإجرامي[4]

2–المعلوماتية:" Informatics" هي مصطلح مستحدث مشتق من كلمة معلومات، وتعرف بأنها مجموعة من المعلومات المتصلة مع بعض و المرتبطة بمجالات الحياة المختلفة كما تعرف أيضا بأنها الاستخدام الأمثل لتكنولوجيا المعلومات الحديثة من أجل التعرف على أفكار جديدة و الاستفادة منها[5].

وتعرف الجريمة المعلوماتية حسب lestanc vivant بأنها مجموعة من الأفعال المرتبطة بالمعلوماتية التي يمكن أن تكون جديرة بالعقاب[6] وعرفها ليونكفيلدت و فنستراو ستول 2013; veenstra and stol ;leukfeld بأنها جميع أشكال التي تلعب فيها تكنولوجيا المعلومات ICI دورا أساسيا. و قدم ليوكفيلد و آخرون قائمة مكونة من 28 جريمة بدءا بقرصنة الأنظمة الرقمية وتثبيت برامج التجسس باستخدام الخدمات المصرفية عبر الأنترنت والمطاردة الافتراضية.[7]

أما الفقيه الفرنسي MASSE فعرفها بأنها الاعتداءات القانونية التي ترتكب عن طريق المعلوماتية بغرض تحقيق الربح.كما تعرف بأنها كل سلوك غير مشروع يتعلق بالمعلومات المعالجة و نقلها.[8]

وفي نظام مكافحة الجرائم المعلوماتية بالسعودية عرفت بأنها أي فعل يرتكب متضمنا استخدام الحاسب الآلي أو الشبكة المعلوماتية لما يخالف أحكام النظام.[9]

ونقصد بالجريمة المعلوماتية في هذه الورقة البحثية بأنها مختلف الأفعال غير المشروعة و التي تلحق ضررا بالأفراد والمؤسسات والحكومات و تعتمد على الحاسوب و الشبكة المعلوماتية و مجموعة من الجناة محترفون في مجال تقنيات التكنولوجيا.

سادسا:خصائص الجريمة المعلوماتية: تتميز الجريمة المعلوماتية بخصائص تختلف الى حد كبير عن الجريمة التقليدية ويمكن توضيح مميزاتها فيما يلي:

- جرائم ناعمة ومغرية للمجرمين: لا تحتاج الجريمة المعلوماتية الى أي جهد عضلي بل تعتمد على الجهد الفكري و الذكاء و المعرفة الدقيقة بتقنيات الحاسوب، لذا كان الشرط الأساسي للمجرم المعلوماتي هو توفر العلم الكافي بأنظمة تشغيل الحاسوب و البرمجيات وهذا ما يجعلها جريمة ناعمة.[10]

ويشترط في القيام بالجريمة المعلوماتية التعامل مع البيانات الجاهزة وذلك بالدخول إلى النظام المعلوماتي والقيام بالمعالجة الالكترونية إما بتغيير المعلومات أو بالتزوير و القليد عن طريق عملية التخزين و الاسترجاع و الطباعة والنسخ.[11]

- جرائم عابرة للحدود: هي جريمة عابرة للحدود الجغرافية بين الدول بسبب ارتباطها بشبكة الاتصال العالمية (الانترنت) حيث يمكن ربط أعداد هائلة من الحواسيب عبر العالم وهذا ما يجعل العالم يشترك في مكافحتها مثل جهود الأنتربول في هذا المجال.

- سرعة التنفيذ:من بين خصائص الجريمة المعلوماتية أنها سريعة التنفيذ و لا يلحظها المجني عليه، وتتم في بيئة خاصة وهي بيئة المعالجة الآلية للبيانات و تتميز بخطورتها اللامتناهية على الأفراد و المجتمعات والمؤسسات المالية وهذا ما يهدد الأمن السياسي والاقتصادي للدول،كما انه من الصعب اكتشافها ومتابعتها وتطبيق الاجراءات الجزائية من حيث جمع الأدلة عنها.[12]

- صعوبة اكتشافها واثباتها: لا تحتاج الجريمة المعلوماتية الى أي عنف أو جثث أو سفك دماء لذلك من الصعب اكتشافها اضافة إلى أنها لا تترك أي أثر مادي أو كتابي ملموس كما أن خبرة و دهاء المجرمين في مجال المعلومات يصعب من اجراءات التحري و اكتشاف الأدلة واثبات الجريمة، ولأن المجرم المعلوماتي يتميز بالذكاء و التكيف الاجتماعي وعدم تبنيه للسلوك العنيف عكس المجرم التقليدي إضافة الى تخصصه في مجال الحاسوب و الانترنت وامتلاك أكبر قدر من المعرفة المعلوماتية و احترافه التعامل مع الأجهزة التكنولوجية واكتساب الخبرة الكافية في التغلب على العقبات التي يواجهها في حماية أنظمة الحاسوب كما في البنوك و المؤسسات العسكرية والاقتصادية.[13]

- ترتكب الجريمة المعلوماتية بالتعاون مع أكثر من شخص حيث يقوم شخص متخصص في تقنيات الحاسوب والانترنت بالجانب الفني من النشاط الاجرامي و شخص آخر من المحيط الخارجي أو من خارج المؤسسة المجني عليها بتغطية عملية التلاعب وتحويل المكاسب اليه، وغالبا ما يكون الاشتراك في الجريمة المعلوماتية سلبيا وذلك من خلال التزام الصمت من طرف من يعلم بوقوع الجريمة بهدف اتمام النشاط الاجرامي،ويكون ايجابيا كالمساعدة الفنية أو المادية.[14]

سابعا: أهم أشكال الجريمة المعلوماتية: توجد العديد من أشكال و تصنيفات الجريمة المعلوماتية منها ما يمس الأموال ومنها ما يمس الأشخاص وفيما يلي عرض لأهم أشكال الجريمة المعلوماتية:

1-الجرائم المعلوماتية الواقعة على الأموال: مكّن الانتشار الواسع لشبكة الأنترنت في مختلف المجالات، و اعتماد المعاملات التجارية على المواقع الافتراضية كالبيع و الشراء من ظهور عدة أنواع من الجرائم منها:

أ-**جرائم السطو على بطاقات الائتمان** حيث تستخدم هذه البطاقات كبديل للأوراق النقدية ويعتمد عليها الأشخاص في تسديد الفواتير أو سحب الأوراق المالية عن طريق أجهزة وماكنات الصرف الالكترونية، وسرقة أرقام هذه البطاقات تعتبر جريمة موازية لجريمة سرقة النقود وهي جريمة منصوص عليها في كافة القوانين.

ب_التحويل الالكتروني غير المشروع للأموال: وتتم هذه العملية من خلال الحصول على كلمة المرور المدرجة في ملفات أنظمة الكومبيوتر الخاصة بالمجني عليه وتتم عن طريق الاحتيال باستخدام بطاقات الدفع الالكتروني.[15]

ج–جرائم القمار و غسيل الاموال عبر الانترنت: تعرف جريمة غسيل الأموال بأنها مجموعة من العمليات المتداخلة التي تهدف إلى اخفاء المصدر غير الشرعي للأموال وهي نتيجة لجريمة أولية تم من خلالها الحصول على الأموال كتجارة المخدرات أو جرائم الارهاب وتهريب الأسلحة وتعتبر من الجرائم الاقتصادية لارتباطها بالبنوك و المؤسسات المالية.[16]

ويشكل الفضاء المعلوماتي بيئة خصبة لممارسة القمار وغسيل الاموال عبر الانترنت من خلال فتح كازينوهات افتراضية وإعطاء السرية لمستخدميها،كما يسمح الفضاء السيبيراني بتحويل الأموال وتخطي الحواجز الحدودية بين الدول وإعطاء هذه الأموال الصبغة الشرعية.[17]

د–السرقة والسطو على أموال البنوك: تتجسد جرائم السطو على البنوك عن طريق استخدام الحاسب الآلي و شبكة الانترنت بطرق غير مشروعة واختراق مواقع البنوك و المؤسسات المالية وتحويل الأموال من الحسابات الخاصة بالعملاء إلى حسابات أخرى وذلك بإدخال بيانات غير حقيقية أو تعديل أو مسح البيانات الموجودة بقصد الاختلاس.

هـ–تجارة المخدرات عبر الأنترنت: استغل تجار المخدرات والمروجون لاستهلاكها شبكة الانترنت للتواصل مع الأطراف المعنية بعمليات تهريب المخدرات عبر الدول وزيادة الطلب عليها عن طريق فتح الأسواق الافتراضية تتم عبر المواقع الالكترونية، ويعد هذا النشاط من بين أقدم الجرائم المنصوص على تجريمها في كافة القوانين والتشريعات الدولية.[18]

2–جرائم معلوماتية تقع على الأشخاص: وتتمثل في مختلف الجرائم التي تتم عبر اجهزة التكنولوجيا والتي تلحق أضرارا بالأشخاص وهي كالتالي:

أ–انتحال الشخصية: تعتبر من الجرائم المعاصرة بهدف ممارسة أعمال غير مشروعة واستخدام هوية الشخص الضحية لتحقيق الاستفادة المادية بطريقة تجعل من الصعب اكتشاف الفاعل الحقيقي.

ب–جرائم الملاحقة والمضايقة والتشهير: وتتم عن طريق حصول الجاني على معلومات حول الضحية ثم يقوم بابتزازها عن طريق استخدام أساليب عدة عادة ما يكون الضحية من قليلي الخبرة أو المعرفة الكافية بالتقنية التكنولوجية و أغلبهم من فئة الأطفال والنساء كما يسعى الجاني من وراء هذه الجريمة الى تحقيق الكسب المادي أو الانتقام .[19]

ج–صناعة ونشر الإباحة: تعد صناعة ونشر الإباحة جريمة خاصة إذا كانت تستهدف الأطفال أو صغار السن، وخلاعة الأطفال تتمثل في نشر صور خاصة بالأطفال وتحريضهم على الجنس وعرض مقاطع فيديو عن الجنس التخيلي cybermix عبر الشبكات.[20]

3–جرائم معلوماتية تقع على التقنية الرقمية: غالبا ما يكون هذا النوع من الجريمة المعلوماتية مرتبط بالأجهزة الرقمية كالدخول غير المشروع لبعض المواقع و التجسس الالكتروني وتخريب البيانات و المعطيات عن طريق نشر الفيروسات وفيما يلي عرض لأهم الجرائم الماسة بالتقنية المعلوماتية:

أ–القرصنة: إن من يقوم بقرصنة المعلومات هم أشخاص يتميزون بالخبرة العالية في الأنظمة المعلوماتية حيث يقومون بإعداد البرامج للدخول اليها بطريقة غير مشروعة و يصنفون الى عدة أنواع هي :

القراصنة الهواة: HEAKERS" وهم يسعون الى اظهار قدراتهم في اقتحام المواقع الأمنية.

القراصنة الأخلاقيون: وهم أشخاص ذوي خبرة في مجال المعلوماتية يعملون من أجل المصلحة العامة و يشكلون منظمات خاصة .[21]
قراصنة محترفون:krakers"هم فئة من المجرمين الخطيرين لديهم قدرات تقنية واسعة يقومون بتخريب المعلومات واختراقها و التلاعب بالمعطيات.

ب–مجرمي المعلومات و اصحاب الآراء المتطرفة: وهم لأصحاب أفكار متطرفة يسعون الى فرض آراءهم وأفكارهم مثل منظمة الأولوية الحمراء الايطالية التي استهدفت نظم المعلومات ببعض الهيئات و اعتداءها على مكتب المردود الرئيسي في ايطاليا كما دمرت كل المعلومات الخاصة باللوحات المعدنية ورخص القيادة وظل الايطاليون لمدة خمس سنوات بدون مستندات تثبت ملكيتهم لسياراتهم، اضافة الى وجود فئة أخرى من المجرمين تعمل في مجال الأنظمة المعلوماتية حيث تمكنهم طبيعة عملهم من استغلالها في ممارسة الجريمة المعلوماتية بسهولة وثقة وغالبا ما تقوم الحكومات الأجنبية بالتجسس والبحث عن معلومات خاصة في المجال التكنولوجي والاقتصادي المتعلق بدول أخرى مثل شركة (هيتاش) و شركة ميستوبيتش (اليبانيتين اللتان حاولتا التجسس على شركة (IBM) الأمريكية المتخصصة في مجال الحاسبات.[22]

ج–صناعة ونشر الفيروسات: تعتبر من بين أشكال الجريمة المعلوماتية الأكثر خطورة تعتمد على شبكة الأنترنت كحذف المعلومات أو تعديلها أو نقلها الى أجهزة أخرى و احداث خسائر مادية و اقتصادية و تعطيل الأجهزة و عمل المؤسسات بكافة أنواعها.

وقد ظهرت هذه الجريمة في باكستان على يد اثنين من الإخوة العاملين في مجال الحواسيب الآلية وكان ذلك في منتصف الثمانينات من القرن الماضي واستمرت هذه الفيروسات بالانتشار و التوسع و تدمير المعلومات و إضعاف سرعة الشبكة المعلوماتية كما ظهر فيروس حصان طروادة trogan horse الذي يقوم بالتخفي داخل الملفات ويسهل دخول المخترقين إلى الجهاز و الهجوم على أجهزة أخرى.

د–جرائم الاضرار بالبيانات هذا الفرع من الجريمة الالكترونية يعتبر الأكثر خطورة و فتكا بالمعلومات والبيانات كما يلحق خسائر بالأفراد و المؤسسات و يشمل كل أنشطة التعديل والمحو والسرقة و الاتلاف وتعطيل المعلومات وقواعد البيانات الموجودة بصورة الكترونية على الحواسيب الآلية ، ويقوم به ذوي الياقات البيضاء white hate hakers.[23]

ثامنا–دوافع وأسباب الجريمة المعلوماتية: هناك عدة دوافع تحرك الجناة الى ارتكاب الجريمة المعلوماتية من اهمها:

1–الدوافع الذاتية:

أ–البحث عن تقدير الذات: غالبا ما يقبل على هذه الجريمة صغار السن وذلك من باب التحدي وحب الظهور في الاعلام وتتوقف هذه الفئة على مثل هذه السلوكات في مراحل عمرية لاحقة.

ب–القرصة:opportunity لقد وفرت التقنيات الحديثة والأنترنت فرصا غير مسبوقة لانتشار الجريمة الالكترونية لأن الفرصة تتيح الجريمة، وتشكل المعلومات هدفا سهل المنال وتحقق المنفعة السريعة وبالتالي يمكن سرقتها وهكذا تعتبر فرصة مربحة وقليلة المخاطر واحتمالية كشفها ضئيلة[24]

ج–الرغبة في التعلم و الفضول: يؤدي الفضول الشديد حول أنظمة الحاسوب و الشبكات المعلوماتية إلى دفع الأفراد لارتكاب الجريمة المعلوماتية فقد أشار الأستاذ (ليفي) في كتابه قراصنة الأنظمة" الى أن أخلاقيات هؤلاء الجناة ترتكز على مبدأين اساسين هما: الدخول إلى أنظمة الحاسوب التي تعلم كيف يسير العالم ، وعملية جمع المعلومات التي تعتبر غير خاضعة للقيود.

د–تحقيق الربح المادي: يسعى المجرم المعلوماتي إلى تحقيق الكسب المادي ويعتبر دافعا مهما نظرا لحجم الربح الممكن تحقيقه ففي دراسة قام بها parker تظهر أن 43% من حالات الغش المعلن عنها قد تمت من أجل اختلاس الأموال و 23%من أجل سرقة المعلومات و 19% أفعال اتلاف المعطيات و البيانات.[25]

2– الدوافع الاجتماعية:

أ–التحضر urbanization يعد التحضر أحد أسباب الجريمة حيث تشكل الهجرة من الريف إلى المدينة عاملا في التحضر، هذا ما يجعل الأفراد يواجهون صعوبات كبيرة في الاندماج مع الحياة الحضرية وهذا ما يسفر عن رغبة الشباب في الاستثمار واللجوء إلى الجريمة المعلوماتية التي لا تتطلب رأسمال كبير وحسيب مايرى (MEKE ;2012) فإن التحضر سبب رئيسي للجريمة المعلوماتية.

ب–البطالة: unemployment ترتبط الجريمة الالكترونية بالبطالة والظروف الاقتصادية الصعبة وتتركز البطالة بين فئات كبيرة بين الشباب خاصة ذوي الكفاءات والمعرفة الكافية بتقنيات الحاسوب، هذا ما يجعلون يستثمرون قدراتهم في مجال النشاط الإجرامي الالكتروني.

ج–الضغوط العامة: من بين العوامل الضاغطة على المجتمع الفقر و البطالة و الأمية و تدني الأوضاع الاقتصادية خاصة على الشباب مما يولد مشاعر سلبية ضد الظروف وضد المجتمع ويدفعهم الى اتباع أساليب خاطئة كالاتجار الالكتروني بالبشر وغيرها من الجرائم الالكترونية الأخرى.

د–ضعف انفاذ القانون وتطبيقه في الجريمة المعلوماتية: هناك الكثير من الدول التي لم تطور تشريعاتها وأجهزة العدالة فيها غير متقدمة في مجال مكافحة الجرائم و التعامل معها و يشمل الشرطة وأجهزة التحقيق والقضاء وذلك من خلال التعامل مع الأدلة الرقمية.[26]

تاسعا:موقف المشرع الجزائري من الجريمة المعلوماتية وأساليب مكافحتها:

1– موقف المشرع الجزائري: لم يجد المشرّع الجزائري خطوة أهم من تعديل قانون العقوبات لسد الفراغ الذي لم يعطي أهمية للجريمة المعلوماتية وكان ذلك بموجب القانون رقم 156/04 المؤرخ في 2004/11/10 المتمم و المعدل للأمر 156/66 المتضمن قانون العقوبات والذي جاء فيه ضرورة مكافحة الاجرام المعلوماتي وقامت الجزائر بتوفير الحماية الجزائية للأنظمة المعلوماتية و أساليب المعالجة الآلية للمعطيات بما في ذلك شبكة المعلومات،كما أنه كان منحصرا فقط في تجريم الأفعال المرتبطة بالنظام المعلوماتي، ثم في مرحلة لاحقة اختار المشرع الجزائري التعبير عن الجريمة المعلوماتية بمصطلح الجرائم المتعلقة بتكنولوجيا الاعلام و الاتصال بموجب القانون رقم 04/09 المتضمن الوقاية من هذه الجرائم ومكافحتها .[27]

كما استحدث المشرع الجزائري في قانون العقوبات من الفصل الثالث الخاص بجرائم الجنايات و الجنح ضد الأموال تحت عنوان المساس بأنظمة المعالجة الآلية للمعطيات بنص المواد 394 مكرر7 وباستقراء هذه المادة يتضح لنا أن المشرع قسم الجرائم الالكترونية إلى أربع طوائف تتعدد بحسب المصالح المحمية التي تتمثل أساسا في سرية هذه المعطيات او تكاملها حيث تضمن الاولى الدخول الى المعطيات آليا عن طريق الغش و التزوير وجريمة الحذف و التغيير و التخريب في هذه المعطيات، أما الطائفة الثانية فتشمل الجرائم المنصوص عليها في قانون العقوبات كالبحث أو تجميع المعطيات المخزنة في النظام المعلوماتي، أما الطائفة الثالثة فتشمل الجرائم الالكترونية المتعلقة بأمن الدولة ومؤسساتها كالتجسس والإرهاب. الطائفة الرابعة وتشمل الجرائم الالكترونية للشخص المعنوي والتي تعادل

عقوبتها خمس مرات عقوبة الشخص الطبيعي و في سنة 2006 قام المشرع بإدخال تعديلات جديدة وتشديد العقوبة على كل الجرائم الواردة في هذا القسم.[28]

ومن بين الأساليب المتبعة في مكافحة الجريمة المعلوماتية لدينا:

أ–المراقبة الالكترونية: و نقصد بها العمل الذي يقوم به المراقب باستخدام التقنيات التكنولوجية الحديثة من أجل جمع البيانات و المعلومات عن المشتبه فيهم ، سواءا كانوا أشخاصا ماديين أو معنويين وهي من الوسائل الحديثة تخص الجريمة المعلوماتية وقد نصت الفقرة 03 من القانون 09 /04 على مراقبة الاتصالات الالكترونية المتعلقة بالبريد الالكتروني ومواقع الدردشة و المنتديات و الهواتف الخلوية وغيرها حيث تم تعديل قانون الاجراءات الجزائية وذلك بإضافة فصل رابع تحت عنوان اعتراض المراسلات و تسجيل الأصوات والتقاط الصور.[29]

ب–التحقيق الابتدائي في الجريمة المعلوماتية: توجد عدة مشكلات فنية وتقنية تعرقل مكافحة الجريمة المعلوماتية مما يصعب الكشف عنها وجمع الأدلة بشأنها ومن بين اجراءات مكافحة الجريمة المعلوماتية الانتقال و المعاينة حيث ينتقل المحقق لمكان الجريمة وملاحظة الأدلة وجمع المعلومات ثم المعاينة من خلال مشاهدة الآثار المادية التي خلفتها الجريمة المعلوماتية، ويساهم هذين الاجرائين في تحديد هوية المتورطين بها.[30]

ج–أسلوب التفتيش: يعتمد هذا الإجراء على عدة خصائص تتعلق بالمحقق عند القيام بالتحريات كتحديد نوع النظام المعلوماتي وتجميع فريق عمل مكون من خبراء معلوماتيون ورجال ضبط جنائي ومحقق ذو خبرة عالية بمجال التكنولوجيا كما يجب وضع خطة لتنفيذ التفتيش ويتمثل محل التفتيش في الجريمة المعلوماتية في جهاز الكومبيوتر والأجهزة المتصلة به والشبكة العنكبوتية التي تشمل الملحقات التقنية ومقدم الخدمة والمزود الآلي وهذا يعني ان عملية التفتيش تتم عبر المكونات المادية للحاسوب و المكونات المعنوية حيث نص القانون الانجليزي على تفتيش المكونات المادية والمعنوية للحاسب الآلي.[31]

د–التوقيف تحت النظر: من الإجراءات المستحدثة لمكافحة الجريمة المعلوماتية في التشريع الجزائري تمديد التوقيف تحت النظر الممنوح لضباط الشرطة القضائية طبقا لنص المادة 5/51 من الأمر 2/15 المؤرخ في 23 جويلية 2015 -2016 مع العلم أن هذا الاجراء يقوم به الضابط ضد كل شخص تتوفر فيه دلائل قوية على ارتكاب الجريمة، وحددت مدة التوقيف 48 ساعة ماعدا بعض الجرائم الخطيرة المستثناة.[32]

خلاصة: نستخلص من خلال هذه الورقة البحثية حول واقع الجريمة المعلوماتية في التشريع الجزائري أن الجريمة المعلوماتية تختلف عن الجريمة التقليدية من حيث الخصائص و أساليب ارتكابها، إضافة إلى صعوبة إثباتها و اكتشافها كما أنها تتخذ عدة أشكال كلها تلحق الضرر المادي و المعنوي سواءا بالأموال أو بالأشخاص أو بالمؤسسات و عليه نص المشرع الجزائري على عدة قوانين وإجراءات لمكافحة هذا النوع من الاجرام المستحدث كما نص على تفعيل قوانين الحماية الالكترونية للمعطيات و البيانات و تطوير مجال تكنولوجيا المعلومات.

قائمة المراجع:

[1]-مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**،مكتبة الشروق الدولية (القاهرة)،2004، ص118.

[2] حسين القريشي غني ناصر، **علم الجريمة**، دار صفاء للنشر والتوزيع (عمان)،2011 ص 23.

[3] حنان سالم سمير،"**التغيرات الاجتماعية وعلاقتها بأنماط الجريمة بعد ثورة 25 يناير دراسة تطبيقية على بعض الفئات الاجتماعية**"، مجلة علوم الانسان و المجتمع، جامعة عين شمس،المجلد7، العدد28، 2018، ص 23.

[4] George vol ;***Teoritical crimminomogy.*** oxford.univ press.1979 .p382

مجد الخضر ، ***مفهوم المعلوماتية***، تم الاسترجاع من الموقع [5] Http :mawdou3.com

[6] سامي الشوى، **ثورة المعلومات و انعكاساتها على قانون العقوبات**.دار النهضة العربية:القاهرة، 1994 ص6.

ذياب موسى البداينة، **الجرائم الالكترونية ،المفهوم و الأسباب**، عمان ،الأردن،2014، ص4. [7]

[8] عادل يوسف عبد النبي شكري، **الجريمة المعلوماتية وأزمة الشرعية الجزائية** ،مركز دراسات الكوفة، المجلد 1، العدد7، جامعة الكوفة، 2008، ص114.

[9] نظام مكافحة الجرائم المعلوماتية السعودي ، المادة1 الفقرة8 ،1428/3/7

[10] ثنيان ناصر آل ثنيان، **إثبات الجريمة المعلوماتية دراسة تأصيلية تطبيقية**، أطروحة ماجستير، جامعة نايف للعلوم الأمنية ،الرياض،2012،ص21

عادل يوسف عبد النبي شكري،مرجع سابق،ص [11]115

ثنيان آل ثنيان،24مرجع سابق،ص24 [12]

عادل يوسف عبد النبي شكري، ص117-118.[13]

ثنيان ناصر آل ثنيان، مرجع سابق، ص 28.[14]

[15] موسى عبد الرزاق، **الحماية الجزائية لمستخدمي الأنترنت**،كلية الحقوق و العلوم السياسية،جامعة تبسة 2015 -2016، ص 43.

[16] لعشب علي، **الاطار القانوني لمكافحة جريمة غسيل الأموال**، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 2007 ، ص 28.

[17] صالح العمري،**جريمة غسيل الأموال وطرق مكافحتها**،مجلة الاجتهاد القضائي،العدد5،جامعة محمد خيضر بسكرة، ص179.

موسى عبد الرزاق،مرجع سابق، ص 46.[18]

[19] طارق الأحمدي الطبيلي، "**الجرائم الالكترونية عبر الإعلام الالكتروني**"، ندوة علمية حول الجرائم المستحدثة، المملكة العربية السعودية، جامعة نايف للعلوم الأمنية، 2012 ، ص04.

دياب موسى البداينة، مرجع سابق، ص23.[20]

[21] حمزة بن عقون، **السلوك الاجرامي للمجرم المعلوماتي**، ماجستير تخصص علم الاجرام وعلم العقاب،كلية الحقوق و العلوم السياسية، جامعة باتنة2011-2012، ص 39

حمزة بن عقون،2011مرجع سابق،ص44.[22]

[23] وليد طه، **النظم التشريعية للجرائم الالكترونية في اتفاقية بودابست**، قطاع التشريع بوزارة العدل، جمهورية مصر، ص19.

ذياب موسى بداينة، مرجع سابق، ص 10.[24]

حمزة بن عقون ، مرجع سابق، ص49. [25]

ذياب موسى البداينة، مرجع سابق،ص 15. [26]

[27] سعيداني نعيم، **آليات البحث و التحري في الجريمة المعلوماتية في القانون الجزائري**، ماجستير في العلوم القانونية، قسم الحقوق، تخصص علوم جنائية،جامعة باتنة،2012-2013، ص 4

[28] سعيدة بوزنون، **مكافحة الجريمة الالكترونية في التشريع الجزائري**، مجلة العلوم الانسانية،المجلد "ب" العدد52،كلية الحقوق، قسنطينة،2019، ص49.

[29] ابتسام بغو، **إجراءات المتابعة الجزائية في الجريمة المعلوماتية**، ماستر قانون جنائي للأعمال،كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة العربي بن المهيدي، أم البواقي،2015-2016، ص36.

[30] نداء نائل فايز المصري،**خصوصية الجرائم المعلوماتية**،ماجستير في القانون العام،كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية،نابلس، فلسطين،2017،ص 75

نداء نائل فايز المصري،مرجع سابق،ص 75 [31]

[32] سعيدة بوزنون، مرجع سابق،ص52

العنف الافتراضي ودوره في المرور إلى العنف الواقعي

د.سامية شينار، جامعة باتنة 1

د.بوتعني فريد، جامعة تمنغست

مقدمة:

أحدثت التطورات التكنولوجية الحديثة في منتصف عقد التسعينات من القرن الماضي لفتة نوعية، حيث مهدت الطريق للأفراد للتعارف والتقارب وتبادل الآراء والأفكار والرغبات، وبدأت ظاهرة المواقع الاجتماعية منذ سنة 1997 كأول موقع، ومع التطور باتت مواقع التواصل الاجتماعي أهم ما يقصده الفرد عبر الانترنيت.

ومع انتشار شبكات التواصل الاجتماعي المختلفة بأهدافها المتعددة والمتنوعة، نشأت بين الناس حتى من شعوب مختلفة علاقات اجتماعية– افتراضية عززت من شعور البعض بأن هناك أشخاصا يمكن أن يصبحوا أصدقاء فكر وإنسانية من خلال التفاعل فيما بينهم، ومناقشة العديد من القضايا ذات الاهتمام المشترك (ثقافية، سياسية، اجتماعية، دينية، وعلمية.. الخ)، و بالمقابل فإن هذا الفضاء قلص المسافات بين الناس بشكل واقعي وأظهر أخطارا جديدة خاصة على فئة الشباب باعتبارهم الأكثر استهلاكا لما يقدمه العالم الافتراضي.

إن هذا العالم الجديد (الافتراضي) جاء محاكي للعالم الحقيقي عبر المواقع التواصل الاجتماعي والألعاب الالكترونية والمحتويات المرئية والصوتية حيث يتيح للأشخاص ممارسة سلوكيات قد يصعب عليهم ارتكابها في الواقع الحقيقي.

وتطرح العلاقة بين الواقعيّ والافتراضيّ إشكالية الهروب من الواقع، إذ أنّ العديد من المتابعين للفضاءات الافتراضية لا يخفون مخاوفهم من إمكانية تحوّل هذه الشبكات الاجتماعية إلى وسيلة يستعملها الفرد للبحث عن تحقيق الذات وحاجاتها الوجدانية والتواصلية التي عجز عن تحقيقها على أرض الواقع. فيصبح العالم الافتراضي نتيجة لذلك واقعا كامنا في وجدان الفرد ومخيّلته يبتعد به عن التواصل الفعلي والحقيقيّ، ممّا قد يقيم حاجزا أمام وجوده المجتمعيّ الحيّ والمحسوس.

ونسعى من خلال هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على السلوكات العنيفة الممارسة في العالم الافتراضي والتي تشجع وتحفز الشباب على تطبيقها واقعيا. خاصة إذا كان الواقع الافتراضي يخلق إحساساً قويًا بـ "الوجود"، فإن مثل هذه التجارب الافتراضية تبدو مشابهة لنظيراتها المادية، فهل يمكن للعنف الافتراضي أن يكون له عواقب نفسية مشابهة للعنف الجسدي الواقعي؟

التجسيد في العالم الافتراضي وتشكيل العنف:

تناول الأكاديمي البريطاني ميل سلاتر Slatter الأستاذ في جامعة برشلونة بإسبانيا، مفهوم التجسيد في الواقع الافتراضي وكيف يمكن أن يؤثّر على تجربة المستخدم في ممارسة العنف، ويمتدّ ذلك إلى ما وراء الواقع الافتراضي.

ووضع سلاتر العديد من الأبحاث في مجال البيئات الافتراضية وعلاقتها بالأعصاب وعلم النفس. وقد أجرى مؤخراً دراسة حول الكيفية التي يستجيب بها الناس للعنف، والفرق بين تدخّل المرء في الموقف العنيف في الواقع الافتراضي وموقفه في الواقع الفعلي الذي يكتفي فيه بدور المتفرّج.

وقام الباحث بمساعدة فريق بتجربة من خلال ابتكار جسد افتراضي، مثلما يحدث في الألعاب ثلاثية الأبعاد، للمشاركين وخلق موقف عنيف افتراضي أمامهم وإتاحة الفرصة لهم للتحكم بجسدهم الافتراضي والتصرف بعفوية تجاه ما يشاهدونه من عنف. (العربي الجديد،2018)

إن هذا لدليل علمي على أن للعالم الافتراضي ولوسائل الاتصال –على اختلاف صورها– دورا مهما في تشكيل السلوك الإنساني خاصة في ظل التطور التكنولوجي الذي ساهم في سرعة وسهولة انتقال المعلومات، لكن غياب الرقيب يجعل وسائل الاتصال تؤثر تأثيرا سلبيا حيث تساهم في نشر الانحراف. (خليل الطرشاوي،2002: 51)

إن ما تلجأ إليه تكنولوجيا الاتصال المختلفة بما فيها من عوامل الإثارة وما تعرضه من مظاهر الانحراف والانحلال يدفع" الطفل إلى التقليد ونسج عالم خاص لنفسه من الخيال مع عدم قدرته على التمييز بين الواقع والخيال مما قد يؤدي إلى الانخراط في تيار الانحراف والعنف" (السيد رمضان،1993: 151)

وبالتالي فإن الواقع الافتراضي الغامر قد يغير الطريقة التي نتفاعل بها مع بعضنا البعض، وأننا في المستقبل، قد نكون قادرين من الناحية التكنولوجية على تجربة كل جانب من جوانب التفاعل ما عدا عواقبه الفسيولوجية.

العالم الافتراضي وتشجيع العنف :

يمكن اعتبار العنف أشدّ الظواهر الاجتماعية ملازمة للاجتماع البشري، بل وأشدّها غموضا وأكثرها إثارة للقلق، لما يخلفه من آثار سلبية وخطيرة على المستوى الفردي والجماعي والمجتمعي بأسره؛ فالعنف ظاهرة لازمت مسيرة وحياة الشعوب، على اختلاف درجات رقيها أو انحطاطها، وإن كانت بدرجات متفاوتة ووفق تمظهرات متعددة.

اتخذ العنف على مدار الإنسانية أشكالاً عدة مباشرة وغير مباشرة، خفيّة ومعلنة، من العنف الجسدي في أبسط صوره وأكثرها غريزية من خلال استخدام القوة العضلية في الدفاع أو التظلم أو حتى لإشباع غريزة الانتصار البشرية، إلى العنف الرمزي الذي يتخذ مسارات وطرائق وتمظهرات عدة، ولا تقلّ خطورته عن العنف الجسدي، بل يمكن أن تتخذ أبعاداً أوسع وأعمق.

ويعبر العالم الافتراضي عن العالم الذي تتيح لنا التكنولوجيا الحديثة الولوج إليه كالحواسيب والهواتف الذكية وشبكة الانترنت كصفحات الويب والمنتديات ووسائل الاتصال الاجتماعي ونستطيع فيه ممارسة سلوكيات محاكيه لما نفعله في العالم الحقيقي. وفي هذا العالم الافتراضي نجد مجموعة من المستخدمين يجسدون شخصيات افتراضية ضمن بيئة ثنائية أو ثلاثية الأبعاد، ويعتمد على المحاكاة الحاسوبية كوسيلة للخطاب والتواصل مع الأشخاص الافتراضي الآخرين الموجودين في هذا العالم ويسمى بالافتراضي نظرا لكون جميع ما به من أشخاص وبيئة ووسائل تواصل افتراضية ليست واقعية.

هذه الخاصية مكنت الأفراد من التعامل بغير شخصياتهم الواقعية الأمر الذي سمح بتفشي الانحرافات في هذا العالم، وانحرافات العالم الافتراضي هي كل الأفعال ضارة يأتيها الفرد أو الجماعة عبر استعماله الأجهزة الإلكترونية ويكون لهذا الفعل أثر ضار على غيره من الأفراد. (الحياري، 2006) وهي أيضا السلوكيات التي لا تتوافق مع معايير المجتمع الذي نعيش فيه وترتكب أو يسهل ارتكابها باستعمال منظومة معلوماتية أو أي نوع آخر من نظم الاتصال الالكتروني سواء كان أداة لارتكابه أو محل ارتكابه (دردور،2013: 8)

وتتميز هذه الانحرافات بمجموعة خصائص هي:

- تتم على نطاق واسع وعالمي .

- توفر لمستخدميها السرية أي لا يضطر الشخص المنحرف في العالم الافتراضي إلى الإفصاح عن هويته الحقيقية وبالتالي لا يواجه في الحقيقة انتقادات ومحاكمة المجتمع.

- توفر لهم المواد التي تدعم سلوكياتهم المنحرفة بكل سهولة وسرعة.(Seltzer,2011)

ويعرض العالم الإفتراضي أنواعا مختلفة من العنف، ويقوم الفرد بإعادة إنتاج العنف في مسّ ذاته وغيره بالضرر، كما يساهم في إنتاج حالة من الإزدواجية في القيم والمعايير المجتمعية الفكرية. فالحرية التي تتمتع بها المواقع الاجتماعية والتي تكون عكس الانتماء الفعلي للمستخدم الذي يعرف حالة الحظر والرقابة المجتمعية تساعد على نمو شخصية ازدواجية تمارس أدوارا قد تكون غير متحققة بالكلية في الواقع،مثل ممارسة أفعال الأخلاقية يدينها الدين والمجتمع،ويؤدي هذا بدوره إلى تكوين شخصيات مشوهة وغير متزنة تصدر انفعالات سلبية اتجاه الآخر والمجتمع،مما يسبب حالة من الصراع النفسي والفكري مع الذات،وفقدان الصلة الملموسة بالواقع الفعلي.

إن عرض المشاهد العنيفة، ووضع الأفراد في مواقع عنيفة، ومشاهدة الألعاب العنيفة، والأفلام العنيفة، يلعب دور كبير في ابتكار أشكال جديدة للعنف لما يملكه من تقنيات متطورة تبهر المشاهد وتجذبه وتجعله يصدق ويقتدي بما يراه.فلا يكاد يخلو العالم الإفتراضي من مشاهد القتل والضرب والعنف، والتي تستعمل كمادة مثيرة من اجل جلب المشتركين داخل العالم الإفتراضي.

إن القدرة على التأقلم واتقان أداء ادوار متباينة في الحياة مهارات تستحق التقدير، لكن التحايل والتخفي في سبيل إشباع نزوات وهمية من اجل الإيقاع بضحايا افتراضيين قد يتحولون فيما بعد إلى ضحايا حقيقيين،وهو أمر ليس بالهين وخطير جدا. (رحماني ودهيمي،2014: 374)

مواقع التواصل الاجتماعي وتغذية العنف:

إن ما توفره هذه المواقع هو طابع المجهولية وكل ممكنات "التقنُّع"، فيكفي أن يختلق المرء حساباً باسم مستعار، ليشن غارات عبر آلية التعليق، ضد كل من يخالفه الرأي. ذلك أن من ينشر التعليق المؤذي في الفايسبوك أو يبث الشريط الانتقامي أو التشهيري عبر اليوتوب، يعي جيدا أن ما يقوم به يندرج في خانة الممنوع أو المرفوض من قِبل العقل الجمعي، لهذا فإن من الطبيعي أن يرتكن إلى خيار المجهولية، فالاستعارة تصير بديلاً للوضوح والواقعية، خوفا من المتابعة أو الرفض الجمعي. إنها ذات المجهولية التي تجسد العنف، وتنتج الجريمة الإلكترونية، كذباً وتزويرا وسرقة وابتزازا، وما إلى ذلك السلوكات المنحرفة التي ينتجها الواقعي في عمق الافتراضي.

إن الملاحظ أن العنف الرقمي الذي يتواصل في تعليقات الفايسبوك، يتفوق من حيث الحضورية الكَمية على "اللا عنف الرقمي"، فأغلب التعليقات فجة ومنغصة ومؤلمة، فيما الأخرى المشجعة والمحتفية والبنَّاءة تظل محدودة، ومقتصرة على الخُلَّص من الأصدقاء. فكيف للفرد القادم من بيئات لا تدمن ثقافة الحب والتشجيع والاعتراف، كيف له أن يكون منتصرا لهذه الثقافة في رحاب الافتراضي، حيث المجهولية واللا مسؤولية واللا متابعة. فمِن الطبيعي أن ينقل معه ثقافته الأصلية إلى هذه الفيافي الافتراضية الجديدة، و أن يمارس ما لا يستطيع فعله في الواقعي، لهذا نُصِرُّ على توكيد امتدادية الواقعي في الافتراضي وليس انفصاليته عنه، إننا في النهاية نحصد في الإنترنت ما زرعناه تربية وتنشئة اجتماعية وسياسية.

ومن جهة أخرى فمواقع التواصل الاجتماعي لها القدرة على تأجيج المشاعر والانفعالات وخلق العداوة في العالم الافتراضي ونقله الى ارض الواقع، فعلى الرغم من أن الغرض من منصات التواصل الاجتماعي كان سرعة دمج وتواصل الناس فيما بينهم إلكترونيا، إلا أن بعض موادها أضحت مؤخرا تمثل تهديدا بسبب سوء استخدامها من خلال بث الكراهية والعنف.

الألعاب الالكترونية والعنف:

إن الألعاب الإلكترونية تؤدي إلى الإدمان عند الشباب والأطفال، وتسبب خللا كبيرا في علاقاتهم الاجتماعية، ويعتاد الطفل السرعة في هذه الألعاب، ما قد يُعرّضه لصعوبة كبيرة في التأقلم مع الحياة الطبيعية ذات السرعة الأقل درجة، وهو الأمر الذي يقوده إلى الفراغ النفسي والشعور بالوحدة، سواء في منزله أو مدرسته، مشيراً إلى أن فكرة الشخصيات الافتراضية في الألعاب الإلكترونية تنمي الانفصال عن الحياة الواقعية لدى الأطفال، إذ تقودهم إلى التعامل بمنطق هذه الشخصيات الخيالية في حياتهم، ما يولّد الكثير من التحدي والعنف والتوتر والعراك الدائم مع محيطه. كما أن هذه الألعاب تقضي على الحياة الاجتماعية لدى الأطفال، ولا يستطيع المجتمع والمؤسسة التعليمية ولا الأسرة منع الطالب أو الشاب أو الطفل من ممارسة الألعاب الموجودة على الساحة.

إن للألعاب الإلكترونية فوائد في تنمية ذكاء الطفل وبناء شخصيته وقدراته الذهنية المختلفة واستخدامها وسائل تعليمية أكثر إمتاعاً من الكتاب، لكن لها سلبيات تتمثل في الاستخدام الخاطئ، حيث تزيد مستوى العنف في سلوك الأطفال، وتؤدي بهم إلى العزلة والتشوش في التفكير حيث يعيشون عالماً افتراضيا، كما تزرع أفكارا خاطئة في عقولهم بما لا يتوافق مع عاداتنا وقيمنا الأخلاقية، وتعلمهم كيفية ارتكاب الجريمة، ناهيك عن الأضرار الصحية والنفسية التي تلحق ضررا بأطفالنا.

وفي هذا السياق نذكر حادثة تعتبر مجزرة تمت تحت تأثير الألعاب الالكترونية، ففي عام 1999، شهدت بلدة «ليلتون» مذبحة «ثانوية كولمباين» الشهيرة. وفي هذه المجزرة، اتضح أثر الإنترنت التي كانت في بواكير انتشارها الواسع. إذ تبيّن أن الطالبين اللذين نفّذا مجزرة «كولمباين» كانا شديدي التأثّر بالألعاب الافتراضية، بل إنهما خططا لما ارتكباه بوحي مباشر من الإنترنت والألعاب الافتراضية.

وللألعاب الإلكترونية آثارا سلبية تعود على من يلعبها سواء كان من الكبار أو من الصغار بأضرار كثيرة ومن جوانب مختلفة و من هذه الأضرار:

1- الأضرار في الجانب الإجتماعي:

- يعرض إدمان الألعاب الإلكترونية الأطفال و المراهقين إلى خلل كبير في علاقاتهم الإجتماعية حيث يعتاد الطفل السرعة في هذه الألعاب مما قد يعرضه لصعوبة كبيرة في التأقلم مع الحياة الطبيعية ذات السرعة الأقل درجة.
- الأمر الذي يقوده إلى الفراغ النفسي والشعور بالوحدة سواء في منزله أو في مدرسته.
- تنمي الشخصيات الإفتراضية في الألعاب الإلكترونية فكرة الإنفصال عن الحياة الواقعية لدى الأطفال، إذ تقودهم للتعامل بمنطق هذه الشخصيات الخيالية في حياتهم، مما يولد الكثير من التحدي و العنف و التوتر و العراك الدائم مع محيطه.
- تنشيء الألعاب الإلكترونية أطفالا غير إجتماعيين إذ أن الطفل الذي يقضي في ممارسة هذه الألعاب ساعات كثيرة دون أدنى تواصل مع الآخرين سيصبح إنطوائيا و غير اجتماعي، بعكس الألعاب الشعبية التقليدية التي تتميز بالتواصل ، بالإضافة إلى أن الطفل الذي يسرف في قضاء الوقت في الألعاب الإلكترونية سيعزل عن العالم الحقيقي ليجد نفسه مفتقدا مهارات التعامل مع الآخرين و إقامة علاقات و صداقات مما يحوله طفلا خجولا لا يستطيع التعبير عن نفسه.
- تساهم الألعاب الإلكترونية في زيادة الإنفصال الأسري ، كما تزيد ارتباط الطفل بالقيم المجتمعات الغربية مما يفصله عن مجتمعه و ثقافاته و قيمه.

– تصنع الألعاب الإلكترونية أطفالا أنانيين يفكرون في إشباع حاجاتهم من الألعاب فقط دون أن ينتبهوا لوجود من يشاطرهم اللعب، فتحدث الكثير من المشاكل بين الأشقاء على دور اللعب بعكس الألعاب الشعبية التقليدية التي تتميز بأنها ألعاب جماعية.

– قد تعلم الألعاب الإلكترونية الأطفال مهارات الإحتيال ، إذ يحتاج بعض الأطفال المال للإنفاق على هذه الألعاب ، مما يدعو لممارسة الإحتيال و النصب على والديهم بإدعاء مصاريف أكاديمية مثلا.

2- الأضرار من الجانب الصحي:

– تقود الألعاب الإلكترونية إلى الإصابة بأمراض الجهاز العضلي و العضمي بسبب حاجاتها لتفاعل اللاعب معها بحركات سريعة و متكررة.

– تؤدي الألعاب الإلكترونية إلى آلام أسفل الظهر نتيجة الجلوس لساعات طويلة أمام أجهزة الحاسوب و التلفاز.

– تؤدي الألعاب الإلكترونية إلى حدوث أضرار كبيرة لمفصل الرسغ و أصبع الإبهام بسبب الحاجة لتثنيهما باستمرار.

– تؤثر الألعاب الإلكترونية بشكل مباشر و سلبي على نظر الأطفال إذ أن هناك احتمالية لأن يصاب الطفل بضعف البصر نتيجة تعرضه بشكل مستمر للأشعة الكهرومغناطيسية قصيرة التردد القادمة من شاشات التلفاز و الحواسيب.

3– الأضرار في الجانب السلوكي و الأمني:

– تعتمد نسبة كبيرة من الألعاب الإلكترونية على عنصر الإستمتاع بقتل الناس و تخريب ممتلكاتهم و الإعتداء عليهم دون حق.

– تعلم نسبة كبيرة من الألعاب الإلكترونية الأطفال و المراهقين على طرق ارتكاب الجرائم و حيلها مما ينمي في عقولهم أفكار و مهارات عن العنف حيث يكتسبون هذه الأفكار و المهارات عبر الإعتياد على ممارسة هذه الألعاب.

4– الأضرار في الجانب الأكاديمي:

– تؤثر الألعاب الإلكترونية بشكل سلبي على الأداء الأكاديمي لمن يلعبها إذ أنها تقوده لإهمال واجباته المدرسية و دفعه كذلك للتسرب من المدرسة أثناء فترة الدوام ، مما يؤدي إلى اضطرابات و مشاكل في التعلم.

– تقود الألعاب الإلكترونية الأطفال و المراهقين إلى سهر الليل لفترات طويلة مما يؤثر بشكل مباشر على تركيزهم و تفكيرهم فتجعلهم غير قادرين على الاستيقاظ للذهاب للمدرسة صباحا و إن حصل و ذهبوا للمدرسة فإنهم يستسلمون للنوم عوضا عن التركيز و الإستماع مما يؤثر على تقصيرهم الدراسي.

5– الأضرار من الجانب الديني:

– تحتوي بعض الألعاب على الكثير من الأفكار و العادات التي لا تتوافق مع الدين و العادات و المجتمع و تقاليده و تساهم في تشكيل ثقافة مشوهة و غير مناسبة للطفل.

– تؤسس بعض الألعاب الإلكترونية لأفكار الرذيلة و الإباحية التي تدمر عقول المراهقين و الأطفال عبر ما يعرض من مشاهد فيها.

– يؤدي إدمان الألعاب الإلكترونية إلى إلهاء من يلعبها عن عبادات مفروضة عليه ،و بخاصة الصلوات الخمس ، بالإضافة إلى أنها تلهيه عن صلة الأرحام ، و طاعة والديه و تنفيذ طلباتهم.

وتجدر الإشارة إلى أن ألعاب الفيديو تحمل بعض الظواهر الخطيرة والعنيفة في محتواها والتي نلخصها فيما يلي:

✓ **الإجرام الدموي**: توجد بعض ألعاب الفيديو التي تحتوي على قدر هائل من العنف البشع والإجرام الدموي و القتل الفظيع ، مثل إلقاء الأعداء على مسامير ضخمة و تقطيع أجسادهم و القذف بهم في آلات كبس معدنية عملاقة تقوم بسحق عظامهم، وصور الجثث المتدلية من الجبال ، و رقاب الضحايا المسحوقة تماما ، و الهجوم على الضحايا و غرس الأنياب في أعماقهم ،و تدفق كميات هائلة من الدماء، وتصوير ممثلات شبه عاريات يقوم اللاعب بقطع رؤوسهن وإمتصاص دمائهن، وإحدى الألعاب تصور خمس نساء يجري تعذيبهن بالكهرباء ثم يقتلن بواسطة حفر رقابهن بالمثقاب الكهربائي، وأنواع الضرب و القتل و السحق والخطف و التخريب و التدمير.

✓ **الجنس والمشاهد العارية**: توجد بعض ألعاب الفيديو التي تتضمن الجنس والمشاهد العارية، سواء أن كان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، كجزء من اللعبة أو هدية الفوز للفائز، و يكون ذلك بصور الفتيات العاريات وشبه العاريات كشخصيات رئيسية يلعب معهن اللاعب وصولا إلى ممارسة الجنس و المعاشرة الجنسية.

✓ **المساس بالمقدسات**: توجد بعض الألعاب التي وصلت حدا من الإنحراف يصل إلى المساس بالمقدسات ، بل و التطاول على الذات الإلاهية، بطريقة لا يمكن وصفها أو التعبير عنها. (الشميمري،2010: 56)

التلفزيون والعنف:

منذ انتشار التلفزيون في الخمسينات من القرن الماضي، ربط كثير من المفكّرين والباحثين في حقل العلوم الاجتماعية بين العنف الواقعي، خصوصاً بين المراهقين في المدن الكبرى وضواحيها، وبين العنف «الافتراضي» الذي يتدفق عبر التلفزيون. وحينها، رأى أولئك الخبراء أن الشاشة الفضية تقدّم سيولاً من العنف عبر أفلام الـ «أكشن» ومسلسلات صاخبة يتقدّمها أصحاب العضلات الأقوى والمسدسات الأسرع والقنابل الأشد قوة والرشاشات الأكثر قدرة على الفتك وغيرها. واستطراداً، لا بد من التذكير بحقيقة معروفة وشائعة، وهي أن كثراً من المختصّين وجدوا أن أشد العنف الخيالي المتلفز يتمثّل في مسلسلات الكرتون المخصّصة للصغار، مثل أفلام «توم وجيري» التي تصدّرت قائمة المشهديات التي تحضّ على العنف في معظم الدراسات. وهذا يثير قلقا من أن الشاشات كانت دوما مصدرا للحض على العنف في أوساط الأصغر عمرا. (Seltzer, 2011)

ويعرض التلفاز العديد من المشاهد التي تحتوي على العنف، فعادة ما يشاهد الطفل الأمريكي مثلا حوالي مائتي ألف مشهد عنف على شاشة التلفاز قبل بلوغه عمر الثامنة عشر، ممّا يجعل الأطفال أكثر عدوانية، وزيادة سلوكيات العنف المرئي عبر التلفزيون يزيد الاستجابات العدوانية للمشاهدين بنسبة تتراوح بين 5 – 10% أيا كان الوسط الاجتماعي المنحدرون منه أو المستوى التعليمي الذي وصلوا إليه أو سلوك آبائهم معهم. كما أن هناك أسبابا متعددة تؤدي إلى عنف الطفل. فالأطفال لا يولدون وهم يعلمون السلوكيات المقبولة اجتماعياً، فهم يحتاجون دائماً لأن نعلمهم ونذكرهم كيف يعبرون عن أنفسهم بشكل صحيح في كل المواقف، والإخفاق في ذلك سيؤدى إلى صعوبة السيطرة على الطفل.

ففي دراسات علمية أجرتها منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة «يونيسكو» لمعدلات مشاهدة الأطفال العرب للتلفزيون، أن الطفل قبل أن يبلغ الـ18 من عمره يقضي أمام شاشة التلفاز 22 ألف ساعة تقريباً، مقابل 14 ألف ساعة يقضيها في المدرسة خلال المرحلة نفسها، ومع بدء القرن الـ21 زاد المعدل العالمي لمشاهدة الطفل للتلفزيون من ثلاث ساعات و20 دقيقة يومياً إلى خمس ساعات و50 دقيقة نتيجة الانتشار الواسع للفضائيات التلفزيونية.

وتؤكد نفس الدراسة أن مشاهدة الأطفال لبرامج التلفزيون لفترات غير محددة ودون رقابة وانتقائية «تفرز سلوكيات أبرزها السلبية والأنانية وعدم التعاون مع الآخرين، وعدم الإحساس بمشاعرهم بل والسخرية منهم إلى جانب التقليد الأعمى للآخرين في الملبس والمأكل والمشرب والسلوك الاجتماعي ونمط الحياة الاستهلاكي. كما تؤدي مشاهدة الأطفال برامج التلفزيون بإفراط ودون ضوابط إلى تأثيرات سلبية عليهم، تتمثل في العجز عن ضبط النفس واللجوء إلى العنف بدلاً من التفاوض، والافتقار إلى الأمان والشعور الدائم بالخوف والقلق وترسيخ صور نمطية سلبية في عقل الطفل، إضافة إلى قتل روح الإنتاج والإبداع لدى الأطفال.

الآثار السلبية للتعاطي مع العالم الافتراضي:

العالم الافتراضي أو ما يسمى بالعالم الرقمي، هو بيئة مجتمعية على الإنترنت يتم تصميمها ومشاركتها من قبل الأفراد بحيث يمكنهم التفاعل في عالم مصمم خصيصا للمحاكاة هذه. إن الواقع الافتراضي ينتج سياقات شبه حقيقية واضحة حيث تعتمد الفكرة الأساسية للواقع الافتراضي على تخيل استغراق الفرد وامتزاجه في واقع آخر.

وللعالم الافتراضي عواقب وخيمة تعود على من يدمن عليها سواء كان من الكبار أو الصّغار بأضرار كثيرة وفي جوانب مختلفة، ومن هذه الأضرار:

- يعرض إدمان استعمال العالم الافتراضي الأطفال والمراهقين إلى خلل كبير في علاقاتهم الاجتماعية، حيث يعتاد الطفل الجو العام فيه والذي غالبا بتحكم به، مما قد يعرضه لصعوبة كبيرة في التأقلم مع الحياة الطبيعية التي قد يعجز عن التحكم فيها ومسايرتها كما يتوقع، الأمر الذي يقوده إلى الفراغ النفسي والشعور بالوحدة سواء في منزله أو مدرسته.

- تنمي الشخصيات الافتراضية في العالم الافتراضي فكرة الانفصال عن الحياة الواقعية لدى المستخدمين، إذ تقودهم للتعامل بمنطق هذه الشّخصيات الخيالية في حياتهم، مما يولد الكثير من التحدي والعنف والتوتر والعراك الدائم مع محيطه.

- ينشيء العالم الافتراضي أطفالا غير اجتماعيين، إذ إن الطفل الذي يقضي في هذا العالم ساعات كثيرة دون أدنى تواصل مع الآخرين سيصبح انطوائيا وغير اجتماعي.

- بالإضافة إلى أن الطفل الذي يسرف في قضاء الوقت في العالم الافتراضي سينعزل عن العالم الحقيقي ليجد نفسه مفتقدا مهارات التّعامل مع الآخرين وإقامة العلاقات والصداقات، مما يحوله طفلا خجولا لا يستطيع التعبير عن نفسه ومكنونه.

- العالم الافتراضي عالم واسع جدا ويحتوي على الكثير من الأفكار والعادات التي لا تتوافق مع الدين وعادات المجتمع وتقاليده، وتُساهم في تشكيلِ ثقافةٍ مشوّهة وغير مناسبة للطفل. تؤسّس الكثير من المواقع لأفكار.

- تقود كثرة استعمال العالم الافتراضي إلى الإصابة بأمراض الجهاز العضلي والعظمي، كما تؤدي إلى آلام أسفل الظّهر نتيجة الجلوسِ لساعات طويلة أمام أجهزة الحاسوب والتلفاز. وتؤدّي أيضا إلى حدوثِ أضرار كبيرة لمفصل الرّسغ وإصبع الإبهام، بسبب الحاجة لثنيهما باستمرار، كما تؤثر بشكل مباشر وسلبي على نظر الأطفال، إذ إن هناك احتمالية لأن يصاب الطفل بضعف في البصر نتيجة تعرضه بشكل مستمر للأشعة الكهرومغناطيسية قصيرة التردد القادمة من شاشات التلفاز والحواسيب.

- تعتمد نسبة كبيرة من استخدامات العالم الافتراضي على عنصر العنف والعدوانية، فهي تعلم الأطفال والمراهقين على طرق ارتكاب الجرائم وسبلها، مما يُنمي في عقولهم أفكارا ومهارات حول العنف.

- يؤثر التعاطي مع العالم الافتراضي بشكلٍ سلبي على الأداء الأكاديمي للمتمدرسين، إذ أنها تقودهم لإهمال واجباتهم المدرسية وتدفعهم كذلك للتسرب من المدرسة أثناء فترة الدوام، مما يؤدي لاضطرابات ومشاكل في التعلم.

- يتطلب استعمال العالم الافتراضي إلى سهر الليل لفترات طويلة من طرف الأطفال والمراهقين خاصة، مما يؤثّر بشكل مباشر على تركيزهم وتفكيرهم، فتجعلهم غير قادرين على الاستيقاظ للذهاب للمدرسة صباحا، وإن حصل وذهبوا للمدرسة فإنهم سيستسلمون للنوم عوضا عن التركيز والاستماع، مما يؤثّر على تحصيلهم الدراسي.

خاتمة:

مع ظهور العالم الافتراضي كقطب محاكي للعالم الحقيقي عبر المواقع التواصل الاجتماعي والألعاب الالكترونية والمحتويات المرئية والصوتية، حيث أتاح للأشخاص ممارسة سلوكيات قد يصعب عليهم ارتكابها في الواقع الحقيقي بكل سهولة وسرعة، مما يشجعهم على إظهار حقيقتهم وارتكاب بعض السلوكيات التي قد لا يتقبلها مجتمعهم وإعفائهم من محاكمته لهم فيمارسون انحرافاتهم بكل أمان ويجدون حتى من يدعمهم ويشاركهم.

إن هذه الخصائص التي تميز العالم الافتراضي أججت من مشاعر العدوانية والسلوكات العنيفة، وجعلت الفرد مؤهلا ومستعدا للمرور لارتكاب السلوك العنيف. ونظرا للعدد الهائل من الأفراد أو المؤسسات الذين يرتادون في هذه الشبكة أصبح من السهل ارتكاب أبشع الجرائم بحق مرتاديها، واستهدفت وبشكل كبير شريحة الشباب باعتبارها المستهلك الأول للتكنولوجيا، لذلك وحفاظا على مستقبل الأمم وجب تقنين استعمال التكنولوجيا في ما ينفع وتفعيل وسائل الحماية أولا من أجل الوقاية، ثم الردع لوقف انتشارها أو حتى التخفيف من حدة آثارها.

المراجع:

- العربي الجديد: العنف الواقعي مقابل الافتراضي في مواجهة أسئلة معقدة، مقال منشور بمجلة العربي الجديد بتاريخ 14نوفمبر 2018 في الموقع: https://www.alaraby.co.uk/culture/2018/11/14
- روبا، عبد العال (2018): ألعاب الفيديو تضرب عقول المراهقين بالإدمان وعشرات المليارات يحصدها تجار الهوس، مقال منشور في موقع مجلة المدينة أونلاين: https://www.al-madina.com/article/559696
- دردور، نسيم (2013):جرائم المعلوماتية في ضوء القانون الجزائري والمقارن، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، شعبة القانون الجنائي، جامعة منتوري قسنطينة.
- السيد، رمضان (1993): "إسهامات الخدمة الاجتماعية في مجال انحراف الأحداث"، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- الطرشاوي، خليل عبد الرحمن (2002): "أزمة الهوية لدى الأحداث الجانحين مقارنة بالأسوياء في محافظة غزة في ضوء بعض المتغيرات"، رسالة ماجستير، قسم علم النفس، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة.
- نعيمة رحماني، الأنترنت:العالم االفتراضي والعنف الرمزي، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، جامعة تلمسان الجزائر،العدد 11سبتمبر 2014.
- F.Seltzer, Leon (2011):What Distinguishes Erotica from Pornography? Psychology Today, in : https://www.psychologytoday.com/intl/blog/evolution-the-self/201104/what-distinguishes-erotica-pornography

الاستراتيجية السياحية في الجزائر من منظور المخطط التوجيهي للسياحة SNAT 2030

سالمي رشيد ، أستاذ التعليم العالي
جامعة تامنغست
البريد الإلكتروني:
profsalmi@yahoo.fr
رقم الهاتف:
0557488896

ملخص البحث

تهدف الدراسة إلى معرفة واقع المقومات السياحية في الجزائر وآفاق، وذلك من خلال التطرق الى كل المقومات السياحية الطبيعية الكثيرة بمختلف انواعها والتي يمكن ان تمثل منطلقا مهما لتشجيع صناعة السياحة والنهوض بها، فمجال السياحة يعتبر من أهم مجالات الاستثمار وعنصر مؤثر وفعال في جلب العملات الصعبة للاقتصاد في عصرنا هذا، فاذا ارادت الدولة الجزائرية ان تصبح رائدة في هذا المجال عليها بالسعي نحو الاهتمام به وترقية خدماته، فمن خلال هذه الدراسة تم التوصل الى أنه يجب الاهتمام بكل نوع من انواع السياحة الموجودة في الجزائر سواء كانت صحراوية او جبلية او غيرها، بالإضافة الى بناء محميات طبيعية وتشييد فنادق والمرافق ذات المستوى المطلوب، .وذلك بالتقيد بكل ما جاء في المخطط التوجيهي للسياحة 2030 واحترام كل جزء منه، فالمخطط التوجيهي للتهيئة السياحية 2030 جاء كتجسيد وترجمة لإرادة الدولة الفعلية والحقيقية في جعل السياحة أولوية وطنية، بحيث جسد هذا المخطط الذي يعتبر الاطار المرجعي للسياحة الجزائرية، والاستراتيجية السياحية الجديدة للجزائر على المدى القصير والمتوسط والطويل في اطار التنمية المستدامة.

الكلمات المفتاح : السياحة؛ المخطط التوجيهي للسياحة 2030، المقومات السياحية في الجزائر.

Abstract:

The study aims to find out tourist in Algeria-reality and perspectives – through turning to all the many natural tourist infrastructure of various kinds which can represent an important platform to encourage and promote the tourism industry, tourism is one of the most important investment areas and agents And effectively bringing in hard currency for the economy at this time, if the Algerian State to become a leader in this field by the pursuit of attention and upgrade its services, through this study, attention must be reached by all kind of tourism in Algeria desert whether or Mountainous or other, plus the construction of nature reserves and construction of hotels and facilities, also don't forget comply with everything that came in a tourism blueprint 2030 and respecting every part of it, the blueprint for initialization 2030 tourist came as the embodiment and translate to actual and real state will make Tourism is a national priority, so that the body of this scheme which is a frame of reference for Algerian tourism, new tourism strategy for Algeria on short, medium and long term in the context of development.

Key words: tourism; Blueprint 2030 tourism; Tourist in Algeria.

مقدمة:

تعتمد قوة اي اقتصاد في اي بلد بشكل اساسي على فعاليات قطاعاته الاقتصادية المختلفة، والتي تعتبر السياحة العنصر الاساسي فيها، بحيث اضحت السياحة صناعة متكاملة تتضمن التخطيط، الاستثمار، التشييد، التسويق والترويج، اذ تعتبر كذلك بمثابة صناعة متعددة المراحل، تعتمد على قطاعات الاقتصاد الاخرى، الجزائر على غرار بقية هذه الدول، تملك مقومات سياحية متنوعة وثرية

مترامية هنا وهناك على ربوع الوطن نادرا ما تكون مجتمعة في بلد واحد، كل هذه المقومات جعلت الدولة الجزائرية تولي اهتماما كبيرا في تطوير السياحة الداخلية، يتجسد هذا الاهتمام في المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية لآفاق 2030، إذ باشرت الجزائر في العمل الفعلي لتطوير قطاع السياحة منذ 1999، حيث بلغ عدد المشاريع السياحية سنة 2014 حوالي 861 مشروع بعدما سجل في 2008 حوالي 530 مشروع مسجلا فرق قدره 331 مشروع، كل هذه المشاريع جاءت نتيجة إدراك الدولة الجزائرية مدى أهمية تطوير القطاع السياحي من خلال كل ما سبق يمكن طرح الإشكالية الرئيسية التالية: "**فيما تكمن الاستراتيجية السياحية في الجزائر بين الواقع والمتوقع؟**"

بحيث قسمنا بحثنا هذا على النحو التالي:

المحور الأول: مفاهيم أساسية حول السياحية؛

المحور الثاني: المقومات السياحية في الجزائر؛

المحور الثاني: آفاق السياحة في الجزائر وفقا للمخطط التوجيهي للتهيئة السياحية 2030.

المحور الأول: مفاهيم اساسية حول السياحة

تطور مفهوم السياحة من فترة زمنية لأخرى وفقا لتطور الظاهرة نفسها، فقد ظهرت العديد من التعاريف في هذا السياق، اذ أن الاقتصاديين يؤكدون على النواحي الاقتصادية وما تجلبه من موارد مالية وتأثير ذلك على الدخل الوطني وميزان المدفوعات، بينما رجال الاعلام ينظرون اليها من وجهة نظر سياسية تحقق امكانية التعرف على قضايا وطنهم عن قرب بالاحتكاك المباشر.

أولا: مفهوم السياحة: ان الاهتمام المتزايد بالسياحة أدى الى اعطائها مفاهيم متنوعة ومتعددة ذلك لما تشكله من أهمية بالغة في حياة المجتمعات على جميع الأصعدة (الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية....الخ) فمن خلال كل هذا يمكن تناول مفهوم السياحة على النحو التالي:

1– **تعريف السياحة:** يعود أصل لفظ السياحة الى اللغة اللاتينية، فلفظ Tourisme مشتق في اللغة الانجليزية من كلمة to tour والمعروف في اللغة الفرنسية بلفظ Tourner وكلاهما مشتق من لفظ لاتيني Tornare الذي يؤدي نفس المعنى، فبسبب تزايد عدد الزوار الاجانب الوافدين من بلدان مختلفة لفرنسا في القرن السابع عشر الميلادي، قامت الحكومة بتقديم كافة التسهيلات لهم منها اصدار دليل عام 1672 من قبل سان موريس بعنوان الدليل الامين للأجانب في الرحلة الى فرنسا ثم تطور المصطلح بتسمية الشباب الانجليز الذين كانوا يقومون برحلة لإتمام تعليمهم Touriste سياح، ثم استخدم المصطلح نفسه في فرنسا للتعبير عن كل شخص كان يقوم برحلة ما لتحقيق متعة شخصية. [1]

– **تعرفها المنظمة العالمية للسياحة OMT بأنها:** "الانشطة التي يقوم بها الافراد خلال أسفارهم واقامتهم في اماكن موجودة خارج محيطهم الاعتيادي لمدة متتالية لا تتعدى سنة بغرض الترفيه او الاعمال او لأي سبب آخر"[2].

– **كما يمكن تعريفها بانها:** "ظاهرة من ظواهر عصرنا تنبثق من الحاجة المتزايدة للراحة وعلى تغيير الهواء والاحساس بجمال الطبيعة والى الشعور بالبهجة والمتعة من الاقامة في مناطق لها طبيعتها الخاصة، وأيضا الى نمو الاتصالات على الأخص بين شعوب مختلفة من الجماعات الانسانية وهب الاتصالات التي كانت ثمرة لاتساع نطاق التجارة والصناعة"[3].

2– خصائص السياحة: يمكن حصر اهم خصائص السياحة فيما يلي[4]:

– تعتبر السياحة نشاطا اقتصاديا متزايدا أو متضاعف الطبيعة وبصورة مطردة خاصة فيما يتعلق بالدخل والاستخدام، اذ يفسر ذلك بإقدام السياح على الانفاق وتحويل نقودهم الى عملات الدولة التي يزورها من أجل تسديد تكاليف الخدمات التي يحتاجونها، الى جانب مشترياتهم، وفيما يتعلق بالعمالة السياحية المتزايدة فهي من خصائص صناعة السياحة التي تتصف بها نظرا لاحتياجها الى اعداد كبيرة من العاملين؛ – المنتج السياحي المتمثل في عوامل الجذب السياحي: الموارد السياحية (الطبيعية، التاريخية، الاثرية) لا تباع الا من خلال السياحة، فهذه الموارد لا تدر عائدا بطبيعتها الا اذا بيعت في شكل منتج سياحي؛ – المنتج السياحي لا يباع في معظم الاحوال من غير وجود التسهيلات السياحية، التي يجب ان تتواجد جنبا الى جنب مع الموارد السياحية وتتمثل هذه التسهيلات السياحية في أربعة مجموعات: توفر الهياكل الاساسية "القاعدية" كشبكات النقل ووسائل الاتصال والامن ....الخ، توفر منشآت الاقامة، توفر النقل، توفر المنشآت السياحية الترويحية؛ – المنتج السياحي منتج مركب، فهو مزيج مشكل من مجموعة عناصر متعددة تتكامل مع بعضها البعض وتؤثر بالقطاعات الاخرى في المجتمع؛ – عدم قابلية المنتج السياحي للتخزين أو النقل من مكان لآخر أو من فترة لأخرى؛ – صعوبة استقطاب السياح وتعذر ضمان جذبهم سنويا نظرا لكثرة المغريات السياحية في مناطق العالم المختلفة، مما يعني اتساع العرض السياحي العالمي.

ثانيا: أركان ومكونات السياحة:

1– اركان السياحة: كما تتكون السياحة من الاركان التالية[5]:

– **النقل:** اهم ركن للنشاط السياحي هو النقل والمواصلات اذ يحفزان ويسهلان للسائح التنقل والسفر لمختلف المناطق؛

– **الايواء:** يمثل اهم شيء يشغل بال السائح عند وصوله للدولة او المدينة التي يزورها؛

– **البرنامج:** يتمثل في رزنامة السائح التي يضعها لتنظيم وقته حين يصل الى المكان المرغوب فيه، فيشمل البرنامج زيارة المتاحف، الاماكن الاثرية والتاريخية، اماكن الترفية والراحة، اماكن اخرى تعتبر متخصصة لنوع معين من انواع السياحة كزيارة المناطق الرياضية وزيارة المناطق العلاجية؛

– **البنية التحتية للسياحة:** هي الخدمات الاساسية والضرورية التي تأسس لأي مشروع او مواقع سياحية من بينها توفر شبكات المياه، الكهرباء، الغاز، الطرق والمواصلات، القطاع الصحي، البنوك....الخ، وتعتبر هذه البنية ذات اهمية لأي مشروع سياحي اذ بها نكسب ثقة السائح؛

– **البنية الفوقية للسياحة:** تتمثل في منشآت الاقامة ومشاريع الاستقبال السياحي ومكاتب المعلومات السياحية كوكالات السياحة والاسفار، الشركات السياحية مكاتب ايجار السيارات، المترجمين، المنظمات السياحية، المسارح، الملاعب، السنيما....الخ .

2– مكونات السياحة: يمكن تلخيصها فيما يلي[6]:

– **وسائل الاقامة السياحية:** تعرف كذلك بأماكن الايواء وتضم الفنادق والموتيلات والقرى السياحية بأنواعها المختلفة والمخيمات والشقق الفندقية والفنادق العائمة، المنتجعات السياحية التي تخضع الى مجموعة من المعايير لتصنيفها من أهمها:

أ– معيار الموقع: حسب هذا المعيار الموقع يلعب دورا مهما في تصنيف الفنادق وتحديد درجاتها ونوع زائريها فحسب هذا المعيار نجد التصنيفات التالية: فنادق وسط المدينة التي تستقبل رجال الاعمال وسائحي الاجازات، فنادق المنتجعات والتي تتضمن كافة الخدمات والتسهيلات التي تيسر اقامة سائحي الاجازات، فنادق المطارات والتي تستقبل سائحي العبور وملاحي الطائرات وفي بعض الحالات

رجال الاعمال، الفنادق العائمة والتي سائحي العطل، فنادق المؤتمرات والتي تستقبل عادة سائحي المؤتمرات بالإضافة الى رجال الاعمال وسائحي الاجازات.

ب– معيار الخدمة: تبعا لهذا المعيار يمكن تقسيم وسائل الاقامة الى: وحدات اقامة تقدم خدمات سياحية كالفنادق، الموتيلات، بيوت الشباب والفنادق العائمة، وحدات اقامة تقوم على الخدمة الذاتية كالمخيمات، الفيلات والشاليهات، اذ يجب ان تشمل هذه الوحدات على تسهيلات للراحة.

– النقل السياحي: يعتبر احد اهم العناصر الاساسية لقيام النشاط السياحي على اعتبار ان المنتج السياحي لا ينقل بل يستوجب حضور المستهلك (السائح) الى عين المكان، فالارتباط وثيق بين النقل وصناعة السياحة، حيث ان التطورات الكبيرة التي عرفتها صناعة السياحة كانت نتيجة التطورات الكبيرة التي عرفتها صناعة النقل، فالنقل الجوي اسهم بشكل كبير في ظهور العديد من الدول على خريطة العالم السياحية.

– الشركات والوكالات السياحية: تقوم هذه الاخيرة بدور هام في مجال النشاط الخاص بالسياحة والسفر، اذ تقوم وكالة السياحة والسفر بتمثيل العديد من موردي الخدمات السياحية (شركات الطيران، الفنادق، خطوط الملاحة، شركات تنظيم الرحلات)، بحيث تعتبر كذلك مكتب استشارات للعملاء في مجال السفر والسياحة كما انها تعتبر كوكيل او سمسار.

المحور الثاني: المقومات السياحية في الجزائر

تملك الجزائر مقومات سياحية تؤهلها لتكون من أوائل الدول السياحية في العالم، الا انه وعلى الرغم من ذلك تبقى بعيدة كل البعد عن مواكبة الدول الأخرى، كونها لم تستغل قدراتها احسن استغلال ومن بين هذه المقومات نذكر:

أولا: المقومات الطبيعية: في هذا الجانب تمتلك الجزائر مقومات رائعة في جميع ارجائها اذ تتمثل اهم الامكانيات المتوفرة فيها على[7]:

1– الشريط الساحلي: يمتد على 1200 كلم وهو عبارة عن شواطئ رملية تتوزع على المدن الرئيسية للجزائر، اذ يصل عدد البلديات السياحية فيها الى 420 بلدية، فهي لوحدها تعتبر اساس لقيام السياحة الشاطئية ومن أهمها: الجزائر العاصمة، تيبازة، القالة، عنابة، سكيكدة، بجاية، جيجل، وهران .....الخ.

2– المناطق الجبلية: تتمثل اساسا في سلسلة الأطلس التلي التي تمتد من الشرق الى الغرب، بحيث تمتاز بمناظر خلابة وخصائص طبيعية كالكهوف ومن أهمها: مغارات أوقاس ببجاية، المغارات العجيبة بجيجل.....الخ.

3– الحظائر والمحميات الطبيعية: احصت مديرية البيئة والغابات 11 حظيرة عبر التراب الوطني تتميز بتنوعها البيولوجي وتعتبر مناطق جذب سياحي يوجد منها 8 في الشمال وهي: حظيرة جرجرة تتربع على مساحة 18850 هكتار، حظيرة القالة تتربع على حوالي 77 الف هكتار، حظيرة ثنية الحد توجد بولاية تيسمسيلت تتربع على مساحة 3425 هكتار، حظيرة بلزمة توجد بولاية باتنة تتربع على مساحة 60 الف هكتار، حظيرة تازا تمتد على مساحة 3807 هكتار، حظيرة الشريعة تتربع على مساحة 27 الف هكتار، حظيرة قورايا ببجاية تحوي 75 نوعا نباتيا و220 نوعا حيوانيا توجد بها اعلى قمة تبلغ 1627، حظيرة تلمسان تتربع على مساحة 8225 هكتار، وواحدة في الهضاب وهي حظيرة الهضاب أو حظيرة جبل عيسى بمساحة 24500 هكتار، وحظيرتين في الصحراء وهما حظيرة الهقار تقع في اقصى الجنوب بمساحة تقدر بـ 450000 كلم^2، حظيرة طاسيلي ناجر تمتد على مساحة 80000 كلم^2.

4– الحمامات المعدنية: تشتهر الجزائر بمواقع حموية تتوزع على مختلف ولايات الوطن تصل شهرتها الى الخارج الا انها تجلب السياح من الداخليين بدرجة أكبر، يصل عددها الى 202 منبع حموي اغلبها يتم استغلالها بطرق تقليدية بينما شيدت محطات ومراكز علاج أمام بعضها الآخر ومن أهمها: محطة بوحنيفة في معسكر ومحطة حمام قرقور في سطيف وحمام المسخوطين في قالمة.....الخ، ويمكن أن تعتبر هذه المنابع مصدرا لجذب وتطوير السياحة العلاجية.

ثانيا: المقومات التاريخية والثقافية والدينية

إلى جانب الامكانيات الطبيعية تزخر الجزائر كذلك بارث تاريخي وثقافي لا بأس به نظرا لمختلف الفترات والحضارات التي تعاقبت عليها، ومن اهمها:

1– **المواقع الأثرية:** توجد العديد من المناطق الاثرية فيها ومن اهمها واشهرها نذكر[8]:

– **قلعة بني حماد في ولاية المسيلة:** تأسست عام 1007م وصنفت كتراث عالمي سنة 1980م، تقع هذه القلعة على بعد 20كلم شمال مدينة المسيلة في بلدية المعاضيد، قام بتأسيسها حماد بن بلكين بن زبري الصنهاجي البربري كثاني دولة اسلامية مستقلة في المغرب الاوسط؛

– **مدينة جميلة الأثرية في ولاية سطيف:** تأسست في اواخر القرن الاول ميلادي وسجلت ضمن التراث العالمي في 1982، تقع اثارها على بعد 32 كلم من مدينة العلمة الشهيرة في سطيف، وسط الجبال على ارتفاع يفوق 900 متر، كما انها تبعد عن العاصمة بـ 300 كلم؛

– **مدينة تيمقاد الاثري في ولاية باتنة:** تقع هذه المدينة الاثرية الرومانية التي تشكل الرومان في هندسة المدن على بعد 36 كلم عن مقر عاصمة الولاية، انشات سنة 100 ميلادي، فهي تتمتع بمساحات شاسعة وهندسة انيقة تجعلها من بين اهم المعالم الاثرية السياحية؛

– **المنطقة الأثرية بتيبازة:** يقصد بتيبازة (تيباسا) "الممر" بلغة الفينيقيين الذين اسسوا هذه المدينة كمركز تجاري، بحيث اصبحت حاليا عاصمة سياحية ومتنفسا للزائر بهدف العمل، وذلك لوقوعها على القرب من مدينة ايكوزيوم (الجزائر العاصمة)، بالإضافة الى كونها تحمل بصمة ثقافية وتراثية عريقة جدا؛

– **وادي مزاب في ولاية غرداية:** يتشكل هذا الوادي من هندسة قصور تعود لألف سنة خلت، لكن بمجرد دخولك لها ستلاحظ دقة كل شيء فيها؛

– **موقع الطاسيلي ناجر باليزي:** هي عبارة عن متحف لفن النحت على الصخور ما قبل التاريخ أو هضبة ترتفع 2000 متر فوق سطر البحر، مساحتها تقدر بـ 12 الف كم2، تحتوي كذلك على اشجار تعود الى اكثر من 2000 سنة وتشكيلات متنوعة من الصخور البركانية والرملية، موقع اثري وفني يعود الى عام 6000 قبل الميلاد، يحتوي على 15000 رسم ونحت، كما انها تحتوي على أجمل غروب للشمس في العالم؛

– **قصبة الجزائر:** انشأها العثمانيون لتكون حصنا لهم منذ اكثر من 2000 سنة، صنفت كتراث عالمي سنة 1992 بها العديد من المواقع الاثرية منها: قصر الداي، قصر خداوج العمية، مسجد كتشاوة، المسجد الكبير، دار عزيزة.

2– **الزوايا والمتاحف:** هناك العديد من المتاحف والزوايا في الجزائر التي تعتبر شاهدا على الحراك الديني والثقافي والتي يمكن حصرها في:

– **الزوايا:** تعتبر الزوايا في الجزائر من بين المنظمات الدينية الأولى والرئيسة، فهي تطبق وتدرس العلوم الاسلامية، اذ تتواجد داخل الذاكرة الاجتماعية من خلال وضعها الروحي ووزنها المادي المرتبط بوظائفها الفكرية، ومهامها التربوية التكوينية والاجتماعية، فهي غالبا ما تكون مرتبطة بمدرسة، بالإضافة الى كونها مؤسسة من طرف شيخ صوفي مشهور منذ قرون مضت، وعبر الزمن تم التكفل بالزوايا من طرف التلاميذ متبعين طرق شيوخهم، ومن بين اهم واشهر الزوايا نجد[9]:

أ – مدينة الجزائر: زاوية وضريح عبد الرحمان الثعالبي، زاوية ولي داده ، وزاوية عبد القادر الجيلاني، هناك قائمة طويلة أخرى نذكر منها زاوية سيدي محمد الشريف، زاوية سيدي أحمد بن عبد الله الجزائري، سيدي الجودي ، سيدي جمعة وسيدي الكتاني ..الخ.

ب– مدينة قسنطينة وضواحيها: بلغت اهم الزوايا فيها حسب بعض الإحصاءات ست عشرة زاوية، فهناك زوايا وخلوات سيدي الكتاني وسيدي المناطقي وغيرها، كما كانت للعائلات الكبيرة بالمدينة زواياها مثل زاوية أولاد، وكانت هناك زوايا خاصة بالأتراك والكراغلة مثل زاوية رضوان خوجة، وفي نواحي قسنطينة اشتهرت زاوية خنقة سيدي ناجي.

ج– مدينة تلمسان وضواحيها: اشتهرت هذه المدينة بزواياها وأضرحتها ومشاهدها نذكر منها زاوية سيدي الطيب، زاوية سيدي بومدين، زاوية محمد السنوسي، زاوية أحمد الغماري وضريح سيدي الحلوي الأندلسي ..الخ فمنطقة زواوة وبجاية تعتبر من أغنى مناطق الجزائر بالزوايا ، فقد تصل فيها إلى خمسين زاوية، نذكر منها زاوية تيزي راشد، زاوية الشيخ محمد التواتي ببجاية، زاوية الأزهري بآيت إسماعيل، زاوية ابن على الشريف بآقبو وكذلك سيدي منصور بآيت جناد وغيرها، اذ تعتبر كلها زويا اشتهرت بنشر التعليم وتخريج أجيال من المتعلمين.

– **المتاحف:** توجد في الجزائر عدة متاحف تشهد على الحضارات والازمنة التي مرت بها اهمها: متحف هيبون بعنابة، متحف الجيش برياض الفتح –الجزائر، المتحف الوطني باردو بالجزائر، متحف تيبازة، المتحف الوطني للفنون الجميلة بالجزائر، المتحف الوطني للمجاهد برياض الفتح – الجزائر، المتحف الوطني احمد زبانة بوهران[10].

3– الصناعات التقليدية: تشكل الصناعات التقليدية والحرف اليدوية ارثا حقيقيا يمكن استغلاله للترويج والجذب السياحي وذلك من خلال الصالون والمعارض الوطنية والدولية، اذ يتميز بثرائه وتنوعه من منطقة الى اخرى كصناعة الملابس التقليدية بمختلف انواعها: اللباس القسنطيني، الصحراوي، القبائلي، الترقي، النايلي والعاصمي .....الخ، وكذا الحلي الفضية بالأوراس والقبائل، بالإضافة الى الذهب بتلمسان والشرق الجزائري. كما لا ننسى الصناعات التقليدية الكثيرة والمنتشرة في جميع ارجاء الوطن كصناعة النحاس بالعاصمة والشرق الجزائري، صناعة الجلود بالصحراء، صناعة الاواني الطينية والفخارية، صناعة الزرابي التي اشتهرت كثيرا دوليا خاصة زربية غرداية وزربية مسعد.

4– التراث الثقافي والشعبي: تتمتع الجزائر بتراث متنوع يساهم مساهمة حقيقية في عملية الجذب السياحي مثل الزخم الكبير من الفنون الشعبية كالفن العاصمي، المالوف القسنطيني الغناء الاندلسي الاصيل، الطابع القبائلي وغيرها، كل هذه الطبوع يمكن ان تكون اساسا لجذب السياح من خلال المهرجانات والحفلات التي يتم تنظيمها، بالإضافة الى الطبخ التقليدي التي يهدف كل سائح الى اكتشافها في الدول التي يقوم بزيارتها أو حتى العادات والتقاليد المصاحبة لها مثل: حفلات الاعراس، المواسم الدينية والعائلية المختلفة التي يمكن تقديمها كمنتجات سياحية[11].

ثالثا: الامكانيات المادية: تعتبر المنتجات المتعلقة بالتجهيزات العامة هامة فبواسطتها نصل للمقصد السياحي وفي أقل وقت ممكن كما تقلل الجهد وتساهم بدرجة كبيرة في تحقيق المتعة، ومن اهمها نذكر[12]:

– النقل: يعتبر النقل واحد من بين الركائز الأساسية واحدى اهم المنتجات التي يعتمد عليها القطاع السياحي، فالسياحة بدون مواصلات لا ترقى الى المستوى المطلوب، فالجزائر قامت بخطوة هامة في تطوير النقل من خلال انجاز عدد كبير من المشاريع واخرى في طور الانجاز لجعل هذا القطاع اكثر كفاءة وفعالية للمساهمة في تنمية الاقتصاد بصفة عامة والقطاع السياحي بصفة خاصة، والانواع التي مسها تطوير قطاع النقل تمثلت في:

أ– النقل البري: يمكن ابرازه على النحو التالي:

– شبكة الطرقات: تعتبر شبكة الطرق الجزائرية واحدة من أكبر الشبكات والأكثر كثافة في القارة الافريقية، حيث يقدر طولها بـ 696 112 كلم من الطرق، منها 280 29 كلم من الطريق الوطني، كما سيتم استكمال هاته الشبكة بجزء هام مقدر بـ 216 1 كلم والذي سيربط مدينة عنابة في أقصى الشرق بمدينة تلمسان في أقصى الغرب (أنظر الشكل رقم 02).

شبكة الطرق الجزائرية في تطور مستمر بفضل برنامج تحديث الطرقات السريعة، نذكر منها انجاز الطريق السيار شرق غرب الذي يبلغ 216 1 كلم، والاطلاق القادم لمشروع انجاز الطريق السيار للهضاب العليا بطول 1020 كلم، بالإضافة الى الطريق السريع العابر للصحراء (شمال وجنوب)، والذي تمت تهيئته بقرار من الحكومة لزيادة التبادل التجاري بين الدول الست المتواجدة على طول هذا الطريق وهي (الجزائر، مالي، النيجر، نيجيريا، التشاد وتونس).

– شبكة السكك الحديدية: تقدر هذه الشبكة في الجزائر بـ 2.150 كلم، اذ شهدت في الآونة الأخيرة كهربة بعض المقاطع لوضع قطارات ذات سرعة فائقة قريبا من شأنها أن تربط المدن الرئيسية للبلاد. تسير هذه الشبكة من قبل شركة النقل للسكك الحديدية الوطنية (SNTF)، هذه الشبكة مجهزة بأكثر من 200 محطة تغطي خاصة شمال البلاد، فمن بين اهم مشاريع السكك الحديدية التي هي في طور الانجاز نذكر مشروع كهربة 1000 كلم من السكك الحديدية وانجاز 3000 كلم من السكك الحديدية، ففي سنة 2014 وصل طول شبكة السكك الحديدية الى 515 10 كلم (أنظر الشكل رقم 03)

– ميترو الجزائر: تم افتتاح ميترو الجزائر في 2012 اذ بلغ طوله 9 كلم و10 محطات، يركب على متنه حوالي 25000 راكب يوميا، كما اطلقت مؤخرا شركة ميترو الجزائر العاصمة مناقصة وطنية ودولية لتنفيذ الدراسات الاولية بشأن تمديد الخط رقم 01 لمترو الجزائر العاصمة، بالإضافة الى مشروع اخر رائد في اطار المخطط الخماسي 2010-2014 والذي يتمثل في انشاء مترو وهران.

– الترامواي: تم اطلاق مخطط لتنمية وتحديث قطاع النقل الجماعي والنقل الحضري ما بين المدن عبر السكك الحديدية أي الترامواي، بحيث نجد ترامواي الجزائر يخدم مدينة الجزائر العاصمة اذ يشمل على 16.2 كلم و28 محطة، وسيمتد الى 23 كلم و38 محطة، اما ترامواي قسنطينة فهو قيد الانجاز منذ 2008، اذ سيشمل مساره خط يقدر بـ 9 كلم و10 محطات، وفيما يخص ترامواي وهران فتم الشروع في انجازه ايضا في 2008، فهو سيمثل أطول ترامواي في الوطن على مسافة مقدرة بـ 48 كلم، ومن بين المدن الجزائرية التي ستعزز بالترامواي سيدي بلعباس، باتنة، ورقلة، مستغانم، عنابة، سطيف، اذ تم الشروع مؤخرا بالدراسات التقنية لمشاريع الترامواي الخاصة بهذه المدن 06 للوطن، كما سيتم اجراء دراسات اخرى متناسبة لمشاريع الترامواي المقرر انجازها في 08 ولايات اخرى.

ب– النقل الجوي: طورت الجزائر قطاع النقل الجوي بطريقة تجعل منه وسيلة حقيقية للاندماج على الصعيدين الاقليمي والدلي، اذ انه سيتم انفاق ميزانية تقدر بـ 60 مليار دينار (600 مليون اورو) لتجديد أسطول الجوية الجزائرية خلال هذا العام، فالجزائر تمتلك 35 مطارا منها 13 دولية.

ج– النقل البحري: تعتبر الشركة الوطنية الجزائرية للملاحة والمؤسسة الوطنية للنقل البحري للمسافرين ممثلي قطاع النقل البحري في الجزائر، فمعظم العبارات تعمل على ايصال الركاب الى الشواطئ الاوروبية، ونقل البضائع الى جميع انحاء العالم، بالإضافة الى ان معظم الانشطة التجارية الدولية تتم عن طريق النقل البحري، عبر 11 ميناء تجاري.

2**– الاتصالات السلكية واللاسلكية:** تعتبر الجهود التي تبذلها الجزائر لترقية قطاع تكنولوجيا الاعلام والاتصال الحديثة أهم معالم التنمية الاقتصادية، ويمكن توضيح ذلك فيما يلي:

– البريد: بلغ عدد الاجمالي لمكاتب البريد عبر التراب الوطني خلال الفصل الأول لسنة 2014 عددا قدره 3605 مقابل 3559 في نهاية سنة 2013 أي زيادة قدرها 1.3%، هذا الفارق يعتبر مؤشر ايجابي لما يحمله من تسهيلات للسياح في عملية سحب الاموال.

– الاتصالات السلكية واللاسلكية: تمتاز بتقديم خدمة محلية ودولية مقبولة، على مستوى حسن من الكفاءة خاصة في شمال البلاد حيث ترتبط الجزائر بعدة كوابل تحت البحر، وبخطوط هرتزية مع فرنسا وايطاليا واسبانيا والمغرب وتونس، مع توفر عدد من المحطات الارضية للاتصالات بالأقمار الصناعية، عبر نيلسات، انتر سبوتينك، عربسات، اضافة الى 15 محطة أرضية محلية للاتصالات الداخلية، وقد دعمت هذه الشبكة في السنوات الاخيرة بخدمة المعلومات والربط التكنولوجي بشبكة الانترنت.

– الهاتف النقال: بلغ عدد المشتركين في شبكة الهاتف النقال في الجزائر حوالي 50 مليون مشترك سنة 2017 حسب سلطة الظبط للمواصلات السلكية واللاسلكية .

المحور الثالث: الاستراتيجة السياحية في الجزائر وفقا للمخطط التوجيهي للتهيئة السياحية 2030

يندرج هذا المخطط التوجيهي في إطار المخطط الوطني للتهيئة الإقليمية 2025 ، وذلك وفق منطق الشراكة، بالإضافة إلى وظائف التحكم و الضبط، حيث تضطلع الدولة بسياسات عمومية قوية، قادرة على ضمان مستوى عالي من التضامن الفضائي والإقليمي وتبقى الدولة فاعلا اقتصاديا في بعض الميادين الحساسة خاصة المحروقات وتطور الدولة إمكانياتها للتدخل، وتحدد الأدوات والترتيبات التي تسمح لها بإيجاز سياساتها العمومية وتنسيقها مع القطاع الخاص، الذي يضمن بصفة تدريجية تنمية النظام الإنتاجي في جزء كبير منه.

أولا: التعريف بالمخطط التوجيهي للتهيئة السياحية 2030

يشكل المخطط التوجيهي للتنمية السياحية مرجعا لسياسة جديدة تبنتها الدولة ويعد جزءا من المخطط الوطني لتهيئة الإقليم في آفاق (SDAT 2030) فهو المرآة التي تعكس لنا مبتغى الدولة فيما يخص التنمية المستدامة وذلك من أجل الرقي الاجتماعي والاقتصادي على الصعيد الوطني طيلة العشرينية القادمة[13].

– المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية: "التزام الدولة بتنفيذ السياسات السياحية، وكذلك من خلال وضع الشروط الرئيسية للتهيئة السياحية والعامل الاساسي لدعم النمو الاقتصادي، وبالتالي فهذا المخطط يسعى لإعادة التنظيم السياحي والتحول والانتشار بها قصد الارتقاء الى المرتبة الثانية في الأنشطة الاقتصادية المصدرة بعد المحروقات". **– كما يعرف بأنه:** "هذا المخطط عبارة عن جزء من المخطط

الوطني للتهيئة الاقليمية، والذي تقرر اعداده وتحديد معالمه بالقانون 02/01 المؤرخ في 12 ديسمبر 2001، المتعلق بهيئة الاقليم والتنمية المستدامة".

ومنه يمكن القول بأن المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية أداة تترجم ارادة الدولة في تثمين القدرات الطبيعية، الثقافية والتاريخية للبلاد، وضعت لخدمة السياحة في الجزائر، قصد الارتقاء بها الى درجة الامتياز في منطقة الأورو متوسطية[14].

ثانيا– أهداف المخطط الوطني للتهيئة السياحية وكيفية تموقع الجزائر في آفاق 2030 بتثمين مؤهلاتها السياحية المؤكدة

1– أهداف المخطط الوطني للتهيئة السياحية: تصبوا الدولة من خلال هذا المخطط إلى ما يلي[15]:

– تحديد المحطات الرئيسية للتنمية السياحية الوطنية على فترات مختلفة، حيث عمدت الدولة إلى اختيار المحطة الأولى على المدى القصير خلال سنة 2009 ، ثم المحطة الثانية تكون على المدى المتوسط وذلك في آفاق 2015، والمحطة الأخيرة للتنمية السياحية تكون على المدى البعيد وذلك في آفاق 2025؛

– تحديد وسائل وضعه حيز التنفيذ و تحديد شروط قابلية تجسيده؛

– تحسين التوازنات الاقتصادية الكلية (التشغيل، الميزان التجاري، الاستثمار)؛

– المساهمة في المبادلات والانفتاح على الصعيد الوطني والدولي؛

– تقويم الثروة الطبيعية، الثقافية التاريخية للبلاد ووضعها في خدمة السياحة[16].

2– كيفية تموقع الجزائر في آفاق 2030 بتثمين مؤهلاتها السياحية المؤكدة:

هناك مجموعة كبيرة من المؤهلات التي بمقدور الجزائر استغلالها، والتي تتمثل في[17]:

أ– تراث طبيعي غني، ثقافي وتاريخي (مؤهلات موروثة): تتمثل في:

– الجزائر غنية بساحل نوعي، يتوفر على مواقع استثنائية يتعين تثمينها؛

– تتوفر الجزائر على مواقع حضرية، حيث تتطور بصفة تدريجية سياحة الأعمال، يتعلق الأمر بتنظيمها ومرافقتها والنهوض بها؛

– تحتوي الجزائر على قدرات غنية بأكثر من 200 نقطة للحمامات المعدنية غير مثمنة بما فيه الكفاية؛

– تتوفر الجزائر على تراث أثري وتاريخي يجب أن يكون موضوع تثمين وإبراز نوعيته؛

– الجزائر محظوظة بامتلاكها لتراث فريد ذي قيمة استثنائية: جنوب الصحراء أو بالأحرى (مناطق الجنوب) أرض الأحلام ذات التنوع الكبير والطابع الفريد بدون منافس، يتعين احترامه وجعل منه رمزا للسباحة الجزائرية.

ب– هياكل مادية وروحية في كامل ازدهارها، مؤهلات قائمة: أرست مختلف برامج الإنعاش الاقتصادي التي أنجزت أو الجارية منها مثل مخطط دعم الانعاش الاقتصادي (PSPE) 2014/2001 وبرنامج دعم النمو الاقتصادي (PCSC) 2009/2005 وكذا برامج تنمية الجنوب والهضاب العليا ..... حركية من شأنها تشجيع النمو الاقتصادي المستدام للبلاد.

ج– الورشات الكبرى للتجهيزات العمومية: من بينها:

– الطريق السيار (شرق–غرب) ومداخله؛

– عصرنة خط السكك الحديدية (شرق–غرب) والخطوات ذات السرعة الكبيرة (LGV)؛

– ميترو الجزائر؛

- طريق الساحل ومداخل الشمال –جنوب؛
- طريق الهضاب العليا؛
- تراموای الجزائر، وهران وقسنطينة؛
- الخط الطاقوي.

د- الورشات الكبرى للري للمنطقة الشمالية الشرقية: نجد فيها:

- سد بني هارون بالنسبة لمنطقة قسنطينة؛
- مركب الري سطيف—الحضنة؛
- ورشات الري الكبرى لمنطقة شمال وسط؛
- تجنيد موارد الماء في منطقة الشمال الغربي؛
- تحويل مياه مناطق الشمال نحو الهضاب العليا؛
- محطات تحلية مياه البحر ومحطات التطهير.

5- **الورشات الكبرى للطاقة** :تتمثل في:

- المشروع العملاق للمحطة الكهربائية حجرة النورس؛
- محطة الحامة (الجزائر)؛
- خط الغالسي (GALSI)؛
- ميدغاز (أنبوب الغاز المتوسطي).

6- الورشات الكبرى لتكنولوجيات الإعلام والاتصال :نجد منها:

- مضاعفة نقاط الدخول إلى الإنترنت حول مجمل التراب الوطني؛
- إقامة شبكة حكومية للإنترنت؛
- إدخال تكنولوجيا الإعلام والاتصال في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة؛
- إنجاز برنامج للتكوين النوعي على تكنولوجيات الإعلام والاتصال؛
- إطلاق مشروع (حزمة) شمال جنوب؛
- تطوير وتنمية حظيرة الإعلام الآلي؛
- تكثيف شبكة الهاتف.

7- الورشات الكبرى لتهيئة الإقليم والتنمية المستدامة :

- **تحويل أربعة تجمعات سكانية كبرى إلى عواصم** : الجزائر، وهران، قسنطينة، عنابة؛
- **إطلاق خمسة مدن تكنولوجية وعلمية:** خمسة مدن جديدة هي: سيدي عبد الله، بوينان، بوغزول، المنيعة، حاسي مسعود؛
- إطلاق حظائر وطنية ومناطق محمية؛
- تهيئة حظائر الطاسيلي والهقار؛

– إطلاق حظائر دنيا الجزائر: وهران، عنابة، قسنطينة، وحظيرة الواحات؛

– الشروع في أعمال إزالة التلوث الصناعي؛

– حماية وتثمين الساحل، نظام الواحات، السهوب.

ثالثا– سياسة الديناميكيات الخمسة: يرتكز المخطط التوجيهي لتهيئة السياحية على خمس ديناميكيات[18]:

1– تثمين وجهة الجزائر: تقويم وجهة "الجزائر" لتعزيز جلب فرص الاستثمار و التنافس يهدف مخطط وجهة الجزائر إلى تحقيق الأهداف التالية[19]:

–تنمية القدرة التساهمية للسياحة في الاقتصاد الوطني على أساس: التنافسية والأداء، العدالة الاجتماعية، تثمين الهوية والموروث، شراكات وطنية ودولية بمنطق كاسب –كاسب؛

–جعل الجزائر وجهة منارة في المغرب و المنطقة المتوسطية، وهذا من أجل جعل الجزائر وجهة متميزة وفريدة، ويتعلق الأمر بـ: تقويم (تثمين) الخاصيات التنافسية:الصحراء، الموروث ، المواقع؛

- تنشيط الجاذبية العامة للبلاد، استعادة الثقة؛

– التمركز (التموقع) في الفروع و الأسواق الهامة و ذلك من خلال: العمل في الفروع الواعدة و التكييف الدائم للعرض حسب الطلب، إجراء تنظيم لأهداف الزبائن لمعرفة أقسام السوق و تحليل(تشخيص) تطور دوافع المستهلكين ، وفقا لتوقعاتهم و قدراتهم، تشجيع بروز الأقطاب السياحية للامتياز، تعزيز الصورة الإيجابية و القيمة عن الجزائر لكل الزبائن(المحليين و الأجانب)، تنمية الأقطاب و القرى السياحية السامية و ذلك بترشيد الاستثمار.

2– إعداد برنامج نوعية سياحية: مخطط الجودة لتجسيد الجودة السياحية للجزائر، و تطبيق العلامة التجارية للجودةالسياحية ، والمقصود بمخطط الجودة هو التطبيق الجيد للمثالية ورفع مستوى الخدمات المقدمة لبلوغ المستوى العالمي ويتحقق بـ[20]:

– تحسين النوعية وتطوير العرض السياحي، ومنح رؤية جديدة للمحترفين؛

– حث المتعاملين في السياحة على العمل بإجراءات النوعية؛

– نشر صورة الجزائر وترقيتها كوجهة نوعية؛

– اعتلاء موقع ممتاز بين الوجهات السياحية العالمية؛

– إطلاق مخطط لنوعية السياحة مع الرغبة في الانضمام لعلامة موحدة" النوعية السياحية"[21]؛ – تموقع ضمن منظور تحسين النوعية والعرض السياحي وتشجيع ترقيته في الجزائر وفي الخارج، بالإضافة إلى بعث ديناميكية تقويم وترقية الوجهة السياحية للجزائر؛

– تعزيز القدرة التنافسية الوطنية من خلال دمج مفهوم الجودة في كافة المشاريع التنموية في مجال السياحة على نحو الأفضل؛

– توفير مزيد من الترويج للشركات المشاركة في إدارة الجودة من خلال دمجها في شبكة من المؤسسات وضع علامة" الجودة السياحية الجزائر"؛

– بعث ديناميكية تقويم و ترقية الوجهة السياحية للخارج[22]؛

– تثمين المناطق السياحية و خلق استدامة للعرض السياحي الجزائري ، من خلال وضوح الرؤية و تحسين النوعية للسياح؛

– ضمان ترويج مميز للمتعاملين المشاركين في المقاربة الخاصة بالنوعية، من خلال إدماجهم في شبكة المؤسسات التي تحمل علامة "نوعية السياحة الجزائرية "، عن طريق ضمان أفضل اندماج في القنوات التجارية[23].

مخطط جودة سياحي لسنة 2014: انخرط في هذا المخطط 348 مؤسسة سياحية منها 185 مؤسسة فندقية ، 140 وكالة سياحية ، 07 محطات معدنية 16 مطعم ، بالإضافة إلى انخراط 10 مشاريع سياحية.

3– الأقطاب السياحية بامتياز: حدد المخطط الوطني لتهيئة الإقليم 7 مناطق سياحية كبرى وفقا للمؤهلات الخاصة بكل منطقة من التراب الوطني[24]: – المنطقة الشمالية/ وسط؛

– المنطقة الشمالية/ شرق؛

– المنطقة الشمال/ الغرب؛

– المنطقة الغربية؛

– منطقة الهضاب العليا،

– منطقة الجنوب،

– منطقة الصحراء الكبرى.

بهدف تلبية طلب السوق إذ ستتمتع هذه الأقطاب بالاستقلالية الكافية التي ستجعلها تتألق سواء على الصعيد الوطني أو الدولي.

4– مخطط الشراكة العمومية والخاصة:

أ– مخطط الشراكة: ونعني به تنسيق العمل و ذلك بتعزيز السلسة السياحية وإقامة شراكة عمومية وخاصة، والتنسيق بين القطاع العام والقطاع الخاص وكذا المطورين وجلب كبار المستثمرين و المتعاملين، وتعمل الدولة على تهيئة الإقليم وحماية المناظر العامة ووضع المنشآت الكبرى في خدمة السياحة، كما يعمل القطاع الخاص على ضمان أساسيات الاستثمار السياحي[25].

أهداف مخطط الشراكة: من أجل تحقيق الشراكة لابد من توفير النقاط التالية[26]:

–جعل بوابات الدخول إلى التراب الوطني أكثر جاذبية (منح الجاذبية) السفارات، القنصليات، المطارات، المراكز الحدودية، الموانئ، المحطات...الخ؛

– تحسين الخدمات القاعدية في المواقع السياحية: النظافة، المياه، التطهير، الطاقة، تكنولوجيات الإعلام والاتصال؛

– تسهيل الوصول إلى المواقع السياحية والقرى السياحية للامتياز؛

– صيانة الثروة الطبيعية والبيئية؛

– تعميم السياحة لتشجيع الخدمات النوعية السريعة؛

– تحسين النوعية بالتكوين المستمر والدائم؛

– تحفيز جميع الشركاء العموميين و الخواص من أجل تنمية القطاع السياحي ، نظرا لما تتطلبه التنمية السياحية من تنسيق بين الكثير من القطاعات الاقتصادية.

5– استراتيجية التمويل في قطاع السياحة (مخطط التمويل) :

تحديد و وضع حيز التنفيذ مخطط تمويل عملي من أجل دعم النشاطات السياحية ويصبو هذا المخطط إلى تحقيق الأهداف الخمسة التالية[27]:

– حماية ومرافقة المؤسسة السياحية الصغيرة والمتوسطة؛

– السهر على تجنيب المشاريع السياحية التوقف والذوبان؛

– جذب وحماية كبار المستثمرين الوطنيين والأجانب؛

– تشجيع الاستثمار في القطاع السياحي باللجوء إلى الحوافز الضريبية والمالية؛

– تسهيل وتكييف التمويل البنكي للنشاطات السياحية، وخاصة الاستثمار في إطار بنك الاستثمار؛

أما محتوى مخطط التمويل فيتمثل في[28]:

– مرافقة المتعاملين المستثمرين، من خلال إجراءات مناسبة لدعم الاستثمار في القطاع السياحي تأخذ بعين الاعتبار طبيعة الاستثمار في هذا الميدان(كالتمديد في مدة القرض ،تخفيف إجراءات منح الفروض البنكية ومنح الحسم ،مساعدة المستثمرين في اتخاذ القرار في تقدير المخاطر وفي تمويل عتاد الاستغلال).

خاتمة: تتمتع الجزائر بمقومات سياحية مختلفة يتمكن ان تجعلها رائدة في هذا المجال، فبسبب الازمة البترولية التي عانت منها الدولة الجزائرية، قامت هذه الاخيرة بوضع استراتيجيات جديدة للنهوض بهذا القطاع ومن بينها المخطط التوجيهي للسياحة 2030، الذي يعبر عن الرغبة والنية الحسنة للدولة لتطويره وجعله كبديل لقطاع المحروقات مستقبلا.

النتائج: من بين النتائج التي تم التوصل اليها نذكر ما يلي: تتوفر الجزائر على امكانيات طبيعية هائلة، يمكن أن تجعل من السياحة الجزائرية قطبا سياحيا من الدرجة الأولى؛ – القطاع السياحي في الجزائر لا يزال ضعيف مقارنة بالدول الرائدة في هذا المجال، رغم توفرها على الامكانيات والمقومات الطبيعية التي يمكن ان تجعل منها بلدا سياحيا بامتياز، وقادر على المنافسة؛ – نقص الوعي السياحي وغياب الثقافة السياحية في المجتمع الجزائري مما انعكس سلبا على الحفاظ على البيئة والمرافق العامة والاستغلال الامثل للمناطق السياحية؛ – نقص البنية التحتية الضرورية لصناعة السياحة خاصة في مجال النقل الدولي بنوعيه الجوي والبحري ونقص الخدمات السياحية والهياكل الفندقية وعدم مطابقتها لمعايير الجودة العالمية.

التوصيات: على غرار النتائج التي تم التوصل اليها يمكن اقتراح بعض التوصيات التي تتمثل في:

– العمل على تطوير البنية التحتية والمرافق الضرورية خاصة النقل بكل أنواعه بفتح المجال امام الاستثمار الخاص في قطاع النقل؛

– ضرورة تكثيف الحملات الترويجية على المستوى الدولي لتسويق وجهة السياحة الجزائري؛ – ضرورة التقيد بكل ما جاء في المخطط التوجيهي للسياحة 2030 واحترام كل جزء منه؛

– الاستفادة من تجارب الدول الرائدة في هذا المجال ومحاولة تطويرها وتطبيقها؛

– ضرورة الاهتمام بكل نوع من انواع السياحة الموجودة في الجزائر سواءا كانت صحراوية او جبلية او غيرها، بالإضافة الى بناء محميات طبيعية وتشييد فنادق والمرافق ذات المستوى المطلوب؛

– توفير اماكن للراحة والاستجمام واماكن لممارسة الرياضة والترفيه عن النفس؛

– غرس ثقافة السياحة لدى المواطنين، بالإضافة الى تشجيع وتحفيز المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، وتوجيهها نحو هذا القطاع؛

– التعريف بالتراث وعادات وتقاليد الجزائر وتثمينها.

الملاحق:

الشكل رقم (01): شبكة الطرقات في الجزائر

المصدر: الوكالة الوطنية لتطوير الاستثمار، www.andi.dz

الشكل رقم (02): شبكة سكك الحديدية

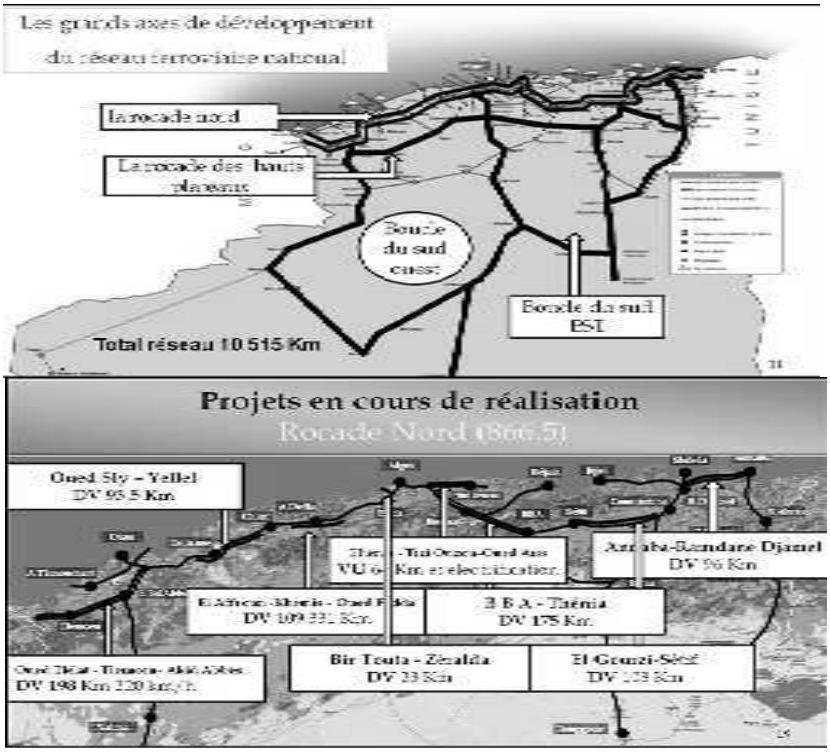

المصدر: الوكالة الوطنية لتطوير الاستثمار، www.andi.dz

الشكل رقم (03): الخريطة الجغرافية للجزائر

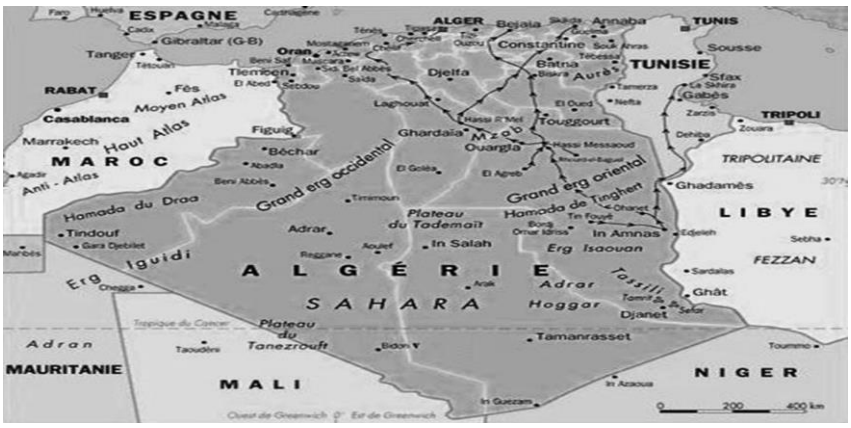

المصدر: موقع وزارة السياحة والصناعة التقليدية (الجزائر)، http://www.mta.gov.dz

قائمة المراجع:

[1]- قارة ابتسام، دور المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في تطوير القطاع السياحي بالجزائر (دراسة حالة) –ولاية مستغانم–، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التسيير الدولي للمؤسسات، تخصص تسويق دولي، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، 2011-2012، ص84.

[2] وزاني محمد، السياحة المستدامة: واقعها وتحدياتها بالنسبة للجزائر "دراسة القطاع السياحي لولاية سعيدة –حمام ربي–، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تسويق الخدمات، تلمسان، 2011/2010، ص09.

[3] جميل نسيمة، السياحة الثقافية وتثمين التراث من خلال البرامج التلفزيونية في الجزائر –دراسة وصفية تحليلية لبرنامج حصة "مرحبا"–، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في علوم الاعلام والاتصال، تخصص علوم الاعلام والاتصال، المدرسة الدكتورالية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة وهران، 2010/2009، ص51.

[4] قارة ابتسام، دور المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في تطوير القطاع السياحي بالجزائر (دراسة حال)-ولاية مستغانم–، مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماجستير في التسويق الدولي، جامعة تلمسان، 2012/2011، ص ص91-92.

[5] جميل نسيمة، نفس المرجع السابق، ص57-58.

[6] كواش خالد، أهمية السياحة في ظل التحولات الاقتصادية –حالة الجزائر–، الطبعة الاولى، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص ص30-31

[7] شرفاوي عائشة، السياحة الجزائرية بين متطلبات الاقتصاد الوطني والمتغيرات الاقتصادية الدولية، اطروحة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في علوم التسيير تخصص تسيير، جامعة الجزائر 03، 2015/2014، ص140.

[8] مواقع تراثية في الجزائر ينبغي زيارتها –تحواس–، http://www.tahwas.net، تاريخ الاطلاع: 2019/12/08

[9] الزوايا في الجزائر، https://ar.wikipedia.org/wiki، تاريخ الاطلاع: 2019/12/09.

[10] قائمة متاحف الجزائر، https://ar.wikipedia.org/wiki، تاريخ الاطلاع: 2019/12/11

[11] شرفاوي عائشة، نفس المرجع السابق، ص142

[12] عليان فتحي، ص ص183-185.

[13] الوكالة الوطنية للتنمية السياحية، www.andt-dz.org، تاريخ الاطلاع: 2019/12/11.

[14] وزارة تهيئة الاقليم، البيئة والسياحة، تشخيص وفحص السياحة الجزائرية، 2008، الكتاب 01، ص04.

[15] وزارة تهيئة الاقليم، نفس المرجع السابق، ص 6.

[16] بريش السعيد وشابي حليمة، دور التنويع الاقتصادي من خلال الصناعة السياحية في الجزائر لتحقيق التنمية والتقليص من البطالة، ملتقى استراتيجية الحكومة في القضاء على البطالة وتحقيق التنمية المستدامة، كلية العلوم .الاقتصادية و علوم التسيير، جامعة محمد بوضياف المسيلة، ص13

[17] وزارة تهيئة الاقليم، البيئة والسياحة، الكتاب 01، نفس المرجع السابق، ص ص13-15.

[18] وزارة تهيئة الإقليم ،البيئة والسياحة ،كتاب02، الجزائر، جانفي 2008، ص.21

[19] – Ministère de l'Aménagement du Territoire de l'Environnement et du Tourisme , Livre 2Le plan stratégique : les cinq dynamiques et les programmes d'actions touristiques prioritaires , op-cit , p33.

[20] وزارة تهيئة الإقليم، البيئة والسياحة، نفس المرجع السابق، ص 47.

[21] http://www.mta.gov.dz/siteWeb/fr/index.php?corps=PQTAlgerie. 13/12/2019 يوم الاطلاع

[22] سعيد يحي والعراوي سليم، نفس المرجع السابق، ص12

[23] .www.mta.gov.dz- الموقع القديم لوزارة السياحة والصناعة التقليدية يوم الاطلاع 2019/12/13

[24] وزارة التهيئة السياحية السياحة والصناعات التقليدية، نفس المرجع السابق، ص10

[25] عوينان عبد القادر، السياحة في الجزائر الامكانيات والمعوقات (2000-2025) في ظل الاستراتيجيات السياحية الجديدة للمخطط التوجيهي للتهيئة السياحية SDAT2025، أطروحة دكتوراه في العلوم الاقتصادية، تخصص نقود ومالية، جامعة الجزائر 03، 2013/2012، ص346

[26] Ministère de l'Aménagement du Territoire de l'Environnement et du Tourisme , Livre 2 Le plan stratégique : les cinq dynamiques et les programmes d'actions touristiques prioritaires , op-cit , p53.

[27] سعيدي يحي والعراوي سليم، نفس المرجع السابق، ص13

[28] وزارة تهيئة الإقليم البيئة والسياحة، نفس المرجع السابق، ص 58

تكنولوجيا الإعلام والاتصال وتأثيرها على الأسرة في ظل جائحة كوفيد19.

الطالبة: فدول خديجة

Hayamsara11@gmail.com

المخبر: الموروث العلمي والثقافي لمنطقة تمنراست

0671.97.87.57

ملخص البحث

أصبحت تكنولوجيا الإعلام والاتصال في زمن جائحة كوفيد19 هو الملاذ الوحيد لأفراد الأسرة حيث تعمل هذه الأخيرة على توفير المعلومات حول هذا الوباء العالمي وتقريب المسافات بين الأشخاص و التعامل فيما بينهم في ظل التباعد الاجتماعي المفروض عليهم من قبل الحكومات وترمي هذه الورقة البحثية إلى التعرف على كيفية تأثير تكنولوجيا الإعلام والاتصال على الأسرة في ظل جائحة كوفيد19 والتعرف على كيفية تعامل الدولة مع هذا الفيروس ومعاناة الأسرة من هذا المرض وكيفية الوقاية منه وتجنبه.

الكلمات المفتاحية: مواقع التواصل الاجتماعي- كوفيد19- الأسرة

Abstract :

Media and communication in the time technology un the tome of the covid19 pandemic has become the only refuge for family members, as the latter works to provide information about this global epidemic and bring the distance beteew people in dealing with them un light of the social disking imposed on them by governments these research papers aim to identify how the effected of information and communication technology on the family in light of the covid pandemic and knowing how the country deals with this virus and the family's suffering from this disease and how to prevention and avoid-it.

Key words: Social Media- Covid 19- Family

مقدمة:

يعيش العالم ثورة ضخمة في مجال تكنولوجيا الإعلام والاتصال وهي جزء لا يتجزأ من الثورة التكنولوجية المعاصرة والراهنة كما تعتبر ثورة علمية جديدة، مرت البشرية بمرحلتين أساسيتين هما الثورة الزراعية واتت بعدها الثورة الصناعية كما أسهمت التطورات التكنولوجية الحديثة في منتصف عقد التسعينات من القرن الماضي بحيث أحدث ثورة فعلية في عالم الاتصال، أحدثت التكنولوجيا تغيرات في مجالات عديدة في حياتنا المعاصرة كما أنها فرضت العديد من التحديات، وإن ما جاءت به تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة قد فتح أفاقا جديدة وأحدث تغيرات عميقة في مختلف جوانب الحياة الإنسانية، إن التغير الاجتماعي الناتج عن التكنولوجيا أضحى حالة طبيعية يمر بها أي مجتمع إذ أصبحت تؤثر وبشكل كبير على العلاقات الاجتماعية وعلى الأسرة خاصة فاخترقت النسيج الأسري وخلفت أثارا كبيرة منها ايجابي بحيث وطدت العلاقات وقربت المسافات بين أفراد المجتمع كم أن لها أثار سلبية تعود بالسلب على حياة الأشخاص سواء داخل أو خارج الأسرة، تعتبر الأسرة اللبنة الأولى في المجتمع، وما يلفت الانتباه في الآونة الأخيرة هو استعمال

تكنولوجيات الإعلام والاتصال الحديثة داخل البيت وحلت هذه الأخيرة محل الاتصال بين أفراد الأسرة الواحدة وغيرت من أنماط وعادات وقيم الأفراد داخل الأسرة وأضعفت العلاقات الاجتماعية عامة والأسرية خاصة.

لعب التطور التكنولوجي الحديث دورا هاما في العالم عامة والأسرة الجزائرية خاصة حيث باتت هذه التكنولوجيا أمرا سهل الاستعمال ومريحا وخاصة مع إمكانية العمل بها من داخل المنزل، كما أنها أصبحت ملجأ للأفراد ويشعرون فيها بالراحة والأمان في زمن فيروس كورونا "كوفيد19".

أوقف فيروس كورونا الحياة في معظم أنحاء العالم إن لم نقل في كل بقاعه وأثر بشكل كبير على جميع النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وتم إغلاق كل المنشآت الاجتماعية والتعليمية في جميع ربوع الوطن.

أولا: تكنولوجيا الإعلام والاتصال.

1- **مفهوم تكنولوجيا الإعلام والاتصال:** ورد في بعض المصادر أن أول ظهور لمصطلح التكنولوجيا Technology كان في ألمانيا عام 1770م وهو مركب من قطعتين Techno وتعني في اللغة اليونانية"فن" أو صناعة يدوية وLogy تعني "علم" أو نظرية وينتج عن تركيب المقطعين معنى علم الصناعة اليدوية أو علم التطبيقي وليس لديها مقابل أصيل في اللغة العربية بل عربت بنسخ لفضها حرفيا تكنولوجيا Technology [1]

تكنولوجيا الإعلام والاتصال: هي مجموعة من الأجهزة الالكترونية وأجهزة الاتصالات السلكية واللاسلكية والكمبيوتر التي تسمح باكتساب ومعالجة وتخزين ونشر المعلومات الرقمية والنصية واللاسلكية والصوتية، ويمكن حصر هذه التكنولوجيات في الإذاعة والتلفزيون، والهاتف النقال وأهم واجهة للتكنولوجيات الحديثة هو الانترنت.[2]

أ-مفهوم تكنولوجيا المعلومات: هي مصطلح يستخدم لوصف مفردات التجهيزات و المعدات وبرامج الكمبيوتر والبرمجيات التي تسمح لنا بالنفاذ والاسترجاع التخزين، التنظيم، والتشكيل والعرض ألتقديمي للمعلومات بواسطة وسائل الكترونية.

ب- تكنولوجيا الاتصال: هي مصطلح لوصف تجهيزات الاتصالات السلكية واللاسلكية التي يمكن السعي إلى المعلومات من خلالها والنفاذ إليها ومن أمثلتها: الفاكسيميل، المؤتمرات التلفزيونية، ومن بعد المودم.

- تكنولوجيا الاتصال هي الآلات أو الأجهزة الخاصة أو الوسائل التي تساعد على إنتاج المعلومات وتوزيعها واسترجاعها وعرضها[3].

1- عناصر الاتصال: تتكون العملية الاتصالية من: مرسل –مستقبل –رسالة

أولا: المرسل: هو الشخص الذي يحمل معلومات أو رسالة معينة يريد أن يوصلها للآخرين ويختار أفضل السبل لنقل هذه الرسالة حتى تكون مؤثرة أكثر.

ثانيا: المستقبل: هو الشخص الذي يستقبل الرسالة ولكي نقول هذه عملية اتصالية يجب توفر العناصر الأساسية الثلاثة فيها:

ثالثا: الرسالة: هي الألفاظ أو الإشارات أو الكلمات التي ترسل من المرسل إلى المستقبل.

2- شبكات تكنولوجيا الاتصال: هي مجموعة من الأنظمة المتصلة ببعضها البعض بحيث تشمل وسائل الاتصال والأجهزة والبرمجيات اللازمة لربط أنظمة الحواسيب مع بعضها البعض وتشمل شبكات الانترنت والانترانت و الاكسترنت.

2- **الانترنت:**

أ– **مفهوم الانترنت**: هي شبكة الكترونية عالمية واسعة تتكون من شبكات كمبيوتر بأنواع وأحجام مختلفة،تضم الواحدة منها عشرات الآلاف من الأجهزة الكمبيوترية، ترعى الانترنت فرض الاتصال والتعاون ومشاركة الخبرات والوصول السريع للمعلومات المطلوبة.

– الانترنت هي اسم لنظام ضخم منتشر في جميع أنحاء العالم يتألف من أفراد ومعلومات وحواسيب وبروتوكولات لتنظيم الاتصال عبر الشبكة[4].

– إن شبكة الانترنت هي التطور الطبيعي لاستخدام الشبكات الواسعة حيث يتم ربط العديد من شبكات الكمبيوتر الواسعة مع بعضها البعض لتكوين شبكة الانترنت، وفي أيامنا الحالية أصبحت شبكة الانترنت تصل ألاف الشبكات الواسعة والتي تمتد لمساحات جغرافية وقد أصبحت الانترنت حاليا من أهم وسائل الاتصال وتبادل المعلومات حول العالم[5].

ب– خدمات الانترنت: تعتمد الانترنت على مبدأ الخادم المستفيد في عملها فكل التطبيقات توجد على الخادمات وكل مستخدم يمكنه الدخول والحصول على المعلومات التي يطلبها[6].

2– 1البريد الالكتروني:**gmail**: أصبح البريد الالكتروني من أكثر وسائل الاتصال استخداما في يومنا هذا ويعتمد استخدام البريد الالكتروني على وجود أجهزة حواسيب شخصية مرتبطة مع بعضها البعض من خلال نظام شبكات معين.

2**–2– مواقع الكترونية**: المواقع الالكترونية تمكن الشخص من استخدام حيز معين على الشبكة لقاء تكلفة قليلة ولمدة معينة حيث بإمكان المستخدم عرض المعلومات التي يريده على هذا الموقع.

2–3– النشر على الويب: يعتبر النشر على الويب أداة للاتصالات الكترونية غاية في الأهمية وعليه فان النشر عبر ويب الانترنت قد أصبح أسلوبا أكثر كفاءة وفعالية للاتصال والتواصل بين الأفراد والمنظمات.

بالإضافة إلى الكم الهائل من المعلومات وبسهولة وإمكانية وضع روابط لمعلومات الكترونية متعددة وسهولة في تحديث وتعديل محتوى الرسالة.

ثانيا: الانترانت: هي شبكة الشركة الخاصة التي تستخدم تقنيات الانترنت والتي تصمم لتلبية احتياجات العاملين من المعلومات الداخلية أو من أجل تبادل البيانات والمعلومات عن عمليات وأنشطة المنظمة، كما يتم تنفيذها في مقر المنظمة أو في فروعها ووحدات أعمالها الإستراتيجية، ولا يستطيع الأشخاص غير العاملين،مثل الموردين أو العملاء الكبار للاستفادة من موارد شبكة الانترنت[7].

ثالثا: الاكسترنت: هي عبارة عن شبكات انترانت داخلية توسعت وامتدت خدماتها إلى مستخدمين خارجيين مخولين من خارج المنظمة بأن يكون لهم وصول واستخدام محدد إلى شبكات المنظمة الداخلية، كما تعرف الاكسترانت أيضا بأنها شبكة المعلوماتية المكونة من مجموعة شبكات الانترانت ترتبط ببعضها عن طريق الانترنت[8].

تستخدم في شبكة الاكسترانت تقنيات الحماية ويتطلب الدخول إليها استخدام كلمة المرور،وذلك لأن الشبكة غير موجهة إلى الجمهور العام كما هو الحال في شبكة الانترنت، ومن الناحية العملية تحدد المنظمة التي تمتلك شبكة الاكسترانت الأفراد الذين يسمح لهم بالدخول إلى الشبكة ونوع الدخول المسموح به[9].

كما أتاحت التكنولوجيا الجديدة ظهور خدمات عديدة ومتنوعة لتلبية حاجات الأفراد إلى المعلومات والترفيه ومن بينها مواقع التواصل الاجتماعي حيث يستخدمها أفراد الأسرة في معرفة الأخبار الخاصة بمرض كورونا كوفيد19.

***شبكات التواصل الاجتماعي:** هي مواقع الكترونية تسمح للأفراد بالتعريف بأنفسهم والمشاركة في شبكات اجتماعية يقومون من خلالها بإنشاء علاقات اجتماعية[10].

مواقع التواصل الاجتماعي: هو مصطلح يطلق على مجموعة من المواقع على شبكة الانترنت العالمية تتيح التواصل بين أفراد بيئة مجتمع يجمعهم الاهتمام أو الانتماء لبلد أو مدرسة أو فئة معينة في نظام عالمي لنقل المعلومات[11].

– مواقع التواصل الاجتماعي منظومة من الشبكات الالكترونية، تسمح للمشتركين فيها بإنشاء مواقع خاصة بهم، ومن ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي الكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الاهتمامات والهوايات نفسها، أو مع أصدقاء الجامعة أو الثانوية.

– هي مجموعة من المواقع على شبكة الانترنت العالمية، تتيح التواصل بين الأفراد في بيئة مجتمع افتراضي، يجمعهم الاهتمام أو الانتماء لبلد أو مدرسة أو فئة معينة في نظام عالمي لنقل المعلومات والمعارف، وهي كذلك مجموعة من الشبكات العالمية المتصلة بملايين الأجهزة حول العالم، لتشكل مجموعة من الشبكات الضخمة والتي تنقل المعلومات الهائلة بسرعة فائقة بين دول العالم المختلفة وتتضمن معلومات دائمة التطور[12].

– مجموعة من المواقع على شبكة الانترنت ظهرت مع الجيل الثاني للويب wab2 تتيح التواصل بين الأفراد في بيئة افتراضية يجمع بين أفرادها اهتمام مشترك أو شبه انتماء "بلد،مدرسة،جامعة..."ويتم التواصل بينهم من خلال الرسائل أو الاطلاع على الملفات الشخصية ومعرفة أخبارهم ومعلوماتهم التي يتيحونها للعرض[13].

ثانيا: مؤسسة الأسرة خصائصها ووظائفها

1–**تعريف الأسرة: الأسرة لغة:** هي الدرع الحصين وأهل الرجل وعشيرته، وتطرق على الجماعة التي يربطها أمر مشترك وجمعها أسر.

يعرفها **برجس ولوك:** أنها مجموعة من الأشخاص تجمعهم روابط الزواج،أو الدم أو التبني، ولهم مكان إقامة مشترك ويتفاعلون وفق أدوار محددة كدور الأب ودور الأم والأطفال،وهذا التفاعل أو التواصل بينهم يولد ثقافة مشتركة بينهم[14].

–تعريف الأسرة اصطلاحا: يعرف عبد الهادي الجوهري بأن الأسرة عبارة عن مؤسسة اجتماعية تنبعث عن ظروف الحياة وهي ظروف حتمية لبقاء الجنس البشري ويتحقق ذلك بفضل اجتماع كائنين لأحدهما عن الأخر وهما الرجل والمرأة، والاتحاد الدائم المستقر بين هذين الكائنين هو الأسرة[15].

– الأسرة من منظور سوسيولوجي: تشير كلمة أسرة إلى معيشة الرجل والمرأة معا على أساس الدخول في علاقات جنسية يقرها المجتمع، وما يترتب على ذلك من حقوق وواجبات كرعاية الأطفال وتربيتهم[16].

جاء في قاموس علم الاجتماع **لريمون بودون:** وهو التعريف الأقرب للأسرة بأنها جماعة أفراد يعيشون في بيت واحد كما أن هناك علاقة بين الأزواج ولديهم أطفال سواء من صلبهم أو متبنون[17].

– **يعرفها القاموس الاجتماعي:** بأنها تلك العلاقة التي تربط بين رجل وامرأة أو أكثر بروابط القرابة أو علاقات وثيقة أخرى، بحيث يشعر الأفراد البالغين فيها بمسؤوليتهم نحو الأطفال سواء كان هؤلاء الأطفال أو أبنائهم بالتبني[18].

2– أشكال الأسرة:

2-1- أسرة ممتدة: ويطلق عليها مصطلح العائلة وهي الشكل الأكثر شيوعا في المجتمعات الماضية التقليدية والأسرة الممتدة هي جماعة مكونة من الزوج والزوجة وأولادهما الذكور والإناث غير المتزوجين والأولاد وزوجاتهم وأبنائهم وغيرهم من الأقارب كالعم والعمة والابنة الأرملة وهؤلاء يقيمون في نفس المسكن ويشتركون في حياة اقتصادية واجتماعية واحدة تحت رئاسة الأب الأكبر أو رئيس العائلة[19].

- هي مجموعة من الأسر النووية الأقارب الإخوة في العادة تقطن مساكن منفصلة ولكنها متجاورة في أغلب الأحيان وتكون وحدة متلازمة ومستمرة عن طريق الاتصالات اليومية وتبادل الخدمات والتشاور في أمور كل أسرة[20].

2-2- أسرة نووية: هي الأسرة المكونة من الزوج والزوجة والأبناء ويمكن أن يسكن معهم أحد أفراد الأسرة مثل عم أو عمة خال أو خالة أما إذا اقتصرت الأسرة على الزوج والزوجة والأبناء فإنها أسرة زواجيه.

3-خصائص الأسرة:

- الأسرة هي أصلح بيئة للتربية وتكوين النشء ويعتمد عليها لفترة كبيرة ثم يأتي بعد ذلك دور المدرسة في مساع الأسرة.
- تكامل تام بين أفراد الأسرة وخاصة الريفية في العمل الذي يتصف بخاصية الجماعة
- استعداد أفراد الأسرة أن يدعم كل منهما الأخر ضد الآخرين أي أن هناك تكاملا اجتماعيا
- الأسرة نظام اقتصادي خاص من حيث الاستهلاك وإنتاج الأفراد لتأمين وسائل المعيشة للمستقبل القريب لأفراد الأسرة.
- الأسرة تعتبر الجماعة الأولى في كل مجتمع وفيها يبدأ الفرد بتكوين علاقات اجتماعية عن طريق التفاعل فيه وبين أعضاء الأسرة.
- الأسرة هي ضرورة حتمية لبقاء الجنس البشري ودوام الوجود الاجتماعي
- الأسرة هي جماعة اجتماعية بيولوجية نظامية تتكون من رجل وامرأة وأبنائها
- الأسرة مؤسسة اجتماعية تنبعث عن ظروف الحياة الطبيعية التلقائية للنظم والأوضاع الاجتماعية
- الأسرة هي الخلية الأساسية للمجتمع وتتكون من أشخاص تجمع بينهم صلة الزوجية وصلة القرابة
- إن الأسرة تسعى لإنجاح الترابط بين أفرادها وتحقيق التماسك والتكامل الأسري.

4- وظائف الأسرة:

4-1- وظيفة بيولوجية: وتتمثل في الحفاظ على استمرار الحياة من خلال التكاثر والحفاظ على الجنس البشري من الانقراض توفير الآباء الرعاية الصحية والجسدية للأبناء وتوفير الأكل الصحي والمسكن وهذا من أجل العيش الكريم داخل الأسرة.

4-2- وظيفة جسمية: إن الأسرة هي المسئولة الوحيدة التي تتكفل بالمأكل والملبس الخاص بالطفل من أجل تنمية النواحي الجسمية لدى الأبناء.

4-3- وظيفة اجتماعية: تتمثل في تربية الأبناء وتنشئتهم تنشئة اجتماعية سليمة وتعليمهم من اجل إكسابهم مهارات تؤهلهم للعيش الكريم.

4-4- وظيفة أخلاقية: هي أن يقدم الآباء لأبنائهم الخبرات الكافية عن دينهم من أجل تكوين أبناء صالحين يتحلون بالأخلاق الدينية وتعليمهم كيفية أداء العبادات مثل الصلاة والشكر عند تناول الطعام.

4-5- وظيفة اقتصادية: وهي من أهم العوامل لاستقرار الأسرة إذا كانت الحالة الاقتصادية للأسرة جيدة فانه يوجد هنا شعور بالرضا بين أفرادها.

4-6- وظيفة ترفيهية: كانت الوظيفة الترفيهية محصورة أيضا في الأسرة أو بين عدة أسر كإعداد السهرات العائلية أو بمشاركة الجيران وليس في مركز خارجية مثل وسائل الترفيه المختلفة الحالية،كالمسارح والسينما.

4-7- وظيفة تربوية تعليمية: الأسرة هي الوحيدة التي كانت تشرف على عملية التربية والتعليم للأبناء بالعادات والتقاليد في الماضي دون تدخل الدولة كما هو حاصل اليوم ومع تزايد التطور التكنولوجي والحاصل في المجتمعات تخلي الأسرة على هذه الوظيفة ساهمت هذه التكنولوجيات في مشاركة الأسرة في دور تنشئة الأبناء.

ثالثا: الأسرة ومعاناتها في ظل كوفيد 19.

1-الأوبئة وجائحة كورونا

أ- الأوبئة والأمراض المعدية: هي مركب إضافي مكون من مفردين هما "الأمراض"و"المعدية".

تعريف المرض:لغة: الأمراض جمع مرض،والمرض في اللغة من مرض فلان مرضا فهو مارض ومرض، ومريض، ويجمع على مرضى، ومراضي، ومراض و مرضاء والمرض السقم نقيض الصحة[21].

المرض اصطلاحا: هو هيئة غير طبيعية في بدن الإنسان يجب عنها بالذات آفة في الفعل[22].

- المرض هو حالة غير طبيعية تصيب الجسد البشري أو العقل البشري محدثة انزعاجا أو ضعفا في الوظائف أو إرهاقا للشخص المصاب مع إزعاج.

تعريف العدوى لغة: العدوى اسم من أعدى يعد، فهو معدي ، ومعنى أعدى أي أجار الحرب الذي به إلى الغير، وأصله من عاد يعدو عدوا إذا جاوز الحد وتعادى القوم أي أصاب هذا مثل داء هذا[23].

العدوى اصطلاحا: هي انتقال الداء من المريض به إلى الصحيح بواسطة ما[24]

أي أن العدوى هي نقل المرض من شخص مصاب أو حامل المرض إلى شخص سليم.

الأمراض المعدية: تعرفها منظمة الصحة العالمية بأنها الأمراض التي تنتج من الإصابة بعدوى بعامل مسبب يمكن انتقاله من إنسان لإنسان، أو من إنسان لحيوان، أو من حيوان لحيوان، أو من البيئة للإنسان والحيوان بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

1-فيروس كورونا المستجد كوفيد19: هي فصيلة كبيرة من الفيروسات التي قد تسبب المرض للحيوان والإنسان، ومن المعروف أن عددا من فيروسات كورونا تسبب لدى البشر حالات عدوى الجهاز التنفسي التي تتراوح حدتها من نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشد مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة[25].

كوفيد 19: هو مرض معد يسببه فيروس كورونا المكتشف مؤخرا، ولم يكن هناك أي علم بوجود هذا الفيروس وهذا المرض المستجد قبل اندلا ع الفاجعة في مدينة يوهان الصينية في كانون الأول"ديسمبر 2019م[26].

2-أعراض فيروس كوفيد19: إن من بين الأعراض الشائعة لمرض كوفيد19 هي الحمى والإرهاق والسعال الجاف وأوجاع على مستوى الجسم أو احتقان الأنف أو الرشح أو ألم الحلق أو الإسهال عادة ما تكون هذه الأعراض خفيفة وتبدءا تدريجيا وهو مرض معدي حيث يصاب بعض الناس بالعدوى دون أن تظهر عليهم أي أعراض ودون أن يشعروا بالمرض ويتعافى معظم الأشخاص نحو 80% من المرضى دون الحاجة إلى علاج خاص.

كما أن حدة المرض تشتد لدى شخص واحد تقريبا من كل 6 أشخاص يصابون بعدوى كوفيد19 حيث يعانون من صعوبة التنفس، وتزداد احتمالات إصابة المسنين والأشخاص المصابين بمشكلات طبية أساسية مثل ارتفاع ضغط الدم أو أمراض القلب أو داء السكري[27]، السمنة الشديدة و مرض الكلى المزمن.

ضعف جهاز المناعة بسبب عمليات زرع الأعضاء.

أمراض الرئة المزمنة، مثل التليف الكيسي.

ضعف جهاز المناعة بسبب زراعة نخاع العظم، أو فيروس نقص المناعة البشري

تظهر علامات وأعراض كوفيد19من اليوم الثاني من الإصابة إلى 14 يوما وتبدأ الأعراض في بعض الأحيان بالحمى الشديدة تصل إلى أكثر من 40° والسعال الجاف والتعب الشديد وقد يصاحبها فقدان حاستي الشم والذوق، ضيق التنفس أو صعوبة التنفس،ألام العضلات والمفاصل، التهاب الحلق والقشعريرة.

كما أن هنا أعراض أخرى وهي أقل شيوعا من الأعراض سالفة الذكر مثل: الطفح الجلدي والغثيان والقيء والإسهال، ويمكن أن تتراوح شدة أعراض كوفيد19 بين خفيفة جدا إلى حادة.

والأشخاص الأكبر سنا عرضة بشكل أكبر لخطر الإصابة بأعراض كوفيد19 ويزداد الخطر كلما تقدم الشخص في العمر ومن بين الحالات الصحية الخطيرة التي ترفع احتمال إصابتك بأعراض كوفيد19.

3– الوقاية من فيروس كوفيد19: على الرغم من عدم توفر لقاح للوقاية من كوفيد19، يمكن اتخاذ بعض التدابير والخطوات للتقليل من خطر الإصابة به ونذكر منها:

– تجنب المخالطة اللصيقة مع أي شخص مريض أو لديه أعراض وترك مسافة 6أقدام أو2متر بين شخص وشخص أخر.

– تجنب حضور الفعاليات والتجمعات الكبيرة.

– ارتداء الكمامة القماشية المعقمة في الأماكن العامة مثل المحلات والأسواق،حيث يصعب تجنب المخالطة اللصيقة بين الأشخاص.

– التزام المنزل قدر الإمكان والمحافظة على وجود مسافة بينك وبين الآخرين خاصة إذا كان الشخص معرضا بشكل أكبر لخطر الإصابة بدرجة حادة من المرض.

– غسل اليدين كثيرا بالماء والصابون لمدة 20 ثانية على الأقل أو استخدام مطهرا يدويا يحتوى على الكحول بنسبة كبيرة.

– يجب تغطية الفم والأنف بالمرفق أو بمنديل عند العطس أو السعال، والتخلص منه بعد استخدامه وغسل اليدين فورا.

– تجنب مشاركة الأطباق وأكواب الشرب والمناشف والأدوات المنزلية إذا كنت مريضا.

– في حالة الشعور بالمرض فألزم منزلك ولا تذهب للعمل أو المدرسة أو الجامعة وتجنب وسائل النقل العامة وسيارات الأجرة.

– تنظيف وتعقيم الأسطح يوميا التي تلمس بكثرة مثل مقابض الأبواب والمفاتيح والطاولات.

– عندما تلمس الناس والأشياء المحيطة بك خلا اليوم فقد تنقل العدوى إليك وهذا عن طريق لمس العينين والأنف والفم.

4– كوفيد 19 في الجزائرية:

انتشرت جائحة فيروس كورونا كوفيد19 لعام2020 في الجزائر ابتداء من 25فيفري2020 عندما تم فحص عينة لمواطن إيطالي وكانت النتيجة إيجابية وبعدها تم الكشف عن حالات أخرى مصابة بكوفيد19، وقد بلغ مجموع الحالات المؤكدة 34693

حالة من بينها 1293 وفاة حتى يوم 2020/09/08 واحتلت الجزائر العاصمة الصدارة وتليها سطيف وبعدها البليدة كما قامت الدولة الجزائرية بفرض حجر جزئي على كل الولايات معاد البليد فرضت عليها الحجر الكلي وهذا لمدة15يوما، وفي 13 مارس 2020 اتخذ رئيس المجلس الشعبي قرار تأجيل جميع النشطات العامة للمجلس إلى وقت لاحق، كما تم توقيف الدراسة وغلق المدارس والمعاهد والجامعات.

و في 15 مارس أعلنت وزارة الشباب والرياضة تعليق جميع الأحداث الرياضية في جميع التخصصات دون استثناء وإغلاق جميع المنشئات الرياضية والترفيهية حتى5 أفريل 2020 بعدها تم تمديد هذا التأجيل إلى يوم 19 أفريل وبعدها إلى29 أفريل وفي 22 ماي 2020 اقترح الاتحاد الجزائري لكرة القدم إنهاء موسم البطولة الوطنية والتي أوقفت لأكثر من شهرين.

و في 13 يونيو 2020 قررت الحكومة رفع الحجر المنزلي في 4 ولايات وهي: سعيدة، تمنراست، اليزي، تندوف والإبقاء على الحجر في الولايات الأخرى، وفي يوم 13 يوليو 2020 تم رفع الحجر المنزلي كاملا على19 ولاية وهي: تمنراست- تندوف- اليزي- سعيدة- غرداية- النعامة-ا لبيض-تيارت- قالمة- سكيكدة- جيجل- مستغانم- تبسة- تلمسان- عين تموشنت- الطارف- تيزي وزو- عين الدفلى- ميلة، وتم تعديل هذا الإجراء من الساعة8 مساءا إلى غاية5صباحا في 29 ولاية المتبقية.

وفي 29 يوليو 2020 قررت الحكومة إقرار نفس إجراءات الحجر المنزلي الذي أقرته يوم 13 يونيو 2020، أما في 7 يوليو 2020 فرضت الحكومة حجر جزئي منزلي على 18 بلدية في سطيف من الواحد زوالا إلى الخامسة صباحا لمدة 15يوما، ويوم 9 يوليو 2020 قرر رئيس الجمهورية وخلال جلسة العمل منع حركة المرور ويشمل كذلك السيارات الخاصة من والى وبين الولايات ال29.

يتوقع العديد من الخبراء الاقتصاديين انخفاض في النمو بأكثر من 15% في الجزائر 2020 كما انخفضت عائدات المحروقات حتى نهاية فيفري 2020 وهذا راجع أساسا إلى جائحة كورونا، كما تكبدت شركات التصدير و الاستيراد والتوزيع الجزائرية خسائر فادحة بسبب اعتمادها على الواردات من الصين 25% من إجمالي الواردات الجزائر، وشهد السوق الجزائري ارتفاعا محسوسا في أسعار الخضر والفواكه كما شهدت البلد ندرة كبيرة في المواد الغذائية واسعة الاستهلاكية وخاصة الدقيق وبعد تحرك وزارة التجارة تم حجز مات الأطنان من المواد التي شهدت ندرة في الأيام الأولى من انتشار الفيروس.

5- تكنولوجيا الإعلام والاتصال وتأثيرها على الأسرة في ظل كوفيد 19: تلعب تكنولوجيا الإعلام والاتصال دورا حيويا في الحفاظ على التواصل بين الأشخاص في الوقت الذي يشهد فيه العالم أزمة انتشار واسعة لفيروس كوفيد19، وهذا في ظل الإجراءات التي اتخذتها دول العالم من حجر منزلي و تباعد الاجتماعي حيث باتت التكنولوجيا أكثر أهمية من أي وقت مضى وخصوصا الهاتف المحمول كما تعد تكنولوجيا الاتصال والإعلام بمثابة منظومة متكاملة تعمل على تمكين وتسريع نمو الأعمال التي تتطلب هذه التكنولوجيا.

مرض كوفيد 19 هو أول جائحة في تاريخ البشرية تستخدم فيها التكنولوجيا ووسائل التواصل الاجتماعي على نطاق واسع للحفاظ على سلامة الناس ومنتجاتهم والتواصل فيما بينهم رغم التباعد الجسدي.

- يتزايد دور تكنولوجيا الإعلام والاتصال عامة ومواقع التواصل الاجتماعي خاصة في وقت الأزمات والكوارث الإنسانية والأمراض والأوبئة التي تكثر الشائعات بشأنها.

- أصبح بقاء الناس في منازلهم وحرمانهم من الخروج وحتى الصلاة في المساجد ضرورة حتمية وهذا للحد من الانتشار السريع للفيروس ومع هذا تزداد الضغوطات على الأفراد ويعاني الكثير من عدم القدرة على التكيف مع هذا الوضع والتباعد الاجتماعي بين الناس.

- التقليل من القلق والخوف لدى الأشخاص داخل الأسرة.

– معرفة الأخبار عن فيروس كورونا حول العالم وكل المستجدات حوله في كل دقيقة.

– مساعدة الأشخاص وفك العزلة وهذا بالتواصل عبر منصات التواصل الاجتماعي.

– طلب المساعدة من الآخرين في وقت وجيز سواء الأصدقاء أو العائلة.

– التعبير عن مشاعر الغضب والآلام والخوف لان الكبت يؤدي إلى الاكتئاب وزيادة الأمراض النفسية.

– إن استخدام وسائل التكنولوجية الحديثة سهل علينا المعيشة وقربنا أكثر من بعضنا البعض دون الحاجة إلى الالتقاء المباشر مع أفراد العائلة أو الأهل والأصدقاء.

– توعية الأشخاص بهذا المرض وطرق الوقاية منه.

– مواقع التواصل الاجتماعي أصبحت وسيلة يمكننا استغلالها واستخدامها في هذه الظروف الاستثنائية فالتأثر الذي سببه الفيروس ليس من السهل تقبله ولقد ساهم في تعزيز دور كل فرد داخل البيت وهذا جراء الحجر المنزلي المفروض في كافة ربوع الوطن وعزز تواجد أفراد الأسرة خلق خوف لدى كل طرف الأخر كما عزز الروابط الأسرية.

– ازدادت أهمية ودور تكنولوجيا الإعلام والاتصال بمختلف ألوانه وأشكاله في توعية وتثقيف الشعوب وخاصة الإعلام عبر القنوات التلفزيونية.

– إن للتكنولوجيا "مواقع التواصل الاجتماعي" قوة كبيرة في إيجاد حالة من التوازن والتضامن بين أفراد المجتمع.

– ساهمت وبشكل كبير في نشر الخرافات والأنباء المزيفة والمظللة والأخبار المغلوطة وهذا ما زادا من حدة الخوف عند الأفراد.

– أصبحت وسائل الإعلام والاتصال مصدرا وحيدا للمعلومات خاطئة أو صحيحة.

–إحداث زعزعة في عملية التفاعل الأسري بحيث تشكل خطورة على متانة التماسك الأسري مما يعني مشكلات اجتماعية من العزلة والانطواء وفقدان التواصل الاجتماعي الطبيعي، فتقلصت ساعات جلوس الأسرة مع بعضها[28].

– ومنذ بدأت الأزمة بانتشار الفيروس في الصين أواخر العام الماضي، ثم انتقاله لدول أخرى، بدا واضحا على العديد من منصات التواصل الاجتماعي، أن هناك ما يشبه حالة من الذعر والهلع الجماعي، التي يروج لها قطاع كبير من رواد تلك المنصات، وكان لافتا كيف تحرك موقع توتير، الأكثر تداولا في العديد من الدول العربية، ليعلن حظر "المحتوى المضلل" حول الوباء وليقول إنه سيزيل أي محتوى، يروج لمزاعم غير محددة ومضللة بشأن فيروس كورونا.إحداث زعزعة في عملية.

– هشاشة العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة بحيث يرى علماء الاجتماع أن تكنولوجيا الإعلام ولاتصال الجديدة أدت إلى التفكك الأسري وضعف الروابط الأسرية و القرابية.

– عدم وجود الخصوصية وبالتالي زادت نسبة التدخل في حياة غيرهم الشخصية ونشر الإشاعات عنهم.

الخاتمة:

أصبحت التكنولوجيا الحديثة من اقوي مسببا التغير الاجتماعي الذي تشهده الأسرة الجزائرية كما ساهمت في تحديد وظيفة الأفراد داخل الأسرة وغير سلوكياتهم ومدى تحكم الأسرة في تسيير استخدام التكنولوجيا بين أفرادها أثرت تكنولوجيا الإعلام والاتصال على الأسرة بشكل كبير وغير حياة الإنسان اليومية من عادات وتقاليد وسلوكياتهم مع الآخرين كما ساهمت في تخفيف وطأة أزمة التواصل المباشر بين الناس بفعل المخاوف من تفشي فيروس كورونا إن لوسائل الإعلام والاتصال دورا حيويا خلال الأزمة في نشر

الأخبار الكاذبة والمفبركة والتي سعت لبث الخوف والرعب في نفوس الأشخاص الذين وضعهم فيروس كورونا في حالة من القلق والخوف.

الهوامش:

[1]- عبيدة صبطي، فكري لطيف متولي: **تكنولوجيا الاتصال الحديثة وتطبيقاتها في مجال التعليم**، المركز العربي للنشر والتوزيع، سنة2018، ص38.

[2] تيليوى عابد، عاشور زينة: **أفراد الأسرة الجزائرية في عصر العولمة**: بين الاتصال والعزلة،الملتقى الوطني الثاني حول: الاتصال وجودة الحياة في الأسرة أيام 09-10-أفريل2013، جامعة قاصدي مرباح ورقلة،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

[3] محمود علم الدين: **تكنولوجيا المعلومات ومستقبل صناعة الصحافة**، دار السحاب للنشر والتوزيع، القاهرة،2005 ، ص139.

[4] إبراهيم أبو الهيجاء: **التعاقد بالبيع بواسطة الانترنت**، الدار العلمية الدولية ومكتبة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، سنة2002، ص4

[5] مراد شلباية، ماهر جابر: **مقدمة إلى الانترنت**، دار الميسرة، سنة2010، ص17.

[6] مزهر شعباني العاني، شوقي ناجي جواد: **العملية الإدارية وتكنولوجيا المعلومات**، دار إثراء للنشر والتوزيع، الشارقة، سنة2008، ص214.

[7] بشير عباس العلاق: **تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتطبيقاتها في مجال التجارة النقالة**، منشورا المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة، مصر، سنة2007، ص20.

[8] عامر ابراهيم قندلجي،وايمان فاضل السامرائي: **شبكات المعلومات والاتصالات**، دار الميسر، عمان، سنة2009، ص65.

[9] بشير عباس العلاق: مرجع سابق، ص22.

[10] Xwe baia and oliver yao 2010, facebook oncampus : **the use and friend formation in online social networks**, college of business and Economics , lehigh university,online.

[11] بوخبزة محمد: **مواقع التواصل الاجتماعي والمشاركة السياسية**، أطروحة دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، تخصص اللغة والتحليل النقدي وسائل الإعلام، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، سنة2015-2016.

[12] م.م.مشتاق طلب فاضل: **دور مواقع التواصل الاجتماعي في كوين الرأي العام المحلي**، سنة2014،م جلة تكريت للعلوم السياسية، قسم تربية طور الشؤون الإدارية، العدد12، ص193.

[13] C.Mc swete,the challenge of social networks,Administrative theory and praxis,vol13,issue1,march2009,p95,96

[14] مصباح عامر: **التنشئة الاجتماعية والسلوك الانحراف**، المدرسة الثانوية، دار الأمة، الجزائر، سنة2003، ص83.

[15] عبد الهادي الجوهري: **أصول علم الاجتماع**، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، مصر، سنة2001.

[16] سيد رمضان: **إسهامات الخدمة الاجتماعية في مجال الأسرة والسكان**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، سنة1999، ص25.

[17] Raymond boudon,philippe Besnard et d'autre: **dictionnair de sociologie,** larousse, France, 2005, p97

[18] عبد الحميد الخطيب: **نظرة في علم الاجتماع المعاصر**، مطبعة النيل، القاهرة، مصر، سنة2002، ص358.

[19] محمد عاطف غيث: **علم اجتماع**، دار المعارف،القاهرة، بدون سنة، ص10.

[20] عاصم الدسوقي: **الانفتاح الاقتصادي وأثاره على الأسرة**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، القاهرة، سنة2002، ص295.

[21] ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق عبد الله علي الكبير، وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ج46، ص4181

[22] ابن سينا، وضع حواشية محمد أمين الضناوي: **القانون في الطب** ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ج1، سنة1999، ص103.

[23] ابن منظور: مرجع سابق،ج31،ص2850.

[24] المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية،مكتبة الشروق الدولية،القاهرة،مصر،ط4،سنة2004،ص598.

[25]فرج خطاب:**كيف نهزم كورونا**،قصة مصورة للنشئ ببلومانيا للنشر والتوزيع، ص2.

[26] فيروس كورونا المستجد: **دليل توعوي صحي شامل**، تم تجميع محتوى هذا الدليل من الموقع الالكتروني لمنظمة الصحة العالمية حسب التفاصيل الواردة خلف صفحة هذا الغلاف، النسخة الأولى، في 2020/03/05.

[27] عبد الكريم مليباني،مصطفى مجادي:**استراتيجيات مواجهة الضغوط النفسية للحجر الصحي لانتشار فيروس كوفيد19،لدى عينة من أساتذة التعليم العالي العائدين من خارج الوطن**،دراسة استكشافية،مجلة التمكين الاجتماعي،المجلد2،العدد2،جوان2020،تاريخ النشر2020/06/30،ص ص 205-206.

[28] الشهيري حنان بنت شعشوع: **أثر استخدام شبكات التواصل الالكتروني على العلاقات الاجتماعية**،الفيسبوك وتوتير نموذجا،جامعة الملك عبد العزيز 1433هـ-1434،ص88.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، سنة2004.

فيروس كورونا المستجد: دليل توعوي صحي شامل، تم تجميع محتوى هذا الدليل من الموقع الالكتروني لمنظمة الصحة العالمية حسب التفاصيل الواردة خلف صفحة هذا الغلاف، النسخة الأولى، 2020/03/05.

- ابن منظور، لسان العرب تحقيق عبد الله علي الكبير،وآخرون، دار المعارف، القاهرة،ج46.

- ابن سينا، وضع حواشية محمد أمين الضناوي: القانون في الطب ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،ج1، سنة1

المراجع:

1- إبراهيم أبو الهيجاء: **التعاقد بالبيع بواسطة الانترنت**، الدار العلمية الدولية ومكتبة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، سنة2002.

2- الشهيري حنان بنت شعشوع: **أثر استخدام شبكات التواصل الالكتروني على العلاقات الاجتماعية**، الفيسبوك وتوتير نموذجا، جامعة الملك عبد العزيز 1433هـ-143

3- بشير عباس العلاق: **تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتطبيقاتها في مجال التجارة النقالة**، منشورا المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة، مصر، سنة2007

4- بوخبزة محمد: **مواقع التواصل الاجتماعي والمشاركة السياسية**، أطروحة دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، تخصص اللغة والتحليل النقدي وسائل الإعلام، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، سنة2015-2016

5- تيليوى عابد، عاشور زينة: **أفراد الأسرة الجزائرية في عصر العولمة**: بين الاتصال والعزلة، الملتقى الوطني الثاني حول: الاتصال وجودة الحياة في الأسرة أيام 09-10-أفريل2013، جامعة قاصدي مرباح ورقلة،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

6- عامر إبراهيم قندلجي، وايمان فاضل السامرائي: **شبكات المعلومات والاتصالات**،دار الميسر،عمان،سنة2009.

7- عاصم الدسوقي : **الانفتاح الاقتصادي وأثاره على الأسرة**،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،القاهرة،سنة2002

8- عبد الهادي الجوهري: **أصول علم الاجتماع**، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، مصر، سنة2001.

9- عبيدة صبطي، فكري لطيف متولي: **تكنولوجيا الاتصال الحديثة وتطبيقاتها في مجال التعليم**، المركز العربي للنشر والتوزيع، سنة2018.

10- عبد الكريم ملياني، مصطفى مجادي: **استراتيجيات مواجهة الضغوط النفسية للحجر الصحي لانتشار فيروس كوفيد19، لدى عينة من أساتذة التعليم العالي العائدين من خارج الوطن**، دراسة استكشافية، مجلة التمكين الاجتماعي، المجلد2، العدد2، جوان2020، تاريخ النشر2020/06/30.

11- عبد الحميد الخطيب: **نظرة في علم الاجتماع المعاصر**، مطبعة النيل، القاهرة، مصر، سنة2002

12- فرج خطاب:**كيف نهزم كورونا**، قصة مصورة للنشئ ببلومانيا للنشر والتوزيع،

13- محمد عاطف غيث: **علم اجتماع**، دار المعارف، القاهرة، بدون سنة

14- محمود علم الدين: **تكنولوجيا المعلومات ومستقبل صناعة الصحافة**، دار السحاب للنشر والتوزيع، القاهرة،2005سنة.

15- مراد شلباية، ماهر جابر: **مقدمة إلى الانترنت**، دار الميسرة، سنة2010.

16- مزهر شعباني العاني، شوقي ناجي جواد: **العملية الإدارية وتكنولوجيا المعلومات**، دار إثراء للنشر والتوزيع، الشارقة، سنة2008.

17- م.م.مشتاق طلب فاضل: **دور مواقع التواصل الاجتماعي في كوين الرأي العام المحلي**، سنة2014، مجلة تكريت للعلوم السياسية، قسم تربية طور الشؤون الإدارية، العدد12.

18- مصباح عامر: **التنشئة الاجتماعية والسلوك الانحراف**، المدرسة الثانوية، دار الأمة، الجزائر، سنة2003.

19- سيد رمضان: **إسهامات الخدمة الاجتماعية في مجال الأسرة والسكان**، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، مصر، سنة1999.

[1-] Xwe baia and Oliver yao 2010, facebook on campus : **the use and friend formation in online social networks**, college of business and Economics ,Lehigh university, online.

2-C.Mc swete, the challenge of social networks, Administrative theory and praxis,vol13,issue1,march2009.

3-Raymond boudon, philippe Besnard et d'autre: **dictionnair de sociologie,** larousse, France, 2005.

مساهمة المدرسة في نشر الثقافة الصحية في الوسط المدرسي

الطالبة حداد يسمينة
المركز الجامعي أمين العقال الحاج موسأق أخموك – تامنغست
yasmyh212@gmail.com
0660866648

ملخص البحث

لعل المدرسة كمؤسسة اجتماعية فاعلة في النسق العام للمجتمع تسعى إلى تحقيق التوازن فيه مسؤولة عن صناعة أفراد فاعلين اجتماعيا ،من خلال التخلص من الأفكار و السلوكيات الخاطئة وبناء معارف ومهارات وتوجهات وسلوكات ايجابية، وذلك اعتمادا على التثقيف الصحي ونشر الوعي الصحي بوسائل وبرامج متعددة من أجل رفع مستوى الصحة العامة للفرد ، وفي مداخلتنا هذه الموسومة بمساهمة المدرسة في نشر الثقافة الصحية في الوسط المدرسي سنتعرض إلى أهمية الثقافة الصحية في المدرسة ودور المدرسة كمؤسسة تنشئة اجتماعية في نشر الثقافة الصحية في الوسط المدرسي و استراتيجيات إدراج الثقافة الصحية في المناهج الدراسية من قبل وزارة التربية الوطنية، إضافة إلى بعض القراءات لمضامين الكتاب المدرسي حول إدراج الثقافة الصحية في المناهج الدراسية، دون أن نهمل المبررات التي أدت إلى إدراج التربية الصحية في المدرسة ، كما لا ننسى مساهمة المدرسة في نشر الوعي الصحي خلال فترة كورونا (كوفيد19) و البروتوكولات الصحية المتبعة من طرف وزارة التربية الوطنية لإنجاح الدخول المدرسي وتسيير التمدرس خلال هذه المرحلة وأهم المناشير الوزارية التي تحمي الصحة المدرسية.

الكلمات المفتاحية : المدرسة ، الصحة، الثقافة، الثقافة الصحية، الصحة المدرسية.

Abstract :

There is no difference between the two that health sciences are among the sciences that are witnessing great progress among the rest of the sciences, which are reliable in knowing the health status of individuals and the health of their environment around them in order to achieve the development and progress of society in all economic and social fields ... which requires spreading a kind of awareness Health among its members.

Perhaps the school, as an active social institution in the general pattern of society, seeks to achieve a balance in it. Responsible for creating socially active individuals by eliminating wrong ideas and behaviors, building knowledge, skills, attitudes and positive behaviors, depending on health education and spreading health awareness through multiple means and programs in order to raise the level of public health To the individual, and this prompted us to ask: How does the school contribute to spreading a healthy culture in the school environment?

– مقـــدمـــة:

تشهد علوم الصحة تقدم كبير وسط بقية العلوم، وهي التي يعول عليها في معرفة حالة الأفراد الصحية وصحة بيئتهم المحيطة بهم بهدف تحقيق التطور والتقدم للمجتمع في جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية...الأمر الذي يتطلب نشر نوع من الوعي الصحي بين أفراده . وتعد المدرسة من بين المؤسسات التي تهتم بالصحة ، وتسعى إلى مواكبتها لأن النمو الصحي السليم بدنيا و عقليا ونفسيا ينمي قدرات المتعلمين ومهاراتهم وتحصيلهم العلمي ، وهذا ما يدفع القائمين عليها إلى تبني برامج ووسائل لنشر الثقافة الصحية في الأوساط المدرسية ، وتعد البرامج المدرسية التوعوية الصحية الفعالة المبرمجة لفئة الطلبة وسيلة الارتقاء بصحة المجتمعات وتقدمها وتطورها .

أولا– تحديد مفاهيم الدراسة :

1–مفهوم الصحة :

أ– بدأ الاهتمام بقضايا الصحة بع ظهور الأمراض العضوية منها والاجتماعية والتي فرضت على الإنسان الاتجاه إلى الصحة سواءا وقائيا أو علاجيا لأنه أصبح بحاجة إلى الابتعاد عن كل أنواع المرض والشعور بالصحة يجب أن يكون في جميع القضايا المتعلقة بالإنسان في جميع مناحي الحياة . وقد تغير مفهوم الصحة بتواكب الحضارات ، ففي الحضارة الإغريقية نجد مفهوم الصحة لديهم يتجه أساسا نحو الصحة الشخصية بمعنى تقوية صحة الفرد عن طريق الاهتمام بنظافته وتغذيته وغيرها من الأمور وقد كان لهم آلهة خاصة بالصحة تدعى "هيجيه "ومنها اشتقت كلمة الصحة ، أما في العهد الروماني كان مفهوم الصحة يمثل مفهوم البيئة النظيفة ولهذا سميت صحة البيئة التي تشمل نظافة المسكن ومكان العمل ونظافة الأغذية وتنقية المياه ومازالت هذه العمليات موجودة في بعض المدن الإيطالية .كما علم العرب بأهمية حفظ الصحة خاصة المسلمون منهم .(سميرة بن صافي ،مجلة الباحث للعلوم الإنسانية و الاجتماعية ص 932)

ب–تعريف منظمة الصحة العالمية :

يعد الأكثر قبولا فقد نص على أن الصحة هي "حالة التكامل الجمالي و العقلي و الاجتماعي للفرد وليس مجرد الخلو من المرض و العاهات "كما كان سائدا لفترة طويلة .(سميرة بن صافي ،مجلة العلوم الإنسانية ص933)

ج –النظرة الطبية الاجتماعية للصحة:

أخذت الصحة عدة مفاهيم من قبل عدة باحثين فيرى **بركنز"** أنها حالة التوازن النسبي لوظائف الجسم ولأن حالة التوازن هذه تنتج من تكيف الجسم عملية ايجابية تقوم بها قوى الجسم للمحافظة على توازنه ". كما تعرف الصحة في الجنس البشري بمدى التواصل الفيزيقي و الوجداني و العقلي للشخص وقدرته الاجتماعية في مواجهة بيئته. (مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، ص)

– مما سبق يمكن القول أن مفهوم الصحة لتقتصر على التكامل البدني فقط ،ولكن تشمل الجانب النفسي والاجتماعي.

2– الثقافة :

الثقافة ظاهرة إنسانية ومحور الحياة الاجتماعية وظيفيا وسلوكيا ، بمعنى أنها نشاط إنساني بالغ التعقيد و العمق و التشعب أو إنجاز تراكمي مستمر النمو ، فيه الإبداع و العطاء و الإضافة الجديدة في نفس الوقت المحافظة على التراث السابق مع التجديد في كل ما يتضمنه من قيم روحية و فكرية و معنوية وتوجد مع هوية التجديد و التحديث روحا ومسارا لطموحات مستقبلية مستمرة. (حنيش سجية ، الثقافة الصحية في الأسرة الجزائرية ، ص10)

3–الثقافة الصحية :

أ– تعرف الثقافة الصحية "على أنها عملية ترجمة الحقائق الصحية المعروفة إلى أنماط سلوكية صحية سليمة على مستوى الفرد و المجتمع بهدف تغيير الاتجاهات و العادات السلوكية غير السوية ، وكذلك مساعدة الفرد على اكتساب الخبرات و ممارسة العادات الصحية الصحيحة "(أحمد محمد وآخرون ،الثقافة الصحية ،ص 14)

ب–كما تعرف بأنها العملية التي بواسطتها يتعلم الأفراد و الجماعات كيفية حماية صحتهم و إدامتها و الارتقاء بها و استردادها أو تصحيحها عند المرض . وهي عملية ذات أبعاد ذهنية و نفسية واجتماعية ، وتهدف إلى الزيادة في قدرة الناس ' لاتخاذ قرارات سليمة تعود عليهم بالخير

من أجل تغيير نمط سلوك الفرد و العائلة . (محمد حسن الزعبي الموجز في الصحة العامة ، ط1، مطبعة الأمن العام ،عمان ، 2000، ص34)

4–الصحة المدرسية :

تعرف الصحة المدرسية على أنها مجموعة من المفاهيم و المبادئ و الأنظمة و الخدمات التي تقدم لتعزيز صحة المتمدرسين في السنوات الدراسية وتعزيز صحة المجتمع من خلال المدارس (أحمد محمد بدح وآخرون ص24).

5–التثقيف الصحي :

يعتبر التثقيف الصحي من بين الوسائل الفعالة في تحسين المستوى الصحي للأفراد ، عن طريق إكساب الفرد لمعلومات تتناسب مع مستوى تفكيره ،بحيث يصبح قادرا على إدراك الظروف الصحية المفيدة له وممارسة السلوكات الصحية الايجابية السوية و التعاون مع ما يجري حوله من ظروف صحية .(أحمد محمد بدح ص)

6–المدرسة :

عرفها دوركايم بأنها تعبير امتيازي للمجتمع الذي يوليها بأن تنقل إلى الأطفال قيما ثقافية و أخلاقية و اجتماعية يعتبرها ضرورة لتشكيل الراشد و إدماجه في بيئته ووسطه ، فهي مؤسسة اجتماعية ينشئها المجتمع بهدف تأهيل النشء للحياة الاجتماعية من خلال التربية .(نجاة يحياوي ، المدرسة وتعاظم دورها في المجتمع ، مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، ص 58)

ثانيا–أهداف التثقيف الصحي :

إن الهدف الأساسي لعملية التثقيف الصحي هو تحقيق السعادة والرفاهية لأفراد المجتمع عن طريق الرقي بمستواهم الصحي ،وتقويم سلوكياتهم ، و السعي إلى تصويب اتجاهاتهم الخاطئة و العادات غير الصحيحة ، مع العمل على تنمية وعيهم و معرفتهم الصحية من خلال شروط السلامة و الكفاية الجسمية و العقلية و النفسية و للوصول إلى هذا الهدف لابد من تحقيق الأهداف الأولية التالية :

– التعريف بالأدوار الفعالة التي تقوم بها المؤسسات الصحية الأساسية و المساندة ،من خدمات صحية مثل :تقديم المطاعيم الضرورية للوقاية من الأمراض .

– نشر المفاهيم الصحية السليمة في المجتمع ،وتحسين صحة الفرد والمجتمع .

– العمل على تغيير السلوكيات و العادات غير الصحيحة إلى سلوكيات صحيحة وتنميتها .

– تمكين الأفراد من تحديد مشاكلهم الصحية ، ومساعدتهم في حلها.

– الحرص على جعل المحافظة على الصحة و التمتع بها غاية ،وهدفا يسعى جميع أفراد المجتمع إلى الوصول إليه وجعل تحسين نوعية المستوى الصحي مطلبا أساسيا من خلال حرص الجميع على بذل الجهود لتنمية الجانب الثقافي التنظيمي و الاستفادة من خبرات الآخرين خاصة المثقفين منهم .

– تخفيض نسبة الأمراض والوفيات .

– جعل الوسط المدرسي وسط صحي يساهم في تحقيق تعليم مناسب ويرقى إلى تحقيق أهداف الأمة .

وبذلك تقوم المدرسة على فكرة التنمية بمفهومها الواسع ، وتنشئة الجسم و العقل معا ، وبما أنها مؤسسة اجتماعية أنشأها المجتمع لا تقتصر على تأمين فرص التعليم للجميع فقط بل تتعدى ذلك إلى معالجة الإنسان فردا وجماعة في ارتباطه مع محيطه .(مها عبد الحليم ، مجلة القضارف للعلوم الإنسانية ، ص82)

ثالثا–وسائل تحقيق الثقافة الصحية :

وهي تلك الوسائل المستخدمة في توصيل المعلومات و الخبرات إلى كافة أفراد المجتمع ، ويتطلب التثقيف و الإرشاد الصحي أكفاء يكتسبون مهارة عالية ودراية بأسس التثقيف الصحي يمتلكون مهارة التعبير و الإيضاح و التأقلم السريع مع المشاكل التي تطرح عليهم كما أنه يستلزم توفير أساليب يعتمد عليها المثقف الصحي باعتماده على الطريقتين الآتيتين في مهمته :

1–الاتصال المباشر : يعتمد هذا الاتصال على الشخص المكلف بعملية التثقيف الصحي وعلى أسلوبه ومهاراته وتدريبه ويكون عادة بشكل مقابلة بين هذا الأخير وبين من يقوم بتثقيفهم صحيا، سواءا كانت هذه المقابلة فردية أو جماعية وعادة ما يكون هناك حوار ونقاش وطرح أسئلة والإجابة عليها .إما يكون ذلك على شكل ندوات أو محاضرات ....

2–الاتصال غير المباشر : وهي عملية اتصال القائمين على التثقيف الصحي بوسائل غير مباشرة من أجل القيام بالتوعية الصحية ويكون ذلك إما عن طريق المذياع أو التلفاز أو الملصقات أو المطويات أو الصور أو المعارض أو المجلات... كالآتي :

أ–المصورات و الملصقات : تشتمل على فكرة واحدة و تعلق في أماكن بارزة وواضحة هدفها تعليم المواطنين أسس الممارسة الصحيحة السليمة .

ب–المطبوعات : الكتب ،المجلات ، الصحف ، النشرات ويجب أن تكون معلوماتها بسيطة مفهومة حتى تسهل قراءتها و استيعابها .

ج–المعارض : هي عرض عدد من المعلومات و النماذج و الرسوم و اللوحات و الصور و المجسمات و الآلات و الأدوات التي تتعلق بقضايا صحية من واقع الحياة التي يعيشها الناس .

د–الوسائل السمعية البصرية : تعتبر من أفضل وسائل التثقيف الصحي لاستخدامها من طرف كافة الأفراد .(أحمد محمد بدح وآخرون ، 22 ، 23)

رابعا–الأدوار الحديثة للمدرسة :

لقد أدى التغير الاجتماعي و التطور الحاصل في المجال العلمي خاصة في ظل العولمة إلى تطور وظائف المدرسة باعتبارها المجال الذي يتأثر بكل التغيرات التي مرت بها كل المجتمعات المعاصرة و يؤثر فيها و تمثلت هذه الوظائف فيمايلي :

– إحداث التكيف الاجتماعي : تقوم المدرسة بتنمية الأنماط السلوكية الجديدة بأساليب مرنة للتلاؤم مع كثر المستجدات والمتغيرات .

–تحقيق التقارب والتوازن بين الطبقات : تقوم المدرسة بتحرير كل فرد من الانطواء داخل جماعته ليندمج في الحياة في بيئته الواسعة .

–تنمية مهارات سلوكية جديدة : لا تقتصر وظائف المدرسة على الجوانب المعرفية أو التعليمية ، بل تمتد إلى تربية الطلاب على العادات والقيم السوية التي يبتغيها آباءهم ومجتمعهم .

–تنمية مهارات الابتكار والإبداع الفني : المدرسة تعمل على تنمية المواهب وإثارة الميول و الرغبات من خلال استخدام الإستراتيجيات النشطة و التقنيات الحديثة .

– اختيار التعليم الوظيفي :بإعطاء التلاميذ فرصة انتقاء التخصص العلمي سواء في المرحلة الثانوية أو الجامعية تحت رقابة الخطة العملية التقويمية المدرسية .

– تحقيق الحراك الاجتماعي الإيجابي : من خلال توفير بيئة ملائمة تسهم في تنمية قدراتهم واستعداداتهم للحصول على مكانة وظيفية واجتماعية راقية ، وبهذا يصبح المجتمع مفتوحا لحراك أعضائه . (نجاة يحياوي ،المدرسة و تعاظم دورها في المجتمع المعاصر ، مجلة العلوم الإنسانية ، ص ،68)

خامسا–مبررات إدراج التربية الصحية في الوسط المدرسي :

تعد مؤسسات التربية أهم الوسائل الفاعلة في تحقيق الأمن الاقتصادي أو الثقافي للأمة و كفايتها الإنتاجية ولا شك أنها تزداد أهمية وقدرة كلما زاد اهتمامها بتلاميذها سيما من الناحية الصحية علما أن المدرسة في العصر الحديث لم تعد مجرد مؤسسات لتلقين المواد الدراسية وحسب وإنما تهتم بالنمو الجسدي والعقلي والعاطفي....الخ ، هذا وتتجه جميع الخبرات في المدرسة إلى الاهتمام بالسلوك الصحب و الاجتماعي و الخلقي السليم لدى المتعلمين بما يشكل إستراتيجية مجدية بالنظر إلى الأسباب التالية :

–يمثل المتعلمون شريحة اجتماعية واسعة في معظم دول العالم و تميز مرحلة الدراسة بالنمو والتطور السريع في جميع النواحي ما يستلزم تهيئة الظروف المناسبة لذلك .

–اشتداد حاجة الطفل في هذه السن إلى الرعاية الصحية نظرا لانتسابه إلى فئة حساسة سرعان ما تتأثر صحتها بالعوامل الاجتماعية كسوء التغذية أو العوامل البيئية الأخرى ، بالإضافة إلى أن الأمراض التي تصيب الفرد من طفولته يتعذر علاجها إن تأخر تشخيصها و علاجها .

–إن التقاء المتعلمين في المدرسة قد يعرضهم إلى مخاطر الأمراض المعدية واختلاف بيئاتهم الأصلية الأمر الذي يساعد على انتشار العدوى بينهم .

–تساعد المدرسة المتعلمين من اكتساب معارف تسمح لهم باتخاذ قرارات صحيحة ومسؤولة باستقلالية تامة بالإضافة إلى إكسابهم العادات و السلوكات السليمة منذ الصغر ونقل الوعي الصحي من المدرسة إلى الأسرة إلى المجتمع .(ربيعة جواج ، صليحة هاشمي تفعيل التربية الصحية في الوسط المدرسي، 2006 ، ص15)

سادسا–الثقافة الصحية والوعي الصحي كدعائم للتربية الصحية في المدرسة :

المراد بالثقافة الصحية إنما هو تقديم المعلومات و الحقائق الصحية لكافة المتعلمين بهدف الوصول إلى الوضع الذي يجعل كل فرد استعداد للتجاوب مع الإرشادات الصحية وتصحيح السلوكات الخاطئة و تحويل الممارسات السليمة إلى عادات بفعل التكرار والمداومة .

ولقد أصبح التثقيف الصحي علما من علوم المعرفة يستخدم النظريات السلوكية و التربوية و الاجتماعية ، ومبادئ الإعلام و التعليم و الاتصال للنهوض بصحة الأفراد وتمكينهم من تنمية قدراتهم البدنية والذهنية بما يحسن نوعية حياتهم .(ربيعة جواج ، صليحة هاشمي، 2006 ، ص 17)

سابعا–دور المدرسة في نشر الثقافة الصحية :

تلعب المدرسة دورا رئيسيا في حياة الطفل و تغير اتجاهاته و سلوكياته ، و غرس المبادئ و العادات والسلوكيات المرغوب فيها . فإن المؤسسات التعليمية و التربوية بمختلف مستوياتها من الروضة إلى المدرسة إلى الجامعة تستطيع دعم و مؤازرة المؤسسات الصحية للوصول إلى أهدافها ويكمن دور المدرسة في عملية التثقيف الصحي في مايلي :

– العمل على تغيير السلوكيات و العادات غير الصحيحة إلى سلوكات صحية وتنميتها تعاون المدرسة مع المؤسسة الصحية لعقد ندوات صحية ،وتشكيل لجان خاصة للتثقيف الصحي ،و العمل على عرض معارض بأحدث الوسائل التعليمية التوضيحية الخاصة بالثقافة الصحية

–تعليم التلاميذ كيفية مواجهة الحوادث و مبادئ الإسعافات الأولية ، بتطبيقها عمليا معتمدين بذلك على إستراتيجيات التدريس المختلفة

– زيادة الاهتمام بالتربية البدنية و الألعاب الرياضية .

– تعاون المدرسة مع أولياء الأمور الثقافة والتوعية الصحية للبيت من خلال المطويات و المشاريع التربوية و المعلقات و المجلات الصحية التي يسهم في صنعها التلاميذ بمساعدة المعلمين .

– مشاركة المدرسة ببعض النشاطات الخارجية الخاصة بالتوعية الصحية .

– إشراك المعلمين في حملات مكافحة الأوبئة و الأمراض المعدية اعتمادا على ثقافتهم و كفاءاتهم الصحية و استعمالهم الأساليب التربوية الحديثة .

تطعيم جميع الأطفال المتمدرسين ضد الأمراض المعدية و الخاصة التطعيمات الأساسية .

– الاكتشاف المبكر للمرض وتوجيه الطفل لتلقي العلاج الأمثل بهدف الوصول إلى الشفاء ،عن طرق الكشف الذي الطبي الذي تقوم به وحدات الكشف و المتابعة لمنع حدوث مضاعفات و الحد منها .

ثامنا– إدراج التثقيف الصحي في المنهاج الدراسي :

أصبح دور الرعاية الصحية في المجتمع المدرسي أساسا للنهوض بمستوى الصحة العامة في إطار المجتمع الكبير و المدرسة هي المؤسسة الاجتماعية التي يبدأ فيها الطفل المراحل الأولى لحياته و التي يتلقى فيها مختلف المعارف والمهارات لذا وجب التركيز على عملية التثقيف وإكساب المتعلم كل السلوكيات الايجابية في جميع المجالات خاصة الجانب الصحي ، وإن تضمين المنهاج المدرسي للتوجيهات الصحية يساعد في تعزيز الصحة العقلية والعاطفية و الجسمية لديهم وسيحسن من عاداتهم فيما يخص التغذية وممارسة النشاط البدني و يقيهم من الأمراض .

وبجدر الإشارة إلى أنه في دراسة حديثة تم إيجاد أن الطلاب الذين شمل منهاجهم التعليمي على التثقيف الصحي كانت معدلاتهم في الحساب و القراءة أعلى من أقرانهم الذين لم يدخل التثقيف الصحي في تعليمهم وفي دراسات أخرى أوجدت أن هناك علاقة طردية تربط مابين زيادة الاهتمام بصحة الطفل و تعزيزها ، وزيادة معدلاته المدرسية ودرجاته في مختلف المواد وتقدمه على غيره من الطلاب وحضوره الدائم وقلة غياباته ، وزيادة قدراته الذهنية و العقلية . وفي هذا دلالة ومؤشر واضح على أهمية دخول الثقافة الصحية ضمن مناهجنا المدرسية ونظامنا التعليمي

أهمية التثقيف الصحي في المنهاج المدرسي: https //www/webteb/com/articles/16022_ ص2

– المناشير الوزارية التي تضمن حماية صحية للمتعلمين في المدارس :

– المنشور الوزاري رقم 00026 المؤرخ في 21 جوان 1987 الخاص بالأمراض المعدية .

– القانون الخاص بالحوادث المدرسية المسند مرجعيا للأمر 73/58 بتاريخ 1975/09/25 المتضمن القانون المدني المرسوم 68/ 29بتاريخ 1968/02/01المحدد لمسؤولية الدولة

المناشير الوزارية التالية :رقم 63/005/90 بتاريخ 1965/03/15 ، رقم 550/10/64 بتاريخ 1964/01/17،ورقم 1350.

– المرسوم التنفيذي رقم 20–69 المؤرخ في 2020/03/21 و المرسوم 313 المؤرخ في 2020/05/15 المتعلقين بالوقاية من فيروس(كوفيد 19) .(وزارة التربية الوطنية)

– بالإضافة إلى التعليمات المرسلة من طرف مديريات التربية لمديري المدارس الابتدائية لتنفيذها وخاصة المتعلقة منها بالوقاية من فيرس كورونا و بمختلف التطعيمات و اللقاحات الخاصة بمختلف الأمراض .

–الحماية الصحية في الوسط المدرسي ،والأمراض المعدية التي حددتها وزارة التربية الوطنية :

حددت وزارة التربية الوطنية الأمراض المعدية التي تتطلب العزل حسب المنشور الوزاري رقم 00026 المؤرخ في 21 جوان 1987 و التي تلزم على كل مدير مؤسسة تربوية امتلاك نسخة منه ومن هذه الأمراض :السعال الديكي النزلة الوافدة ،التهاب الكبد بالحمات الراشحة ، داء القرع ، الحصبة ، داء البروسيلات ، الجرب ، حمى القرمزية ، القوباء المعدية (تقيحات الجلد ، داء السلمونيلات التفونيد نظير حمى التيفونيد ، السل ، الخثر ، شلل الأطفال (التهاب سنجابية النخاع) ،التهاب السحايا المخية النخاعية بالمكورات السحانية ، الحميراء ، الزحار المتحولي ، الزحار العضوي ، الخناق .(وزارة التربية الوطنية)

تاسعا– استراتيجيات ادراج الثقافة الصحية في المناهج التربوية من قبل وزارة التربية الوطنية :

لقد عملت الدولة الجزائرية على الاهتمام بالصحة المدرسية في المناهج التعليمية الابتدائية لأن المدرسة نقطة التقاء جميع المتعلمين القادمين من بيئات اجتماعية مختلفة حيث أن التفاعل والاحتكاك اليومي يعرضهم إلى مخاطر الأمراض المعدية مما يسهل انتشار العدوى بشكل أسرع وهذا ما دفع القائمين على التربية إدراج التربية الصحية في مضامينها من أجل تحقيق نوعا من التثقيف الصحي وهذا ما استوجب منا الولوج إلى الكتاب المدرسي ومحاولة تقصي الثقافة الصحية ضمن مضامينه.

1–قراءة في كتب التربية العلمية و التكنولوجية لجميع أطوار التعليم الابتدائي :

من خلال قراءتنا لمحاور ووحدات كتاب التربية العلمية و التكنولوجية نجد أن وحدة الدراسية الخاصة بالإنسان و الصحة قد خصص لها عدد مختلف من الصفحات ، ففي كتاب السنة الخامس مثلا 21 نجد صفحة، كما أرفقت كل الدروس بصور ملونة تساعد المتعلم على القراءة الإيحائية للصورة وتكوين صورة ذهنية حول النشاط المدروس، فدرس "أغذيتي متنوعة " الموجود في كتاب السنة الثالثة ابتدائي يهدف إلى تنمية الطفل على قواعد التغذية الصحية مما يساعد على التثبيت ، كما أن الوضعيات والمواضيع الدراسية المدرجة تنوعت بين ما هو خاص بالأغذية الصحية والبيئة الصحية وأعضاء الجسم و أهم الأمراض الخطيرة والمعدية وطرق الوقاية منها و الإسعافات الأولية ، على سبيل المثال "مظاهر التنفس "، "أنا أنمو و أتطور "، "تكيف العضوية للجهد العضلي و القواعد الصحية أثناءه " توجه المتعلمين وتحثهم على إتباع السلوك الصحي السليم و ممارسته في حياتهم اليومية وقد تم إدراج التمارين لدعم المكتسبات وترسيخها أيضا ، بالإضافة إلى الوحدات الإدماجية التي تساعد في إعادة استثمار المكتسبات. و لقد كللت الوحدات

الخاصة بالإنسان والصحة بانجاز مشاريع عملية تتمثل في انجاز مطويات لقواعد الحياة الصحية يأخذها معه المتعلم إلى المنزل وبهذا تنتقل الثقافة الصحية المدرسية إلى البيت ثم إلى المجتمع أما البطاقات التوعوية الحائطية فتعرض لباقي المتعلمين في المدرسة لنشر الثقافة الصحية مثل نظافة الجسم والمحيط وبهذا تغير المدرسة السلوكيات الخاطئة حول التربية الصحية بسلوكيات سوية ، و تحقق الكفاءات المستهدفة حول التربية والتوعية الصحية (الكتاب المدرسي ، وزارة التربية الوطنية)

2–قراءة في كتاب اللغة العربية لجميع أطوار التعليم الابتدائي :

من خلال تحليلنا لفهرس كتاب اللغة العربية لجميع المستويات الخاصة بالمرحلة الابتدائية نجد أن القائمين على وضع المناهج اعتمدوا على مبدأ الانسجام العمودي والأفقي بين المواد، حيث خصص في منهاج اللغة العربية أيضا مكانة لا بأس بها لمواضيع الصحة المدرسية والثقافة الصحية (15 صفحة) في كتاب اللغة العربية للسنة الخامسة ابتدائي

وكمثال على عناوين بعض النصوص المدرجة في جميع السنوات : "كيف أعتني بجسمي" ، "التبرع بالدم " ، " مرض معد " ، " الغذاء المفيد " و قد اعتمدت على الصور الملونة القريبة من بيئتهالواقعية و على الرموز و الشعارات التي تؤثر في نفسيته وتدفعه إلى تبني السلوكات الصحية الإيجابية وتمييزه للأغذية الصحية التي تفيد جسمه والتي تساعده في نمو جسمه نموا سليما ، كذلك وضع تحت تصرف الأستاذ كل الاستراتيجيات النشطة التي تدفع المتعلم إلى الإبداع الفردي في تطبيقه لأساليب التربية الصحية كاعتماده على المسرحيات لمسرحة أحداث النص والتي تنقل المتعلم من التلقي و التلقين إلى الممارسة والتطبيق .

– ومن خلال قراءتنا أيضا فإن النصوص المبرمجة تشتمل على شرح للكلمات الصعبة مما يكون عند المتعلم ثروة لغوية حول المجال الصحي كما أن باقي الأنشطة الأخرى المتعلقة بالصرف و النحو مرتبطة بنفس النصوص مما يدعم ترسيخ المكتسبات ، كما تدعم أيضا هذه الوحدات أو المحاور الدراسية بانجاز مشاريع نهائية تتعلق بالصحة المدرسي تتمثل في بطاقات توعوية حائطية تعلق في آخر القسم ويشارك بها في المعارض الداخلية للمدرسة (الكتاب المدرسي لمادة اللغة العربية ، وزارة التربية الوطنية).

عاشرا–كيف تساهم المدرسة في نشر الوعي الصحي خلال فترة جائحة كورونا والبروتوكولات الصحية المتبعة:

تسببت جائحة كورونا (كوفيد 19) في أكبر انقطاع للتعليم في التاريخ ، حيث كان لها بالفعل تأثير شبه شامل على طالبي العلم و المعلمين حول العالم ،من مرحلة قبل التعليم الابتدائي إلى المدارس الثانوية ، ومؤسسات التعليم العالي و التكوين التقني و المهني وتعليم الكبار، وبحلول منتصف شهر أفريل 2020 كان 94 من طالبي العلم على مستوى العالم تأثروا بالجائحة .

وتختلف القدرة على الاستجابة لغلق المدارس اختلافا هائلا حسب مستوى التنمية ، مما أدى هذا الانقطاع في السنة الدراسية إلى تأثير سبي غير متناسب مع مستوى التلاميذ الأكثر ضعفا في المستوى الدراسي، خاصة في الدول التي تعاني من هشاشة نظمها التعليمية ،مما أدى إلى حالة ارتباك في بعض الأسر التي تعاني من محدودية في المستوى التعليمي الأمر الذي خلق صعوبة التكفل باستمرارية التعليم في المنزل .

لذلك قامت الحكومات بإتاحة التعليم عن بعد عبر الانترنيت لكنها واجهت صعوبات في تطبيقها بسبب عدم توفر كل المتعلمين و الطلبة على خدمات الاتصال بالانترنيت بالإضافة إلى انخفاض المستوى التعليمي للوالدين وصغر سن المتعلمين وعدم إجادتهم للغة التدريس.(الأمم المتحدة ، موجز سياساتي ،التعليم أثناء جائحة كوفيد 19 وما بعدها ،أوت2020 ، ص ص5 ، 6)

نظرا للتداعيات التي فرضتها جائحة كورونا شرعت العديد من البلدان ومن بينها الجزائر في التخطيط لإعادة فتح المدارس على الصعيد الوطني ومحاولة التكيف مع الجائحة و ذلك بوضع تدابير وقائية في المؤسسات التربوية للتحضير لدخول مدرسي صحي معتمدة في ذلك على بروتوكول وقائي عممته وزارة التربية الوطنية على كافة مديريات التربية عبر الوطن في إطار تنفيذ أحكام المرسوم التنفيذي رقم 20 المؤرخ في 20 مارس 2020 و المتعلق بتدابير الوقاية من انتشار وباء فيروس كورونا (كوفيد 19) ومكافحته ، و النصوص ذات الصلة ، تحضيرا لعودة التلاميذ إلى مقاعد الدراسة مع بداية الموسم الدراسي 2021/2020 و التي تقتضي توفير بيئة مدرسية صحية وآمنة تساهم في المحافظة على صحة المتعلمين ونشر الوعي الصحي حول الفيروس وسبل الوقاية منه وبدورهم التلاميذ ينقلونها إلى البيت وبالتالي المجتمع . ومن هذه التدابير ما يلي :

– تقسيم الأفواج التربوية إلى أفواج فرعية لتفادي الاكتظاظ في الأقسام .

– الحرص على تنظيف وتطهير كل مرافق المؤسسة (الأقسام ، الساحة ، قاعة الأساتذة ، مكاتب الإدارة ، المطبخ، المراقد ، دورات المياه ، المطعم المدرسي .....) وتنظيف وتطهير خزانات المياه .

–عقد جلسة عامة مع الأساتذة و الطاقم الإداري و كل مستخدمي المؤسسة وبحضور طبيب وحدة الكشف والمتابعة لقراءة البروتوكول الصحي الوقائي و تحديد المهام ، وإلزام الجميع بضرورة التجند و التحلي باليقظة لاجتياز الظرف الاستثنائي .

– تنظيم فضاء المؤسسة بوضع مخطط لكيفية تنقل التلاميذ بشكل يضمن التباعد الجسدي سواء داخل قاعات التدريس وكل المرافق الأخرى

– الحرص على توفير مستلزمات التنظيف والتطهير (صابون سائل ،مطهر كحولي ،ماء جافيل ....) وأجهزة قياس الحرارة بالأعداد الكافية .

– إجبارية ارتداء القناع الواقي من طرف جميع مستخدمي المؤسسة التربوية من إداريين و أساتذة و عمال في كل الأماكن مع إجبارية ارتدائه لكل زائر للمؤسسة .

– وضع الملصقات و المنشورات الإعلامية ، بالتنسيق مع أطباء وحدات الكشف والمتابعة ، والتي تضمن تعليمات السلامة والوقاية و القواعد الواجب احترامها في كل مرافق المؤسسة (الساحة ،الأقسام ،المطعم ، المرقد قاعة الأساتذة ، الإدارة)

– تذكير الأساتذة و الإدارة للمتعلمين بمنهجية غسل اليدين بطريقة سليمة (تبليلهما بالماء ثم استعمال الصابون وفرك باطن وظهر اليد جيدا وبين الأصابع و الأظافر لمدة 20 ثانية ، و الشطف بالماء الجاري ثم تجفيف اليدين وتحديد الحالات التي تستدعي غسل اليدين .

– تخصيص خمس دقائق يوميا في بداية الفترة الصباحية لتحسيس التلاميذ وحثهم على الالتزام بالقواعد الصحية الوقائية و أهميتها .

– ضرورة التخلص من النفايات (المناديل المستعملة ، الأوراق .....) التي يخلفها التلاميذ بعد كل فترة دراسة .

– تنصيب خلية يقظة دائمة على مستوى كل مؤسسة مدرسية تشكل نقطة اتصال محورية على مستوى مديريات التربية تتكفل بالإعلام الواسع عن محتوى المنشور و التأكيد على تطبيق قواعد الوقاية ونشر الوعي الصحي في الأوساط التربوية .

وبهذا فإن الوسط المدرسي يساهم بدور كبير في مجابهة (كوفيد 19) من خلال التذكير و التوعية الصحية المستمرة وهذا تطبيقا للتعليمات الوزارية بهذا الخصوص .(وزارة التربية الوطنية ، البروتوكول الوقائي للدخول المدرسي 2020/08/15)

إحدى عشر–الصعوبات التي تواجه المدرسة في نشر الثقافة الصحية في الوسط المدرسي :

– قلة توفر الكفاءات المهنية المدربة التي تستطيع القيام بخدمات التثقيف الصحي .

– ضعف مشاركات المؤسسات الحكومية و الخاصة في دعم برامج التثقيف الصحي .

– نقص الإمكانيات و الوسائل ، ونقص الموارد المالية التي تساعد على دعم برامج الثقافة الصحية داخل وخارج المدرسة .

– نقص التعاون من طرف باقي الشركاء الاجتماعيين في المساهمة مع المدرسة للارتقاء بمستوى الثقافة الصحية .

–التوصيات والمقترحات: في ضوء النتائج المتوصل إليها نعرض التوصيات الآتية :

– تقويم المدرسة و البرامج الصحة المدرسية لتحديد مواطن القوة و مواطن الضعف وتطبيق الإجراءات المناسبة .

– ضرورة الاهتمام بنشاط التربية البدنية من خلال توفير الملاعب وتجهيزها للقضاء على بعض الأمراض التي تمس الطفل في المرحلة الابتدائية (السمنة) و تحقيق مستوى عالي من التربية الصحة و بالتالي التوعية الصحية .

– ضرورة الشراكة والتعاون مع المؤسسات الصحية في القطاع العام والخاص .

– ضرورة مراقبة البيئة المدرسية بعناية وتوفير كل الإمكانات اللازمة و النقائص للوصول إلى صحة مدرسية راقية .

– برمجة ندوات و دورات مستمرة لمديري المدارس و المعلمين للتزود بالمهارات و الخاصة سواء بالتثقيف الصحي أو الصحة المدرسية .

– إعداد تقارير سنوية حول الصحة المدرسية في المدرسة وأهم الأمراض المنتشرة التي تخلص وضع خطط للتوعية الصحية .

خاتمة :

للمدرسة دور هام في نشر الثقافة الصحية وحفظ الصحة المدرسية للمتعلمين و توجيههم إلى اكتساب المعارف الايجابية والمهارات و السلوكيات السوية ، وممارسة العادات الصحية السليمة و التخلي على العادات الخاطئة ،ونشر الوعي الصحي بخصوص حياتهم الصحية وهذا بفضل عناصرها و القائمين عليها و المجهودات المتضافرة لأن صحة الأفراد هي مقياس تقدم وتطورا لمجتمعات و الدول ، لذا وجب الاهتمام بالمدارس وتقديم كل الإمكانات والدعم لها ، لوضع البرامج التي تعزز صحة التلاميذ وتعود بالفائدة عليهم وعلى أسرهم وعلى المجتمع ككل .

الهوامش والمراجع :

1. أحمد محمد بدح وآخرون (د ،س) ، الثقافة الصحية ،عمان ، الأردن ، دار المسيرة للنشر و التوزيع .

2. أعمال الملتقى الوطني المنعقد في الجزائر (1992) . الثقافة و التسيير ، الجزائر، ص 32 .

3. الأمم المتحدة (2020) .موجز سياساتي ، التعليم أثناء جائحة كورونا– كوفيد 19 الولايات المتحدة الأمريكية ،ص5–6 .

4. بهاء الدين إبراهيم سلامة (1997)،الصحة والتربية الصحية ،القاهرة ،دار الفكر العربي .

ربيعة جواح ، صليحة هاشمي (2006). تفعيل التربية الصحية في الوسط المدرسي،الجزائر،المركز الوطني للوثائق التربوية، العدد 21 ص15–17.

5. حنيش سجية (2009/2008) .الثقافة الصحية في الأسرة الجزائرية ، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر ، الجزائر،ص10 .

6. سميرة صافي (2018) .ثنائية الصحة والمرض من منظور أنثروبولوجي، ورقلة، الجزائر مجلة الباحث في العلوم الإنسانية و الاجتماعية جامعة قاصدي مرباح ، العدد 35،ص 932 –933.

7. مها عبد الحليم (2018) . أهمية الثقافة الصحية للطفل و علاقتها بصحة المجتمع من وجهة نظر معلمات رياض الأطفال بمحلية أميدة بأم درمان ، الرياض ، السعودية ،مجلة القضارف للعلوم الانسانية ، المجلد الأول ، العدد الثاني ص82.

8. محمد حسين الزغبي (2000) ,الموجز في الصحة العامة ،ط1 ،عمان ، مطبعة الأمن العام.

9. وزارة التربية الوطنية (2020) .البروتوكول الوقائي للدخول المدرسي ، الجزائر .

10. وزارة التربية الوطنية (1987) . المنشور الوزاري المشترك ، الجزائر .

11. وزارة التربية الوطنية (2020) . الكتاب المدرسي، الجزائر .

12. شروق المالكي (2015)، أهمية التثقيف الصحي في المنهاج المدرسي ، (20 أوت 2015)، 2 ص .(http : //www/webteb/com/articles/160222

حالة اللغة العربية في الشبكة العنكبوتية: تأملات في خطابات الفايسبوك

أ. قرماط عبد القادر ، كلية الآداب واللغات، جامعة تامنغست

abdelkadergarma@gmail.com

أ.أيلوم موسى، كلية الآداب واللغات، جامعة الشلف

moussaayloum@gmail.com

أ.غالم محمد، كلية الآداب واللغات، جامعة تامنغست

ghalemmed5@gmail.fr